مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم

معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ
أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه
صلاح الدين بن عثمان أحمد
أمين مكتبة سماحته

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سعد بن عبد الله بن غنيم الحقباني وجعله وقفًا لوالديه
بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد الرابع عشر

من سورة ق إلى سورة الناس

مجموع
تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سعد بن عبد الله بن غنيم الحقباني وجعله وقفا لوالديه

ح مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية ، ١٤٤٦هـ
عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز،
مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير. / عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز ؛ صلاح الدين عثمان أحمد - ط١.
الرياض ، ١٤٤٦هـ
١٤ مج.

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٧٩٧٥
ردمك: ٠-٤٨ - ٨٣٩٧-٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٦-٦٢-٨٣٩٧-٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١٤)

الطبعة الأولى
١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥م

مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم

معالي الشيخ

محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ

أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل

المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه

صلاح الدين بن عثمان أحمد

أمين مكتبة سماحته

بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد الرابع عشر

من سورة ق إلى سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير آيات من سورة ق(١)

وهي مكية

﴿رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ [٣]: ردٌّ، ﴿فُرُوجٖ﴾ [٦]: فُتُوقٍ، واحدها فَرْجٌ، ﴿مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [١٦]: وريداه فِي حَلْقِهِ، والْحَبْلُ: حَبْلُ الْعَاتِقِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [٤]: مِنْ عِظَامِهِمْ، ﴿تَبۡصِرَةٗ﴾ [٨]: بَصِيرَةً، (حَبَّ الْحَصِيدِ) [٩]: الْحِنْطَةُ، ﴿بَاسِقَٰتٖ﴾ [١٠]: الطِّوَالُ، ﴿أَفَعَيِينَا﴾ [١٥]: أَفَأَعْيَا عَلَيْنَا، ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ [٢٣]: الشَّيْطَانُ الَّذِي قُيِّضَ لَهُ، ﴿فَنَقَّبُواْ﴾ [٣٦]: ضَرَبُوا، ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ﴾ [٣٧]: لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِغَيْرِهِ، حِينَ أَنْشَأَكُمْ، وَأَنْشَأَ خَلْقَكُمْ، ﴿رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [١٨]: رَصَدٌ، ﴿سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ [٢١]: الْمَلَكَانِ: كَاتِبٌ وَشَهِيدٌ، ﴿شَهِيدٞ﴾ [٣٧]: شَاهِدٌ بِالْغَيْبِ، ﴿لُّغُوبٖ﴾ [٣٨]: النَّصَبُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: ﴿نَّضِيدٞ﴾ [١٠]: الْكُفُرَّى مَا دَامَ فِي أَكْمَامِهِ، وَمَعْنَاهُ مَنْضُودٌ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ أَكْمَامِهِ فَلَيْسَ بِنَضِيدٍ، فِي أَدْبَارِ النُّجُومِ، ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [٤٠]: كان عاصمٌ يفتح التي في (ق)، ويكسر التي في (الطور)، ويكسران جميعًا، وينصبان، وقال ابن عباسٍ: ﴿يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ [٤٢]: يخرجون من القبور.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**مِنَ الطَّالِبِ**): عندنَا فِي نسخةٍ (**شهيد**) شاهد بالقلب(٢).

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) في نسخة القارئ (شاهد بالغيب).

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٩٤)]: «قوله: (**شهيدٌ**) شاهدٌ بالغيب: في رواية الكشميهني بالقلب، ووصله الفريابيّ من طريق مجاهدٍ بلفظ الأكثر». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، الظّاهر (**بالغيب**)؛ لأنّه شهودٌ بما غاب عن الحاضرين، ويحتمل «بالقلب» يعني شاهدًا بما يعني يقع في قلب المكلّف؛ فإنّ الملكين موكّلان به، يعلمان ما يصدر منه من إيمانٍ وفسوقٍ، من كلامٍ وفعلٍ، فالله جعل لهما اطّلاعًا على قلبه؛ فإذا كان في قلبه شكٌّ وريبٌ، كتب عليه ذلك، وإذا كان في قلبه حبٌّ لله وبغضٌ لأعدائه، كتب في أعماله. فالملكان لهما صلةٌ بالقلب، كما يكتبان أقواله وأعماله الظّاهرة، يكتبان أيضًا أعمال قلبه. الله أكبر. ﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]. اللهُ المُسْتَعَانُ.

● **س: ما في القلب يعلمه الملكان؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، هذا علمٌ خاصٌّ لهما؛ ليكتبان عليه.

● **س: وقوله تعالى: ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما ينافي اطّلاع الملكين على ما أراد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنّهما يكتبان عليه كلّ شيءٍ: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الإنفطار: ١١، ١٢]، والقلب له فعلٌ من حبٍّ، وبغضٍ، وكراهةٍ، وشكٍّ، وريبٍ، وإخلاصٍ.

● **س: ....؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الملك الموكّل، الملائكة الموكّلون بكتابة الحسنات والسيّئات.

قوله: (**فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيدٍ**): محتملٌ، هذا محتملٌ؛ فإنّه حتّى بعد الخروج فإنّه منضودٌ: واحدٌ، حبّة فوق حبّةٍ، منضودٌ بعضها مع بعضٍ، مثل التّمر، وإن كان نضده في الكُفُرّى أشدّ، والتصاقه أشدّ، لكن بعد الخروج هو أيضًا ملتصقٌ، فتفسيره أنّه بعد الكفرّى.

ماذا قال الشّارح عليها؟

قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٩٤)]: «قوله: (**وقال غيره: ﴿نَّضِيدٌ ۝١٠﴾ الْكُفُرَّى مَا دَامَ فِي أَكْمَامِهِ**)، ومعناه: منضودٌ بعضه على بعضٍ، فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيدٍ هو قول أبي عبيدة بمعناه». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الظّاهر أنّ الآية عامّةٌ، الطّلع النّضيد يعمّ ما بعد التّشقّق، وما قبل التّشقق؛ لأنّ المعنى حاصلٌ موجودٌ في ثمار النّخل، هذا وهذا كلّه موجودٌ.

ثمّ بعد ظهوره من الكفرّى أوضح للنّاس؛ لأنّهم يشاهدونه، أما في داخل الكفرّى فالآية ليست ظاهرةً، مستورةً، فالظاهرُ عن المستور هو كونه نضيدًا بعد ظهوره من الكفرّى وكبره، فالآية أعمّ من هذا، أعمّ من قول أبي عبيدة.

قوله: (﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾ **وينصبان**): لغتان إدبارٌ وأدبارٌ.

● **س: يعني فيها الوجوه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أدبارٌ وإدبارٌ، نعم.

● **س: يعني فيها الوجهان الثلاثة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]:

هذه السورة هي أول الحزب المفصَّل على الصحيح، وقيل من الحجرات، وأما ما يقوله العوام إنه من (عم) فلا أصل له ولم يقله أحد من العلماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ المعتبرين فيما نعلم. والدليل على أن هذه السورة هي أول المفصل ما رواه أبو داود في سننه باب تحزيب القرآن ثم قال: حدثنا مسدد، حدثنا قران بن تمام، حدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان وهذا لفظه عن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن يعلى عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جده قال عبد الله بن سعيد: حدثنيه أوس بن حذيفة ثم اتفقا قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف قال فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنزل الرسول ﷺ بني مالك في قبة له، قال مسدد: وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف قال كان رسول الله ﷺ كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا، قال أبو سعيد: قائمًا على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام، فأكثر ما يحدثنا به ﷺ ما لقي من قومه قريش ثم يقول ﷺ: [لا سواء وكنا مستضعفين مستذلين ـ قال مسدد بمكة ـ فلما خرجنا إلى المدينة كانت الحرب سجالًا بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا]، فلما كانت ليلة أبطأ عنا ﷺ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه فقلنا: لقد أبطأت علينا الليلة قال ﷺ: **«إِنَّهُ طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبِي مِنَ الْقُرْآنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَخْرُجَ حَتَّى أُتِمَّهُ»**. قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده[(٢)].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في فجر الخميس ٢٥ ـ ١٠ ـ ١٤١٩هـ.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن برقم (١٣٩٣)، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب في كم يستحب يختم القرآن برقم (١٣٤٥)، والامام أحمد (٤/ ٩ و٣٤٣).

ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر به، ورواه الإمام أحمد عن عبد الرحمٰن بن مهدي عن عبد الله بن عبد الرحمٰن هو ابن يعلى الطائفي به.

إذا عُلم هذا فإذا عددت ثمانيًا وأربعين سورة فالتي بعدهن سورة ق بيانه **ثلاث** : البقرة وآل عمران والنساء، **وخمس**: المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة، **وسبع**: يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل، **وتسع**: سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان، **وإحدى عشرة**: الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والم السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس، **وثلاث عشرة**: الصافات وص والزمر وغافر وحم السجدة وحم عسق والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف والقتال والفتح والحجرات ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة ﷺ، فتعين أن أوله سورة ق وهو الذي قلنا، ولله الحمد والمنة.

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، حدثنا مالك عن ضمرة بن سعيد عن عبيد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي : ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد؟ قال : «**بِقَافْ وَاقْتَرَبَتْ**»[(١)].

ورواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث مالك به[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥ / ٢١٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة العيدين، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين برقم (٨٩١)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في الأضحى والفطر برقم (١١٥٤)، والترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء في القراءة في العيدين برقم (٥٣٤)، والنسائي في الكبرى في كتاب التفسير، باب سورة القمر برقم (١١٥٥٠)، وابن ماجه في الإقامة، باب القراءة في صلاة العيدين برقم (١٢٨٢)، والإمام أحمد (٥/ ٢١٧).

وفي رواية لمسلم عن فليح عن ضمرة عن عبيد الله عن أبي واقد قال: سألني عمر رضي الله عنه فذكره[(١)].

(حديث آخر) وقال أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي عن ابن إسحاق، حدثني عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن أم هشام بنت حارثة قالت: لقد كان تنُّورنا وتنُّور النبي ﷺ واحدًا سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ إلا عن رسول الله، وكان يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس[(٢)].

رواه مسلم من حديث ابن إسحاق به[(٣)]

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن حبيب عن عبد الله بن محمد بن معن عن ابنة الحارث بن النعمان قالت: ما حفظت قاف إلا من في رسول الله ﷺ يخطب بها كل جمعة، قالت: وكان تنُّورنا وتنُّور رسول الله ﷺ واحدًا[(٤)].

وكذا رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة به[(٥)].

والقصد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار كالعيد والجمع لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب، والله أعلم.

مداخلة: أحسن الله إليك! جاء أنه يقرأ في الخطبة الأولى أو الثانية أو فيهما؟

---

(١) المصدر السابق
(٢) أخرجه الامام أحمد (٦/ ٤٣٥).
(٣) أخرجه مسلم في الباب السابق برقم (٨٩١/ ١٥)
(٤) أخرجه مسلم في الباب السابق برقم (٨٧٣/ ٥١)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس برقم (١١٠٠)، والنسائي في الجمعة، باب القراءة في الخطبة (٣/ ٧)، والإمام أحمد (٦/ ٤٣٥ و٤٦٣).
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم (٨٧٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الله أعلم.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [ق: ١ ـ ٥][(١)].

﴿قٓۚ﴾ حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور، كقوله: ﴿صٓۚ﴾ و﴿نٓۚ﴾ و﴿الٓمٓ﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿طسٓۚ﴾ ونحو ذلك، قاله مجاهد وغيره. وقد أسلفنا الكلام عليها، في أول «سورة البقرة» بما أغنى عن إعادته.

وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا ﴿قٓۚ﴾: جبل محيط بجميع الأرض، يقال له جبل قاف. وكأن هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم فيما لا يصدق ولا يكذب. وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افترى في هذه الأمة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى، وقلة الحفَّاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمور ، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته! وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله:

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

«**وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»(١) فيما قد يجوِّزه العقل، فأما فيما تُحيله العقول ويحكم عليه بالبطلان، ويغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل، والله أعلم.

وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف، من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، ولله الحمد والمنة، حتى إن الإمام أبا محمد عبد الرحمٰن بن أبي حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ، أورد هاهنا أثرًا غريبًا لا يصح سنده عن ابن عباس فقال: حدثنا أبي قال: حدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي: حدثنا ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: خلق الله من وراء هذه الأرض بحرًا محيطًا، ثم خلق من وراء ذلك جبلًا يقال له: «ق» السماء الدنيا مرفوعة عليه. ثم خلق الله من وراء ذلك الجبل أرضًا مثل تلك الأرض سبع مرات. ثم خلق من وراء ذلك بحرًا محيطًا بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلًا يقال له: «ق» السماء الثانية مرفوعة عليه، حتى عد سبع أرضين، وسبعة أبحر، وسبعة أجبل، وسبع سموات. قال: وذلك قوله: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧].

فإسناد هذا الأثر فيه انقطاع، والذي رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿قٓ﴾ قال: هو اسم من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ، والذي ثبت عن مجاهد: أنه حرف من حروف الهجاء(٢).

كقوله: (ص، ن، حم، طس، ﴿الٓمٓ﴾ ونحو ذلك. فهذه تُبْعِد ما تقدم عن ابن عباس.

وقيل: المراد «قضِي الأمر واللهِ»، وأن قوله: ﴿قٓ﴾ دلت على

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٣٤).

(٢) سبق تفسيره في ﴿الٓمٓ﴾ سورة البقرة.

المحذوف من بقية الكلم كقول الشاعر: قلت لها: قفي فقلت: قاف...

وفي هذا التفسير نظر؛ لأن الحذف في الكلام إنما يكون إذا دل دليل عليه، ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف؟.

وقوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾؛ أي: الكريم العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

واختلفوا في جواب القسم ما هو؟ فحكى ابن جرير عن بعض النحاة أنه قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾.

وفي هذا نظر، بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم، وهو إثبات النبوة، وإثبات المعاد، وتقريره وتحقيقه وإن لم يكن القسم متلقى لفظًا، وهذا كثير في أقسام القرآن كما تقدم في قوله: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ١، ٢]، وهكذا قال هاهنا: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾؛ أي: تعجَّبوا من إرسال رسول إليهم من البشر كقوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [يونس: ٢]؛ أي: وليس هذا بعجيب؛ فإن الله يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس.

ثم قال مخبرًا عنهم في عجبهم أيضًا من المعاد واستبعادهم لوقوعه: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾؛ أي: يقولون: أإذا متنا وبلينا، وتقطعت الأوصال منا، وصرنا ترابًا، كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب؟ ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾؛ أي: بعيد الوقوع، ومعنى هذا: أنهم يعتقدون استحالته وعدم إمكانه.

قال الله تعالى رادًّا عليهم: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾؛ أي: ما تأكل من أجسادهم في البلى، نعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان؟ وأين ذهبت؟ وإلى أين صارت؟ ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾؛ أي: حافظ لذلك، فالعلم شامل، والكتاب أيضًا فيه كل الأشياء مضبوطة.

قال العوْفِي، عن ابن عباس في قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾؛ أي: ما تأكل من لحومهم وأبشارهم، وعظامهم وأشعارهم. وكذا قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، وغيرهم.

ثم بيَّن تعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾؛ أي: وهذا حال كل من خرج عن الحق، مهما قال بعد ذلك فهو باطل. والمريج: المختلف المضطرب الملتبس المنكر خلاله، كقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٨، ٩].

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾ [ق: ٦ - ١١][1].

يقول تعالى منبهًا للعباد على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾؟ أي: بالمصابيح، ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾. قال مجاهد: يعني من شقوق. وقال غيره: فتوق. وقال غيره: من صدوع. والمعنى متقارب، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣، ٤]؛ أي: كليل، أي: عن أن يرى عيبًا أو نقصًا.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾؛ أي: وسَّعناها وفرشناها، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ وهي: الجبال؛ لئلا تميد بأهلها وتضطرب؛ فإنها مُقَرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها، ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾؛ أي: من جميع الزروع والثمار والنبات والأنواع، ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، وقوله: ﴿بَهِيجٍ﴾؛ أي: حسن نضر.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾؛ أي: ومشاهدة خلق السموات والأرض وما جعل الله فيهما من الآيات العظيمة تبصرة ودلالة وذكرى لكل عبد منيب؛ أي: خاضع خائف وجل رَجَّاع إلى الله ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾؛ أي: نافعًا، ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾؛ أي: حدائق من بساتين ونحوها، ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ وهو: الزرع الذي يراد لحبه وادخاره.

﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾؛ أي: طوالًا شاهقات. وقال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والسدي، وغيرهم: الباسقات الطوال. ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾؛ أي: منضود. ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾؛ أي: للخلق، ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ وهي: الأرض التي كانت هامدة، فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، من أزاهير وغير ذلك، مما يحار الطرف في حسنها، وذلك بعد ما كانت لا نبات بها، فأصبحت تهتز خضراء، فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك، كذلك يحيي الله الموتى. وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

* *

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [ق: ١٢ - ١٥][(١)].

يقول تعالى متهددًا لكفار قريش بما أحله بأشباههم ونظرائهم وأمثالهم من المكذبين قبلهم، من النقمات والعذاب الأليم في الدنيا، كقوم نوح وما عذبهم الله به من الغرق العام لجميع أهل الأرض، وأصحاب الرس وقد تقدمت قصتهم في سورة «الفرقان» ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾، وهم أمته الذين بعث إليهم من أهل سدوم ومعاملتها من الغور، وكيف خسف الله بهم الأرض، وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة؛ بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق.

﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ وهم قوم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وهو اليماني. وقد ذكرنا من شأنه في سورة الدخان ما أغنى عن إعادته هاهنا ولله الحمد.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾؛ أي: كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذب رسوله، ومن كذب رسولًا فكأنما كذب جميع الرسل، كقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وإنما جاءهم رسول واحد، فهم في نفس الأمر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم، ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾؛ أي: فحق عليهم ما أوعدهم الله، على التكذيب من العذاب والنكال فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم فإنهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك.

وقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾؛ أي: أفأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من الإعادة، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ والمعنى: أن

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

ابتداء الخلق لم يعجزنا والإعادة أسهل منه، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩]، وقد تقدم في الصحيح: «يقول الله تعالى: «**قَالَ اللهُ كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْأً أَحَدٌ**»»(١).

*

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ١٦ ـ ٢٢](٢).

يُخبر تعالى عن قدرته على الإنسان: بأنه خالقه، وعمله محيط

---

(١) أخرجه البخاري بسنده بلفظ: «**لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْأً أَحَدٌ**» في كتاب التفسير، سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] برقم (٤٩٧٤) و(٤٩٧٥).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير في فجر الخميس ٩ ـ ١١ ـ ١٤١٩هـ.

بجميع أموره، حتى إنه تعالى يعلم ما توسوس به نفس بني آدم من الخير والشر. وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى تَجَاوَزَ لأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَكَلَّمْ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ**»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من رحمته وفضله، الإنسان يعرض له أحاديث النفس، والله يعفو عنه ما لم يتكلم أو يعمل، قد يوسوس أنه يفعل كذا أو يفعل كذا أو يفعل كذا ولا يعمل شيء ولا يعزم على شيء، ويعفو عنه، فالله يعفو عنه سبحانه وتعالى حتى يتكلم أو يعمل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، يعني: ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه. ومن تأوله على العلم فإنما فر؛ لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع، تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل: «**وأنا أقرب إليه من حبل الوريد**»، وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، كما قال في المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا معروف فيه وأمثاله يعني: بعلمه وقدرته جَلَّ وَعَلَا، وهو فوق العرش سبحانه وتعالى، كما قال ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، بعلمه وكلاءته وتوفيقه لأوليائه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: ملائكته. وكما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا

(١) سبق تخريجه (٣/ ٧٤٦).

لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٨]، فالملائكة نزلت بالذكر ـ وهو القرآن ـ بإذن الله ﷻ. وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه بإقدار الله ﷻ لهم على ذلك، فللملك لمة من الإنسان كما أن للشيطان لمة، وكذلك: (الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق؛ ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾، يعني: الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان. ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾؛ أي: مترصد. ﴿مَّا يَلْفِظُ﴾؛ أي: ابن آدم، ﴿مِن قَوْلٍ﴾؛ أي: ما يتكلم بكلمة، ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾؛ أي: إلا ولها من يرقبها معد لذلك يكتبها، لا يترك كلمة ولا حركة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢].

معنى كلمة (نحن) إذا جاءت في القرآن:

• **س: شيخ سلمك الله! يعني كلمة (نحن) لما تأتي في القرآن معناها الملائكة؟**

○ **الجواب**: يعني: بملائكته ﷻ، نحن أقرب إليه بملائكتنا وعلمنا، نعم. سبحانه وتعالى.

مداخلة: لا، لفظ كلمة نحن كما قال المصنف أنه قال: (نحن)؟ يعني: أخص، يدل على وجود غير الذات المقدسة، بخلاف إذا قال أنا نعم. ولكنه يعبر بها العظيم عن نفسه. وهذا يعلم من الأدلة الشرعية أنه فوق العرش ﷻ، وأنه مع عباده بعلمه وكلاءته لأوليائه وحفظه لهم سبحانه وتعالى.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقد اختلف العلماء: هل يكتب الملك كل شيء من الكلام؟ وهو قول الحسن وقتادة وإنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب؟ كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما، على قولين، وظاهر الآية الأول؛ لعموم قوله تبارك وتعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو

معاوية حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثي عن أبيه، عن جده علقمة عن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ عز وجل مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ عز وجل لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ عز وجل مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ عز وجل بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه. فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث. ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، من حديث محمد بن عمرو به. وقال الترمذي: حسن صحيح وله شاهد في الصحيح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

له شاهد في الصحيح: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ**»(٢)، نسأل الله العافية، وفي اللفظ الآخر: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»(٣). الله أكبر.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٦٩).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان برقم (٦٤٧٧) ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، وفي نسخة باب حفظ اللسان برقم (٢٩٨٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان برقم (٦٤٧٨).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال الأحنف بن قيس: صاحب اليمين يكتب الخير، وهو أمين على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال له: أمسك. فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها، وإن أبى كتبها. رواه ابن أبي حاتم.

وقال الحسن البصري وتلا هذه الآية: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾. يا ابن آدم! بسطت لك صحيفة. ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا ما مت طويت صحيفتك وجعلت في عنقك.

الشيخ: طويت صحيفتك. . .

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(طويت صحيفتك وجعلت في عنقك، معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، ثم يقول: عَدَل والله فيك مَن جعلك حسيب نفسك، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾، قال: يكتب كل ما تكلم به.

الشيخ: يكتب يعني: الملك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر، حتى إنه ليكتب قوله: (أكلت وشربت، ذهبت، جئت، رأيت)، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر، وألقى.

الشيخ: وألقي.

مداخلة: وألقى؟

الشيخ: ألقي بالياء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وألقي سائره، وذلك قوله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]. وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه، فبلغه عن طاوس أنه قال: يكتب الملك كل شيء حتى الأنين. فلم يئن أحمد حتى مات رَحِمَهُ اللَّهُ، وقوله تبارك وتعالى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المهم أنه ظاهر القرآن أنه يكتب كل شيء ما يلفظ من قول، لكن الحساب والجزاء والثواب والعقاب على الشيء الذي يتعلق بالمعاصي والطاعات، وأما الشيء المباح ما يتعلق به شيء، (أكلت وشرب) ما يتعلق به شيء حتى ولو كتبت، نعم.

مداخلة: عفا الله عنك! تسمية الملكين رقيب وعتيد؟

الشيخ: نص القرآن.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: ١٩].

يقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَآءَتْ﴾ أيها الإنسان، ﴿سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه.

الشيخ: كشفت لك، نعم.

القاري: كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه، ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾؛ أي: هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك، فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص. وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾، فالصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو. وقيل: الكافر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كما قال في أول الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ﴾، نعم. المخاطب جنس الإنسان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقيل: غير ذلك. وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا إبراهيم بن زياد سبلانأ، خبرنا عباد بن عباد، عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه، عن جده علقمة بن وقاص أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: حضرت أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يموت، وأنا جالسة عند رأسه، فأخذته غشية فتمثلت ببيت من الشعر: من لا يزال دمعه مقنعًا فإنه لا بد مرة مدفوق.

الشيخ: نعم، من لم يزال.

القاري:

من لا يزال دمعه مقنعًا أو مقنع مقنعًا فإنه لا بد مرة مدفوق

الشيخ: مقنعًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قالت: فرفع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأسه فقال: يا بنية! ليس كذلك، ولكن كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾. وحدثنا خلف بن همام، حدثنا أبو شهاب الخياط عن إسماعيل بن أبي خالد، عن البهي قال: لما أن ثقل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جاءت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فتمثلت بهذا البيت: لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر، فكشف عن وجهه وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ليس كذلك، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾.

وقد أوردت لهذا الأثر طرقًا كثيرة في سيرة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ذكر وفاته، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: «أنه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**»»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب سكرات الموت برقم (٦٥١٠).

وفي قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾، قولان:

أحدهما: أن (ما) هاهنا موصولة. أي: الذي كنت منه تحيد، بمعنى: تبتعد وتتنأى وتفر، قد حل بك ونزل بساحتك.

والقول الثاني: أن (ما) نافية، بمعنى: ذلك ما كنت تقدر على الفراق منه ولا الحيد عنه.

الشيخ: ما كنت.

القاري: ما كنت تقدر على الفراق منه.

الشيخ: الفرار ولا الفراق.

القاري: الفراق.

مداخلة: فيه نسخة بالراء أحسن الله إليك! (الفرار).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الفرار أحسن هنا، الفرار أحسن. والفراق معناها المفارقة لكن فرار أحسن. بالراء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد قال الطبراني في المعجم الكبير: حدثنا مؤمل بن علي الصائغ المكي، حدثنا حفص، عن ابن عمر الحدي، حدثنا معاذ بن محمد الهذلي، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل الذي يفر من الموت مثل الثعلب تطلبه الأرض بدين، فجاء يسعى حتى إذا أعيى وأسهر دخل جحره، وقالت له الأرض: يا ثعلب! ديني. فخرج وله حُصاص، فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات**». ومضمون هذا المثل: كما لا انفكاك له ولا محيد عن الأرض، كذلك الإنسان لا محيد له عن الموت[1].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٦٨) برقم (٦٩٢٢)، وأعلَّه العقيلي والهيثمي بمعاذ بن محمد الهذلي. الضعفاء الكبير (٤/ ٢٠٠)، ومجمع الزوائد (٢/ ٣٢٣).

مداخلة: عندنا محمد بن علي الصائغ.

الشيخ: الحاشية؟

مداخلة: عليه الحاشية في بعض أحسن الله إليك!

مداخلة: يقول: قال الهيثمي في المجمع: فيه معاذ بن محمد الهذلي، قال العقيلي لا يتابع عليه.

الشيخ: غير هذا، مؤمل شيخ المؤلف. نعم. إذًا حط نسخة، الذي عنده محمد يحط مؤمل والذي عنده مؤمل يحط نسخة محمد أمره سهل.

مداخلة: في اثنين أيضًا أحسن الله إليك! الذي بعده: حفص بن عمر الحدي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾ قد تقدم الكلام على حديث النفخ في الصور والفزع والصعق والبعث، وذلك يوم القيامة. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ**»[١]؟!. قالوا: يا رسول الله! كيف نقول؟ قال ﷺ: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل**». فقال القوم: حسبنا الله ونعم الوكيل.

﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾﴾؛ أي: ملك يسوقه إلى المحشر، وملك يشهد عليه بأعماله. هذا هو الظاهر من الآية الكريمة. وهو اختيار ابن جرير ثم روي من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن يحيى بن رافع مولى لثقيف قال: سمعت عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخطب

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور برقم (٢٤٣١)، والإمام أحمد (١/ ٣٢٦ و٣/ ٧٣ و٤/ ٣٧٤).

فقرأ هذه الآية: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١﴾، فقال: (سائق) يسوقها إلى الله، و(شاهد) يشهد عليها بما عملت. وكذا قال مجاهد، وقتادة وابن زيد.

مداخلة: الحديث صحيح أحسن الله إليك؟

الشيخ: الله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال مطرف: عن أبي جعفر مولى أشجع عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (السائق) الملك، و(الشهيد) العمل. وكذا قال الضحاك والسدي. وقال العوفي: عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، (السائق) من الملائكة. و(الشهيد) الإنسان نفسه، يشهد على نفسه. وبه قال الضحاك بن مزاحم أيضًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ظاهر السياق القول الأول، معه سائق وشهيد من الملائكة، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وحكى ابن جرير ثلاثة أقوال في المراد بهذا الخطاب في قوله: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢﴾:

أحدها: أن المراد بذلك الكافر. رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. وبه يقول الضحاك بن مزاحم وصالح بن كيسان.

والثاني: أن المراد بذلك كل أحد من بر وفاجر؛ لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كاليقظة والدنيا كالمنام. وهذا اختيار ابن جرير، ونقله عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس.

والثالث: أن المخاطب بذلك النبي ﷺ. وبه يقول زيد بن أسلم، وابنه. والمعنى على قولهما: لقد كنت في غفلة من هذا الشأن قبل أن يوحى إليك، فكشفنا عنك غطاءك بإنزاله إليك، فبصرك اليوم حديد.

والظاهر من السياق خلاف هذا، بل الخطاب مع الإنسان من حيث هو، والمراد بقوله: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾، يعني: من هذا اليوم، ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾؛ أي: قوي؛ لأن كل واحد يوم القيامة يكون مستبصرًا، حتى الكفار في الدنيا يكونون يوم القيامة على الاستقامة، لكن لا ينفعهم ذلك. قال الله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩)﴾ [ق: ٢٣ ـ ٢٩][(١)].

يقول تعالى مخبرًا عن المَلَك الموكل بعمل ابن آدم: أنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾؛ أي: معتد محضر بلا زيادة ولا نقصان.

وقال مجاهد: هذا كلام الملك السائق يقول: هذا ابن آدم الذي وكلتني به، قد أحضرته.

وقد اختار ابن جرير أن يعم السائق والشهيد، وله اتجاه وقوة.

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

فعند ذلك يحكم الله ﷻ، في الخليقة بالعدل فيقول: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾.

وقد اختلف النحاة في قوله: ﴿أَلْقِيَا﴾ فقال بعضهم: هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية، كما روي عن الحجاج أنه كان يقول: يا حرسي، اضربا عنقه، ومما أنشد ابن جرير على هذه اللغة قول الشاعر:

فإن تزجراني ـ يا ابن عفان ـ أنزجر وإن تتركاني أحم عرضًا ممنَّعا

وقيل: بل هي نون التأكيد، سهلت إلى الألف. وهذا بعيد؛ لأن هذا إنما يكون في الوقف، والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد، فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب، فلما أدى الشهيد عليه، أمرهما الله تعالى بإلقائه في نار جهنم وبئس المصير.

﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾؛ أي: كثير الكفر والتكذيب بالحق، ﴿عَنِيدٍ﴾: معاند للحق، معارض له بالباطل مع علمه بذلك. ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾؛ أي: لا يؤدي ما عليه من الحقوق، ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة، ﴿مُعْتَدٍ﴾؛ أي: فيما ينفقه ويصرفه، يتجاوز فيه الحد.

وقال قتادة: معتد في منطقه وسيرته وأمره.

﴿مُّرِيبٍ﴾؛ أي: شاك في أمره، مريب لمن نظر في أمره.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾؛ أي: أشرك بالله فعبد معه غيره، ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾. وقد تقدم في الحديث: أن عنقًا من النار يبرز للخلائق فينادي بصوت يسمع الخلائق: إني وكلت بثلاثة، بكل جبار، ومن جعل مع الله إلها آخر، وبالمصورين ثم تلوى عليهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية ـ هو ابن هشام ـ حدثنا شيبان، عن فِراس عن عطية، عن أبي سعيد الخدري عن نبي الله ﷺ أنه قال: «**يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَتَكَلَّمُ يَقُولُ وُكِّلْتُ الْيَوْمَ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ، وَبِمَنْ**

جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِمَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ. فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ فَيَقْذِفُهُمْ فِي غَمَرَاتِ جَهَنَّمَ»[(١)].

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم: هو الشيطان الذي وكِّل به: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾؛ أي: يقول عن الإنسان الذي قد وافى القيامة كافرًا، يتبرأ منه شيطانه، فيقول: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾؛ أي: ما أضللته، ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾؛أي: بل كان هو في نفسه ضالًّا قابلًا للباطل معاندًا للحق. كما أخبر تعالى في الآية الأخرى في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقوله: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ يقول الرب ﷻ للإنسي وقرينه من الجن، وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق فيقول الإنسي: يا رب، هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني. ويقول الشيطان: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾؛ أي: عن منهج الحق. فيقول الرب ﷻ لهما: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾؛ أي: عندي، ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾؛ أي: قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل، وأنزلت الكتب، وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ قال مجاهد: يعني قد قضيت ما أنا قاض، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾؛ أي: لست أعذب أحدًا بذنب أحد، ولكن لا أعذب أحدًا إلا بذنبه، بعد قيام الحجة عليه.

*

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٠).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٠ ـ ٣٥](١).

يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة: هل امتلأت؟ وذلك أنه وعدها أن سيملؤها من الجِنَّة والناس أجمعين، فهو سبحانه يأمر بمن يأمر به إليها، ويُلقى وهي تقول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾؛ أي: هل بقي شيء تزيدوني؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية، وعليه تدل الأحاديث:

قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثنا حَرَمي بن عُمَارة، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «**يُلْقَى فِي النَّارِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ. حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ فَتَقُولُ قَطِ قَطِ**»(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ قَطْ قَطْ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ. وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ**»(٣).

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري من كتاب التفسير، باب قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ برقم (٤٨٤٨)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٨).

(٣) أخرجه الامام أحمد (٣/ ٢٣٤) وأخرجه مسلم من طريق عبد الوهاب به في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون برقم (٢٨٤٨).

ثم رواه مسلم من حديث قتادة، بنحوه.

ورواه أبان العطار وسليمان التيمي، عن قتادة، بنحوه(١).

حديث آخر: قال البخاري: حدثنا محمد بن موسى القطان، حدثنا أبو سفيان الحميري سعيد بن يحيى بن مهدي، حدثنا عَوْف، عن محمد عن أبي هريرة ـ رفعه، وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان ـ: «يقال لجهنم: هل امتلأت، وتقول: هل من مزيد، فيضع الرب ﷻ، قدمه عليها، فتقول: قط قط»(٢).

ورواه أيوب وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين، به.

طريق أخرى: قال البخاري: وحدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: **«تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ. وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ. قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابٌ أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ قَطٍ قَطٍ قَطٍ. فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ ﷻ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ ﷻ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»**(٣).

حديث آخر: قال مسلم في صحيحه: حدثنا **«احْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ: فِيَّ الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ**

---

(١) المصدر السابق قبل الحديث السابق.

(٢) أخرجه البخاري الباب السابق برقم (٤٨٤٩).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ برقم (٤٨٥٠)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٦).

وَمَسَاكِينُهُمْ. قَالَ: فَقَضَى بَيْنَهُمَا إِنَّكِ الْجَنَّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكِلَاكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا»(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾، قال قتادة وأبو مالك والسدي ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ أدنيت وقربت من المتقين ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ وذلك يوم القيامة، وليس ببعيد؛ لأنه واقع لا محالة، وكل ما هو آت قريب، ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٥٣]؛ أي: رجاع تائب مقلع.

القاري: أي: رجاع تائب مقلع، ﴿حَفِيظٍ﴾؛ أي: يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه. وقال عبيد بن عمير: الأواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلسًا فيقوم حتى يستغفر الله ﷻ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الأوَّاب: الرجَّاع إلى الله، التواب إليه سبحانه وتعالى، الذي يحفظ نفسه مما حرَّم الله.

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠](٢).

حدّثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدّثنا حرميٌّ، حدّثنا شعبة، عن قتادة، عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**يُلْقَى فِي النَّارِ، وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطْ، قَطْ**»(٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عبد الله بن أبي الأسود)** بالتكبير؟ تكلّم عليه بشيءٍ؟

قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ١٨٦)]:

---

(١) أخرجه مسلم في المصدر السابق، وأخرجه الإمام أحمد (٣/ ٧٩).
(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٣) سبق تخريجه في (ص٣٠).

«وعبد الله بن أبي الأسود. اسمه حميد بن الأسود، أبو بكر ابن أخت عبد الرّحمن بن مهديٍّ الحافظ البصريّ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: راجع عبد الله بن الأسود في «التّقريب».

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التّقريب» (٣٥٧٨)]: «عبد الله بن محمّد بن أبي الأسود البصريّ، أبو بكرٍ وقد ينسب إلى جدّه، ثقةٌ حافظٌ سماعه من أبي عوانة وهو صغيرٌ، من العاشرة مات سنة ثلاثٍ وعشرين خ د ت».

* *

حدّثنا محمّد بن موسى القطّان، حدّثنا أبو سفيان الحميريّ سعيد بن يحيى بن مهديٍّ، حدّثنا عوفٌ عن محمّدٍ، عن أبي هريرة رفعه، وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان: «يقال لجهنّم: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيدٍ؟ فيضع الرّبّ تبارك وتعالى قدمه عليها، فتقول: قط، قط»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: حسبي حسبي، الله أكبر؛ يعني: امتلأت، الله أكبر، الله أكبر.

وفي هذا إثبات القدم لله كاليد والرّجل، على الوجه اللّائق بالله، لا يشابه خلقه في شيءٍ من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- **س: هل جاءت رواية بقدميه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قدمه)**.

(من الطّالب): فيه رواية في القدمين؟

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ برقم (٤٨٤٩)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أعلم، ما أعلم شيئًا.

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدّثنا عبد الله بن محمّدٍ، حدّثنا عبد الرّزّاق، أخبرنا معمرٌ، عن همّامٍ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النّبيّ ﷺ: «**تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ، وَسَقَطُهُمْ؟ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابٌ أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ، حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ، قَطْ، قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا**»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا كسائر الصّفات: **(قدمه ورجله)** مثل يده وإصبعه، وكلّها ثابتةٌ لائقةٌ بالله، لا يشابه فيها خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فليست قدمه كقدم عباده، ولا يده كيد عباده، فصفاته وأسماؤه كلّها تليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يشابه فيها خلقه جَلَّ وَعَلَا.

وقد تأوّل القدم والرّجل قومٌ بأنّهم خلقٌ من النّاس، وهذا غلطٌ كبيرٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: تكلّم الشّارح على «قدمه»؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٩٥)]: «قوله: «**حتّى يضع قدمه فيها**»: كذا في رواية شعبة، وفي رواية سعيدٍ: «حتّى يضع ربّ العزّة فيها قدمه».

قوله: «**فتقول قط قط**»: في رواية سعيدٍ: «فيزوي بعضها إلى بعضٍ

(١) سبق تخريجه في (ص٣١).

وتقول: قط قط وعزّتك». وفي رواية سليمان التّيميّ عن قتادة فتقول: «قد قد» بالدّال بدل الطّاء، وفي حديث أبي هريرة: «فيضع الرّبّ عليها قدمه فتقول قط قط». وفي الرّواية الّتي تليها: «**فلا تمتلئ حتّى يضع رجله فتقول: قط قط قط، فهناك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعضٍ**».

وفي حديث أبيّ بن كعبٍ عند أبي يعلى: «وجهنّم تسأل المزيد حتّى يضع فيها قدمه فيزوي بعضها إلى بعضٍ وتقول: قط قط».

وفي حديث أبي سعيدٍ عند أحمد: «فيلقى في النّار أهلها؛ فتقول: هل من مزيدٍ؟ ويلقى فيها؛ وتقول: هل من مزيدٍ؟ حتّى يأتيها ﷻ فيضع قدمه عليها فتنزوي فتقول: قدني قدني».

وقوله: «**قط قط**»؛ أي: حسبي حسبي، وثبت بهذا التّفسير عند عبد الرّزّاق من حديث أبي هريرة. وقط: بالتّخفيف ساكنًا، ويجوز الكسر بغير إشباعٍ، ووقع في بعض النّسخ: عن أبي ذرٍّ: قطي قطي بالإشباع، وقطني بزيادة نونٍ مشبعةٍ.

ووقع في حديث أبي سعيدٍ، ورواية سليمان التّيميّ بالدّال بدل الطّاء، وهي لغة أيضًا، وكلها بمعنى يكفي.

وقيل: قط صوت جهنّم. والأوّل هو الصّواب عند الجمهور، ثمّ رأيت في تفسير ابن مردويه من وجهٍ آخر عن أنسٍ ما يؤيّد الّذي قبله ولفظه: «فيضعها عليها فتقطقط كما يقطقط السّقاء إذا امتلأ». انتهى. فهذا لو ثبت لكان هو المعتمد، لكن في سنده موسى بن مطيرٍ وهو متروكٌ.

واختلف في المراد بالقدم: فطريق السّلف في هذا وغيره مشهورةٌ، وهو أن تمرّ كما جاءت ولا يتعرّض لتأويله، بل نعتقد استحالة ما يوهم النّقص على الله». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كلامٌ طيّبٌ، وهذا الّذي قاله الحافظ هو الواجب، مع استحالة ما فيه نقصٌ، قدمٌ تليق بالله، ورجلٌ تليق بالله، لا يشابه فيها عبده سبحانه وتعالى.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وخاض كثيرٌ من أهل العلم في تأويل ذلك؛ فقال: المراد إذلال جهنّم؛ فإنّها إذا بالغت في الطّغيان وطلب المزيد أذلّها الله فوضعها تحت القدم وليس المراد حقيقة القدم، والعرب تستعمل ألفاظ الأعضاء في ضرب الأمثال، ولا تريد أعيانها؛ كقولهم: رغم أنفه، وسقط في يده.

وقيل: المراد بالقدم: الفرط السّابق؛ أي: يضع الله فيها ما قدّمه لها من أهل العذاب، قال الإسماعيليّ: القدم قد يكون اسمًا لما قدّم كما يسمّى ما خبط من ورقٍ خبطًا، فالمعنى: ما قدّموا من عملٍ. وقيل: المراد بالقدم قدم بعض المخلوقين، فالضّمير للمخلوق معلومٌ، أو يكون هناك مخلوقٌ اسمه قدمٌ. أو المراد بالقدم الأخير؛ لأنّ القدم آخر الأعضاء؛ فيكون المعنى: حتّى يضع الله في النّار آخر أهلها فيها، ويكون الضّمير للمزيد.

وقال ابن حبّان في «صحيحه» بعد إخراجه: هذا من الأخبار الّتي أطلقت بتمثيل المجاورة، وذلك أنّ يوم القيامة يلقى في النّار من الأمم والأمكنة الّتي عصي الله فيها، فلا تزال تستزيد حتّى يضع الرّبّ فيها موضعًا من الأمكنة المذكورة؛ فتمتلئ؛ لأنّ العرب تطلق القدم على الموضع، قال تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢] يريد موضع صدقٍ.

وقال الدّاوديّ: المراد بالقدم: قدم صدقٍ، وهو محمّدٌ، والإشارة بذلك إلى شفاعته، وهو المقام المحمود؛ فيخرج من النّار من كان في قلبه شيءٌ من الإيمان.

وتعقّب بأنّ هذا منابذٌ لنصّ الحديث؛ لأنّ فيه: **(يضع قدمه)** بعد أن قالت: هل من مزيدٍ؟ والّذي قاله مقتضاه أنّه ينقص منها، وصريح الخبر أنّها تنزوي بما يجعل فيها لا يخرج منها.

قلت: ويحتمل أن يوجّه بأنّ من يخرج منها يبدّل عوضهم من أهل الكفر كما حملوا عليه حديث أبي موسى في «صحيح مسلمٍ»: «يعطى كلّ مسلمٍ رجلًا من اليهود والنّصارى فيقال: هذا فداؤك من النّار». فإنّ بعضً العلماء قال: المراد بذلك أنّه يقع عند إخراج الموحّدين، وأنّه يجعل مكان كلّ واحدٍ منهم واحدًا من الكفّار بأن يعظم حتّى يسدّ مكانه ومكان الّذي خرج، وحينئذٍ فالقدم سببٌ للعظم المذكور، فإذا وقع العظم حصل الملء الّذي تطلبه.

ومن التّأويل البعيد قول من قال: المراد بالقدم قدم إبليس. وأخذه من قوله: «حتّى يضع الجبّار فيها قدمه»، وإبليس أوّل من تكبّر فاستحقّ أن يسمّى متجبّرًا وجبّارًا. وظهور بعد هذا يغني عن تكلّف الرّدّ عليه.

وزعم ابن الجوزيّ أنّ الرّواية الّتي جاءت بلفظ الرّجل تحريفٌ من بعض الرّواة؛ لظنّه أنّ المراد بالقدم الجارحة؛ فرواها بالمعنى فأخطأ ثمّ قال: ويحتمل أن يكون المراد بالرّجل إن كانت محفوظةً الجماعة، كما تقول: رجلٌ من جرادٍ؛ فالتّقدير: يضع فيها جماعةً، وأضافهم إليه إضافة اختصاص.

وبالغ ابن فوركٍ فجزم بأنّ الرّواية بلفظ الرّجل غير ثابتةٍ عند أهل النّقل، وهو مردودٌ لثبوتها في «الصّحيحين»، وقد أوّلها غيره بنحو ما تقدّم في القدم فقيل: رجل بعض المخلوقين. وقيل: إنّها اسم مخلوقٍ من المخلوقين. وقيل: إنّ الرّجل تستعمل في الزّجر، كما تقول: وضعته تحت رجلي. وقيل: إنّ الرّجل تستعمل في طلب الشّيء على سبيل الجدّ كما تقول: قام في هذا الأمر على رجلٍ.

وقال أبو الوفاء بن عقيلٍ: تعالى الله عن أنّه لا يعمل أمره في النّار حتّى يستعين عليها بشيءٍ من ذاته أو صفاته، وهو القائل للنّار: كوني بردًا وسلامًا، فمن يأمر نارًا أجّجها غيره أن تنقلب عن طبعها وهو

الإحراق فتنقلب كيف يحتاج في نارٍ يؤجّجها هو إلى استعانةٍ. انتهى».
[انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كلّ هذا من استعمال الرّأي الّذي لا وجه له، وخروجٌ عن الرّوايات.

وهذا يدلّك على أن مقام التّحقيق مقامٌ عظيمٌ، ليس كلّ أحدٍ يوفّق له، فهذا ابن الجوزيّ، وابن فورك وغيرهما، وابن عقيلٍ، كلّهم لهم أغلاطٌ كبيرةٌ، ولهم اضطراباتٌ في أمر الصّفات لا ابن الجوزيّ، ولا ابن عقيلٍ ولا أشباههم. لهم اضطراباتٌ، وليسوا على قدم ثابتةٍ، ولا يثبت في هذا المقام إلّا من وفّقه الله، وهو الّذي استقام على طريق السّلف، ونهج نهجهم، وسار في مهيعهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، فلم يدع للتّأويل مجالًا، وأثبت ما أثبته الله لنفسه، على الوجه الّذي يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من غير كيفٍ، والله المستعان.

كلّ هذا باطلٌ، كلّ ما قيل ما عدا ظاهر النّصّ، القدم والرّجل مثل اليد والأصابع، الدّرب واحدٌ، والطّريق واحدٌ، نثبتها لله على الوجه اللّائق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو أعلم بما قال، فهي قدمٌ حقيقيّةٌ، ورجلٌ حقيقيّةٌ تليق بالله، لا يشابه فيها خلقه، يضعها كما يشاء في النّار؛ حتّى تنزوي، ولو شاء لقال لها: امتلئي، أو يضع فيها ما يشاء وكفى، لكن له الحكمة البالغة في إخبارنا بهذا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويفهم جوابه من التّفصيل الواقع ثالث أحاديث الباب؛ حيث قال فيه: «**ولكلّ واحدةٍ منكما ملؤها، فأمّا النّار...**» فذكر الحديث وقال فيه: «**ولا يظلم الله من خلقه أحدًا**». فإنّ فيه إشارةً إلى أنّ الجنّة يقع امتلاؤها بمن ينشؤهم الله لأجل ملئها، وأمّا النّار فلا ينشئ لها خلقًا، بل يفعل

فيها شيئًا عبّر عنه بما ذكر، يقتضي لها أن ينضمّ بعضها إلى بعضٍ؛ فتصير ملأى، ولا تحتمل مزيدًا.

وفيه دلالةٌ على أنّ الثّواب ليس موقوفًا على العمل، بل يُنعم الله بالجنّة على من لم يعمل خيرًا قطّ كما في الأطفال». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

اللّهمّ اغفر له، فإذا كان ابن الجوزيّ وابن عقيلٍ وأشباههم يغلطون هذا الغلط القبيح، هذا مما يوجب لطالب العلم الّذي لا يدانيهم ولا يقاربهم أن يخشى على نفسه، وأن يخاف أن يصيبه مثل ما أصاب هؤلاء، مع علمهم الكثير، وسعة اطّلاعهم وغلطوا، فقد يوفّق الله من هو أقلّ علمًا للثّبات والسّير على منهج أهل الحقّ، ويحرم ذلك جماعات كثيرة، كانت لهم علومٌ، ولهم سعة اطلاعٍ، ثمّ غلطوا في أشياء واضحةٍ. الله المستعان.

قوله: «**وأمّا الجنّة: فإنّ الله** عَزَّ وَجَلَّ **ينشئ لها خلقًا**»: يبقى فيها فضلٌ، ينشئ الله لها خلقًا(١)... وهم بعض الرّواة أنّ النّار يبقى فيها فضلٌ؛ فينشئ الله لها أقوامًا، وهذا وهمٌ، غلطٌ، إنّما هو الجنّة.

• **س: رضي الله عنك، على هذا لا نثبت لله إلّا قدمًا واحدةً؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

القدم مضافٌ، قدمين، ويدين، وعينين، سبحانه، على الوجه اللّائق بالله جَلَّ وَعَلَا.

• **س: قوله: عن محمّدٍ عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **رفعه وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو مرفوعٌ، ثابتٌ في «الصّحيحين»، أقول: ثابتٌ في

---

(١) سقط في الأصل المسموع.

«الصّحيحين»، مرفوعًا. «يُقال لِجَهنم: هل امتلأتِ، وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، فَيَضَعُ الربُّ ﷻ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَمَهُ عَلَيهَا، فَتَقُول: قَط قَط»(١).

(من السّائل): أبو سفيان من أحسن الله إليك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الرّاوي، قد تقدّم الحميريّ الّذي عندك، الّذي تقدّم في السّند.

(من الطّالب): يعني هو أبو سفيان الحميري؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ [ق: ٣١](٢).

قال قتادة وأبو مالك والسدي: وأزلفت أدنيت وقربت من المتقين، ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ وذلك يوم القيامة، وليس ببعيد؛ لأنه واقع لا محالة، وكل ما هو آت قريب، ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٥٣]؛ أي: رجّاع تائب مقلع].

الشيخ: أي.

الملقي: [أي: رجاع تائب مقلع، (حفيظ) أي: يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه. وقال عبيد بن عمير: الأواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلسًا فيقوم حتى يستغفر الله ﷻ.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ برقم (٤٨٤٩)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٦).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في فجر الخميس ٢٣ ـ ١١ ـ ١٤١٩هـ.

الشيخ: (الأواب) الرجاع إلى الله، التواب إليه سبحانه وتعالى، الذي يحفظ نفسه مما حرم الله.

* *

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق: ٣٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: من خاف الله في سرِّه، حيث لا يراه أحد إلا الله ﷻ كقوله ﷺ: «**ورجل ذكر الله تعالى خاليًا، ففاضت عيناه**». ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾؛ أي: ولقي الله ﷻ يوم القيامة بقلب منيب سليم إليه خاضع لديه، (ادخلوها) أي: الجنة. (بسلام) قال قتادة: سلموا من عذاب الله ﷻ، وسلَّم عليهم ملائكة الله. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾؛ أي: يخلدون في الجنة، فلا يموتون أبدًا، ولا يظعنون أبدًا، ولا يبغون عنها حِوَلًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

اللَّهم اجعلنا منهم.

* * *

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله جلَّت عظمته: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾؛ أي: مهما اختاروا وجدوا من أي أصناف الملاذ طلبوا أحضر لهم. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عمر بن عثمان، حدثنا بقية عن يحيى بن سعيد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة قال: من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون فأمطره لكم؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطرتهم، قال

كثير: لئن أشهدني الله تعالى ذلك لأقولن أمطرينا جواري مزينات].

مداخلة: عندنا عمرو بارك الله فيك.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: عندنا عمرو بن عثمان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو الأظهر، نعم. عمرو بالواو.

وفي الحديث عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: إنك لتشتهي الطير في الجنة فيخر بين يديك مشويًّا).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يكفي قول الله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾، ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧]، مهما طلبوا ومهما أرادوا حصَّلوه، الله يجعلنا وإياكم منهم، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي عبد الله، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن عامر الأحول عن أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (إن رسول الله ﷺ قال: «**إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة**»)[١]، ورواه الترمذي وابن ماجه عن بندار عن معاذ بن هشام به[٢]. وقال الترمذي: حسن غريب، وزاد: (كما اشتهى).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المعروف أنه لا توالد في الجنة، ليس فيها توالد، وهذا خبر فيما يظهر منقطع؛ لأن عامر الأحول لم يدرك أبا بكر الصديق.

أهل الجنة في نعيم مقيم لا يحصيه إلا الله وليسوا بحاجة إلى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٩ و٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء لأدنى أهل الجنة من الكرامة برقم (٢٥٦٦)، وابن ماجه في الزهد، باب صفة الجنة برقم (٤٣٣٨).

الروايات الضعيفة رواية دراج وابن لهيعة وغيره، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾، ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧﴾ ولهم ما يطلبون.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾، كقوله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. وقد تقدم في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي أنها النظر إلى وجه الله الكريم. وقد روى البزار وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي عن عثمان بن عمير أبي اليقظان عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله ﷻ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ قال: يظهر لهم الرب ﷻ في كل جمعة، وقد رواه الإمام أبو عبد الله الشافعي مرفوعًا فقال في مسنده: أخبرنا إبراهيم بن محمد حدثني موسى بن عبيدة، حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبد الله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: (أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بمرآة بيضاء فيها نكتة إلى رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **«ما هذه؟»** فقال: هذه الجمعة فضِّلت بها أنت وأمتك، فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير، ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن، يدعو الله تعالى فيها بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

السند هذا ضعيف؛ لأن إبراهيم بن محمد هذا ضعيف وموسى كذلك، لكن يوم الجمعة فضله معروف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال النبي ﷺ: **«يا جبرائيل وما يوم المزيد؟»** قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إن ربك تبارك وتعالى اتخذ في الفردوس واديًا أفيح فيه كثب المسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحفَّت تلك المنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد، عليها الشهداء والصدِّيقون، فجلسوا من ورائهم على تلك

الكُتُب، فيقول الله ﷻ: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم، ولكم علي ما تمنيتم ولدي مزيد. فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم تبارك وتعالى من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش، وفيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة. هكذا أورده الإمام الشافعي رحمه الله في كتاب الجمعة من الأم، وله طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وقد أورد ابن جرير هذا الحديث من رواية عثمان بن عمير عن أنس رضي الله عنه بأبسط من هذا، وذكر ههنا أثرًا مطولًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه موقوفًا وفيه غرائب كثيرة.

وقال الإمام أحمد، حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَّكِئُ فِي الْجَنَّةِ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ ثُمَّ تَأْتِيهُ امْرَأَتُهُ فَتَضْرِبُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ وَإِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْهَا تُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ. قَالَ: فَيَرُدُّ السَّلَامَ وَيَسْأَلُهَا مَنْ أَنْتِ؟ وَتَقُولُ أَنَا مِنَ الْمَزِيدِ. وَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْبًا أَدْنَاهَا مِثْلُ النُّعْمَانِ مِنْ طُوبَى فَيَنْفُذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ وَإِنَّ عَلَيْهَا مِنَ التِّيجَانِ إِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْهَا لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**». وهكذا رواه عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

أهل الجنة في نعيم لا يحصيه إلا الله، وليسوا بحاجة إلى الروايات الضعيفة، رواية دراج وابن لهيعة وغيره: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٧٥).

مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ كلام الرب ﷻ: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧]، ولهم ما يطلبون.

* *

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق: ٣٦ ـ ٤٠][(١)].

الشيخ: بركة اللَّهم صلِّ عليه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: وكم أهلكنا قبل هؤلاء المنكرين: ﴿مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾؛ أي: كانوا أكثر منهم وأشد قوة، وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿فَنَقَّبُوا فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ قال ابن عباس: أثروا فيها. وقال مجاهد: ﴿فَنَقَّبُوا فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾: ضربوا في الأرض. وقال قتادة: فساروا في البلاد؛ أي: ساروا فيها يبتغون الأرزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفتم أنتم فيها، ويقال لمن طوَّف في البلاد: نقَّب فيها. قال امرؤ القيس:

لقد نَقَّبْتُ في الآفاق حَتّى رضيتُ من الغَنِيمة بالإيَابِ

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقوله: ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾؛ أي: هل من مفر كان لهم من قضاء الله وقدره؟ وهل نفعهم ما جمعوه ورد عنهم عذاب الله إذ جاءهم لما كذبوا الرسل؟ فأنتم أيضًا لا مفر لكم ولا محيد، ولا مناص ولا محيص.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾؛ أي: لعبرة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾؛ أي: لُبٌّ يَعِي به. وقال مجاهد: عقل ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾؛ أي: استمع الكلام فوعاه، وتعقله بقلبه وتفهمه بلبه.

وقال مجاهد: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾، يعني: لا يحدث نفسه بغيره، ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ وقال: شاهد بالقلب.

وقال الضحاك: العرب تقول: ألقى فلان سمعه: إذا استمع بأذنيه وهو شاهد يقول غير غائب. وهكذا قال الثوري وغير واحد.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾: فيه تقرير المعاد؛ لأن من قدر على خلق السموات والأرض ولم يعيَ بخلقهن، قادر على أن يحيي الموتى بطريق الأولى والأحرى.

وقال قتادة: قالت اليهود - عليهم لعائن الله -: خلق الله السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، وهو يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة، فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾؛ أي: من إعياء ولا نصب ولا تعب، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وكما قال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وقال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧].

وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، يعني: المكذبين، اصبر عليهم واهجرهم هجرًا جميلًا ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ

﴿ٱلْغُرُوبِ﴾، وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء ثنتين قبل طلوع الشمس في وقت الفجر، وقبل الغروب في وقت العصر، وقيام الليل كان واجبًا على النبي ﷺ وعلى أمته حولًا ثم نسخ في حق الأمة وجوبه. ثم بعد ذلك نسخ الله ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات، ولكن منهن صلاة الصبح والعصر، فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّكُمْ فَتَرَوْنَهُ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِيهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**» ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[1].

ورواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة، من حديث إسماعيل، به[2].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾؛ أي: فَصَلِّ له، كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ قال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: هو التسبيح بعد الصلاة.

ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال: جاء فقراء المهاجرين فقالوا: يا رسول الله، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ. فَقَالَ: «**وَمَا ذَاكَ**». قَالُوا يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٦٥).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر برقم (٥٥٤). ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر برقم (٦٦٣).

وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ»**. قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: **«تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً»**. قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»**(١).

والقول الثاني: أن المراد بقوله: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ هما الركعتان بعد المغرب، روي ذلك عن عمر وعلي، وابنه الحسن وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي أمامة، وبه يقول مجاهد، وعكرمة، والشعبي، والنَّخَعِي والحسن، وقتادة وغيرهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وعبد الرحمٰن، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضَمْرَة، عن علي قال: كان رسول الله ﷺ يصلي على أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر. وقال عبد الرحمٰن: دبر كل صلاة.

ورواه أبو داود والنسائي، من حديث سفيان الثوري، به. زاد النسائي: ومطرف، عن أبي إسحاق، به.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني، حدثنا ابن فضيل، عن رشدين بن كريب، عن أبيه، عن ابن عباس قال: «إِدْبَارُ النُّجُومِ الرَّكْعَتَانِ قَبْلَ الْفَجْرِ، وَإِدْبَارُ السُّجُودِ الرَّكْعَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ»(٢).

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة برقم (٨٤٣)، ومسلم في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وصفته برقم (٥٩٥).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الطور برقم (٣٢٧٥).

ورواه الترمذي عن أبي هشام الرفاعي، عن محمد بن فضيل، به. وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وحديث ابن عباس، وأنه بات في بيت خالته ميمونة وصلَّى تلك الليلة مع النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة، ثابت في الصحيحين وغيرهما[١]، فأما هذه الزيادة فغريبة ولا تُعرف إلا من هذا الوجه، ورِشْدِين بن كُرَيْب ضعيف، ولعله من كلام ابن عباس موقوفًا عليه، والله أعلم.

* * *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩][٢].

حدّثنا إسحاق بن إبراهيم عن جريرٍ، عن إسماعيل، عن قيس بن أبي حازمٍ عن جرير بن عبد الله، قال: كنّا جلوسًا ليلةً مع النّبيّ ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا**» ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء برقم (١٣٨) وليس فيه ذكر ثلاث عشرة ركعة، وانما ورد في صحيح مسلم عن ابن عباس بلفظ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً**» مسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل برقم (٧٦٤).

(٢) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٣) متفق عليه من حديث جرير رضي الله عنه، أخرجه البخاري في التفسير، باب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ برقم (٤٨٥١)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر برقم (٦٣٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا إشارةٌ إلى الصّلاتين قبل طلوع الشّمس: الفجر، وقبل الغروب: صلاة العصر، وهذا يدلّ على أنّ لهما مزيّة في رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنّ المحافظة عليهما بعنايةٍ أكثر يكون له مزيّةٌ في كتابة العبد، وهي أن يكون من أهل الرّؤية.

وكلّ مؤمنٍ له هذا الخير، لكنّهم يتفاوتون في رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ، وفي أنواع النّعيم، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرى ولا يحاط به، كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ يعني: لا تحيط به على الصحيح.

ومن هذا قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]؛ فالرّؤية أعمّ من الإدراك، والإدراك أخصّ، فكلّ مدرَكٍ مرئيٌّ، وليس كلّ مرئيٍّ مدركًا.

وهذا معنى قول السّلف: إنّه يُرى من غير إحاطةٍ؛ يعني: لأنّه أجلّ وأعظم وأكبر من أن تحيط به أبصار خلقه، ولكنّه يُرى رؤيةً بارزةً واضحةً، كما تُرى الشّمس والقمر صحوًا ليس دونهما سحابٌ.

وفي هذا الرّدّ على من أنكر الرّؤية: كالجهميّة والمعتزلة وغيرهم ممّن أنكر هذه الصفة العظيمة، وهذا النّعيم العظيم الّذي يحصل لأهل الجنّة.

وشبّه الرؤية بالرّؤية لإزالة اللّبس، والدّلالة على أنّها رؤيةٌ حقيقةً ليس فيها شبهةٌ، ولم يشبّه المرئيّ بالمرئيّ؛ لأنّ المرئيّ وهو الله لا شبيه له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو الكامل في ذاته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله، لا شبيه ولا كفؤ له، ولا مثل له، ولا ندّ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفي هذا الدّلالة على أن مجالسه علمٌ، مجالسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كلّها علمٌ، وكلّها إرشادٌ وتوجيهٌ وتعليمٌ، وإذا جلس

معهم ﷺ كان يعلّمهم ويرشدهم، ويحدّثهم عن أمر الآخرة، وعن أمر الجنّة والنّار، وعن أحكام الله وشرعه، إلى غير ذلك. الله المستعان.

قوله: **(إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ)**: وهذا من عقيدة أهل السّنّة والجماعة: الإيمان بأنّ المسلمين يرون ربّهم عيانًا كما يرون الشّمس صحوًا ليس دونها سحابٌ، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، يرونه في الموقف، وفي الجنّة، وذلك أعلى نعيمهم.

وفيه الحثّ على التّسبيح قبل طلوع الشّمس، وقبل غروبها، ومن ذلك صلاة العصر، وصلاة الصّبح، وأنّ هذا من أسباب رؤية العبد ربّه، من حافظ عليهما، واعتنى بهما كان هذا من أسباب كونه من خواصّ المؤمنين، الله أكبر.

(من الطّالب): أحسن الله إليك، في الشّرح ذكر عدّة تأويلاتٍ للقدم، تأويلات باطلة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: كلّها باطلةٌ.

- **س: في النّظر إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يتفاوت فيه أهل الجنّة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

فيه التّفاوت نعم، ليسوا على حدٍّ سواءٍ، منهم من ينظر إلى الله بكرةً وعشيًّا ـ خواصّهم ـ وفي الموقف يراه المؤمنون جميعًا، وفي الجنّة على طبقاتٍ وعلى درجاتٍ، الله المستعان، كلّهم يرونه لكن على طبقاتٍ.

- **س: الله يثيبك يا شيخ، هل جاء في نصٍّ تسمية كاتب الحسنات والسّيّئات؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ما أتذكّر شيئًا، أقول: لا أذكر شيئًا.

* *

حدّثنا آدم، حدّثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهدٍ، قال ابن عبّاسٍ: «أمره أن يسبّح في أدبار الصّلوات كلّها»؛ يعني: قوله: ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠][(١)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق: ٤١ ـ ٤٥][(٢)].

يقول تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ يا محمد ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال قتادة: قال كعب الأحبار: يأمر الله تعالى ملكًا أن ينادي على صخرة بيت المقدس: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾، يعني: النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه يمترون. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾؛ أي: من الأجداث.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾؛ أي: هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه، وإليه مصير الخلائق كلهم، فيجازي كلًّا بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾: وذلك أن الله تعالى ينزل مطرًا من السماء تنبت به أجساد الخلائق في قبورها، كما ينبت الحب في

(١) أخرج البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ برقم (٤٨٥٢).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الثرى بالماء، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله إسرافيل فينفخ في الصور، وقد أودعت الأرواح في ثقب في الصور، فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض، فيقول الله ﷻ: وعزتي وجلالي، لترجعن كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره، فترجع كل روح إلى جسدها، فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ وتنشق الأرض عنهم، فيقومون إلى موقف الحساب سراعًا، مبادرين إلى أمر الله ﷻ، ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨]، وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢]، وفي صحيح مسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ**»(١).

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾؛ أي: تلك إعادة سهلة علينا، يسيرة لدينا، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨].

وقوله: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾؛ أي: نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا يهيدنك ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧ ـ ٩٩].

وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ﴾؛ أي: ولست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى، وليس ذلك ما كلفت به.

وقال مجاهد، وقتادة، والضحاك ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ﴾؛ أي: لا تتجبر عليهم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق برقم (٢٢٧٨).

والقول الأول أولى، ولو أراد ما قالوه لقال: ولا تكن جبارًا عليهم، وإنما قال: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ﴾ بمعنى: وما أنت بمجبرهم على الإيمان إنما أنت مبلغ.

قال الفراء: سمعت العرب تقول: جبر فلان فلانًا على كذا ، بمعنى أجبره.

ثم قال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾؛ أي: بلِّغ أنت رسالة ربك، فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده، كقوله تعالى ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وقوله: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]، ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦]، ولهذا قال هاهنا: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كان قتادة يقول: اللَّهم، اجعلنا ممن يخاف وعيدك، ويرجو موعودك، يا بار، يا رحيم.

آخر تفسير سورة (ق)، والحمدُ لله وحده، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



تفسير آيات من سورة الذاريات

الحمدُ لله، وصلَّى الله على رسوله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد(١):

يقول الله ﷻ في كتابه المبين في صفة عباده المتقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٩].

هذه من صفات المتقين الذين اتقوا ربهم بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه سبحانه وتعالى، من صفاتهم العظيمة أنهم كانوا ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

ومن صفاتهم أنهم كانوا في الدنيا محسنين: ﴿...إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ فجازاهم الله بالجنات والكرامة؛ بسبب ما أسلفوا في الدنيا من الإحسان والعمل الصالح، وكونهم متقين يدل على قيامهم بأمر الله وتركهم لمحارمه سبحانه وتعالى.

فإن المتقي هو الذي اتقى غضب الله وعقابه بطاعة الأوامر وترك النواهي والوقوف عند الحدود، لكنه سبحانه يذكر من صفاتهم ما يميِّزهم عن غيرهم بمزيد الاجتهاد: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾، وفي الآية

(١) حديث المساء (ص١٤٩).

الأخرى يقول ﷻ: ﴿...إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، ويقول في الآية الثالثة: ﴿...وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ويقول في آية أُخرى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]؛ فالإحسان في هذه الدار من أسباب الإحسان يوم القيامة، فمن أحسن، أحسن الله إليه، ومن أساء فهو على خطر عظيم بإساءته والإحسان وأداء الواجبات وترك المحارم والمسارعة إلي الخيرات والإنفاق في سبيل الطاعات، فيبذلون طاقاتهم في كل ما يرضي الله ﷯، وفيما يسمى إحسانًا من قول طيب وعمل صالح هكذا المحسنون.

ثم من صفاتهم قال: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾؛ يعني: أن تهجدهم كثير، ونومهم قليل، وتهجدهم كثير في الليل؛ لأن الليل محل تواطؤ القلب مع اللسان وكمال الإخلاص وفراغ القلب وإقباله على الله ﷻ وبعده عن الشواغل النهارية.

وهم مع تقواهم لله وقيامهم بأمره مع ذلك كانوا أهل تهجد وأهل تعبد بالليل ووقوف بين يدي الله يرجونه ويسألونه، كما قال عنهم في آية أخرى وسمَّاهم عباد الرحمٰن قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

يعني: مع الصلاة استغفار وتوبة، لا يمنون بأعمالهم ولا يعجبون بها، ولا يعتمدون عليها، بل على عفو الله ﷯ ومغفرته وإحسانه، هكذا المؤمن يعمل ويجتهد ويخاف، ودائمًا يسأل الله العفو والمسامحة والمغفرة عما يحصل من التقصير، ولهذا قال: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ مع التهجد مع التقوى استغفارًا وتوبة، وإقرارًا وحذرًا، وطلب للعفو:

﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾.

مع العبادات العظيمة، ومع الاستغفار والتوبة ومع الإحسان إلى عباد الله هم جعلوا في أموالهم حقًّا للسائل والمحروم.

قال جمع من أهل العلم: هذا الحق غير الزكاة أدوا الزكاة، ومع ذلك عيَّنوا حقًّا في أموالهم يبذلونه في وجوه الخير غير الزكاة للسائلين والمحرومين، والمحرومون هم الفقراء والمحاويج الذين حُرِموا المال، إما من أساس حالهم وإما بسبب جوائح اجتاحت أموالهم من حرق أو غرق أو سرقة أو غير ذلك، فالمحروم هو الذي حرم المال من أساس خلقته عاش فقيرًا، أو لأسباب طرأت عليه فاجتاحت ماله فصار فقيرًا، فأهل الإحسان وأهل الخير يجعلون في أموالهم نصيبًا معلومًا لهم ينفقونه في هؤلاء السائلين والمحرومين علاوة على الزكاة.

فيؤدون الزكوات ومع هذا ينفقون نفقات أخرى غير الزكاة في وجوه البر والإحسان.

فينبغي للمؤمن أن يتخلق بأخلاق هؤلاء وأن يكون له نصيب من صفاتهم الحميدة حتى يلحق بهم، وحتى يحشر معهم يوم القيامة إلى دار الكرامة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه.

* *

فضل التذكير بالله(١)

فيقول الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، ويقول ﷻ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]، فالرسل بعثهم الله مذكرين ومنذرين، وهداة للحق ودعاة للخلق، كما

(١) حديث الصباح (ص٤٢).

قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، وهكذا أهل العلم والبصيرة هم خلفاء الرسل وهم دعاة الحق مبشرون ومنذرون، يجب عليهم أن يبلِّغوا عن الله وعن رسوله ما أنزل على عباده من توحيده وطاعته وترك معصيته، والترغيب في ما شرع الله والتحذير مما نهى عنه.

يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢]، فلا بد من النذارة والتحذير مما حرَّم الله، ولا بد من الدعوة إلى ما أوجب الله وشرع الله، وهكذا الرسل بشَّروا وأنذروا وبلَّغوا، فقامت الحجة وانقطعت المعذرة ﴿...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وعلى أهل العلم والبصيرة أن يبلِّغوا عن الله دينه، وأن ينشروا العلم، ويحذِّروا الناس مما نهى الله عنه ويحثُّوهم ويرغِّبوهم فيما شرعه الله لهم، قال ﷻ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩]، قال النبي ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِك مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَام مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِك مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»(١)، وقال النبي ﷺ: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»(٢)، وقال ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سَنَّ سُنَّة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة برقم (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله... برقم (١٨٩٣).

وقال ﷻ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالله ﷻ شرع لعباده الدعوة، وأوجب على رسله البلاغ وعلى أهل العلم وهم خلفاء الرسل عليهم البلاغ، قال ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

والناس دائمًا في أشد الحاجة إلى البلاغ والبيان في كل عصر وفي كل مصر، وفي كل مكان، لكن تتفاوت البقاع، فيكون بعضها أشد حاجة وأشد ضرورة إلى البلاغ، لقلة العلم وأهله فيه، ونحن في زمن القربة في القرن الخامس عشر أغلب البلاد وأغلب البقاع خَلت من العلم النافع والعلماء الصالحين، فتعين على أهل العلم والبصيرة أينما كانوا أن يبلغوا عن الله، وأن ينشروا العلم، وأن يبلغوا الناس دين الله ﷻ، وأهم ذلك بيان معنى شهادة ألا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فهما أصل الدين وأساس الملة، ثم بيان ما أمر الله به، وما نهى الله عنه بعد ذلك، فتوحيد الله هو أساس الملة، توحيد الله بالعبادة والإخلاص له لا يُدعَى إلا الله، لا يُستغاث إلا به، لا يتوكّل إلا عليه، لا يُذبح إلا له، لا يُسَجد إلا له، فهو سبحانه المستحق العبادة.

﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وفي الحديث الصحيح، يقول ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِك عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»، وحديث ابن عمر: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا**

الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»[١].

ولما بعث ـ عليه الصلاة والسلام ـ معاذًا إلى اليمن قال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ**»[٢]؛ يعني: عندهم علوم، وفي اللفظ الآخر: «**فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**»[٣]. وفي اللفظ الآخر: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى**»، وفي لفظ: «**فادعوهم إلى أن يوحِّدوا الله**».

المقصود أن يبدأهم بالتوحيد، ويبدأهم بتوجههم إلى الإخلاص لله والإيمان برسوله محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ قبل كل شيء؛ فالدعوة إلى شهادة لا إلٰه إلا الله دعوة إلى توحيد الله والإخلاص له ﷻ، والإيمان برسوله محمد ﷺ، هذا هو أصل الأصول، وهذا هو أصل الدين وهذا هو الركن الأول من أركان الإسلام، أن تشهد أن لا إلٰه إلا الله عن إيمان وعن صدق وعن إخلاص لله وعن محبة، وتشهد أن محمدًا رسول الله أيضًا عن صدق وإيمان، ثم تؤدي ما أوجب الله من صلاة وغيرها وتنتهي عما نهى الله عنه من سائر المعاصي.

وكثير من الناس يجهل هذا الأصل العظيم وهو أصل التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، ولهذا يقع من الناس من الشرك الأكبر ما هو معلوم عند القبور وعند من يسمونهم بالأولياء، أو يظنون أنها من قبور الأنبياء أو عند قبر النبي ﷺ في المدينة من كثير من الحجاج الذين

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٢٤٧). (٢) سبق تخريجه في (١٠/ ٢٦٥).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء برقم (١٤٩٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (ص١٩).

يجهلون حقيقة التوحيد، فالواجب على أهل العلم أن ينشروا هذا العلم ويبلِّغوا الناس، وأن يحذِّروا الناس من ضده وهو الشرك الأكبر وضد كماله الشرك الأصغر، وهكذا من سائر المعاصي.

هكذا الرسل دعوا إلى الله، وإلى توحيده، وإلى ترك الإشراك به، كما دعوا أيضًا إلى فعل ما أوجب الله وترك ما حرَّم الله، فخلفاؤهم وهم العلماء يجب أن يكونوا هكذا، يجب أن يدعوا إلى توحيد الله والإخلاص له، وإلى الإيمان به وبرسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأن يحذِّروا الناس من الشرك دقيقه وجليله، وأن يدعوا الناس أيضًا إلى أداء ما أوجب، وإلى الوقوف عند حدود الله يرجون ثواب الله، ويخشون عقاب الله، وهكذا من كان عنده علم في بيته من رجل أو امرأة في بيته ومع جلسائه مع زملائه ينشر العلم مع أهله، المرأة ذات العلم تتكلم مع أهلها وبناتها وأخواتها وغيرهم، والرجل كذلك ينشر العلم بين أهله وبين زملائه وبين جلسائه، يرجو ما عند الله، فإذا اجتهد العالم في إبلاغ العلم، ومن كان عنده علم بين زملائه وإخوته والمرأة مع أهلها وأهل بيتها وجلسائها على ما عندها من العلم انتشر الخير، وليس خاصًّا بزيد وعمرو.

الواجب على من عنده علم أن يبثَّه، وأن ينشره وهو العلم الصحيح المتلقى عن كتاب الله وعن سُنَّة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فينشره بين أهله وبين جلسائه على حسب علمه، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦] الذي عنده علم في التوحيد يتكلم في التوحيد مع زملائه، وإخوانه ومن يسمع منه، ومن يرجو أن ينتفع بذلك، وإذا كانت المسألة تحتاج إلى أخذ إذن من الجهة المسؤولة حتى يبلغ، وهكذا المرأة مع أهل بيتها، ومع زميلاتها ومع جلسائها، وهكذا المسلم الذي عنده بعض العلم لا يبخل ولا. ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ فهناك أمور ما تحتاج إلى مزيد علم، كونه يحذِّر من التهاون بالصلاة هذا أمر معلوم بين المسلمين

عند العامة والخاصة، فرض الصلاة وأدائها في الجماعة، فرض الزكاة، فرض صيام رمضان، فرض حج البيت على المستطيع، تحريم الزنا، تحريم الخمر، تحريم الربا، تحريم الغيبة والنميمة، هذه أمور معلومة عند عامة المسلمين، فيجب التواصي بفعل ما أوجب الله والتواصي بترك ما حرم الله، ومن كان عنده علم وبصيرة بكل ما شرع الله أو بمعظم ما شرع الله على حسب علمه ينشر العلم بالأدلة الشرعية، قال الله قال رسوله.

﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فيكون حريصًا على بذل العلم بحسب الطاقة بحسب الأصول المتبعة، والتي يُشار عليها حتى تُقبل منه النصيحة، وحتى تُقبَل منه الدعوة، وحتى تبرأ ذمته، فيكون عنده العناية بما قاله الله ورسوله.

والتحرِّي وعدم العجلة، حتى لا يقول على الله ما لا يعلم، وحتى لا يحلَّ ما حرَّم الله، وحتى لا يحرِّم ما أحلَّ الله، فالمؤمن يتحرَّى ويتكلم بعلم وبصيرة حسب طاقته وبحسب علمه مع جلسائه، ومع إخوانه، ومع أهل بيته، ومن كان عنده سعة في العلم تكلم بحسب طاقته في المجالس المناسبة في المسجد في غير ذلك، يتق الله ما استطاع يبلّغ عن الله ما استطاع بالطرق التي تيسر سلوكها ووجَّهه المسؤولون إلى سلوكها حتى تنشر الحكمة، وينتشر العلم، وحتى يقلّ الجهل بين المسلمين.

وأسأل الله للجميع التوفيق والهداية، نسأل الله أن يوفِّق الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يرزقنا وإياكم الفقه في الدين والثبات عليه، وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه سميع قريب، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

*

سورة الذاريات(١)

قال عليٌّ رضي الله عنه: الذاريات: الرّياح، وقال غيره: ﴿تَذْرُوهُ﴾ [الكهف: ٤٥]: تُفَرِّقُهُ، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٢١]: تأكل، وتشرب في مدخلٍ واحدٍ، ويخرج من موضعين، ﴿فَرَاغَ﴾ [٢٦]: فرجع، ﴿فَصَكَّتْ﴾ [٢٩]: فجمعت أصابعها، فَضَرَبَتْ جَبْهَتَهَا، وَالرَّمِيمُ: نَبَاتُ الأَرْضِ إِذَا يَبِسَ، وَدِيسَ، ﴿لَمُوسِعُونَ﴾ [٤٧]: أَيْ: لَذُو سَعَةٍ، وَكَذَلِكَ ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦]: يَعْنِي: الْقَوِيَّ، ﴿زَوْجَيْنِ﴾ [٤٩]: الذَّكَرَ وَالأُنْثَى، وَاخْتِلَافُ الأَلْوَانِ: حُلْوٌ، وَحَامِضٌ، فَهُمَا زَوْجَانِ، ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [٥٠]: مِنَ اللهِ إِلَيْهِ، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦]: مَا خَلَقْتُ أَهْلَ السَّعَادَةِ مِنْ أَهْلِ الْفَرِيقَيْنِ إِلَّا لِيُوَحِّدُونِ، وقال بعضهم: خَلَقَهُمْ لِيَفْعَلُوا، فَفَعَلَ بَعْضٌ، وَتَرَكَ بَعْضٌ، وَلَيْسَ فِيهِ حُجَّةٌ لأَهْلِ الْقَدَرِ، وَالذَّنُوبُ: الدَّلْوُ الْعَظِيمُ، وقال مجاهدٌ: ﴿ذَنُوبًا﴾ [٥٩] سَبِيلًا، ﴿صَرَّةٍ﴾ [٢٩]: صَيْحَةٍ، ﴿ٱلْعَقِيمَ﴾ [٤١]: الَّتِي لَا تَلِدُ، وقال ابن عبّاسٍ: وَالْحُبُكُ: اسْتِوَاؤُهَا، وَحُسْنُهَا، ﴿فِى غَمْرَةٍ﴾ [١١]: فِي ضَلَالَتِهِمْ يَتَمَادَوْنَ، وقال غيره: ﴿أَتَوَاصَوْاْ﴾ [٥٣]: تَوَاطَؤُوا، وقال غيره: ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ [٣٤]: مُعَلَّمَةً مِنَ السِّيمَا، ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [عبس: ١٧]: لُعِنَ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

قوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ من موضعين؛ يعني: هذا من آيات الله في النفوس ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾، من جملة ما فيها من الآيات أنّك تأكل من بابٍ واحدٍ وتخرج من بابين، الماء له بابٌ، والطّعام ونحوه له بابٌ.

هذا يعني بالنّسبة إلى المعظم والأكثر، وإلّا فهناك مخارج أخرى،

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

لكن هذان المخرجان هما أهمّ المخارج، وإلّا فالعين مخرجٌ، والأذن مخرجٌ، والأنف مخرجٌ، والعرق مسامّ الجسد كلّها مخارج، مخارج معروفةٌ وهي آياتٌ دالّةٌ على قدرة الباري ﷻ، لكن المخرج العظيم الّذي هو المخرج الأكبر هما المخرجان المعروفان.

وهذه من آيات الله، دع ما هناك من آياتٍ أخرى من السّمع تسمع به الأصوات، بصرٍ، اللّسان قطعة من اللّحم تنطق بها، ولا تنطق باليد، ولا بالرّجل، ولا بغير ذلك؛ بل هذه لها فقط، إذا تعطّلت تعطّل الكلام، ثمّ الأسنان وأنواعها، كونها منوّعةً، هذا يقطع، وهذا يطحن، وهذا له ميلٌ، وهذا له لونٌ.

ثمّ الشّفة وما فيها من العجائب والعبر، ثمّ شقّة العين وما فيها من الآيات والعجائب، وشقّة الأنف، والشّعر الّذي في الإنسان من رأسٍ وغير رأسٍ.

أنواعٌ لا تحصى إلّا بعنايةٍ، بل لا تحصى في الحقيقة؛ فمن تدبّر هذه الآيات وهذه العجائب؛ عرف قدرة الباري ﷻ، وأنّه الحكيم العليم القادر على كلّ شيءٍ ﷻ، ولهذا قال: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١﴾، ﴿وَفِى ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

فكل شيءٍ يتدبّره العاقل يرى فيه الآيات، سواءٌ من نفسه أو غير نفسه، ولهذا يقول بعض السّلف: من كانت له فكرةٌ كان له في كلّ شيءٍ عبرةٌ.

لكن المهمّ التّفكير الصّائب، النّظر، من تأمّل ونظر وجد الآيات، والعجائب، والغرائب، والدّلائل القاطعة، والبراهين السّاطعة على قدرة الباري ﷻ.

وقد صدق من قال:

وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ   تدلّ على أنّه واحد

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣]، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٦]، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٣].

فمن علم وآمن وتفكّر وتعقّل، وتذكّر رأى العجائب. الله أكبر.

قوله: (**ففعل بعض وترك بعضٌ**): هذا المعتمد، المعنى الثّاني، خلقهم لهذا الأمر، فمنهم من عبد وهم السّعداء، ومنهم من لا، وهم الأشقياء.

هذه الحكمة في خلق الجنّ والإنس؛ ليعبدوا الله، وهناك حِكَمٌ أخرى، لكن هذه هي الحكمة العظمى.

وقد دلّت النّصوص على أنواع من الحِكَم، منها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

خلق هذه الأشياء، ليعلم العباد أيضًا أنّ ربّهم على كلّ شيءٍ قديرٌ، خلقهم ليعبدوه، وخلقهم ليعلموا هذه الأشياء، كما خلقهم ليبلوهم أيّهم أحسن عملًا، وهناك حكمٌ في هذه المخلوقات أراد الله من هؤلاء العباد أن يعقلوها ويفهموها. الله المستعان.

قوله: (**قتل الإنسان: لعن**):

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في الآيات شيء من هذا؟ (**قتل الإنسان**) هذه في سورة عبس؛ كأنّه أراد يعني المعنى متقاربٌ، ماذا قال الشّارح؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٠١)]: «قوله: (**قتل الإنسان لعن**): سقط هذا لغير أبي ذرٍّ، وقد تقدّم تفسير قتل بلعن في أوائل السّورة، وأخرج ابن المنذر من طريق ابن جريج في قوله: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠] قَالَ: هِيَ مِثْلُ الَّتِي فِي عَبَسَ قُتِلَ الْإِنْسَانُ».

[انتهى كلامه].

قوله: «والسقف المرفوع: سماءٌ»:

• **س:** ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥﴾، **سماء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني السّماء المعروفة، ما عرّفها؟ عندك (سماء) أم (أيّ سماء)؟

(من الطّالب): منكّرٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الشّارح تعرّض له؟ كأنّ ـ والله أعلم ـ يعني تصحيفٌ من بعض الرّواة؛ لأنّ المراد السّقف تفسيرٌ، السّقف غير السّماء كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء:٣٢].

قوله: «المسجور: الموقد....» إلخ: ومن هذا ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير:٦]؛ يعني: تجعل يوم القيامة نارًا. نسأل الله السّلامة، تذهب المياه وتكون نارًا، تضاف إلى النّار. نسأل الله العافية، لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

وقال بعضهم: مسجورٌ؛ يعني: مكفوفٌ الممنوع، الّذي منعه الله أن يفيض على النّاس، ولو فاض عليهم لأهلكهم، لكنّ الله منعه ولا منافاة، فهو مسجورٌ، ويسجّر أيضًا فهو مسجورٌ في الدّنيا، ممنوعٌ لا يفيض على النّاس، وقد غطّى جميع الأرض إلّا القليل منها، اليابس قليلٌ من الأرض، وما غطّاه الماء أكثرها وأعظمها، ولو شاء ربّك لغطّاها كلّها؛ وهلك النّاس، لكنّ الله رحم ولطف، وجعل النّاس قرارًا على بعضها، هذه الأرض.

فهو مسجورٌ ممنوعٌ مكفوفٌ، وإذا أراد الله خروجه برز وصارت هذه الأرض كلّها نارًا. نسأل الله السّلامة[1].

---

(١) وقال سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القراءةِ الثّانيَة: «الله جَلَّ قال: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾؛ يعني: في أنفسِكُم آيات، ذكَّر المؤمنَ يعرف الآيات، أعطاه الله =

● س: النّار يضاف فيها ويزاد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم ولا تزال أبدًا يزاد فيها: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]. نسأل الله العافية.

والجنّة هكذا يزاد فيها من النعيم.

* *

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ **[الذاريات: ٢٤ ـ ٢٧]**[1].

هذه الآيات الكريمات فيها الدلالة على فضل إكرام الضيف، وأنه

= السمع، والبصرَ، والشمَّ، والذَّوقَ، وجعلَ له مدخلًا لطعامِه وَشَرَابِه، ثمَّ يسَّر له المخرَجَ، إلى غير هذا من الآيات العَظِيْمَة والنِّعَم العَظِيْمَة.

فالواجبُ النظرُ في هذا والتفكير؛ حتى تشكرَ اللهَ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾؛ يعني: آيات ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾، اللهُ المُسْتعَانُ.

قوله: «فَفَعَلَ بَعْض، وَتَرَكَ بَعْضٌ»: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾؛ يعني: إلَّا ليخصُّوني بالعبادة، خلقَهُم ليعبدوه؛ فمنهم من عبدَ، ومنهم من لم يعبد، وهو الخالقُ ﷻ؛ لهذه الحكمة العَظِيْمَة.

قوله: «ما خلقتُ أهلَ السَّعَادة...» إلخ: هذا قَولٌ، والصَّوابُ أنه خلقَ الجميعَ، لكن منهم من عبدَ وتمَّت له السَّعادةُ، ومنهم من شَقِي.

قولُه: «وقال بعضُهُم: خلقَهُم ليفعَلُوا...» إلخ: هذا الصَّوابُ، خلقَهُم ليعبدُوه فَمِنْهُم من عبدَ وهداهُ اللهُ، ومنهم من ضلَّ. نسألُ اللهَ العافيةَ.

قوله: «الحُبُك استواؤها وحسْنُها»: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾﴾ ذاتُ الحسنِ والجمالِ. الله أكبر.

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ (٣/ ٤٠).

ينبغي لأهل الإسلام أن يكرموا الضيف، وأن يعرفوا قدره، قد أثنى الله ﷻ على نبيه وخليله إبراهيم لإكرامه الضيف ومدحه في ذلك، حيث قال سبحانه: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ راغ؛ يعني: ذهب مسرعًا وأتاهم القرى؛ لابن السبيل.

فالمقصود أن إكرام الضيف والمسارعة على تقديم الطعام أمر مطلوب؛ لأنه قد يكون في حاجة شديدة إلى القِرى، ولأن المسارعة في الإكرام أمر مطلوب، وهكذا في الآية الأُخرى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ﴾ [هود: ٧٨]، بل ينبغي إذا نزل به الضيف أن يكرمه، وأن يمنع غيره من أذاهم من أهله أو خدمه أو جيرانه أو غيرهم، يكرمهم، من نزلوا به ويمنع من حوله من أذاهم أو تلبيس الدوام عليهم.

ولهذا يقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»، فجعل إكرام الضيف من موجبات الإيمان فدلَّ على وجوب ذلك، بل يجب إكرام الضيف لما في نفسه أن يراعوا به. . . أحوال الضيف وأحوال المضيف، وعرف الناس، كل يؤخذ بما يليق به.

وفي حديث أبي شريح: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**» قالوا: وَمَا جَائِزَتُهُ؟ يَا رسول الله، قَالَ: «**يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ**»(١)، فالجائزة

---

(١) متفق عليه من حديث ابن شريح العدوي رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره برقم (٦٠١٩)، ومسلم في كتاب اللقطة، باب في الضيافة ونحوها برقم (١٤ ـ ٤٨) ساقه بعد الحديث برقم (١٧٢٦).

غداؤه وعشاؤه، هذا الواجب، واليوم الثاني والثالث سُنَّة، وما زاد فهو صدقة.

* * *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾ [الذاريات: ٥٠][1].

هذه الآية الكريمة فيها الدلالة على الحثِّ على الحرص على سلامة الدين، والبعد عن أسباب الشبهات، وأنه ينبغي للمؤمن عند فساد أهل الزمان وتغير الأحوال وخوفه على نفسه من الوقوع في الشرك أو الكبائر وكثرتها؛ أن يبتعد عن المجتمع الذي فيه ذلك، وأن يفرَّ بدينه إلى أماكن سليمة؛ لقوله سبحانه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ فروا إلى الله من كل ما يغضبه؛ من الشرك بالله، من المعاصي، من مخالطة أهلها، من البدع، فالآية عامة، فالمؤمن يفرُّ إلى الله من كل ما يغضبه إلى ما يرضيه، يفر إلى الله من الشرك إلى التوحيد، من المعاصي إلى الطاعة، من البدع إلى السُّنَّة، من الفتن التي تقع بين الناس إلى مواضع الأمن والسلامة، إلا إذا كان وجوده فيها وبقاؤه فيها يعين على مراضي الله، ويزيل الشبه، ويوضِّح الحق لأهل الخير والهدى والصلاح، فإنه يتصبَّر كما صبَّر الرسل، ويبقى إذا كان بقاؤه ينفع مما أعطاه الله من العلم والبصيرة، حتى يوضح الحق وحتى يرشد إليه، **ويزول** الباطل، حتى يبصر الناس بما يجب عليهم، ويصبر عليهم كما صبر الرسل، كما قال الله لنبيه: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، الرسل صبروا، وخالطوا الناس، وصبروا على أذاهم؛ لإرشادهم إلى

---

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٤٠٤).

الخير، ودعوتهم إلى الحق، فالمؤمن هكذا إن كان بقاؤه في المجتمع ينفع الناس «**إِنَّ المُسْلِمَ إِذَا كَانَ مُخَالِطًا النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ المُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**»(١)، أما إذا كان يخشى على نفسه؛ لعدم قبول الحق منه، ولأنهم يتظاهرون عليه بالإثم والعدوان، ويؤذونه في دينه، ففراره إلى مواضع السلامة والأمن أولى.

وعلى هذا يُحمل الحديث الصحيح: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ**»(٢) تقي معروف، متقٍ لله، الغني غني القلب؛ يعني: قد أغنى الله قلبه، «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**»(٣)، الخفي الذي لا يطلب الشهرة، ولا يريد الشهرة ولا الرياء، فهو يعبد الله ويتقي الله ويسارع إلى مراضيه، ولا يسعى لشهرةٍ أو دخول أمره بين الناس، بل ما يهمه إلا طاعة الله ورسوله هو خفي بين الناس؛ لأنه لا يتعاطى أسباب الشهرة ولا يطلبها، أما إذا اشتهر بين الناس وعُرف بين الناس من غير قصد منه لذلك ولا رياء، فلا حرج عليه في ذلك، ولا سيما إذا كان ظهوره بين الناس وشهرته بين الناس تنفعهم، ليُسأل عن علمه، وليبذل علمه في الناس، وليعينهم على الخير، كما فعل الرسل وأتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وفي الحديث: يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما سُئل: (أيُّ

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ في كتاب صفة القيامة، باب (٥٥) برقم (٢٥٠٧)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء برقم (٤٠٣٢).

(٢) أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في كتاب الزهد والرقاق برقم (٢٩٦٥).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقاق، برقم (٢٩٦٥).

النَّاسِ أفْضَلُ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: «**مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[١]، ثم أي؟ قال: «**ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**»[٢]، هذا محمول على أوقات الفتن الذي يعتزل المدن والقرى لما فيها من الفتن والشرور، إلى شعب من الشعاب يعبد الله فيه ويدعُ الناس من شرِّه، في زراعة أو غُنيمة أو غير ذلك مما يعينه على طاعة الله، أما إذا كان بقاؤه في المدينة أو في القرية أو في القبيلة ينفعها لعلمه وتوجيهه إلى الخير وإرشاده فلا يسوغ له أن يدعهم وينتقل عنهم ويضيعهم.

ويقول ﷺ: «**يُوشِكُ**»؛ يعني: يقرب «**أنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ، وَمَواقعَ القَطْرِ**»[٣]؛ يعني: مواقع المطر «**يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ**»؛ يعني: يبتعد بدينه عن أسباب الفتنة، فهذا هو المعذور الذي يخشى على دينه؛ لأن أهل البلد لا يقبلون منه، ولا يحترمون قوله، بل يضرونه ويؤذونه، فإذا خاف على دينه انتقل إلى شعبٍ من الشعاب، أما ما دام ينفع الناس، وما دام يقبل منه العلم، ما دام الناس في حاجة إليه، فليس له أن ينتقل، بل يجب عليه أن ينفع الناس، وأن يرشد الناس، وأن يتصبر على ما قد يقع من أذى، اقتداءً بالرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

*

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله برقم (٢٧٨٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط برقم (١٨٨٨).
(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (٣/ ٣٧، ٤/ ٢٣٤).
(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، في كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن برقم (١٩).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦](١).

فإن الله ﷻ شرع لعباده أنواع العبادة؛ ليتقربوا بها إليه، وليطلبوا منه فضله وإحسانه ﷻ، وخلقهم لهذا الأمر العظيم، لما فيه من سعادتهم وصلاحهم في العاجل والآجل، هو سبحانه الغني عنهم، وعن غيرهم يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾، وأرسل الرسل بهذا الأمر، أرسل الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بدعوة الناس إلى عبادته وحده، والتقرب إليه بما شرع، والحذر مما نهى عنه ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وأهم هذه العبادات، وأعظمها: توحيده سبحانه، والإخلاص له، والإيمان به وبرسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، هذا هو أساس العبادة، وأصلها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فشهادة أن لا إله إلا الله توجب تخصيصه بالعبادة، وإفراده بها، والإيمان بأنه الواحد الأحد لا شريك له في ربوبيته وملكه ولا في إلٰهيته وعبادته، ولا في أسمائه وصفاته ﷻ، بل الواحد الأحد في كل شيء، هو الخلاق الرزاق وحده، هو المعبود بالحق وحده، هو صاحب الأسماء الحسنى والصفات العليا وحده ﷻ، له الكمال المطلق في كل شيء ﷻ، وبُعِث الرسل لهذا الأمر العظيم من أولهم إلى آخرهم، من أولهم نوح أرسله الله إلى الأرض بعد ما وقع الشرك، إلى آخرهم وخاتمهم وأفضلهم نبينا محمد

(١) حديث المساء (ص١٥٢).

ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فهو خاتم الأنبياء، كلهم يدعون الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وتخصيصه بها، فلا يُدعَى إلا الله، ولا يُستغاث إلا بالله، ولا يُتوكّل إلا عليه، ولا يُتقرَّب بالذبائح والنذور إلا له، ولا يُصلَى إلا له، ولا يُصام إلا له إلى غير ذلك، فهو المستحق للعبادة ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

ولا بد مع هذا من الإيمان برسوله محمد ﷺ وبقية المرسلين وتصديقهم، والإيمان بأنهم جاؤوا بالحق، وأنهم هداة الخلق، وأن الواجب اتباعهم وتصديقهم والسير على منهاجهم.

وحظَّ هذه الأمة ونصيبها محمد ﷺ، هي آخر الأمم، وهو آخر الأنبياء ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فوجب الإيمان به، والشهادة بأنه رسول الله واتباع ما جاء به من الهدى ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ثم شرع بعد ذلك للناس أن يصلوا هذه الصلوات الخمس على يد نبيِّه محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وجعلها عمود الإسلام، من حفظها وحافظ عليها نجا وتمت له السعادة ومن ضيعها، فهو لما سواها أضيع، فهي عمود الإسلام، وهي الركن الأعظم بعد الشهادتين كما قال النبي ﷺ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ**»؛ يعني: الشهادتين «**وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ**»، «**وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**»(١).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة برقم (٢٦١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) سبق تخريجه في (١/ ٣٥٦).

وشرع لهم بعد ذلك الزكاة حق المال، حتى يواسوا فقراءهم، حتى يعطفوا عليهم، حتى يرحموهم مما أعطاهم الله من المال، وجعلها قرينة الصلاة في كتاب الله وفي السُّنَّة ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، فهي أختها في كتاب الله فوجب على جميع المسلمين أن يؤدوها مما فرضها الله فيه مواساة لإخوانهم ورحمة لإخوانهم وإعانته لهم على الخير، فهي حق المال، وجعلها لأصناف ثمانية بينها في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

ثم شرع بعد ذلك الصيام في السنة الثانية من الهجرة، في السنة التي شرع فيها الزكاة ﷺ، والصيام أمره عظيم هو فرض على المسلمين جميعًا من الذكور والإناث، وهو الركن الرابع من أركان الإسلام الخمسة، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ**»؛ يعني: خمس دعائم: «**شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(١).

فالواجب على أهل الإسلام أن يصوموا هذا الشهر ويعظِّموه، وأن يحفظوه مما يجرحه من سائر المعاصي، فعلى العباد أن يصوموه كما أمر الله عن إيمان وعن تصديق، وعن إيمان بأنه حق الله عليهم، وأنه فريضة عليهم ركن عظيم من أركان الإسلام، ولهذا قال ـ عليه الصلاة

(١) سبق تخريجه في (١/ ١٧١).

والسلام ـ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(١)]، فلا بد أن يكون عن إيمان واحتساب، يصوم عن إيمان لا عن تقليد للناس، ولا عن رياء ولا عن متابعة للآباء والأسلاف لا، ولكن يصوم عن إيمان، يؤمن بأن الله أوجبه عليه، وشرعه له، وفرضه عليه، ويحتسب الأجر عند الله ﷻ، وهكذا الصلاة بالليل، قيام رمضان عن احتساب وعن إيمان وعن رغبة فيما عند الله ﷻ، لا عن رياء ولا عن تقليد للناس ومتابعة، ولا عن مجاملة، بل عن إيمان واحتساب للأجر عند الله سبحانه هكذا المؤمن.

ويجب مع هذا أن يُصان هذا الصيام من سائر المعاصي، فليس الصيام مجرد ترك الطعام والشراب، لا بد مع ذلك من صيانته من سائر المعاصي، ولهذا يقول ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»[(٢)]، ويقول ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**»، ويقول ﷺ: «**لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ فَقَطْ. إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ**»[(٣)].

فلا بد أن يُصان هذا اللسان وهذه الجوارح دائمًا دائمًا، ولكن في حال الصيام تكون الصيانة أشد، فالمؤمن يصون صيامه ويحفظ صيامه من

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ؓ، أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ونية برقم (١٩٠١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الترغيب في قيام رمضان برقم (٧٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزرو والعمل به في الصوم برقم (١٩٠٣).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شُتم برقم (١٩٠٤)، ومسلم في كتاب الصيام، باب فضل الصيام برقم (١١٥١).

شر جوارحه من شر لسانه من جميع ما حرَّم الله عليه ﷻ يرجو ثواب الله، ويخشى عقابه.

ثم لا يتقدم رمضان، بل ينتظر، فإذا دخل الشهر صام، كما قال ﷺ: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ**»(١).

ويقول ﷺ: «**لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوُا الْهِلَالَ، وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ**». لا بد من هذا أو هذا «**فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ**»(٢).

أما الحساب وما يتعلق بالحساب فلا يعول عليه، إنما المعول على الرؤية وإكمال العدة، وليس لأحدٍ أن يتقدم رمضان بصوم يوم الشك أو اليوم الذي قبله لا؛ بل يجب أن يفطر مع المسلمين حتى يثبت الهلال، فإذا ثبت الهلال صام مع إخوانه المسلمين، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لَا تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصُمْهُ**»(٣)، وقال عمار بن ياسر الصحابي الجليل رضي الله عنه: «**مَنْ صَامَ**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: «**إذا رأيتم الهلال فصوموا**» برقم (١٩٠٩)، ومسلم في كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال برقم (١٠٨١).

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: «**إذا رأيتم الهلال فصوموا**» برقم (١٩٠٦)، ومسلم في كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال إلخ برقم (١٠٨٠).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب لا يتقدمنَّ رمضان بصوم يوم أو يومين برقم (١٩١٤)، ومسلم في كتاب الصيام، باب لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين برقم (١٠٨٢).

الْيَوْمَ الَّذِي يَشُكُّ فِيهِ النَّاسُ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ»[1].

ويوم الشك هو يوم الثلاثين ويلحق به ما قبله كيوم التاسع والعشرين والثامن والعشرين كلها لا تصام؛ لأنها داخلة في قوله ﷺ: **«لَا تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصُمْهُ»**، إلا رجل له عادة مثلًا يصوم ويفطر يوم ووافق صيامه آخر الشهر، لا بأس يصوم الاثنين والخميس صادف صيامه يوم الخميس آخر الشهر لا بأس، أما أن يصوم للاحتياط أو للتطوع لا في آخر الشهر؛ لأن الرسول نهى عن هذا ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ لأنه وسيلة إلى الزيادة فيما شرع وتشبّه بأعداء الله اليهود والنصارى في الزيادة والبدعة، ولهذا نهى الرسول عن ذلك ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأمر الأمة أن تصوم بالرؤية، وأن تفطر بالرؤية، فإن غُم الشهر وجب إكمال الشهر.

ثم هذا الشهر العظيم ينبغي للمؤمن أن يعزم العزم الصادق على حفظه وصيانته، وعلى أن يصومه كما شرع الله ويتحفَّظ فيه، وينبغي له أن يقدِّم التوبة الصادقة على ذلك من جميع ذنوبه وسيئاته مع العزم الصادق على صيامه والتحفظ فيه وترك ما حرم الله فيه.

رزقنا الله وإياكم الاستقامة، وبلَّغنا وإياكم صيامه وقيامه إيمانًا واحتسابًا، ووفَّق المسلمين جميعًا لما فيه رضاه وأصلح قادتهم، ووفَّقهم لما فيه سعادة الدنيا والآخرة، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه.

* *

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية صوم يوم الشك برقم (٦٨٦) وقال الترمذي: حسن صحيح.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ **[الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]**(١).

الواجب على جميع المكلَّفين من الرجال والنساء من الجن والإنس، من العرب والعجم، يجب على الجميع أن يعبدوا الله، وهذه العبادة هي الإسلام، وهي الإيمان، وهي الهدى، وهي التقوى، وهي توحيد الله وطاعته، هذه هي العبادة، هي الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] هي الإيمان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، قال ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً فأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»(٢).

فالإيمان هو الدين كله، وهو الإسلام، وهو التقوى، وهو العبادة التي خُلقنا لها، وأساسه، ورأسه، وأصله، شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هذا هو أصل الدين وأصل العبادة، وهو أوجبها وأعظمها أن تشهد بقلبك، ولسانك، وجوارحك؛ أنه لا إلـه إلا الله، والمعنى: لا معبود حق إلا الله، كما قال تعالى:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩]. قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (١/ ٣١).
(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان برقم (٥٨).

[طـه: ٩٨]، وقـال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فالرسل بُعثوا ليعلِّموا الناس توحيد الله وعبادته، وليأمروهم بعبادة الله التي خُلقوا لها، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

فنحن خُلقنا لنعبد الله، مأمورون بذلك، والرسل بُعثوا لهذا الأمر، وعلى رأسهم خاتمهم، وأفضلهم، وإمامهم محمد بن عبد الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، هو أفضل الرسل، وهو خاتم الأنبياء كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقال ﷺ: «**أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[(١)].

فالواجب عبادة الله وحده، بالإخلاص له في قولك وعملك، ألا تعبد إلا الله، تصلي لله، تصوم لله، تصدق لله، تخاف الله، ترجوه، تذبح له، تنذر له، كل شيء لله وحده، العبادة حق الله، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وأصل هذه العبادة توحيد الله بأن تشهد أنه لا إلـٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فلا معبود بحق إلا الله، والمتبع هو الرسول ﷺ فعليك أن توحد الله وتعبده وحده، باتباع الرسول ﷺ وطاعة ما جاء به، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]. وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث ثوبان في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها برقم (٤٢٥٢)، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون برقم (٢٢١٩)، والإمام أحمد ٥/٢٧٨.

[النور: ٥٤]، وقال ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾؛ يعني: عن أمر النبي ﷺ ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[1].

فأصل الدين توحيد الله وطاعته، وأن تُؤدى بالنية، يقول: لا إلـه إلا الله بنية صادقة أنه لا معبود بحق إلا الله بهذه النية، بهذا الإخلاص، يصلي بالنية لله، يصوم لله، يتصدق لله، يحج لله، بقلبه، أنه فعل هذا يبتغي وجه الله، يبتغي الأجر عنده، هكذا يتصدق، هكذا يذبح الضحية، أو الهدي، يرجو وجه الله، لا لغيره، وهكذا يجاهد، يرجو وجه الله، هكذا يأمر بالمعروف، ينهى عن المنكر، يدعو إلى الله، يريد وجه الله، لا رياءً ولا سمعة.



---

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي؟ برقم (١)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» **برقم (١٩٠٧)**.

تفسير آيات من سورة الطور(١)

وقال قتادة: ﴿مَّسْطُورٍ﴾ [٢]: مَكْتُوبٍ، وقال مجاهدٌ: الطُّورُ: الْجَبَلُ بِالسُّرْيَانِيَّةِ، ﴿رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [٣]: صَحِيفَةٍ، ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ [٥]: سَمَاءٌ، ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾ [٦]: الْمُوقَدِ، وقال الحسن: تُسْجَرُ حَتَّى يَذْهَبَ مَاؤُهَا، فَلَا يَبْقَى فِيهَا قَطْرَةٌ، وقال مجاهدٌ: ﴿أَلَتْنَٰهُم﴾ [٢١]: نَقَصْنَا، وقال غيره: ﴿تَمُورُ﴾ [٩]: تَدُورُ، ﴿أَحْلَٰمُهُم﴾ [٣٢]: الْعُقُولُ، وقال ابن عَبّاسٍ: ﴿ٱلْبَرُّ﴾ [٢٨]: اللَّطِيفُ، ﴿كِسْفًا﴾ [٤٤]: قِطْعًا، ﴿ٱلْمَنُونِ﴾ [٣٠]: الْمَوْتُ، وقال غيره: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ [٢٣]: يَتَعَاطَوْنَ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: **(تسجر حتّى يذهب ماؤها فلا يبقى فيها قطرةٌ)**: كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣]؛ يعني: يوم القيامة هذه البحار تفجّر وتبقي نارًا، كما في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] يذهب ماؤها وتبقى نارًا. نسأل الله العافية.

• **س: فجّرت ـ أحسن الله إليك ـ يلتقي بعضها ببعضٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا، صارت نارًا، البحر المسجور صارت بعد كونها ماءً نارًا.

(من السّائل): آية الانفطار ﴿فُجِّرَتْ﴾؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذهب ماؤها.

*

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

حدّثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالكٌ، عن محمّد بن عبد الرّحمن بن نوفلٍ، عن عروة عن زينب ابنة أبي سلمة عن أمّ سلمة قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أنّي أشتكي، فقال: «**طُوفِي مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ**» فطفت، ورسول الله ﷺ يصلّي إلى جنب البيت يقرأ بالطّور وكتابٍ مسطور[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا في حجّة الوداع صلّى بهم ﷺ صلاة الفجر في اليوم الرّابع عشر، دخل الكعبة، وطاف طواف الوداع في آخر اللّيل يوم الأربعاء، وصلّى بهم صلاة الفجر، ثمّ سافر يوم الأربعاء الرّابع عشر من ذي الحجّة، وكانت أمّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مشتكيةً، عليها بعض المرض، فقال: طوفي من وراء النّاس وأنت راكبةٌ، طواف الوداع يعني.

وهذا يدلّ على أنّ طواف الوداع واجبٌ، ولو من طريق الرّكوب، ولهذا أمرها أن تطوف، والظّاهر أنّ هذا طواف الوداع؛ لأنّهم طافوا جميعًا يوم النّحر، أزواج النّبيّ ﷺ طفن يوم النّحر؛ فهذا طواف الوداع، كانت معها بعض الشّكوى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ فطافت من وراء النّاس صلاة الفجر يوم أربعة عشر، والنّبيّ ﷺ يصلّي بالنّاس صلاة الفجر يوم أربعة عشر يقرأ بالطّور، فلمّا فرغ من صلاته سافر إلى المدينة ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، في اليوم الرّابع عشر، يوم الأربعاء أربعة عشر ذي الحجّة.

• س: يعني بارك الله فيك وأثابك الله: طاف الرّسول ﷺ للوداع قبل صلاة الفجر أم بعده؟

---

(١) متفق عليه من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب برقم (٤٨٥٣)، ومسلم في كتاب الحج، باب جواز الطواف على البعير وغيره واستلام الحجر بمحجن ونحوه للراكب برقم (١٢٧٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: قبل صلاة الفجر، ثمّ صلّى ثمّ سافر، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

*

حدّثنا الحميديّ، حدّثنا سفيان قال: حدّثوني، عن الزّهريّ، عن محمّد بن جبير بن مطعم، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سمعت النّبيّ ﷺ يقرأ في المغرب بالطّور، فلمّا بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [٣٥ ـ ٣٧] كاد قلبي أن يطير»، قال سفيان: فأمّا أنا فإنّما سمعت الزّهريّ يحدّث، عن محمّد بن جبير بن مطعم، عن أبيه: «سمعت النّبيّ ﷺ يقرأ في المغرب بالطّور، لم أسمعه زاد الّذي قالوا لي»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أوّل ما دخل قلبه الإسلام في يوم بدرٍ، وهو جاء في أسارى بدرٍ سمع النّبيّ ﷺ يقرأ في المغرب بالطّور، فلمّا سمعه يقرأ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٧] قال: كاد قلبي ينفطر؛ تأثّر من هذه الآيات، وكان هذا سبب إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبوه قتل يوم بدرٍ على كفره، لا، جدّ عمّه طعيم، وأما مطعمٌ مات على كفره.

قوله: (**ولم أسمعه زاد الّذي قالوا لي**)؛ يعني: الزّيادة، قوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا...﴾ إلى آخره، وأما كونه سمع النّبيّ ﷺ يقرأ بالطّور هذا سمعه من الزّهري، ولهذا خرّجه المؤلّف، لسلامة إسناده.

---

(١) متفق عليه من حديث جبير بن مطعم عن أبيه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب برقم (٤٨٥٤)، ومسلم في كتاب الصلاة في باب القراءة في الصبح برقم (٤٦٣).

وهذا يدلّ على جواز القراءة بطوال المفصّل في المغرب بعض الأحيان، كما قرأ فيها بالمرسلات في حديث أمّ الفضل في آخر حياته ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

فالأفضل في المغرب، الأغلب عدم التّطويل، وإذا قرأ بعض الأحيان بالمرسلات، أو بالطّور، أو بالمدّثّر أو غيره؛ فلا بأس؛ ليبيّن الجواز.

قوله: (**كاد قلبي أن يطير**): وهذا يبيّن أنّه تأثّر بالقراءة كثيرًا حال كفره، تأثّر بهذه الآيات ثمّ هداه الله وأسلم بعد ذلك. الله المستعان.

وهذا دليلٌ على أن المغرب يقرأ فيها بما يقرأ في الفجر في بعض الأحيان؛ النّبيّ ﷺ قرأ في الفجر بالطّور، وقرأ في المغرب بالطّور، وهذا خلاف ما عليه غالب النّاس اليوم من تعمّد قراءة السّور القصيرة في المغرب، واعتياد ذلك، حتّى قال بعض أهل العلم: إنّ هذه سنة مروان بن الحكم، هو الّذي كان يعتاد هذا كثيرًا، وإلّا فالسّنّة ألّا يقتصر على القصار، بل تارةً وتارةً، تارةً يقرأ بالطّوال: كـ«الطّور، والذّاريات، وق» في المغرب، وتارةً بالأوساط كالمرسلات؛ فقد قرأ بها النّبيّ ﷺ في آخر حياته كما جاء في «الصّحيحين» من حديث أمّ الفضل أنّها سمعت النّبيّ ﷺ في آخر حياته يقرأ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١] في المغرب(١).

وربّما قرأ بالقصار، كما في حديث سلمة بن يسارٍ عن بعض أصحاب النّبيّ ﷺ أنّه قرأ في المغرب بالقصار، وقرأ في الصّبح بطوال المفصّل، وفي الظّهر طوّل فيها، وفي العصر أخفّ، وقرأ في

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الآذان، باب القراءة في المغرب (٧٦٣)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح برقم (١٧٣) (٤٦٢).

المغرب بالقصار، وفي العشاء بالأوساط، فكلّ هذا في بعض الأحيان.

• **س: ...[١]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأصل التّخفيف نعم؛ لأنّه وقتٌ ضيّقٌ.

• **س: الاقتصار على بعض الآيات، بعض الأئمة يقتصر في صلاة المغرب على بعض الآيات؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا حرج، ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ [المزمل: ٢٠]، الحمد لله.

• **س: أحسن الله إليك، ما يقال: إنّ من السّنّة أنّه يقرأ بالطّور؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم، إذا قرأ بعض الأحيان فحسنٌ إن شاء الله، ليبيّن الجواز، كما فعله النّبيّ ـ صل الله عليه وسلم ـ.

• **س: الطّواف بالبيت راكبًا هل يشترط أن يكون مشتكيًا، الطّواف بالبيت يجوز مطلقًا أم يشترط أن يكون مشتكيًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا هو الأحوط، فيه خلافٌ، الأحوط لا يطوف راكبًا إلّا إذا كان لعلّة؛ لأنّ بعض أهل العلم يمنع الطّواف راكبًا إلّا من علّةٍ، هذا أحوط للمؤمن، والنّبيّ ﷺ طاف راكبًا وماشيًا لما كثر عليه النّاس ركب ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

• **س: أحسن الله إليك، من مكث بعد طواف الوداع أسبوعًا في مكّة؟**

---

(١) سقط في الأصلِ المسموع، ولعل صيغة السؤال هكذا: (يعني الأصل هو التخفيف في المغرب؟).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعيد الطّواف، يعيد الطّواف: طواف الوداع.

(من الطّالب): ما المدّة يا شيخ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العرفية الشّيء القليل، جلس يتعشّى، ينتظر إخوانه، أصحابه، طاف في اللّيل وبات؛ ما يضرّ هذا، هذا شيءٌ خفيفٌ في العرف، الشّيء القليل الّذي يعتبر قليلًا في العرف لا حرج إن شاء الله.

• **س: لو طاف بعد العشاء ثمّ نام مع التّعب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما يضرّ إن شاء الله، لا يعيد إن شاء الله.

• **س: أحسن الله إليك، طواف الوداع في العمرة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس بلازمٍ، ليس بلازمٍ، ما عليه دليلٌ.

• **س: لا تؤثّر البيتوتة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأقرب أنّها ما تؤثّر إن شاء الله؛ لأنّها تعتبر قليلةً.

• **س: الشّرب حال الطّواف وكذا الأكل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما فيه بأسٌ، يتكلّم ويشرب لا بأس ليس من جنس الصّلاة في هذا الباب، جنس الصّلاة في الطّهارة، أمّا كونه يتكلّم أو يشرب لا حرج.

• **س: وكذا الأكل أيضًا، لو أكل شيئًا كذلك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما يضرّ إن شاء الله، الكلام أشدّ.

• **س: أحيانًا المطيّبين للبيت يأتون بطيبٍ، وفي بعض المحرمين يتطيّب من هذا الطّيب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، يعلّم، ما يجوز يتطيّب، وإذا فعلها جاهلًا أو ناسيًا ما عليه شيءٌ، الجاهل والنّاسي ما عليه شيءٌ.

• **س: إذا طيّب الحجر؟**

• **س: إذا تطيّب الحجر وهو رطبٌ لا تقبله وهو رطبٌ، يكفي تكبّر، تشير إليه وتكبّر، أمّا إذا كان يابسًا ما يضرّ.**

• **س: أحسن الله إليك، طواف الوداع في العمرة، هل يقال: لا يستحبّ؛ لأنّه لم يرد دليلٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا إذا ودّع حسنٌ إن شاء الله؛ لأنّها حجٌّ أصغر، إذا ودّع فحسنٌ خروجًا من الخلاف.

• **س: عفا الله عنك يا شيخ، «الطَّوَافُ بِالبَيْت صَلَاةٌ إِلَّا أَنَّهُ أبيح فِيْهِ الكَلَام» الطَّوَافُ بِالبَيْت صَلَاة إِلَّا أَنَّ اللهَ أَحَلَّ لَكُمْ فِيْهِ الكَلَام»[(١)]، صَحِيْحُ الحَدِيْثُ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من كلام ابن عبّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، المرفوع ضعيفٌ، لكنّه موقوفٌ على ابن عبّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٠٣): «قوله: حدثنا سفيان: هو ابن عيينة قال: حدّثوني عن الزّهريّ. اعترضه الإسماعيليّ بما أخرجه من طريق عبد الجبّار بن العلاء». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يكفي، بيّن المؤلّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٦٨٦).

تفسير سورة النجم(١)

وقال مجاهدٌ: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [٦]: ذُو قُوَّةٍ، ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [٩]: حَيْثُ الْوَتَرُ مِنَ الْقَوْسِ، ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ [٢٢]: عَوْجَاءُ، ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ [٣٤]: قَطَعَ عَطَاءَهُ، ﴿رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ [٤٩]: هُوَ مِرْزَمُ الْجَوْزَاءِ، ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [٣٧]: وَفَّى مَا فُرِضَ عَلَيْهِ، ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ [٥٧]: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، ﴿سَٰمِدُونَ﴾ [٦١]: الْبَرْطَمَةُ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: يَتَغَنَّوْنَ بِالْحِمْيَرِيَّةِ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾؟ [١٢]: أَفَتُجَادِلُونَهُ؟ وَمَنْ قَرَأَ: (أَفَتَمْرُونَهُ): يَعْنِي: أَفَتَجْحَدُونَهُ؟ ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ [١٧]: بَصَرُ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ [١٧]: وما جَاوَزَ مَا رَأَى، ﴿فَتَمَارَوْا۟﴾ [القمر: ٣٦]: كَذَّبُوا، وَقَالَ الْحَسَنُ: ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ [١]: غَابَ، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [٤٨]: أَعْطَى فَأَرْضَى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

- **س: البرطمة اسمٌ من أسماء أداة اللّهو؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾؛ يعني: ساكتون، مبرطمين: ساكتين، ما يتكلّمون بشيءٍ.

*

حدّثنا يحيى، حدّثنا وكيعٌ، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ، عن عامرٍ،

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

عن مسروقٍ، قال: قلت لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا أمّتاه، هل رأى محمّدٌ ﷺ ربّه؟ فقالت: «لقد قفّ شعري ممّا قلت، أين أنت من ثلاثٍ من حدّثكهنّ فقد كذب: من حدّثك أنّ محمّدًا ﷺ رأى ربّه فقد كذب، ثمّ قرأت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، ومن حدثك أنه يعلم ما في غدٍ فقد كذب، ثمّ قرأت: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ﴾ [لقمان: ٣٤]، ومن حدَّثك أنه كتم فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾ الآية [المائدة: ٦٧]، ولكنه رأى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في صورته مرتين»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا الّذي قالته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هو الّذي قاله أهل العلم، قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، إلى آخره هذا في قصّة جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، لمّا رآه في الصّورة الّتي خلقه الله عليها، السّياق في ذلك: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ وَهُوَ جبْرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٦ ـ ١٠]؛ يعني: فأوحى ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾؛ يعني: إلى عبد الله ما أوحى.

المقصود: أن هذا في جبرائيل ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، ولقد سئل ﷺ عن ذلك، قال له أبو ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل رأيت ربّك؟ قال: «**رأيتُ**

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب برقم (٤٨٥٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربه؟ برقم (٢٨٩).

نُورًا»[١]، في اللفظ الآخر قال: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»، رواه مسلمٌ[٢].

فالمحقّقون من أهل العلم وجماهير أهل العلم أنّه لم ير ربّه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، وقد ثبت عنه في الصّحيح أنّه قال: «**واعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ﷻ حتَّى يَمُوتَ**»[٣].

فالله ﷻ ادّخر الرّؤية للآخرة؛ لأنّها أعلى النّعيم، وأعظم النّعيم؛ فصارت هذه الرّؤية مدّخرةٌ لنعيم أهل الجنّة، والدّنيا ليست دار النّعيم، وليست دار الخلد، ولكنّها دار معبرٍ، وطريقٌ للآخرة، ودار ابتلاءٍ وامتحانٍ.

وهذا أحد القولين في معنى الآية: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾؛ يعني: لا تراه في الدّنيا كما قالت عائشة رضي الله عنها.

والقول الثّاني: أن الآية عامّةٌ، وأنّها لا تدركه الأبصار، لا في الدّنيا ولا في الآخرة، وأنّ معنى الإدراك غير الرّؤية، فالإدراك أخصّ؛ فكلّ مدرِكٍ راءٍ وليس كلّ راءٍ مدركًا، فالرّؤية أعمّ، والإدراك أخصّ.

فالمؤمنون يرونه يوم القيامة، وفي الجنّة، لكن لا يحيطون به، لا يدركونه، وإنّما يرون وجهه الكريم سبحانه وتعالى، كما جاءت به النّصوص أنّهم يرونه كما تطلع الشّمس صحوًا، ليس دونها سحابٌ، وكما يُرى القمر ليس دونه سحابٌ، رؤيةً واضحةً لا يضامّون في رؤيته، لكن من غير إدراكٍ؛ لأنّه أجلّ وأعظم من أن تحيط به أبصار خلقه.

قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]؛ فالإدراك غير الرّؤية، تراءوا ولكنّ الإدراك غير التّرائي.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب قوله: «نور أنى أراه»، وفي قوله: «رأيت نورًا» برقم (٢٩٢) (١٧٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الترمذي من حديث عن بعض أصحاب النبي ﷺ في كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة الدجال برقم (٢٢٣٥).

والمعنيان كلاهما صحيحٌ، فقولها رضي الله عنها صحيحٌ بمعنى أنّها لا تراه في الدّنيا.

والقول الثّاني: بأنّ المراد ما هو أخصّ من الرؤية، وهو أن هذا لا يحصل لا في الدّنيا ولا في الآخرة، الإدراك، وإنّما الّذي يحصل الرّؤية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

في القراءة الثّانية: وهذا الذي قالته عائشة رضي الله عنها هو قول أهل العلم: أنّه ﷺ لم ير ربه في الدّنيا، ولا يوم عرج به، وإنّما سمع كلامه ولم يره، ولهذا قالت رضي الله عنها: من حدّثك أنه رأى ربّه فقد كذب، ومن حدّثك أنه جحد شيئًا مما أمره الله أن يبلّغ فقد كذب، ومن حدّثك أنه يعلم ما في غدٍ فقد كذب: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، ولكنه سمع كلام ربه.

ولما سئل ﷺ: أرأيت ربك؟ قال: «**رَأَيْتُ نُورًا**»، وفي اللفظ الآخر قال: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**» كما رواه مسلمٌ من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه، وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**واعْلَمُوا أنَّه لن يرى أَحْدُكم ربّه حتّى يموت**»، «**أَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ**» الرّؤية في الدّنيا ممنوعةٌ؛ لأنّ رؤية الرّبّ أعلى النّعيم، وأعظم النّعيم، والدّنيا ليست بدار نعيمٍ، الدّنيا دار الامتحان، دار العمل، ودار النّعيم في الآخرة، في الجنّة، فيراه أهل الجنّة، ويراه المؤمنون في الموقف، فضلًا منه سبحانه وتعالى.

وأمّا قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ يعني: في الدّنيا. وقال بعض أهل العلم: معنى لا تدركه: لا تحيط به، لا في الدّنيا ولا في الآخرة، يرون وجهه الكريم، ولكن لا يحيطون به. وعائشة رضي الله عنها تأوّلتها على المعنى في الدّنيا.

● **س: هل يراه الكفّار؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا، لا يــراه إلّا الــمــؤمــنــون: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]؛ لأن الكفار محجوبون عن الله. نسأل الله العافية.

● **س: حديث: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»، استدل به على أن من أسماء الله النور؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

محتملٌ، ليس بواضحٍ يعني؛ لأنّ «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»، كان مراده أنّ الله نورٌ؛ يعني: الأظهر أن مراده نورٌ؛ يعني: يمنعني أن أراه، مثل ما في الحديث الصّحيح: «**حِجَابُهُ النُّورُ**»[1]، وأنّ هناك نورًا يمنع من الرّؤية بينه وبين الخلق، ولم نعلم في الأحاديث الصّحيحة التّسمية بالنّور، إنّما جاء في القرآن: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] مضافًا.

(**من الطّالب**): أورد الحافظ هنا روايةً مفيدةً قالت: أنا أوّل من سأل رسول الله ﷺ عن هذا فقلت: يا رسول الله، هل رأيت ربّك؟ فقال: «**لا، إِنَّمَا رأيتُ جبريْلَ منهَبطًا**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا نصّ الآية: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] رأى جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورآه نزلةً أخرى عند السّدرة في صورته الّتي خلقه الله عليها، له ستّمائة جناحٍ، الله أكبر.

● **س: هل يرى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في المنام على صورته؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ذكر بعض أهل العلم أنّه يرى في المنام، لكن ما عليه دليلٌ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، في كتاب الإيمان، باب في قوله: «إن الله لا ينام» وفي قوله: «حجابه النور...» برقم (٢٩٣).

واضحٌ، وإلّا ذكره الشّيخ تقيّ الدّين ابن تيمية وغيره أنّه يرى في المنام، لكن لا على صورةٍ يشبه فيها المخلوقين؛ كأن يسمع صوتًا أو ما أشبه ذلك.

● **س: أحسن الله إليك، من قال: إنّه رآه بفؤاده[١]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: هذا ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، رؤية القلب ليست برؤيةٍ، رؤية القلب حلم.

● **س: أحسن الله إليك، من أنكر الرّؤية؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كالخوارج والمعتزلة والجهميّة، قول ردّةٍ عن الإسلام، مكذّبٌ لما تواتر به النّقل عن الله وعن رسوله.

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ، رواية: «حِجَابُهُ النَّار»[٢]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وفي رواية: «**النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[٣] النار بمعنى النور يعني.

● **س: هل جبريل عليه السلام رأى ربّه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: الله أعلم.

* *

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٩].

حيث الوتر من القوس.

---

(١) رواه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» (٢/ ٤٨٨).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (١٩٥٨٧).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب في قوله: إن الله لا ينام وفي قوله حجابة النور... برقم (١٧٩).

حدّثنا أبو النّعمان، حدّثنا عبد الواحد، حدّثنا الشّيبانيّ قال: سمعت زرًّا، عن عبد الله ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [٩، ١٠] قال: حدّثنا ابن مسعودٍ: «أنّه رأى جبريل له ستّمئة جناحٍ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله أكبر، سبحان الله الخلّاق العظيم.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾؛ يعني: فأوحى إلى عبد الله، ولهذا قال قبله: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم:٥] هو جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾: إلى عبدِ الله، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣] عند السّدرة، وهو جبرائيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝﴾ [النجم: ١٠].

حدثنا طلق بن غنام، حدثنا زائدة، عن الشيبانيّ، قال: سألت زرًّا عن قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [٩، ١٠] قال: أخبرنا عبد الله «أنه محمدٌ ﷺ رأى جبريل له ستمئة جناحٍ»(٢).

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝﴾ [النجم: ١٨].

حدّثنا قبيصة، حدّثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝﴾

---

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين برقم (٢٢٣٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب ما جاء في ذكر سدرة المنتهى برقم (٢٨٠).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم أمتي برقم (٣٢٣٢)، ومسلم في كتاب اليمان، باب في ذكر سدرة المنتهى برقم (١٧٤).

قال: «رأى رفرفًا أخضر قد سدّ الأفق»[١].

● **س: فأوحى إلى عبد الله؛ يعني: جبريل عليه السلام أوحى؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

إي نعم، إلى النّبيّ ﷺ، ما أمره الله به، ما أمره الله أن يوحي إليه، ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]، الله أكبر. ثم ﴿رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣].

● **س: من قال في الرّؤية من غير اتّصالٍ، شعاعٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الرّؤية هنا هي رؤية جبرائيل عليه السلام، أما رؤية الله يوم القيامة وفي الجنّة ـ رؤية الله في الجنّة، وفي يوم القيامة ـ للمؤمنين خاصّة، وأمّا في الدّنيا ما في رؤيا.

● **س: الّذين ينكرون رؤية الله يكفرون أم لا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: مكذّبون لرسوله.

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم: ١٩].

حدّثنا مسلمٌ، حدّثنا أبو الأشهب، حدّثنا أبو الجوزاء، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما في قوله: ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ «كان الّلات رجلًا يلتّ سويق الحاجّ»[٢].

---

(١) أخرج البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ برقم (٤٨٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ برقم (٤٨٥٩).

حدّثنا عبد الله بن محمّدٍ، أخبرنا هشام بن يوسف، أخبرنا معمرٌ، عن الزّهريّ عن حميد بن عبد الرّحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذه الآية الكريمة، والحديث الشّريف يدلّ على ضعف عقول المشركين، وفساد تصوّرهم، حيث يعبدون جماداتٍ لا قيمة لها، ولا طول لها، ولا قدرة لها على شيءٍ عند أقلّ شبهةٍ؛ فالعزّى شجرةٌ أيّ شيءٍ عند الشّجرة؟! ومناة صخرةٌ، في المشلل في قديدٍ بين مكّة والمدينة، بين مكّة والمدينة، واللّات رجلٌ يلتّ السّويق للحاجّ، رجلٌ يتصدّق، ويلتّ تسوق للحاجّ، فعبدوه، وعبدوا الشّجرة، وعبدوا مناةً، وعبدوا أصنامًا كثيرةً أيّ شيءٍ عندها؟! جماداتٌ ضعيفةٌ، لا تدفع عن نفسها ولا غيرها، الصّخرة الّتي يلتّ عليها أيامًا ينطأها في محلٍّ آخر أو يكسرها.

وهو كذلك في مدفنه أيّ شيءٍ عنده؟! أيّ شيء عند الشجرة؟! يأتيها من يقطعها أيّ شيءٍ عند الصّنم المصوّر؟! في إمكان كلّ أحدٍ أن يكسره لو كان هناك عقولٌ.

وبهذا يعلم العاقل عظم نعمة الله عليه، الّذي منّ عليه بالبصيرة وعرف الحقّ، وهداه الله للسّبيل القويم، فوحّد الله واستقام على دينه، واتّبع الرّسل، وحارب خرافات المشركين. وقد قال الله عنهم جل وعلا أنّهم يقولون: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: ٣٦]، قبلها

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ برقم (٤٨٦٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله برقم (١٦٤٧).

يقول: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، يتعلّقون بهذه الخرافات ويستكبرون على الحقّ، ويقول عنهم في الآية الأخرى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

يعجبون من كون الله أمرهم على لسان رسوله بأن يخصّوه بالعبادة، ويطّرحوا هذه الآلهة الفاسدة، ولكنّ أهل الشّرك كما قال الله فيهم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، نسأل الله العافية، هذه حالهم.

فليحمد الله المؤمن على ما منّ به عليه من الهداية والتّوفيق وصلاح عقله، وقبوله الحقّ، وبعده عن خرافات أولئك المشركين وضلالاتهم، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

وفي هذا يقول ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ: **(من قال في حلفه: واللّات والعزّى؛ فليقل: لا إله إلّا الله)**. الّذي يقول؛ لأنّ اللات والعزّى شركٌ بالله، وتعظيمٌ للّات والعزّى، ودواء الشّرك التّوحيد، فليقل: لا إله إلّا الله؛ يعني: لا معبود حقٌّ إلّا الله. واللّات والعزّى باطلةٌ، وفي رواية النّسائيّ وجماعةٍ: **«وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ»**(١)، **«فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ»**(٢)، أو كما جاء في الحديث.

فالمقصود أنّ دواء الشّرك هو التّوحيد، ودواء وساوس الشّيطان هو الاستعاذة بالله من الشّيطان واللّجأ إلى الله.

قوله: **(مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)**: وما ذاك إلّا لأنّ الحلف بغير الله شركٌ، وقول: «لا إله إلّا الله» توحيدٌ، والتّوحيد يمحو الله به الشّرك، فالمعنى من قال:

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر ﷺ في كتاب الرؤيا برقم (٢٢٦٢).

(٢) أخرجه مسلم من حديث قتادة في كتاب الرؤيا برقم (٢٢٦١).

واللّات والعزّى؛ فقد وقع في الشّرك؛ فيكفّرها بقوله: «لا إله إلّا الله» هذا من التّوبة.

وقد صحّ من حديث ابن عمر ﵄: **«مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»**(١)، فالتّوحيد كفّارة الشّرك، وقد قال عليه الصّلاة والسّلام: **«فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»**(٢).

• س: اشتقاق العزّى من العزيز؟

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

هكذا قال بعض السّلف أنّهم سمّوه عزّى مؤنّثة العزيز، كما قالوا: اللّات مؤنّثة الإله، ومناة وأنّه من المنّان، اشتقّوا لآلهتهم من أسماء الله وأنّثوها.

• س: من قَالَ: واللَّاتِ والعُزَّى وَهُوَ عالم ثُمَّ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

إذا قال: (**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**) على سبيل التّوبة والرّجوع إلى الله والإنابة؛ فالتّوبة يمحو الله بها الشّرك، مراد النّبيّ ﷺ: (**فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**)(٣)؛ يعني: توحيدًا لله وتعظيمًا له، وتوبةً من هذا الكلام السّيّئ.

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر ﵄ من كتاب النذور والأيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله برقم (١٥٣٥)، والإمام أحمد (٢/ ١٢٥).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر ﵄، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متاولًا أو جاهلًا برقم (٦١٠٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله برقم (١٦٤٦)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﵁، رواه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ برقم (٤٨٦٠)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله برقم (١٦٤٧).

• س: **ولو كان عالمًا بها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولو كان عالمًا بها.

• س: **«من قال لأخيه: تعال أقامرك»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: تعال نلعب القمار فليتصدّق؛ لأنّ القمار محرمٌ، كسبٌ حرامٌ، من التّوبة من ذلك أن يتصدّق بشيءٍ عن هذا الكلام السّيّئ.

• س: **أحسن الله إليك...**(١)

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا كان بالمال قمارٌ، إذا كان بدون مالٍ لا يجوز؛ لأنّه لهوٌ، أما إذا كان معه مالٌ فهو قمارٌ، الميسر هو المخاطرة بالمال.

• س: **الحلف باللّات والعزّى شركٌ أصغر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

شركٌ أصغر، الحلف بغير الله شركٌ أصغر إلّا إذا احتفّ به شيءٌ آخر، قد يقترن بما يجعله أكبر، إذا رأى أنّ اللّات أو العزّى أو المخلوق الآخر الّذي حلف به يعظّم كتعظيم الله أو أنّه يستحقّ أن يدعى من دون الله إذا احتفّ به عقيدةٌ أخرى.

أما إذا قاله على سبيل أنّه جرى على لسانه من غير قصدٍ من الشّرك الأصغر.

• س: **ما جرت عليه الألسنة من قول بعض الإخوان: والنّبيّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، والنّبيّ، والأمانة، والكعبة...، كلّه شركٌ أصغر إلّا إذا اعتقد أنّ هذا يدعى من دون الله، أو أنّه يصلح أن يدعى من دون الله، أو يستغاث به، أو أنّه ينفع أو يضرّ دون الله صار شركًا أكبر من جهة العقيدة.

---

(١) سؤال غير واضح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال الشّارح عليه؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦١٢)]: «قوله: **(فقال في حلفه)**؛ أي: في يمينه، وعند النّسائيّ وابن ماجه ـ وصحّحه ابن حبّان من حديث سعد بن أبي وقّاصٍ ـ ما يشبه أن يكون سببًا لحديث الباب، فأخرجوا من طريق مصعب بن سعدٍ عن أبيه قال: كنّا حديث عهدٍ بجاهليّةٍ؛ فحلفت باللّات والعزّى؛ فقال لي أصحابي: بئس ما قلت؛ فذكرت ذلك للنّبيّ ﷺ؛ فقال: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ...**» الحديث.

قال الخطّابيّ: اليمين إنّما تكون بالمعبود المعظّم، فإذا حلف باللّات ونحوها فقد ضاهى الكفّار، فأمر أن يتدارك بكلمة التّوحيد. وقال ابن العربيّ: من حلف بها جادًّا فهو كافرٌ، ومن قالها جاهلًا أو ذاهلًا يقول: لا إله إلّا الله يكفّر الله عنه ويردّ قلبه عن السّهو إلى الذّكر، ولسانه إلى الحقّ، وينفي عنه ما جرى به من اللّغو». [انتهى كلامه].

قال ابن بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الّذي قاله ابن عربيٍّ فيه نظرٌ، إذا كان قاله عامدًا أو جاهلًا إذا كان ما قصد أنّها تعبد من دون الله؛ بل ظنّ أن هذا الشّيء جائزٌ أو تساهل؛ لأنّ عموم الأدلّة تدلّ على أنّ الحلف بغير الله من الشّرك الأصغر.

ولهذا كان الصّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يحلفون بغير الله في أوّل الإسلام، يحلفون بآبائهم وبأمّهاتهم؛ فنهاهم النّبيّ بعد ذلك، بعد الهجرة بمدّةٍ، نهاهم عن ذلك ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، فهو من قسم الشّرك الأصغر.

إلّا إذا نوى وقصد أنّ هذا الشّيء يعني يجوز أن يعبد من دون الله كاللّات والعزّى، أو الرّسول أو الكعبة، هذا ينتقل إلى الشّرك الأكبر من جهة ما يقوم بقلبه.

وجاء في بعض الرّوايات أظنّ عند النّسائيّ: «**وَلْيَنفُثْ عَن يَسَارِه**

ولْيَتعَوَّذْ بِاللهِ من الشَّيْطَانِ ثَلاثًا»، «فَليقُل: لَا إلهَ إِلَّا اللهُ، وَلْينفُثْ عَن يَسَارِه، ولْيَتعَوَّذْ من الشَّيْطَان» لكن ما ذكره المؤلّف هنا.

• **س: عفا الله عنك، ما يلزم من كونه جادًّا أن يكون معظّمًا لها، الحلف بها جادًّا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مثل من حلف بالنّبيّ جادًّا، أو بالكعبة جادًّا كلّها معبودةٌ من دون الله، الظّاهر ما يظهر منه إلّا إذا كان يعتقد أنّها تعبد؛ لكن جادًّا؛ يعني: يظنّ جواز هذه الأشياء، يظنّ جوازها، هذا جهلٌ، أمّا إذا كان ما يظنّ جوازها، لكن سبقت على لسانه، وهو يعرف أنّها محرمةٌ، لكن سبقت على لسانه كذلك، فهذا عليه التّوبة إلى الله، ولا يكون شركًا أكبر ولا كفرًا أكبر، كسائر المعاصي مثل لو قال: والله وفلانٍ، أو هذا من الله وفلانٍ ولم يقصد أنّه شريكٌ لله، ولكن تجري على لسانه عادةً.

• **س: الحديث الموجود في «صحيح مسلمٍ»: «أفلح، وأبيه إن صدق»**(١)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا نُسخ، كان أولًا يحلفون بآبائهم ثمّ نسخ.

• **س: صيغة الحلف بالأمانة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: بالأمانة أو والأمانة أو بالأمانة ما أفعل كذا.

• **س: إذا كان ما يقصد الحلف، ولكن اعتاد على هذا الشّيء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما يجوز له أن يتكلّم بهذا؛ لأنّ هذا لفظه لفظ اليمين، يترك العادة.

---

(١) متفق عليه من حديث طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان برقم (١٨٩١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام برقم (١١).

• س: نسخ العقائد، عفا الله عنك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الشّيء الّذي يتعلّق بالعقائد، له تعلّقٌ بالعقائد.

(السّائل): ممكن أن يحصل فيه النّسخ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا واقعٌ في الشّرك الأصغر، واقعٌ، أما في الشّرك الأكبر ما أعلم شيئًا.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قوله: **(ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدّق)**؛ قال الخطّابيّ: أي: بالمال الّذي كان يريد أن يقامر به، وقيل: بصدقةٍ ما لتكفّر عنه القول الّذي جرى على لسانه. قال النّوويّ: وهذا هو الصّواب، وعليه يدلّ ما في رواية مسلم: «**فَلْيَتَصَدَّقْ بِشَيْءٍ**».

وزعم بعض الحنفيّة أنّه يلزمه كفّارة يمينٍ. وفيه ما فيه.

قال عياضٌ: في هذا الحديث حجّةٌ للجمهور أنّ العزم على المعصية إذا استقرّ في القلب كان ذنبًا يكتب عليه، بخلاف الخاطر الّذي لا يستمرّ.

قلت: ولا أدري من أين أخذ ذلك مع التّصريح في هذا الحديث بصدور القول حيث نطق بقوله: **(تعال أقامرك)**، فدعاه إلى المعصية والقمار حرامٌ باتّفاقٍ، فالدّعاء إلى فعله حرامٌ، فليس هنا عزمٌ مجرّدٌ.

وسيأتي بقيّة شرحه في كتاب الأيمان والنّذور، ووقع الإلمام بمسألة العزم في أواخر الرّقاق في شرح حديث من همّ بحسنةٍ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: القسطلاني موجود أو العينيّ؟

(من الطّالب): العينيّ موجودٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما زاد شيئًا في رواية النسائي وابن ماجه عن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

(**من الطّالب**): قال: «أخرجه التّرمذيّ والنّسائيّ، وكذلك النّسائيّ في «عمل اليوم واللّيلة»».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ذكر لفظه؟

(**من الطّالب**): ما ذكر ألفاظًا.

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ، الحلف مقيّدًا، قول: لا إله إلّا الله مقيّدٌ بمن حلف باللّات والعزّى، أم يشمل كلّ حلفٍ بغير الله، مثل والنّبيّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المعنى يقتضي ذلك؛ لأنّ دواء الشّرك التوحيد، ودواء المعصية الطّاعة.

● **س: أحسن الله إليك، إنّما عبّاد القبور يقولون: إنّ هؤلاء أولياء الله، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ليس كلّهم أولياء الله، الحجر ليس من أولياء الله، والشّجر ليس من أولياء الله، أولياء الله من مات على التّوحيد والإيمان والاستقامة، وهم يعبدون ما هبّ ودبّ، وإذا عبدوا أولياء الله فقد عبدوا مخلوقًا لا يملك شرًّا ولا نفعًا، إنّما كان وليًّا لله لما أطاع الله، فإذا أحبّوا أن يكونوا أولياء لله فليطيعوا الله كما أطاعه أولئك، وليعبدوا الله كما عبدوه؛ حتّى يستحقّوا الفضل والكرامة.

● **س: أحسن الله إليك، قوله: تعال أقامرك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كذلك، قال: (**تعال أقامرك**)؛ لأنّ القمار هو المخاطرة بالمال، وأخذه بغير حقٍّ، فإذا دعا إلى الباطل وإلى أخذ المال بالباطل فليكفّر عن هذا بالصّدقة، كما دعا إلى الباطل وهو القمار، يتصدّق بما يسّر الله له؛ كفّارةً وتوبةً.

● **س: الرّهان من القمار يا شيخ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: المقامرة: المراهنة في غير السّبق بالنّصل والخفّ والحافر.

● **س: أحسن الله إليك، زيادة: «وحده لا شريك له»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: قال عليها الشّارح شيئًا؟

(الطالب): نعم.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦١٢)]: «قوله: **(فقال في حلفه)**؛ أي: في يمينه، وعند النّسائيّ وابن ماجه ـ وصحّحه ابن حبّان من حديث سعد بن أبي وقّاصٍ ـ ما يشبه أن يكون سببًا لحديث الباب، فأخرجوا من طريق مصعب بن سعدٍ عن أبيه قال: كنّا حديث عهدٍ بجاهليّةٍ؛ فحلفت باللّات والعزّى؛ فقال لي أصحابي: بئس ما قلت؛ فذكرت ذلك للنّبيّ ﷺ؛ فقال: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**...» الحديث.

قال الخطّابيّ: اليمين إنّما تكون بالمعبود المعظّم، فإذا حلف باللّات ونحوها فقد ضاهى الكفّار، فأمر أن يتدارك بكلمة التّوحيد. وقال ابن العربيّ: من حلف بها جادًّا فهو كافرٌ، ومن قالها جاهلًا أو ذاهلًا يقول: لا إله إلّا الله، يكفّر الله عنه ويردّ قلبه عن السّهو إلى الذّكر، ولسانه إلى الحقّ، وينفي عنه ما جرى به من اللّغو». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما ذكر الزيادة، «فليستعذ بالله ولينفث»؟

(من الطالب): ما ذكر شيئًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والعينيّ ما ذكر الزيادة عند النّسائيّ أو غيره، العينيّ ما له كلامٌ؟

المقصود قول ابن العربيّ: كفرٌ؛ يعني: كفرًا أصغر، الحلف باللّات والعزّى، وبالنّبيّ من الكفر الأصغر، وكانوا يحلفون بآبائهم في

أوّل الإسلام، وفي أوّل الهجرة، ثمّ نهوا عن هذا، وقال ﷺ: «**من حَلف بِشَيءٍ دون الله فقد أشرك**»(١)، في اللفظ الآخر قال: «**كفر أو أشرك**»، أمّا إذا جرت على لسانه سهوًا أو جهلًا فليقل: لا إله إلّا الله.

وهكذا لو قالها عمدًا يقولها ويتوب إلى الله، وهكذا لو قال: والنّبي، أو بالنّبيّ أو بالأمانة، أو وأبيك، أو وشرف أبيك، أيّ صيغةٍ من الصّيغ، من الحلف بغير الله، فدواء الشّرك التّوحيد والتّوبة.

• **س: إذا قالها جاهلًا أو ناسيًا، ما يقال: فعل الشّرك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولو قالها ناسيًا، يعلّم، ويقول: لا إله إلّا الله؛ لأنّ الحديث عامٌّ.

• **س: يقال فعل الشّرك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم، فعله، لكن قد يعذر؛ لأنّ مثل هذا قد يخفى، هذه أمورٌ قد تخفى على النّاس، قد تكون عادةً للنّاس في بلده وغيرهم، فقد يخفى عليه الأمر، مثل ما هو موجودٌ الآن في غالب الأمصار، غالب الأمصار الحلف بغير الله فيها كثيرٌ.

• **س: أحسن الله إليك، ما يحتمل أن مقصود ابن العربيّ إذا كان جادًّا كفر كفرًا أكبر ومعتقدًا لمعناها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، ليس كفرًا أكبر، ما كان الصّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يكفرون كفرًا أكبر، كانوا يفعلونها، ذاك الوقت غير ممنوعةٍ، ثمّ منعت، لو كانت شركًا لمنعت في أوّل وهلةٍ، لو كان شركًا أكبر لمنع من أوّل وهلةٍ.

• **س: ما يبلغ حدّ الأكبر؟**

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (١/ ٤٧، ٢/ ٣٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

إلّا إذا اعتقد أنّها تعبد من دون الله، فإذا قال: والنّبيّ، أو واللّات، واعتقد أنّه يجوز أن يعبد من دون الله كفر باعتقاده، أمّا مجرّد مرورها على اللّسان فكفرٌ أصغر، مثل: والنّبيّ، أو بالنّبيّ، أو بالأمانة، أو باللّات.

• **س: أحسن الله إليك يا شيخ، من حلف بالله كاذبًا، من قيل له في قضيةٍ: احلف بالله، فحلف بالله كاذبًا، وإذا قيل له: احلف بهذا الوليّ لا يحلف؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا من الجهل مثل ما قال ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحبّ إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا»[1]. قد يكون هذا من جهله، صار الولي في نفسه أعظم، أو نحو الولي.

• **س: أحسن الله إليك، ألا يكون هذا من الكفر الأكبر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

محتملٌ، لكن ظاهر إطلاق الأدلّة في الحلف بغير الله أنّها شركٌ أصغر، إلّا إذا اعتقد أن الوليّ أعظم من الله في نفسه، فهذا يكون كفرًا أكبر؛ لأنّهم قد يعتقدون بزعمهم أن العقوبة تكون أسرع، وأنّه يعاقب أكثر، وقد يزيّن له الشّيطان، وإن كان دون الله قد يستعجل العقوبة؛ لأنّه ما عنده صبرٌ، والله خيرٌ منه وأصبر منه، قد يكون زيّن لهم الشّيطان.

• **س: بعض النّساء تحلف بأولادها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحلف بغير الله مطلقًا محرّمٌ، لا بعيالها ولا بغير عيالها، لكن تقول: في عيالي. تعبّر فيهم مثل ما تقول: في ذمّتي، هذا ليس بحلفٍ.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه برقم (٨/ ٤٦٩) (١٥٩٢٩)، قال الهيثمي: أخرجه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح (٤/ ١٧٧).

• س: أحسن الله إليك، دعاء الجنّ والاستغاثة بهم، من كان في بلاد المسلمين، من قال: إنّه لا يكفر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يعلّم، الاستغاثة بهم شركٌ أكبر؛ بالجنّ أو بالأنبياء، أو بالأولياء، أو الملائكة.

• س: كذلك ـ أحسن الله إليك ـ لفظة في رأسي، إذا قصد بها الحلف، يقول في رأسي إني ما فعلت؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يعلّم، ليس بيمينٍ، لا.

• س: بعض النّاس إذا قيل له: احلف بالله يحلف، وإذا قيل له: أنا ما أبغي اليمين إلّا على رأس الوليّ فلانٍ ما يحلف؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

مثل ما سأل الأخ، يخشى عليه أن يكون كفرًا أكبر، لكن بعضهم قد يكون جاهلًا؛ يعني: يحسب أنّ العقوبة من هذا ستكون سريعةً؛ لأجل قلّة صبر الوليّ وقلّة ثباته، وأنّ الله أحلم منه وأكبر منه، فلا يعجّل بالعقوبة، قد يكون له تأويلٌ، ظاهر النّصوص أنّ الحلف بغير الله شركٌ أصغر، إلّا أن يقترن بها ما يقتضي الشّرك الأكبر؛ كأن يعظّم الوليّ، أو يخافه أعظم ممّا يخاف الله، ويرجوه أكثر مما يرجو الله؛ يكون شركًا أكبر، أعوذ بالله.

• س: عفا الله عنك، هل للقاضي أن يقرّه على الحلف من أجل أن يثبت الحقّ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: لا، لا يقرّه ـ أعوذ بالله ـ لا يقرّه على الحلف بغير الله.

• س: أحسن الله إليك، من قال: أمانة لا تفعل كذا، أو أمانة تصدقني القول؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعلّم، ما تصير أمانةً؛ لأنّها ليست بحلفٍ، لكن يعلّم، يتكلّم بغيرها: والله، أو بالله؛ حتّى لا يقدم على الحلف بغير الله.

• **س: قول: ولعمري؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه لا بأس بها.

• **س: من الأيمان، أم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من الأيمان، لكن لا بأس بها، ثبت عن النّبيّ ﷺ قال: «**لعمري**»[(١)]، وعن الصّحابة رضي الله عنهم، ليست بيمينٍ ممنوعةٍ، يمين لغوية، لكن ليست بيمينٍ ممنوعةٍ.

• **س: ولعمر الله؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كذا لعمر الله لا بأس بها طيّبٌ حياة الله، لكن ليست بيمينٍ، ليست بيمينٍ يعني مكفّرة، يمين من حيث اللّغة، تأكيدٌ يعني: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

اليمين تكون بأربعة أشياء: والله، وبالله، وتالله، وآلله. هذه اليمين، هذه الحروف الأربعة.

• **س: وايم الله؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هي منها: بالواو: والله، وبالله، وتالله، وآلله، وايم الله: بالواو، هذه بالواو.

• **س: هذه الّتي فيها كفّارةٌ يا شيخ فقط؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه اليمين المعتبرة.

*

---

(١) أخرجه البخاري من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب الحج، باب طواف الرجال مع النساء برقم (١٦١٨)، ومسلم في كتاب صلاة العيدين (٨٨٥).

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾ [النجم: ٢٠].**

حدّثنا الحميديّ، حدّثنا سفيان، حدّثنا الزّهريّ سمعت عروة قلت لعائشة رضي الله عنها فقالت: «إنّما كان من أهلّ لمناة الطّاغية الّتي بالمشلّل، لا يطوفون بين الصّفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٥٨]، فطاف رسول الله ﷺ والمسلمون»، قال سفيان: مناة بالمشلّل من قديدٍ، وقال عبد الرّحمن بن خالدٍ، عن ابن شهابٍ: قال عروة: قالت عائشة: «نزلت في الأنصار، كانوا هم وغسّان، قبل أن يسلموا، يهلّون لمناة» مثله، وقال معمرٌ، عن الزّهريّ، عن عروة، عن عائشة: «كان رجالٌ من الأنصار ممّن كان يهلّ لمناة، ومناة صنمٌ بين مكّة والمدينة، قالوا: يا نبيّ الله، كنّا لا نطوف بين الصّفا والمروة تعظيمًا لمناة» نحوه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة: ١٥٨] يبطل ما هم عليه من عدم الطّواف بين الصّفا والمروة؛ تعظيمًا لمناتهم، فبيّن الله جل جلاله أن لا حرج عليهم، ثمّ فعل النّبيّ ذلك؛ فسعى، وقال: «**خذوا عني مناسككم**»، «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ**»[1]، فدلّ على فرض السّعي كفرض الطّواف، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كان هذا في أوّل الإسلام قبل الهجرة ثمّ نسخ، ونهي عن المسابقة بالمال إلّا في أمورٍ ثلاثةٍ: النّصل، والخفّ والحافر: «**لَا سَبَقَ إِلَّا فِي**

(١) سبق تخريجه في (٣/ ١٠٤).

خُفٍّ أَوْ فِي حَافِرٍ أَوْ نَصْلٍ»[١]، التّراهن على غير ذلك ما يصحّ بالمال، هذا هو المعتمد الّذي عليه جمهور أهل العلم، وهو الصّواب.

*

مدى صحة قصة الغرانيق

□ ورد في تفسير الجلالين في سبب نزول الآية (٥٢) من سورة الحج: أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو يقرأ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩، ٢٠]، أن الشيطان ألقى على لسانه: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فهل هناك ما يدل على صحة هذه القصة من أحاديث الرسول ﷺ؟ أم هي من الإسرائيليات؟ أفيدونا أفادكم الله[٢].

ليس في إلقاء هذه الألفاظ في قراءته ﷺ حديث صحيح يُعتمَد عليه فيما أعلم، ولكنها رُويت عن النبي ﷺ في أحاديث مرسلة، كما نبَّه على ذلك الحافظ ابن كثير في تفسير آية الحج، ولكن إلقاء الشيطان في قراءته ﷺ في آيات النجم وهي قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ الآيات، شيء ثابت بنص الآية في سورة الحج، وهي قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢]؛ فقوله سبحانه: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الحج: ٥٢]؛ أي: تلا، وقوله ـ سبحانه ـ:

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في السبق برقم (٢٥٧٤)، والترمذي في كتاب الجهاد، باب ما جاء في الرهان والسبق برقم (١٧٠٠)، وابن ماجه في كتاب الجهاد، باب في السبق والرهان برقم (٢٨٧٨)، والنسائي في كتاب الخيل، باب السبق برقم (٣٥٨١٥)، والإمام أحمد (٢/ ٣٥٦ و٣٥٨ و٣٨٥ و٤٢٤ و٤٧٤).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٤/ ٢٨٢).

﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]؛ أي: في تلاوته، ثم إن الله ـ سبحانه ـ ينسخ ذلك الذي ألقاه الشيطان ويوضِّح بطلانه في آيات أخرى، ويحكم آياته ابتلاءً وامتحانًا، كما قال سبحانه بعد هذا: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ الآيات [الحج: ٥٣].

فالواجب على كل مسلم أن يحذر ما يلقيه الشيطان من الشبه على ألسنة أهل الحق وغيرهم، وأن يلزم الحق الواضح بالأدلة، وأن يفسِّر المشتبه بالمحكم؛ حتى لا تبقى عليه شبهة، كما قال الله ـ سبحانه ـ في أول سورة آل عمران: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [٧]، وصحَّ عن النبي ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها؛ أنه قال: «**فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ**»(١)، متفق على صحته.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢](٢).

إن علماء التفسير ـ يرحمهم الله ـ اختلفوا في تفسير ذلك، وذكروا أقوالًا في معناه، أحسنها **قولان**:

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب منه آيات محكمات برقم (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن برقم (٢٦٦٥).

(٢) نُشر السؤال والجواب في جريدة المسلمون العدد (٥٣٠) بتاريخ ٣/ ١٠/ ١٤١٥هـ. انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٩٨).

أحدهما: أن المراد به: ما يلمُّ به الإنسان من صغائر الذنوب؛ كالنظرة والاستماع لبعض ما لا يجوز من محقِّرات الذنوب وصغائرها ونحو ذلك، وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة من السلف، واحتجوا على ذلك بقوله سبحانه في سورة النساء: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [٣١] قالوا: المراد بالسيئات المذكورة في هذه الآية هي: صغائر الذنوب، وهي: اللمم؛ لأن كل إنسان يصعب عليه التحرز من ذلك، فمن رحمة الله سبحانه أن وعد المؤمنين بغفران ذلك لهم إذا اجتنبوا الكبائر، ولم يصروا على الصغائر. وأحسن ما قيل في ثبوت الكبائر: إنها المعاصي التي فيها حدّ في الدنيا؛ كالسرقة، والزنى، والقذف، وشرب المسكر، أو فيها وعيد في الآخرة بغضب من الله أو لعنة أو نار؛ كالربا، والغيبة، والنميمة، وعقوق الوالدين.

ومما يدل على غفران الصغائر باجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر قول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ**»(١)، ومن الأدلة على وجوب الحذر من الصغائر والكبائر جميعًا وعدم الإصرار عليها قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج برقم (٦٢٤٣)، وفي كتاب القدر، باب ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾، ومسلم في كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره برقم (٦٢٥٧).

جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

القول الثاني: أن المراد باللمم: هو ما يلمُّ به الإنسان من المعاصي ثم يتوب إلى الله من ذلك، كما قال في الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ الآية [آل عمران: ١٣٥]، وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿...وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ﴾ [النور: ٣١]، وما جاء في معنى ذلك من الآيات الكريمات، وقول النبي ﷺ: «**كل ابنِ آدم خَطّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوابُونَ**»(١)، ولأن كل إنسان معرَّض للخطأ، والتوبة النصوح يمحو الله بها الذنوب، وهي المشتملة على الندم على ما وقع من المعصية، والإقلاع عنها، والعزيمة الصادقة على ألا يعود إليها؛ خوفًا من الله سبحانه، وتعظيمًا له، ورجاء مغفرته.

ومن تمام التوبة إذا كانت المعصية تتعلق بحق الآدميين؛ كالسرقة، والغصب، والقذف، والضرب، والسب، والغيبة، ونحو ذلك أن يعطيهم حقوقهم، أو يستحلَّهم منها؛ إلا إذا كانت المعصية غيبة ـ وهي الكلام في العرض ـ ولم يتيسر استحلال صاحبها؛ حذرًا من وقوع شر أكثر فإنه يكفي في ذلك أن يدعو له بظهر الغيب، وأن يذكِّره بما يعلم من صفاته الطيبة، وأعماله الحسنة في الأماكن التي اغتابه فيها، ولا حاجة إلى إخباره بغيبته إذا كان يخشى الوقوع في شر أكثر.

وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه رضاه، وأن يحفظنا وإياكم من كل سوء، وأن يمن علينا جميعًا بالاستقامة على دينه، والسلامة من أسباب غضبه، والتوبة إليه سبحانه من جميع ما يخالف شرعه، إنه جواد كريم.

*

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه في كتاب صفة القيامة عن رسول الله ﷺ، باب برقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة برقم (٤٢٥١).

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢][1].

هذه الآية في التحذير من المنِّ بالعطية والأذى والصدقة، الواجب على المؤمن إذا أعطى وتصدَّق ألا يمنَّ ولا يؤذي، وأن يكون كريم الأخلاق، طيب النفس، يعطي إخوانه، يتصدق يحسن؛ لكن لا يَمنُّ ولا يؤذي المُعطى؛ قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٢ ـ ٢٦٤].

المؤمن لا يبطل صدقاته ومعروفَهُ بالمنِّ والأذى على إخوانه أو على الفقراء، بل يتصدق ويحسن ولا يمن ولا يؤذي، يرجو ما عند الله ﷻ، وهكذا يجب على المؤمن أن يحذر الفخر والخيلاء والعجب والبغي على الناس؛ لماذا؟ أنت ابن آدم من تراب، من نطفة، من ماء مهين، يجب على المؤمن أن ينظر إلى أصله وحاله، وأنه مسكين ضعيف خُلِق من ماء مهين، يحتاج إلى قضاء الحاجة، يحتاج إلى الطعام والشراب، ثم سوف يُعاد ويُجازَى بعمله؛ فالواجب أن لا يفخر، وألا يبغي، وألا يظلم؛ بل يعتدل ويستقيم ويتواضع، يرجو ما عند الله ﷻ والله يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]؛ فالمؤمن لا يزكي نفسه تفاخرًا وعجبًا أو لمقاصد أخرى من المقاصد السيئة؛ بل يتواضع لله ويخاف الله ويراقبه أينما كان؛ ولهذا يقول ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٢]، ويقول ﷻ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

---

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٤/ ٣٣٦).

وفي حديث عياض بن حمار المجاشعي ﵁ يقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**[(١)]»؛ فالتواضع أمر مطلوب، يقول النبي ﷺ: «**مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»[(٢)]. وإذا تأمل في نفسه وضعفه ومنشئه ومصيره أوجب له ذلك التواضع، أما إذا أعرض عن ذلك ونظر إلى ماله أو وظيفته أو جاهه، قد يغرُّه الشيطان فيتكبر ويبغي، الواجب الحذر، في الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ: المَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ، وَالمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الفَاجِرِ، وَالمُسْبِلُ إِزَارَهُ**»[(٣)]. المؤمن يحذر ألا يقع في هذه المشاكل، والإسبال الغالب يكون عن تكبُّر، ويقول في الحديث الصحيح: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**». وقد يتساهل ويسبل ولا يريد التفاخر ولا البغي ولا الكبر؛ ولكن يحذر، والحديث أن الصدِّيق ﵁ قَالَ: (يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ إِزَارِي يَسْتَرْخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ؟) فَقَالَ ﷺ: «**لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خُيَلَاءَ**»[(٤)]؛ فالمؤمن إذا تعاهد إزاره وتعاهد ثيابه سلم من هذا الوعيد؛ لكن من جرَّ ثوبه يتهم بالخيلاء يمنع من ذلك، من يفتش على قلبه،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في التواضع برقم (٤٨٩٥)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب البغي برقم (٤٢١٤).

(٢) سبق تخريجه في (٤/ ٤٠٠).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر ﵁ في كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إسبال الإزار... برقم (١٠٦)

(٤) متفق عليه من حديث أبي عمرو ﵄، أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا » برقم (٣٦٦٥)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم جر الثوب خيلاء... إلخ برقم (٢٠٨٥).

الصادق الذي ليس يجر ثوبه خيلاء، الصادق يصون ثيابه، ويرفع ثيابه، ويصون عرضه؛ ولهذا لم يقيد النبي ﷺ المسبل إزاره، وأطلق «**مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ**»[١]. أطلق فدلَّ على أنه يحرم الإسبال مطلقًا؛ ولكن مع الكبر يكون الإثم أعظم.

فالمؤلف حين قيَّد بالخيلاء ليس على إطلاقه، بل مع الخيلاء يكون أشد إثمًا، وإلا فالرسول في الأحاديث الكثيرة لم يقيِّد، وإنما قال للصدِّيق: «**لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خُيَلَاءَ**»، وقال في حديث ابن عمر: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**». هذا وعيد خاص، وهكذا من أسبل إزاره أو عباءته أو سراويله أو قميصه فيه الوعيد؛ لكن إذا كان عن خيلاء، وعن قصد صار الإثم أعظم، نسأل الله العافية.

والحديث الصحيح يقول ﷺ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**»[٢]؛ يعني: هو أشدهم هلاكًا، الروايات المختارة «أهلكُهمُ» بالضم، وروى بعضهم «فهو أهلكهم»؛ يعني: هو الذي أهلكهم وإلا ما هلكوا، ولكن هو الذي أهلكهم بقوله، والأرجح في الرواية؛ «فهو أهلكُهُم»؛ يعني: أشدهم هُلكًا؛ لأنه في الغالب يقول ذلك عن تكبُّر، عن تعاظم، عن عجب بنفسه وعمله، هلك الناس، لا؟ لا تقول: هلك الناس، أما هلك الأكثرون فما يخالف ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] أكثر الناس على الباطل كما قاله الله ﷻ؛ لكن أنت لا تقول: هلك الناس، قل: هلك الأكثرون، كما قال الله لا بأس، ثم احذر أن تقول هذا عُجبًا وتكبرًا، لا، من باب الإخبار عن الواقع،

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب اللباس، باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار برقم (٥٧٨٧).

(٢) سبق تخريجه في (٣/ ٦٦٤).

تقول: هلك الناس، أكثر الناس على الباطل، كالتعزية عند وجود المنكرات، لكن أنت بنفسك احذر أن تتأسَّى بالأكثرين في أسباب الهلاك، بل احذر.

* *

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم][١].

حدّثنا أبو معمرٍ، حدّثنا عبد الوارث، حدّثنا أيّوب، عن عكرمة، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: «سجد النّبيّ ﷺ بالنّجم، وسجد معه: المسلمون، والمشركون، والجنّ، والإنس»، تابعه ابن طهمان عن أيّوب، ولم يذكر ابن عليّة ابن عبّاسٍ[٢].

حدّثنا نصر بن عليٍّ، أخبرني أبو أحمد؛ يعني: الزبيري، حدّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله رضي الله عنه قال: «أوّل سورةٍ أنزلت فيها سجدةٌ ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾، قال: فسجد رسول الله ﷺ، وسجد من خلفه، إلّا رجلًا رأيته أخذ كفًّا من ترابٍ فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافرًا، وهو أميّة بن خلفٍ»[٣].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وذلك أنّهم سمعوه ذكر اللّات والعزّى؛ فظنّوا أنّ هذا تعظيمٌ لها، فلمّا سجد في مكّة سجدوا، سجد النّاس، حتّى بلغ ذلك أهل الحبشة ـ مسلمي الحبشة ـ فجاؤوا، فقدم بعضهم وظنّوا أنّ قريشًا دخلت في

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا ۩ ﴿٦٢﴾﴾ برقم (٤٨٦٢).

(٣) متفق عليه من حديث عبد الله رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا ۩ ﴿٦٢﴾﴾ برقم (٤٨٦٣)، ومسلم في كتاب المساجد، باب سجود السهو برقم (٥٧٦).

الإسلام، فلمّا علموا من إنكار عبادة اللّات والعزّى رجعوا إلى ضلالهم وكفرهم وباطلهم.

ويروى أنّه ألقي في قراءته: تلك الغرانيق العلى، وإنّ شفاعتهنّ لترتجى. فقالوا: ما دام مدح آلهتنا؛ سجدوا معه. يقال له: حديث الغرانيق.

وهذا منهم من أثبتها، ومنهم من نفاها ـ قصّة الغرانيق ـ ولكنّ الآية الكريمة تدلّ على أنه ألقي في قراءته ﷺ شيءٌ، شبّه عليهم، قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾؛ يعني: قرأ ﴿أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾؛ يعني: في تلاوته ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ [الحج: ٥٢]، روي أنّه ألقي في قراءته: تلك الغرانيق العلى، وإنّ شفاعتهنّ لترتجى. وقال جماعةٌ: إنّ أسانيدها غير ثابتةٍ، ذكر ابن كثيرٍ رحمه الله: أنّها إسرائيليات، وأنّها مرسلاتٌ لم تثبت، وبعضهم أثبتها.

وبكلّ حالٍ: فالشّيطان ألقى في أمنيّته، ألقى شيئًا في قراءة النّبيّ ﷺ؛ حتّى ظنّوا أنّه عظّم هذه الآلهة؛ فسجدوا؛ لأنّ نصّ القرآن يدلّ على ذلك، ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾؛ يعني: تلا ﴿أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾؛ يعني: في تلاوته ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾؛ يعني: من الكلام الباطل يزيله الله ويبينه ﴿ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ [الحج: ٥٢].

فهم لمّا سمعوا ما ألقاه الشّيطان من كلمات الغرانيق العلى أو غيرها سجدوا، وظنّوا أنّه وافقهم على تعظيمها، ثمّ لمّا عرفوا أنّه أنكر عبادتها وكفّر من عبدها عادوا إلى ضلالهم وكفرهم، نسأل الله العافية.

• **س: يا شيخ، ألم تكن سورة العلق هي أوّل سورةٍ أنزلت فيها السّجدة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سورة «اقرأ» أوّل سورةٍ أنزلت، لكن أوّلها فقط، أمّا آخرها فنزل بعد ذلك، ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥] هذه الآية أول ما أنزل على النبيّ ﷺ.

• **س: ترجيحكم للغرانيق، ما ترون؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

محتملٌ؛ لها طرقٌ كثيرةٌ، الشيخ محمّدٌ بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ جزم بها في بعض كتبه؛ لأنّها جاءت من طرقٍ كثيرةٍ، وابن كثيرٍ ذكر أنّها مرسلاتٌ متعددةٌ، وبعضهم قال: لا صحة لها. ولكن المعنى موجودٌ في القرآن ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] سواءٌ: تلك الغرانيق، أو كلامًا آخر، النّصّ ثابتٌ.

• **س: أحسن الله إليك، كلمة: والجنّ من أين عرف هذا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كأنّه أخبرهم النّبيّ ﷺ؛ كأنّ الرّسول ﷺ أخبرهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال الشّارح على الحديثين: ابن عبّاسٍ وابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥١٦)]: «قوله: (**باب فاسجدوا لله واعبدوا**): في رواية الأصيليّ: «واسجدوا»، وهو غلطٌ.

قوله: (**سجد النّبيّ ﷺ بالنّجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجنّ والإنس**): تابعه ابن طهمان عن أيّوب في رواية أبي ذرّ: إبراهيم ابن طهمان.

قوله: ولم يذكر ابن علية ابن عبّاسٍ، أمّا متابعة إبراهيم بن طهمان

فوصلها الإسماعيليّ من طريق حفص بن عبد الله النّيسابوريّ عنه بلفظ: أنّه قال حين نزلت السّورة الّتي يذكر فيها النّجم: «سجد لها الإنس والجنّ». وقد تقدّم ذكرها في سجود التّلاوة.

وأما حديث ابن عليّة فالمراد به: أنّه حدّث به عن أيّوب؛ فأرسله وأخرجه ابن أبي شيبة عنه وهو مرسلٌ، وليس ذلك بقادحٍ؛ لاتّفاق ثقتين عن أيّوب على وصله، وهما عبد الوارث وإبراهيم بن طهمان.

قوله: **(والجنّ والإنس)**: إنّما أعاد الجنّ والإنس مع دخولهم في المسلمين؛ لنفي توهّم اختصاص ذلك بالإنس، وسأذكر ما فيه في الكلام على الحديث الّذي بعده.

قال الكرمانيّ: سجد المشركون مع المسلمين؛ لأنّها أوّل سجدةٍ نزلت؛ فأرادوا معارضة المسلمين بالسّجود لمعبودهم أو وقع ذلك منهم بلا قصدٍ، أو خافوا في ذلك المجلس من مخالفتهم.

قلت: والاحتمالات الثّلاثة فيها نظرٌ، والأوّل منها لعياضٍ، والثّاني يخالفه سياق ابن مسعودٍ، حيث زاد فيه أنّ الّذي استثناه منهم أخذ كفًّا من حصىً فوضع جبهته عليه؛ فإنّ ذلك ظاهرٌ في القصد، والثّالث أبعد؛ إذ المسلمون حينئذٍ هم الّذين كانوا خائفين من المشركين لا العكس.

قال: وما قيل من أنّ ذلك بسبب إلقاء الشّيطان في أثناء قراءة رسول الله ﷺ لا صحّة له عقلًا ولا نقلًا. انتهى.

ومن تأمّل ما أوردته من ذلك في تفسير سورة الحجّ عرف وجه الصّواب في هذه المسألة، بحمد الله تعالى.

قوله: **(عن عبد الله)**: هو ابن مسعودٍ، وأبو أحمد المذكور في إسناده هو محمّد بن عبد الله بن الزّبير الزّبيريّ.

قوله: **(أوّل سورةٍ أنزلت فيها سجدةٌ والنّجم قال: فسجد**

رسول الله ﷺ)؛ أي: لمّا فرغ من قراءتها، وقد قدمت في تفسير الحج من حديث ابن عبّاسٍ بيان ذلك والسّبب فيه، ووقع في رواية زكريّا عن أبي إسحاق في أوّل هذا الحديث أنّ أوّل سورةٍ استعلن بها رسول الله ﷺ فقرأ على النّاس النّجم، وله من رواية زهير بن معاوية أوّل سورةٍ قرأها على النّاس النّجم.

قوله: **(إلّا رجلًا)**: في رواية شعبة: «في سجود القرآن، فما بقي أحدٌ من القوم إلّا سجد؛ فأخذ رجلٌ من القوم كفًّا من حصىً». وهذا ظاهره تعميم سجودهم، لكن روى النّسائيّ بإسنادٍ صحيحٍ عن المطّلب بن أبي وداعة قال: قرأ النّبيّ ﷺ بمكّة والنّجم؛ فسجد وسجد من عنده، وأبيت أن أسجد ـ ولم يكن يومئذٍ أسلم ـ قال المطّلب: فلا أدع السّجود فيها أبدًا.

فيحمل تعميم ابن مسعودٍ على أنّه بالنّسبة إلى من اطّلع عليه.

قوله: **(كفًّا من ترابٍ)**: في رواية شعبة: كفًّا من حصىً أو ترابٍ.

قوله: **(فسجد عليه)**: في رواية شعبة: «فرفعه إلى وجهه؛ فقال: يكفيني هذا».

قوله: **(فرأيته بعد ذلك قتل كافرًا)**: في رواية شعبة: قال عبد الله بن مسعودٍ: فلقد رأيته بعد قتل كافرًا.

قوله: **(وهو أميّة بن خلفٍ)**: لم يقع ذلك في رواية شعبة، وقد وافق إسرائيل على تسميته زكريّا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق عند الإسماعيليّ، وهذا هو المعتمد، وعند ابن سعدٍ: أنّ الّذي لم يسجد هو الوليد بن المغيرة، قال: وقيل: سعيد بن العاص بن أميّة، قال: وقال بعضهم: كلاهما جميعًا، وجزم ابن بطّالٍ في باب سجود القرآن بأنّه الوليد! وهو عجيبٌ منه مع وجود التّصريح بأنّه أميّة بن خلفٍ، ولم يقتل ببدرٍ كافرًا من الّذين سمّوا عنده غيره.

ووقع في تفسير ابن حبّان أنّه أبو لهبٍ، وفي «شرح الأحكام» لابن بزيزة أنّه منافقٌ، وردّ بأنّ القصّة وقعت بمكّة بلا خلافٍ، ولم يكن النّفاق ظهر بعد.

وقد جزم الواقديّ بأنّها كانت في رمضان سنة خمسٍ، وكانت المهاجرة الأولى إلى الحبشة خرجت في شهر رجبٍ؛ فلمّا بلغهم ذلك رجعوا فوجدوهم على حالهم من الكفر؛ فهاجروا الثّانية، ويحتمل أن يكون الأربعة لم يسجدوا، والتعميم في كلام ابن مسعودٍ بالنّسبة إلى ما اطّلع عليه كما قلته في المطلب، لكن لا يفسّر الّذي في حديث ابن مسعودٍ إلّا بأميّة لما ذكرته، والله أعلم». [انتهى كلامه].



تفسير آيات من سورة القمر(١)

قال مجاهدٌ: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]: ذَاهِبٌ، ﴿مُزْدَجَرٌ﴾ [٤]: مُتَنَاهٍ، ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ [٩]: فَاسْتُطِيرَ جُنُونًا، (دُسُرٍ) [١٣]: أَضْلَاعُ السَّفِينَةِ، ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [١٤]: يَقُولُ: كُفِرَ لَهُ جَزَاءً مِنَ اللهِ، ﴿مُّحْتَضَرٌ﴾ [٢٨]: يَحْضُرُونَ الْمَاءَ، وَقَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ: ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ [٨]: النَّسَلَانُ، الْخَبَبُ: السِّرَاعُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ [٢٩]: فَعَاطَهَا بِيَدِهِ، فَعَقَرَهَا، ﴿ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [٣١]: كَحِظَارٍ مِنَ الشَّجَرِ مُحْتَرِقٍ، ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ [٩]: افْتُعِلَ مِنْ زَجَرْتُ، ﴿كُفِرَ﴾ [١٤] فَعَلْنَا بِهِ وَبِهِمْ مَا فَعَلْنَا جَزَاءً لِمَا صُنِعَ بِنُوحٍ وَأَصْحَابِهِ، ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ [٣]: عَذَابٌ حَقٌّ، يقال: الأَشَرُ: الْمَرَحُ وَالتَّجَبُّرُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «الخبب السّراع» كذا؟ أو الإسراع. كذا عندكم؟

(من القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: تكلّم الحافظ بشيءٍ؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٥١٦)]: «وقوله: **(الخبب)** ـ بفتح المعجمة والموحدة بعدها أخرى ـ تفسير **(النّسلان)**. و**(السّراع)** تأكيدٌ له». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يعني: مصدر سارع سراعًا.

*

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟﴾ [القمر: ١، ٢].**

حدّثنا مسدّدٌ، حدّثنا يحيى، عن شعبة وسفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمرٍ، عن ابن مسعودٍ قال: «انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقةً فوق الجبل، وفرقةً دونه»، فقال رسول الله ﷺ: «**اشْهَدُوا**»(١).

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا سفيان، أخبرنا ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ، عن أبي معمرٍ، عن عبد الله قال: «انشقّ القمر ونحن مع النّبيّ ﷺ، فصار فرقتين، فقال لنا: «**اشْهَدُوا اشْهَدُوا**»(٢).

الشّرح: اللّهمّ صلّ عليه وسلّم، هذه من آياته - عليه الصّلاة والسّلام -، وأنّه رسول الله حقًّا. اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

*

حدّثنا يحيى بن بكيرٍ، قال: حدّثني بكرٌ عن جعفرٍ، عن عراك بن مالكٍ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعودٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: «انشقّ القمر في زمان النّبيّ ﷺ»(٣).

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ برقم (٤٨٦٤)، ومسلم في كتاب الجنة والنار. باب انشقاق القمر برقم (٢٨٠٠).

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ برقم (٤٨٦٥)، ومسلم في كتاب الجنة والنار. باب انشقاق القمر برقم (٢٨٠٠).

(٣) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟﴾ برقم (٤٨٦٦)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب انشقاق القمر برقم (٢٨٠٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تكلّم على السّند هذا بشيءٍ؟ أو العينيّ؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦١٧)]: «وبكرٌ فيه هو ابن مضر، وجعفر هو ابن ربيعة». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طيب.

*

حدّثنا عبد الله بن محمّدٍ، حدّثنا يونس بن محمّدٍ، حدّثنا شيبان، عن قتادة، عن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «سأل أهل مكّة أن يريهم آيةً، فأراهم انشقاق القمر»(١).

حدّثنا مسدّدٌ، حدّثنا يحيى، عن شعبة، عن قتادة، عن أنسٍ قال: «انشقّ القمر فرقتين»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه من آيات الله الّتي أيد الله بها نبيّه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، مثل ما قال ابن مسعودٍ فيما تقدّم، مضى الانشقاق؛ يعني: القمر، ومضى الدّخان، ومضى اللّزام: البطشة، هذا انشقاق القمر، صار فرقتين؛ آيةً من آيات الله جَلَّ وَعَلَا ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١، ٢]، يقولون: سحرنا محمّدٌ؛ فاسألوا القادمين، إن كان حقيقةً فيعرفه غيرنا، فسألوا فعرف النّاس انشقاق القمر، وهو من آيات الله العظيمة جَلَّ وَعَلَا، والله المستعان.

*

---

(١) متفق عليه من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ...﴾ إلخ برقم (٤٨٦٧)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب انشقاق القمر (٢٨٠٢).

(٢) المصدر السابق.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥﴾ [القمر: ١٤، ١٥].

قال قتادة: «أبقى الله سفينة نوحٍ حتّى أدركها أوائل هذه الأمّة».

حدّثنا حفص بن عمر، حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن عبد الله قال: «كان النّبيّ ﷺ يقرأ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

آية نوحٍ آيةٌ عظيمةٌ، كون الله ﷻ أمهلهم مدّةً طويلةً، ألف سنةٍ إلّا خمسين عامًا، تسعمائة سنةٍ وخمسين سنةً ونوحٌ يدعوهم إلى الله؛ يدعوهم إلى الحقّ، وإلى توحيد الله، وهم يستكبرون، هذا الحلم العظيم؛ حلم الله عليهم ﷻ، فعند هذا أمر بصنع السّفينة، وكانوا يستهزئون به؛ تصنع سفينةٌ؟! تمشي في البرّ السّفينة؟! وهو يسخر منهم كما سخروا، فسوف يعلمون.

فعندما تمّت الصّنعة أنبع الله الماء من تحتٍ، وأنزل المطر من فوقٍ، والتقى الماء على أمرٍ قد قدر، وارتفعت السّفينة بأهلها، ونجّاهم الله من الغرق، وأهلك أهل الأرض لكفرهم وضلالهم وعنادهم، هذه من آيات الله العظيمة.

وهو أوّل رسولٍ أرسله الله إلى أهل الأرض بعد ما وقع الشّرك فيها، كان قبل آدم رسولٌ إلى ذريته وهم على الإسلام؛ حتّى وقع الشّرك في قوم نوحٍ، فأرسل الله إليهم نوحًا، فهو أول رسولٍ أرسل إلى أهل الأرض بعد ما وقع فيهم الشّرك، ودعاهم إلى الله ليلًا ونهارًا، سرًّا

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه في كتاب التفسير، باب ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾... إلخ برقم (٤٨٦٩)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يتعلق بالقراءات برقم (٨٢٣).

وجهارًا ألف سنةٍ إلّا خمسين عامًا؛ كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٤، ١٥]، آيةٌ، سبحان الله ما أعظم شأنه! الله أكبر.

● **س: عفا الله عنك، الطّوفان عمّ الأرض كلّها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم، الله المستعان، ما بقي أحدٌ إلّا من كان مع نوحٍ في السّفينة.

● **س: من يقول: إن إدريس قبل نوحٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: لا غلطٌ.

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ، هل هناك ضابطٌ معينٌ لليمين الّتي فيها كفارةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

اليمين بالله، أو صفةٌ من صفاته ﷻ، وهكذا إذا علّق شيئًا على شرط يريد الحثّ أو المنع له حكم اليمين في الكفّارة عند السّلف، مثل: عليه الطّلاق ليسافرنّ كذا، أو مثل عليه الصّدقة بكذا، عليه العتق بكذا، أن يسافر، أن يكلّم فلانًا، ألا يكلّم، قصده المنع أو الحثّ، هذه عند السّلف لها حكم اليمين، في الكفّارة يعني لا في التحّريم، بس في الكفّارة.

لو قال: عليه الطّلاق لا يكلمنّ فلانًا ما قصده إلّا التّكليم فقط، فالصّواب أنّه إذا لم يكلمه عليه كفارة يمينٍ، أو قال: عليّ الصدقة بمالي، أو: عليّ الصدقة بمليون دينارٍ، أو بألف دينارٍ إن لم أكلّم فلانًا، قصده حثّ نفسه؛ هذا حكمه حكم اليمين كما أفتى به جماعةٌ من الصّحابة رضي الله عنهم؛ وهو الصّواب، وهو الّذي قرّره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيّم وجماعةٌ رحمة الله عليهم، له حكم اليمين.

• **س: من حرّم زوجته يقصد اليمين يا شيخ الله يحفظك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا قال: عليه الحرام لا يأكلنّ كذا أو لا يفعلنّ كذا؛ حكم اليمين.

• **س: صيام كفارة اليمين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأحوط أن يتابع؛ لأنّه قرأ ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «متتابعاتٍ»، كونه يتابع هو الّذي ينبغي خروجًا من الخلاف.

• **س: إذا قال: عليه الحرام من زوجته ـ يا شيخ ـ يقصد اليمين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عليه كفارة يمينٍ، إلّا إذا قصد تحريمها عليه كفّارة الظّهار، وأما إذا قصد الحثّ والمنع قال: عليّ الحرام ما قصده تحريم الزّوجة، قصده يلزّم نفسه بهذا الشّيء، عليّ الحرام لا يكلمنّ فلانًا، عليّ الحرام ليضربنّ فلانًا، ما قصده إلّا حثّ نفسه على هذا الفعل، أو عليّ الحرام لا يسافر، أو عليّ الحرام ما يكلّم فلانًا.

• **س: أصلح الله أمرك يا شيخ، انشقاق القمر عن يمينه وعن شماله الجبل أم فوقه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: مثل ما سمعت، فوقه وتحته.

❋

❐ **ما تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧][١].

الآية عامة، قال بعضهم: هل من طالب للعلم فيُعان عليه؟ ولكنها

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٠٢).

في القرآن أخص، والمعنى: أن الله ﷻ يسَّره للحفظ والفهم والتدبر، فجدير بالمؤمن والمؤمنة العناية بهذا القرآن حفظًا وتلاوةً وتدبرًا ومذاكرةً، فالطالب يذاكر مع زميله ومع زملائه، والطالبة كذلك مع زميلاتها ومع المدرسة، أو مع أخيها أو مع أبيها من باب التعاون على البر والتقوى، كل واحد يبذل وسعه مع زميله مع أبيه مع أخيه مع أمه إن كانت تحفظ، وهكذا البنت مع أمها مع أبيها مع أخيها مع المدرسة مع الزميلات، ومتى صدق الطالب والطالبة يسَّر الله الأمر.

ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾، فالله يسَّره للذكر، ومن الذكر حفظه وتدبّره وتعقّله والإكثار من تلاوته، والعناية بالعمل به كل هذا من الذكر، فالذكر يكون قلبيًّا ولسانيًّا وعمليًّا، وطلب العلم لذلك كونه يدرس القرآن، بطلب العلم، والتفقُّه في الدين، ولو ما حفظه يُعان على ذلك إذا صلحت نيته، وإذا حفظه كان أكمل وأكمل.

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾ [القمر: ٢٠، ٢١].

حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا زهيرٌ، عن أبي إسحاق أنّه سمع رجلًا سأل الأسود: فهل من مدّكرٍ، أو مذّكرٍ؟ فقال: «سمعت عبد الله يقرؤها: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ قال: «وسمعت النّبيّ ﷺ يقرؤها: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾ دالًا»(١).

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ برقم (٤٨٧١)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يتعلق بالقراءات برقم (٨٢٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: متذكر.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [القمر: ٢٢][1].

قال مجاهد: يسّرنا هَوَّنَّا قراءته.

حدّثنا مسدّدٌ، عن يحيى، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النّبيّ ﷺ «أنّه كان يقرأ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مدّكر يعني متذكّر، فيجازى ويثاب. وهذا فيه الحثّ على القراءة: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾، والله المستعان.

ومعنى ﴿مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾: متذكّرٌ لما يتلو ولما يسمع؛ لأنّ الله جعل فيه العظات والذّكرى والتّوجيه إلى الخير، والتّحذير من الشّرّ، فهل هناك من يتذكّر ويتدبّر ويتعقّل؟

هذه الآيات العظيمة، والدّلائل الواضحة الّتي تهدي من أراد الهدى إلى طريق الحقّ.

والمقصود: الحثّ على التّذكّر والتّدبر، فهو استفهامٌ معناه الحثّ والتحريض والترغيب في التّدبر والتعقّل والتّذكّر، وألّا يقرأ قراءة الغافل المُعرض؛ بل إذا قرأ يقرأ قراءة المتدبّر المتعقّل المريد للفائدة.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ برقم (٤٨٧٠)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يتعلق بالقراءات برقم (٨٢٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال الشّارح عليه؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦١٧)]: «قوله: (**أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ** ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٢٢﴾): أي: بالدّال المهملة، وسبب ذكر ذلك أنّ بعض السّلف قرأها بالمعجمة، وهو منقولٌ أيضًا عن قتادة، ثمّ ذكر المصنّف لهذا الحديث خمس تراجم في كلّ ترجمةٍ آيةٌ من هذه السّورة، ومدار الجميع على أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، وساق في الجميع الحديث المذكور؛ ليبيّن أنّ لفظ مدّكرٍ في الجميع واحدٌ.

وقد تكرّر في هذه السّورة قوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٢٢﴾ بحسب تكرّر القصص من أخبار الأمم؛ استدعاءً لأفهام السّامعين؛ ليعتبروا، وقال في الأولى: وقال مجاهدٌ: يسّرنا: هوّنّا قراءته. وقال في الثّانية عن أبي إسحاق: أنّه سمع رجلًا سأل الأسود ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٢٢﴾ أو مذّكرٍ؛ أي: بمعجمةٍ أو مهملةٍ... فذكر الحديث، وفي آخره دالًا؛ أي: مهملةً ولفظ الثّالث والرّابع كالأوّل، ولفظ الخامس عن عبد الله قرأت على النّبيّ ﷺ: «**فَهَلْ مِنْ مُذَّكِرٍ**»؛ أي: بالمعجمة؛ فقال: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٢٢﴾؛ أي: بالمهملة، وأثر مجاهدٍ وصله الفريابيّ، وسيأتي في التّوحيد.

وقوله: ﴿مُّدَّكِرٍ ۝٢٢﴾: أصله مذتكرٌ بمثنّاةٍ بعد ذالٍ معجمةٍ؛ فأبدلت التّاء دالًا مهملةً، ثمّ أهملت المعجمة لمقاربتها، ثمّ أدغمت.

وقوله في الطّريق الرّابع: حدّثنا محمّدٌ، حدّثنا غندرٌ: كذا وقع محمّدٌ غير منسوبٍ، وهو ابن المثنى أو ابن بشار أو ابن الوليد البسريّ. وقد أخرجه الإسماعيليّ من رواية محمّد بن بشّارٍ بندارٌ.

وقوله في الخامسة: حدثنا يحيى: هو ابن موسى». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يكفي.

*

□ **يسأل عن الآية الكريمة:** ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ [القمر: ٣١](١).

هذا لأصحاب ثمود عُذِّبوا لما عصوا وخالفوا وعقروا الناقة أرسل الله عليهم صيحة، فكانوا كهشيم المحتظر، نعوذ بالله، هذا جزاؤهم في الدنيا غير جزائهم في الآخرة، وهو العذاب في الآخرة، نسأل الله العافية.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾ [القمر: ٣١، ٣٢](٢).

حدّثنا عبدان، أخبرنا أبي، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن عبد الله رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ «قرأ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾ الآية»(٣).

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾ [القمر: ٣٨، ٣٩](٤).

حدّثنا محمّدٌ، حدّثنا غندرٌ، حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٠٣).

(٢) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٣) متفق عليه من حديث عبد الله رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ برقم (٤٨٧٢)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يتعلق بالقراءات برقم (٨٢٣).

(٤) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

الأسود، عن عبد الله عن النّبيّ ﷺ «قرأ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١﴾ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١﴾»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

والمعنى: أنّه سبحانه قصّ علينا أخبار الأمم، هل من مدّكرٍ، هل من متذكّرٍ؟! يراقب الله ويخشى عقابه؛ كما أصاب أولئك من قوم نوحٍ، وقوم هودٍ، وقوم صالحٍ، وقوم لوطٍ، وقوم شعيبٍ، هذه القصص الخمس ذكرها الله في مواضع من كتابه متواليةً؛ أولها قصّة نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثمّ قصة عادٍ، ثمّ قصة ثمود، ثمّ قصة قوم لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثمّ قصّة قوم شعيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كلّهم أصيبوا بالعذاب، كلّهم في أزمانٍ متواليةٍ متقاربةٍ، ففيها العظة، هل من متذكّرٍ لهذا الأمر، وهل من مراقبٍ لله، وفيها تذكير قريشٍ وغير قريشٍ بألّا يصيبهم ما أصاب أولئك. الله المستعان.

*

حدّثنا يحيى، حدّثنا وكيعٌ عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله قال: «قرأت على النبيّ ﷺ فهل من مذّكرٍ، فقال النّبيّ ﷺ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٤٠﴾»(٢).

* *

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القمر: ٤٥](٣).

(١) متفق عليه من حديث عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣٨...﴾ إلخ برقم (٤٨٧٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يتعلق بالقراءات برقم (٨٢٣).

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣٨...﴾ إلخ برقم (٤٨٧٤)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يتعلق بالقراءات برقم (٨٢٣).

(٣) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

حدّثنا محمّد بن عبد الله بن حوشبٍ، حدّثنا عبد الوهّاب، حدّثنا خالدٌ، عن عكرمة، عن ابن عبّاسٍ، (ح)، وحدّثني محمّدٌ، حدّثنا عفّان بن مسلمٍ، عن وهيبٍ، حدّثنا خالدٌ، عن عكرمة، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال وهو في قبّةٍ يوم بدرٍ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ، وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ تَشَأْ لَا تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ**»، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَهْوَ يَثِبُ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهْوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذه أيضًا من الآيات والدلائل على صدقه؛ لأنّ هذه أمور غيبٍ، هذا يدلّ على أنّه أخبر بأنّ الله سيهزمهم، ووقع كما قال ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ وهزمهم الله يوم بدرٍ مع كثرتهم وحنقهم، وكثرة عدّتهم وضعف المسلمين عددًا وعدّةً، ولكنّ الله هزمهم فضلًا منه وإحسانًا سبحانه وتعالى، وآيةً على صدق نبيّه، وأنّه رسول الله حقًّا ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، تلاها على أصحابه تبشيرًا بهذا الخبر العظيم، ودلالةً على أنّه رسول الله حقًّا، حيث وقع كما أخبر ـ عليه الصّلاة السّلام ـ.

وأراهم العبر يوم أحدٍ لأسبابٍ اقتضت ذلك، وهو الحكيم العليم فيما يقضي ويقدّر من نصره لأنبيائه، وابتلائه لهم في أوقاتٍ أخرى، ثمّ جعله العاقبة لهم؛ فقد يبتليهم، ثمّ تنتهي العاقبة لهم الحميدة، والضّرر والبلاء والخيبة والذّلّ على أعدائهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ برقم (٤٨٧٥).

□ **تفسير قول الحق تبارك وتعالى:** ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: ٤٦]، **وقوله تعالى:** ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٢ ـ ٤٦][1].

هذا يدل على عظم الأمر يوم القيامة، وأنها أدهى وأمر مما يقع في الدنيا، خطب الساعة عظيم وهولها كبير، ولهذا قال ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤]، سمَّاها طامة، قال: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣]، وقال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، وقال: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١]، وقال: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١، ٢]، ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١، ٢]، كل هذا يوم القيامة، ولا يعلم متى تقوم إلا الله ﷻ، هو الذي يعلم متى تقوم، وإذا قامت فالناس بعد ذلك يرون الدنيا لا شيء، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ لعظم الهول.

فالمقصود: أن الساعة أمرها عظيم، وخطبها شديد، فالواجب على جميع المكلفين من الرجال والنساء الإعداد لهذا اليوم والحذر من الغفلة، فهو يوم عظيم خطير قال فيه ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ١ ـ ٤]، فالنفس التي هدى، تعمل على غير هدى، وبغير الإخلاص لله، أو بغير متابعة للرسول ﷺ فلها النار يوم القيامة، قال ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤ ـ ٣٧]: طغى يعني تجاوز الحدود لم يلتزم بأمر الله، بل تعدَّى الحدود فله النار

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٠٤).

يوم القيامة والآية التي في سورة عبس: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣ ـ ٣٧].

فالعاقل يعد العدة لهذا اليوم العظيم ولا يتساهل، وذلك بطاعة الله والاستقامة على أمره والحذر من مناهيه مع الوقوف عند حدوده سبحانه وتعالى، هذا هو الطريق، وهذا هو السبيل الذي جعله الله سببًا للنجاة يوم القيامة، وليحذر الغفلة عن هذا اليوم العظيم واتباع الهوى وطاعة الشيطان، فإن هذا فيه العاقبة الوخيمة وسوء المصيرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله للجميع الهداية.



تفسير آيات من سورة الرحمن(١)

وقال مجاهدٌ: ﴿بِحُسۡبَانٖ﴾ [٥]: كحُسبان الرَّحى، وقال غيره: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ﴾ [٩]: يريد لسان الميزان، والعصف: بقل الزرع إذا قطع منه شيءٌ، قبل أن يدرك، فذلك العصف، ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ [١٢]: رزقه، ﴿وَٱلۡحَبُّ﴾ [١٢]: الذي يؤكل منه، والريحان في كلام العرب: الرزق، وقال بعضهم: والعصف: يريد المأكول من الحبّ، والرّيحان: النّضيج الّذي لم يؤكل، وقال غيره: العصف: ورق الحنطة، وقال الضحاك: العصف: التّبن، وقال أبو مالكٍ: العصف: أوّل ما ينبت، تسمّيه النّبط: هبورًا، وقال مجاهدٌ: العصف: ورق الحنطة، والرّيحان: الرّزق، والمارج: اللّهب الأصفر والأخضر الّذي يعلو النّار إذا أوقدت، وقال بعضهم عن مجاهدٍ: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾ [١٧]: للشّمس في الشّتاء مشرقٌ، ومشرقٌ في الصّيف، ﴿وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ [١٧]: مغربها في الشّتاء والصّيف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢﴾: «رِزْقُهُ».

(**من الطّالب**): أحسن الله إليك، عندنا في نسخةٍ: (والرّيحان ورقه).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ماذا قال الشّارح عليه؟ يعني: حبّه رزقه، حبّه ﴿ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢﴾ العصف ما فيه من التّبن وأشباهه، والريحان الحبّ الّذي فيه، ماذا قال عليه الشّارح؟

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٦٢١)]: «قوله: **(والعصف بقل الزّرع إذا قطع منه شيءٌ قبل أن يدرك فذلك العصف والرّيحان رزقه، والحبّ الّذي يؤكل منه، والرّيحان في كلام العرب: الرّزق)** هو كلام الفرّاء أيضًا، لكن ملخّصًا. ولفظه: العصف فيما ذكروا بقل الزّرع؛ لأنّ العرب تقول: خرجنا نعصف الزّرع إذا قطعوا منه شيئًا قبل أن يدرك، والباقي مثله لكن قال: والرّيحان رزقه وهو الحبّ... إلخ. وزاد في آخره قال: ويقولون: خرجنا نطلب ريحان الله.

وأخرج الطّبريّ من طريق العوفيّ عن ابن عبّاسٍ قال: العصف ورق الزّرع الأخضر الّذي قطعوا رؤوسه، فهو يسمّى العصف إذا يبس». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يكفي، صلّح عندك المتن بدل ورقه: رزقه.

(**من الطّالب**): أحسن الله إليك، ذكر أنّها نسخةٌ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ولو، ما لها معنىً النسخة؛ لأنّ العصف هو الورق.

قوله: والمارج: اللّهب الأصفر والأخضر الّذي يعلو النّار إذا أوقدت، «وقال بعضهم: عن مجاهدٍ، ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ [الرحمٰن: ١٧]: «للشّمس: في الشّتاء مشرقٌ، ومشرقٌ في الصّيف»، ﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمٰن: ١٧]: «مغربها في الشّتاء والصّيف».

فيه مشرقٌ، وفيه مشارق، وفيه مشرقان ومغربان، ولا منافاة؛ فإنّ المشرق والمغرب جنس المشرق وجنس المغرب من غير تفصيلٍ، والمشرقان والمغربان: مشرق الشّتاء ومشرق الصّيف، ومغرب الشّتاء ومغرب الصّيف.

وأما المشارق والمغارب فالمراد جنس المشارق والمغارب؛ لأنّ الشّمس لها مشارق ومغارب تختلف.

• **س: والمشرق والمغرب مشرق كلّ يوم ومغرب كلّ يومٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جنس المشرقين من غير تفصيلٍ لتنوّعه، وهكذا المغرب.

(السّائل): بالإفراد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم بالإفراد، جنس المشرق وجنس المغرب؛ لأنّه مشرقٌ ومغربٌ، جنوبٌ وشمالٌ، مع قطع النّظر عن تنوّع تصرّف الشّمس في مشارقها ومغاربها. وفي الآية الأخرى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمـٰن: ١٧]، مشرق الشّتاء والصّيف، ومغرب الشّتاء والصّيف.

والمشارق ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]، تنوّع مَشَارِقِهَا ومغاربهَا في الشتاء والصّيف.

*

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [٢٠]: لا يختلطان، ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ [٢٤]: ما رفع قلعه من السّفن، فأمّا ما لم يرفع قلعه فليس بمنشآت، وقال مجاهدٌ: ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾ [١٤] كما يصنع الفخّار، الشّواظ لهبٌ من نارٍ، ﴿وَنُحَاسٌ﴾ [٣٥]: النحاس: الصّفر، يصبّ على رؤوسهم يعذّبون به، ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [٤٦]: يهمّ بالمعصية، فيذكر الله ﷻ فيتركها، ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [٦٤]: سوداوان من الرّيّ، ﴿صَلْصَٰلٍ﴾ [١٤]: طينٌ خلط برملٍ، فصلصل كما يصلصل الفخّار، ويقال: منتنٌ، يريدون به صلّ، يقال: صلصالٌ، كما يقال: صرّ الباب عند الإغلاق، وصرصر، مثل: كبكبته، يعني: كببته، ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [٦٨]: قال بعضهم: ليس الرّمّان، والنّخل بالفاكهة، وأمّا العرب، فإنّها تعدّهما فاكهةً، كقوله ﷻ: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فأمرهم بالمحافظة على كلّ الصّلوات، ثمّ أعاد العصر تشديدًا لها، كما أعيد النّخل والرّمّان،

ومثلها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ١٨]، ثمّ قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ﴾ [الحج: ١٨]: وقد ذكرهم في أول قوله: ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾. وقال غيره: ﴿أَفْنَانٍ﴾ [٤٨]: أغصانٍ، ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [٥٤]: ما يجتنى قريبٌ، وقال الحسن: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ﴾ [١٣]: نعمه، وقال قتادة: ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [١٣]: يعني: الجنّ والإنس، وقال أبو الدرداء: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [٢٩]: يغفر ذنبًا، ويكشف كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين، وقال ابن عباسٍ: ﴿بَرْزَخٌ﴾ [٢٠]: حاجزٌ، الأنام: الخلق، ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ [٦٦]: فيّاضتان، ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ [٢٧]: ذو العظمة، وقال غيره: ﴿مَّارِجٍ﴾ [١٥]: خالصٌ من النّار، يقال: مرج الأمير رعيّته، إذا خلّاهم يعدو بعضهم على بعضٍ، مرج أمر النّاس، ﴿مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥]: ملتبسٌ، ﴿مَرَجَ﴾ [١٩]: اختلط البحران: من مرجت دابّتك: تركتها، ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ [٣١]: سنحاسبكم، لا يشغله شيءٌ عن شيءٍ، وهو معروفٌ في كلام العرب، يقال: لأتفرّغنّ لك، وما به شغلٌ، يقول: لآخذنّك على غرّتك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾: هذا لا شكّ من باب الإيضاح، ومن باب بيان فضل الرّمّان، وهو من الفاكهة، عطفه عليها من عطف الخاصّ على العامّ؛ فالرّمّان والنّخل من الفاكهة؛ التّمر فاكهةٌ والرّمّان فاكهة، فعطفه عليها لا يخرجه عنها، ولكنّه من عطف الخاصّ على العامّ.

قوله: (وقال بعضهم: ليس الرّمّان والنّخل بالفاكهة، وأمّا العرب فإنّها تعدّهما فاكهة): فيه نظرٌ؛ فإنهما فاكهةٌ بلا شكٍّ، وعطفهما من باب عطف الخاصّ على العامّ، فاكهة، جنس الفاكهة يعمّ النّخل والرّمّان والعنب وغير ذلك، وذكر النّخل والرّمّان بعد العامّ، وإن كانت في سياق الإثبات لكن جنس الفاكهة يعمّ أنواعًا كثيرةً، وخصّ منها النّخل والرّمّان لمزيد معنىً فيهما، والله المستعان.

• س: لكن العرب تسمّيهما فاكهةً؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما فيه شكٌّ.

قوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾؛ يعني: من باب عطف الخاصّ على العامّ.

قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾: قراءتها بالتّسهيل أنسب إلى رؤوس الآي ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾؛ لمناسبة رؤوس الآي قبلها وبعدها بتسهيل الهمزة؛ لأنّ القاعدة: إذا سكّنت الهمزة وقبلها فتحةٌ تقلب ألفًا، مثل: فأسٍ ورأسٍ ونحوه، هكذا تقول: فاس وراس.

• س: في الوقف تسهّل الهمزة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا مانع لو وصل: «شان» أحسن حتّى يناسب رؤوس الآي، أمّا القارئ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ﴾ لا مانع ولو سهّل ولو في عدم الوقف ما يضرّ.

* * *

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال غيره: ﴿أَفْنَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٤٨]: «أَغْصَانٍ»، ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٥٤]: «مَا يُجْتَنَى قَرِيبٌ»، وقال الحسن: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ [النجم: ٥٥]: «نِعَمِهِ»، وقال قتادة: ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٣]: «يَعْنِي الجِنَّ وَالإِنْسَ»، وقال أبو الدرداء: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩]: «يَغْفِرُ ذَنْبًا، وَيَكْشِفُ كَرْبًا، وَيَرْفَعُ قَوْمًا، وَيَضَعُ آخَرِينَ»، وقال ابن عباسٍ: ﴿بَرْزَخٌ﴾ [الرحمٰن: ٢٠]: «حَاجِزٌ الأَنَامُ: الخَلْقُ»، ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٦٦]: «فَيَّاضَتَانِ»، ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ [الرحمٰن: ٢٧]: «ذُو العَظَمَةِ»، وقال غيره: ﴿مَّارِجٍ﴾ [الرحمٰن: ١٥]: «خَالِصٌ مِنَ النَّار، ويُقَال: مَرَجَ الأَمِيرُ رَعِيَّتَهُ إِذَا خَلَّاهُمْ يَعْدُو بَعْضهمْ عَلَى بَعْضٍ: مَرَجَ أَمْرُ النَّاس»، «﴿مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥]: «مُلْتَبِسٌ»، ﴿مَرَجَ﴾ [الرحمٰن: ١٩]: «اخْتَلَطَ البَحْرَانِ مِنْ مَرَجْتَ دَابَّتَكَ

تَرَكْتَهَا»، ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ [الرحمٰن: ٣١]: «سنحاسبكم، لا يشغله شيء عن شيءٍ، وهو معروف في كلام العرب، يقال: لأتفرّغنّ لك، وما به شغلٌ، يقول: لآخذنّك على غرّتك».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾: «نِعَمِهِ»: والآلاء هي النّعم، آلاء ربّكما؛ يعني: نعم، والخطاب للجنّ والإنس؛ لأنّ الله خلقهما ليعبدوه، وأنعم عليهما بالنّعم العظيمة في الدّنيا؛ فالواجب عليهم شكرها، والاستعانة بها على طاعة المولى سبحانه، ولهذا يجزيهم الله عليها، على هذه الطّاعات بالنّعيم المقيم في دار النّعيم؛ لمّا شكروه في هذه الدّار، واستعانوا بنعمه على طاعته؛ جازاهم بالنّعيم المقيم في دار الكرامة، فالواجب عليهما جميعًا ـ الجنّ والإنس ـ أن يستعينوا بنعمه على طاعته، وأن يشكروه على آلائه وإحسانه.

وكان الوفد من الجنّ المؤمنين، فكان كلّما تلا عليهما، قالوا: ولا بشيءٍ من آلائك ربّنا نكذّب، وهكذا المؤمنون من الإنس؛ يؤمنون بنعم الله، ولا يكذّبون بشيءٍ منها، ويشكرونه عليها.

هكذا المؤمن أينما كان، يشكر ربّه على نعمه الّتي أنعم بها عليه من نعمة الإسلام، وهي أعظم النّعم، نعمة الإسلام، كون الله هداه للإسلام هذه أعظم النّعم، ثمّ أعطاه الله من النّعم: نعمة السّمع، والبصر، والشّمّ، والذوق، والكلام، والعقل، والصّحة في بدنه، نعمٌ عظيمةٌ لا تحصى، كما قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، في نفس الإنسان آياتٌ لو تبصّر لعرف هذه الآيات العظيمة، والنعم الكثيرة، ولكن أكثر النّاس في غفلةٍ؛ من أعطاك هذا السّمع؟ من أعطاك هذا البصر؟ من أعطاك هذا الشّم؟ من أعطاك هذا اللّسان تنطق به، وتسبّح به، وتقضي به حاجاتك؟ من أعطاك هذه الأسنان تقضي بها حاجاتك؟ من أعطاك هذا الفم الّذي تأكل منه حاجاتك؟ من أعطاك

الشّهوة؟ من صرّف هذا الطّعام في جوفك، ويسر هضمه وخروجه وجعل له مخرجًا؟ من أعطاك الصّحة في هذا البدن؟

لو تحرّك عليك سنٌّ من أسنانك، أو إصبعٌ من أصابعك؛ ساءت بك الحياة، وضاق بك المقام، وتكدّرت عليك المعيشة في إصبعٍ واحدةٍ، أو إصبعين، أو يدٍ، أو ضرسٍ أو غير ذلك. وأنت تتقلّب في نعم الله الأيّام واللّيالي والسّنين والشّهور في عافيةٍ ونعمةٍ.

لو يتأمّل العبد هذه النّعم لعرف قدرها، ولشكر الله عليها بطاعته وترك معصيته، ولكنّ أكثر الخلق في غفلةٍ، أكثر الخلق في غفلةٍ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

يقول الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. الأفئدةُ: القُلُوب الَّتِي فِيْهَا العُقول، وفي الآيَة الأُخرى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، الله المستعان، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

● **س: صحة حديث «لا بِشَيءٍ مِنْ آلائِكَ رَبَّنَا نكذبُ»[(١)] ثابت، عفا الله عنك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الظّاهر أنّه لا بأس به، ذكره ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ.

● **س: أحسن الله إليك، يقال: يتأسى بهم إذا قرئت السّورة؟ هل يتأسّى بالجنّ في هذا، إذا قرئت السّورة نقول: ولا بشيءٍ من آلائك نكذّب؟**

(١) رواه البزار في مسنده «البحر الزخار» (٥٨٥٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٠٧). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (/): رواه البزار عن شيخه عمرو بن مالك الراسي وثّقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: إذا قالها المؤمن فطيبٌ[(١)].

• س: أحسن الله إليك للشّمس، في الشّتاء مشرقٌ، ومشرقٌ في الصّيف؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

معناه: تختلف، يختلف شروقها وطلوعها في الشّتاء والصّيف، مشارقها ومغاربها تختلف، مشارقها ومغاربها، تشرق متوسطةً في المشرق، فتارةً تميل إلى هذا، وتميل إلى هذا، وهكذا الغروب، وهي في المشرق، ولهذا في الآية الأخرى: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]، ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمٰن: ١٧]؛ لأنها تختلف.

قوله: (يَغْفِرُ ذَنْبًا، وَيَكْشِفُ كَرْبًا، وَيَرْفَعُ قَوْمًا، وَيَضَعُ آخَرِينَ) سبحانه، لا إلٰه إلّا هو، لا إلٰه إلّا هو ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾، سبحانه وتعالى، يعزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء، ويهدي من يشاء، ويضلّ من يشاء، يحيي من يشاء، يميت من يشاء، هذا يمرض وهذا يشفى، وهذا يموت وهذا يعزل، وهذا يقتل، وهذا يسجن، له الحكمة البالغة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

• س: مرويٌّ هذا مرفوعٌ: «يغفر ذنبًا، ويكشف كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين»؟

---

(١) وجاء في القراءة الأولى الأسئلة التالية:
س: ما ورد فيه قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ قالت الجن: ما بشيء من آلائك؟
ج: بلى.
السائل: ثابتٌ في الصحيح؟.
ج: ليس في الصَّحيح، ما أتذكَّرُ أنه في الصَّحيح قوله: أنه لما تلا عليهم الآية قالوا: ولا بشيءٍ من آلائك ربنا نكذّب يعني الجن، كانوا أحسن ردًّا منكم.
س: فيسن بناءً على ذلك يسن للإنسان أن يقول ذلك؟
ج: إذا قالها في تلاوة بعض الآيات فحسنٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: الله أعلم.

• **س: البحران، بالرّفع أحسن الله إليك؟ البحران بالألف هنا، والآية: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴿١٩﴾﴾؟**

(**من الشيخ**): البحران ماذا؟

(**الطالب**): جعلها بين قوسين ما تكلّم عن الآية قال: «البحران من مرجت دابّتك تركتها»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ما تكلّم عن البحرين؛ كأنّه ذكرها في بعض الرّوايات ولم يتكلّم عليها، أو من بعض الرّواة ذكرها من دون ذكر البخاريّ لها رحمه الله.

• **س: بالألف، أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ما تكلّم عليها بشيءٍ، البحرين معروف.

(**السّائل**): سبق البحرين هنا البحران بالألف؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: [البحر] المالح والبحر الحلو.

* *

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ [الرحمٰن: ١، ٢](١).

على ظاهرها، الرحمٰن سبحانه علَّم نبيّه القرآن، هو الذي علَّمه بواسطة جبرائيل، وهو الذي يعلِّم عباده إذا وفقهم حفظوه، وقرؤوه، وهو المعلِّم لهم ـ سبحانه ـ، وهو الموفق لهم جل جلاله، وإن كان لا يعلِّمهم بصوته سبحانه، لكن علَّم جبرائيل، وجبرائيل علَّم النبي صلى الله عليه وسلم، وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم من كلام ربه، حين عرج به إلى السماء سمع كلام

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٠٧).

ربه ﷻ، وهكذا موسى سمع كلام ربه، لكن تعليم القرآن كان بواسطة جبرائيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ، والله علَّم عباده القرآن بواسطة من يعلِّمهم، ومن يتلوه عليهم، ويلقِّنهم، وهو الذي وفَّق المعلِّمين، وهداهم وأعانهم، وهو المعلِّم، وهو الموفِّق ﷻ، وهو الهادي سبحانه وتعالى بفضله وإحسانه وما يجعله في القلوب سبحانه وتعالى.

*

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن: ٦][1].

المشهور ـ والله أعلم ـ في هذا هو: نجم السماء عند الإطلاق، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، المراد به: نجوم السماء، والشجر يكفي عن النجم المسمى أن الشجر نجم، فالنجم يسجد سجود يليق به والشجر كذلك، ولا يعلم كيفية سجودهما إلا هو سبحانه وتعالى، لكن من علامات ذلك ذلهما وخضوعهما لمدبرهما سبحانه وتعالى، فهما مخلوقان ذليلان مدبران، مسيران، أما كيفية السجود من النجم، ومن الشجر، فالله هو الذي يعلمها سبحانه وتعالى.

*

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن: ٦][2].

الآية على ظاهر: سجود يليق بهما، الله يعلم كيفيته سبحانه وتعالى، كما قال في الآية الأخرى ـ سبحانه ـ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٠٩).
(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٠٩).

وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الحج: ١٨]، فكما أنها تسبِّح فهي تسجد أيضًا، وهذا التسبيح وهذا السجود لهما مما يليق بهذه المخلوقات، لا يعلم كيفيته إلا الذي خلقها ﷻ، تسبيح بني آدم معروف سجودهم معروف، وسجود الشجر والجبال، الله يعلمه ﷻ، هكذا سجود الشمس والقمر، سجود يليق بهذه المخلوقات، الله ﷻ يعلم كيفيته.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾ **[الرحمٰن: ١٩ ـ ٢١]**(١).

على ظاهرها: الله جعل بين البحر المالح والحلو حاجز بقدرته العظيمة هذا على حده، وهذا على حده، لا يختلطان، هذا حلو وهذا مر مالح فضلًا منه ﷻ ورحمة منه لعباده وكل منهما فيه مصالحه.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ **[الرحمٰن: ٢٦، ٢٧]**(٢).

وكل من على الأرض هو فانٍ: الجبال تدك والأشجار والأحجار تذهب، والجن والإنس يموتون، والحيوانات تموت، ما يبقى شيء إلا الله ﷻ.

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤١٠).

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤١١).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٦][1].

هذه آيات عظيمة تدل على أن من خاف مقام الله فهو من أهل الجنتين العاليتين العظيمتين؛ لأن خوف الله الصادق يحمل على أداء الفرائض وترك المحارم والمسارعة إلى كل خير، من خاف الله صادقًا سارع إلى كل خير، وابتعد عن كل شر، فلهذا وعده الله بالجنتين العظيمتين، وهما الجنتان العاليتان بالنسبة للجنتين الأخريين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]، ومن الأجر الكبير دخول الجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١]، فالخوف إذا عظم واشتد أوجب على الخائف أداء فرائض الله وترك محارم الله، والمسارعة إلى كل خير، فلهذا صار في المنزلة العالية في الجنة، ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾، ومن ادَّعى الخوف وهو يفرِّط في طاعة الله أو يرتكب معاصي الله فقد كذب، يكون خوفه ضعيفًا، الخوف الصادق يحمل أهله على أداء فرائض الله وترك محارم الله والمسارعة إلى كل خير.

* * *

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٦٢][2].

حدّثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدّثنا عبد العزيز بن عبد الصّمد العمّيّ، حدّثنا أبو عمران الجونيّ، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا،**

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤١٢).

(٢) من شرح سماحته رحمه الله على صحيح البخاري كتاب التفسير.

وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»[1].

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾ [الرحمٰن: ٦٤][2].

﴿مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾ من حسن تمام الخضرة والري من ريِّها العظيم، وما حصل فيها من تمام الري مدهامَّة من شدة الخضرة، كمال الخضرة، وتمام الري، أثَّر في ورقها وفي أشجارها خضرة تامة عظيمة.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمٰن: ٧٢].

وقال ابن عباسٍ: ﴿حُورٌ﴾: سود الحدق، وقال مجاهدٌ: ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾: محبوساتٌ، قصر طرفهن وأنفسهن على أزواجهن، ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾ [الصافات: ٤٨]: لا يبغين غير أزواجهن.

*

حدّثنا محمّد بن المثنّى، قال: حدّثني عبد العزيز بن عبد الصّمد، حدّثنا أبو عمران الجونيّ، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيسٍ، عن أبيه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا**

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن قيس عن أبيه رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ برقم (٤٨٧٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى برقم (١٨٠).

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤١٤).

سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ، مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ»[١].

«وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ كَذَا آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ، إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: (يطوف عليهم المؤمنون): في الرّواية الأخرى: «المؤمن»[٢]؛ يعني: كلّ مؤمنٍ مع أهله، المؤمنون؛ يعني: كلّ مؤمنٍ مع أهله في هذه الخيمة، الله أكبر.

(من الطالب): قال: سيأتي صوابه المؤمن بالإفراد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا في الرّواية الأخرى نعم، والمعنى: المؤمنون؛ يعني: كلّ مؤمن له هذه الخيمة، الله أكبر.

ماذا قال الشّارح عندك في «فتح الباري» الحافظ؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٢٤)]: «قوله: (يطوف عليهم المؤمنون): قال الدّمياطيّ: صوابه «المؤمن» بالإفراد. وأجيب: بجواز أن يكون من مقابلة المجموع بالمجموع». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا مانع، مستقيمٌ، المعنى أنّه ليس مؤمنًا واحدًا، أعدّها الله لجنس المؤمنين، الله أكبر.

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ برقم (٤٨٧٩)، ومسلم في كتاب الجنة، باب في صفة خيام الجنة وما للمؤمنين فيها من الأهلين برقم (٢٨٣٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب صفة قيام الجنة (٢٨٣٨).

• **س: ألا يحمل المؤمنين على أن كلّ مؤمنٍ له خيمةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جنس المؤمنين، الله أكبر.

• **س: معنى الحديث السّابق أن المؤمن له أكثر من زوجتين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم، يعطى زوجاتٍ كثيرةٍ ما يحصيها إلّا الله، أسأل الله أن يجعلنا وإيّاكم منهم، لكن لا ينقص عن زوجتين من الحور العين، كلّ مؤمنٍ لا ينقص عن زوجتين من الحور العين له، أمّا الكثرة فما يحصيها إلّا الله، من نساء الدّنيا ومن الحور؛ على حسب منازلهم وأعمالهم الصّالحة.

• **س: أحسن الله إليك، من لبس قفازين للبرد، هل له أن يصلّي فيهما؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما نعلم فيه بأسًا.



تفسير آيات من سورة الواقعة[(١)]

وقال مجاهدٌ: ﴿رُجَّتِ﴾ [٤]: زلزلت، (بسّت) [٥]: فتّت، ولتّت كما يلتّ السّويق، المخضود: لا شوك له، ﴿مَّنضُودٍ﴾ [٢٩]: الموز.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

● **س: أحسن الله إليك، المخضود عندنا: الموقّر حملًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المعروف أنّه هو الّذي لا شوك له.

(من الطالب): ويقال أيضًا: لا شوك له.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٢٤)]: «قوله: **(المخضود لا شوك له)**: كذا لأبي ذرٍّ، ولغيره: المخضود الموقر حملًا. ويقال أيضًا...» إلخ. [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المقصود: أنّه ليس من جنس ما في الدّنيا، سدر الدّنيا فيه الشّوك، ونفعه قليلٌ، وأمّا سدر الجنّة فهو شيءٌ عظيمٌ، ونفعه كبيرٌ، ولا أذى فيه، ولهذا قال: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨، ٢٩].

هذه أسماء مثل ما قال ابن عبّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «ليس في الدّنيا مما في الجنّة إلّا الأسماء». وأما نعيمها فلا يشبه نعيم الدّنيا؛ لا في فواكهها، ولا في أشجارها ولا في غير ذلك، الله المستعان.

*

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

وَالْعُرُبُ: الْمُحَبَّبَاتُ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ، ﴿ثُلَّةٌ﴾ [١٣]: أُمَّةٌ، ﴿يَحْمُومٍ﴾ [٤٣]: دخانٌ أسود، ﴿يُصِرُّونَ﴾ [٤٦]: يُدِيمُونَ، ﴿ٱلْهِيمِ﴾ [٥٥]: الإِبِلُ الظِّمَاءُ، ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ [٦٦]: لَمُلْزَمُونَ، ﴿مَدِينِينَ﴾ [٨٦]: محاسبين، رَوْحٌ: جَنَّةٌ وَرَخَاءٌ، ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ [٨٩]: الرِّزْقُ، ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٦١]: أَي فِي أيِّ خَلْقٍ نَشَاءُ، وقال غيره: ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ [٦٥]: تَعْجَبُونَ، ﴿عُرُبًا﴾ [٣٧]: مُثَقَّلَةً، وَاحِدُهَا عَرُوبٌ، مِثْلُ صَبُورٍ وَصُبُرٍ، يُسَمِّيهَا أَهْلُ مَكَّةَ: الْعَرِبَةَ، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ: الْغَنِجَةَ، وَأَهْلُ الْعِرَاقِ: الشَّكِلَةَ، وقال في: ﴿خَافِضَةٌ﴾ [٣]: لِقَوْمٍ إِلَى النَّارِ، وَ﴿رَّافِعَةٌ﴾ [٣]: إِلَى الْجَنَّةِ، ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ [١٥]: مَنْسُوجَةٍ، وَمِنْهُ وَضِينُ النَّاقَةِ، وَالْكُوبُ: لَا آذَانَ لَهُ، وَلَا عُرْوَةَ، وَالأَبَارِيقُ: ذَوَاتُ الآذَانِ وَالْعُرَى، ﴿مَّسْكُوبٍ﴾ [٣١]: جَارٍ، ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [٣٤]: بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، ﴿مُتْرَفِينَ﴾ [٤٥]: مُتَمَتِّعِينَ، ﴿مَّا تُمْنُونَ﴾ [٥٨]: هِيَ النُّطْفَةُ فِي أَرْحَامِ النِّسَاءِ، ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ [٧٣]: لِلْمُسَافِرِينَ، وَالْقِيُّ: الْقَفْرُ، ﴿بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [٧٥]: بِمُحْكَمِ الْقُرْآنِ، ويقال: بِمَسْقِطِ النُّجُومِ إِذَا سَقَطْنَ، وَمَوَاقِعُ وَمَوْقِعٌ وَاحِدٌ، ﴿مُّدْهِنُونَ﴾ [٨١]: مُكَذِّبُونَ، مثل: ﴿لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

﴿فَسَلَامٌ لَّكَ﴾ [٩١]: أَيْ: مُسَلَّمٌ لَكَ، إنك من أصحاب اليمين، وألغيت (إِنَّ)، وهو معناها، كما تقول: أنت مصدّقٌ، مسافرٌ عن قليلٍ إذا كان قد قال إنّي مسافرٌ عن قليلٍ، وقد يكون كالدّعاء له، كقولك: فسقيًا من الرّجال، إن رفعت السّلام فهو من الدّعاء، ﴿تُورُونَ﴾ [٧١]: تَسْتَخْرِجُونَ، أَوْرَيْتُ: أَوْقَدْتُ، ﴿لَغْوًا﴾ [٢٥]: بَاطِلًا، ﴿تَأْثِيمًا﴾ [٢٥]: كَذِبًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كذا عندك (مدهنون: مكذّبون)؟

(مِنَ القَارِئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال عليه الشّارح؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٢٧)]: «قوله: مدهنون مكذّبون، مثل لو تدهن فيدهنون، قال الفراء في قوله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾﴾؛ أي: مكذّبون، وكذلك في قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾؛ أي: لو تكفر فيكفرون، كلٌّ قد سمعته قد أدهن؛ أي: كفر.

وقال أبو عبيدة: مدهنون واحدها مدهنٌ، وهو المداهن». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقط؟ والعينيّ؟

[قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ٢٢٠)]: «وعن ابن كيسان: المدهن الّذي لم يفعل ما يحق عليه ويدفعه بالمال، وعن المؤرخ المدهن: المنافق الّذي يلين جانبه ليخفي كفره». [انتهى كلامه].

قال ابن بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو مقاربٌ، والإدهان كما هو معروف أن يظهر الموافقة على الباطل، أدهن وداهن؛ إذا وافق على الباطل ولم يبيّن الحقّ، ولكن هنا حمله على التّكذيب.

(فمدهنون مكذّبون)، قد يقال: مكذّبون يعني في الباطل؛ فيكون له معنى الإدهان المشهور، يدهن يظهر الموافقة، وهو في الحقيقة مكذّب منكرٌ كالمنافق.

● **س: يلزم من الموافقة على الباطل التّكذيب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد لا يلزم التّكذيب؛ لأنّك قد تجامل من أجل حظٍّ عاجلٍ، وأنت ما كذّبت، مثل فعل اليهود هم يعلمون الحقّ، ويعلمون أن محمّدًا صادقًا، ولكن أظهروا التّكذيب؛ لأجل حظّهم العاجل، والعياذ بالله.

فالإنسان قد لا يتلازم معه هذا وهذا، فقد يعلم أنّ هذا صادقٌ،

ولكن يظهر تكذيبه، ويعلم أنّه كاذبٌ ويظهر تصديقه لمقاصد. نسأل الله العافية.

• س: ولكن فعله فعل المكذّب لمّا لم يوافقه يكون فعله فعل المكذّب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قد يلزم هذا، لكن ليس بلازم من كلّ وجهٍ؛ فإنّه قد يدهن الإنسان ويوافق مثلًا على شيءٍ من المخالفات لحظٍّ عاجلٍ؛ لطمعٍ، أو مجاملةٍ للشّخص، وفي قلبه وفي باطن أمره أنّه مخطئٌ، وأنّه عاصٍ، وأن هذا حقٌّ. نسأل الله العافية.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ [الواقعة: ٣٠].

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا سفيان، عن أبي الزّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبلغ به النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ**: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾»[(١)].

الشّرح: الله أكبر، سبحان الله الخلاق العليم، مائة عامٍ ـ الله أكبر ـ الله أكبر.

❐ ❐ ❐

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ برقم (٤٨٨١)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها برقم (٢٨٢٦).

تفسير آيات من سورة الحديد(١)

قال مجاهدٌ: ﴿جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ﴾ [٧]: معمّرين فيه، ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [٩]: من الضّلالة إلى الهدى، ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [٢٥]: جنّةٌ وسلاحٌ، ﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾ [١٥]: أولى بكم، ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [٢٩]: ليعلم أهل الكتاب، يقال: الظّاهر على كلّ شيءٍ علمًا، والباطن على كلّ شيءٍ علمًا، ﴿ٱنظُرُونَا﴾ [١٣]: انتظرونا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(الظّاهر): جاء في التّفسير النّبوي أنّه الّذي ليس فوقه شيءٌ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾. [الحديد: ٣] الأوّل ليس قبله شيءٌ، والآخر ليس بعده شيءٌ؛ يعني: هو الباقي الدّائم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والظّاهر ليس فوقه شيء، فوق العرش، ليس فوقه شيءٌ جَلَّ وَعَلَا، والباطن ليس دونه شيءٌ، يعلم كلّ شيءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنّه في العلوّ وهو فوق العرش، وعلمه في كلّ مكانٍ، لا تخفى عليه خافيةٌ، يرى عباده ويعلم مكانهم، ومع ذلك هو فوق العرش على الوجه الّذي يليق بجلاله، لا يشبه خلقه في استوائه ولا في غيره ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

هذا ما قاله أهل السّنّة والجماعة؛ أن الله جَلَّ وَعَلَا في العلو فوق العرش، وعلمه في كلّ مكانٍ؛ خلافًا للجهمية والمعتزلة، والأشاعرة، وغيرهم من أهل الكلام وأهل الباطل والنّفي والتّعطيل.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

□ تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣][١].

• **س: ما رأي سماحتكم فيمن قال في معنى اسم الله ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾؛ أي: الظاهر في كل شيء. هل يدخل هذا في القول بالحلول أم لا؟**[٢].

○ **الجواب**: هذا باطل؛ لأنه خلاف ما فسَّر به النبي ﷺ الآية الكريمة؛ فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ**». أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه»[٣].

فالظاهر معناها: العالي فوق جميع الخلق؛ ولكن آياته ودلائل وجوده وملكه وعلمه موجودة في كل شيء، وأنه ربّ العالمين، وخالقهم ورازقهم.

فأنت أيها الإنسان الذي أعطاك الله السمع والبصر والعقل، وأعطاك هذا البدن، والأدوات التي تبطش بها وتمشي بها، من جملة الآيات الدالة على أنه ربّ العالمين، وهكذا السماء والأرض والليل والنهار، والمعادن والحيوانات، وكل شيء، كلها آيات له ﷻ تدل على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته، وأنه المستحق للعبادة، كما قال الشاعر:

فوا عجبا كيف يعصى الإله   أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد!

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٢) مجموع فتاوى ومقالات (ج/ ٢٤) (٢٨٩).
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم برقم (٤٨٨٨).

والله يقول ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ثم قال بعدها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] فأوضح سبحانه في هذه الآية أنواعًا من مخلوقاته الدالة على أنه سبحانه هو الإلٰه الحق، الذي لا تجوز العبادة لغيره ﷻ، فكل شيء له فيه آية ودليل على أنه ربُّ العالمين، وأنه موجود، وأنه الخلاق، وأنه الرزاق، وأنه المستحق لأن يُعبَد ﷻ.

وأما معنى الظاهر فهو: العالي فوق جميع الخلق، كما تقدم في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾ **[الحديد: ٤ ـ ٦]**(١).

يخبر تعالى عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم أخبر باستوائه بما أغنى عن إعادته هاهنا ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يعلم عدد ما يدخل فيها من حب وقطر ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من زرع ونَبات وثمار، كما قال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقوله: ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من الأمطار، والثلوج والبرَد، والأقدار والأحكام مع الملائكة الكرام، وقد تقدم في سورة «البقرة» أنه ما ينزل من قطرة من السماء إلا ومعها ملك يُقرّرها في المكان الذي يأمر الله به حيث يشاء تعالى.

وقوله: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ﴾ أي: من الملائكة والأعمال، كما جاء في الصحيح: «يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ»(١).

وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: رقيب عليكم، شهيد على أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم، كما قال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ [هود: ٥]. وقال ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرعد: ١٠]، فلا إله غيره ولا رب سواه. وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجبريل، لما سأله عن الإحسان: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(٢).

وروى الحافظ أبو بكر الإسماعيلي من حديث نصر بن خزيمة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة، حدثني أبي، عن نصر بن علقمة، عن أخيه، عن عبد الرحمن بن عائذ قال: قال عمر: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام برقم (١٧٩).
(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٩).

زوِّدني كلمة أعيش بها، فقال: «**اسْتَحِ الله كما تستحي رجلًا من صَالِح عشيرتك لا يفارقك**»(١). هذا حديث غريب، وروى أبو نعيم من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري مرفوعًا: «ثلاث من فَعَلَهُنَّ فقد طَعِمَ الإيمان: مَن عَبَدَ الله وحده، وأعطى زكاة ماله طيبةً بها نفسه في كل عام، ولم يعط الهَرَمة ولا الدَّرنة، ولا الشَّرط اللئيمة ولا المريضة، ولكن من أوسط أموالكم. وزكى نَفْسَه». وقال رجل: يا رسول الله، ما تزكية المرء نفسه؟ فقال: «**يعلم أن الله معه حيث كان**»(٢).

وقال نُعَيْم بن حَمّاد رحمه الله: حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، عن محمد بن مهاجر، عن عُرْوَةَ بن رُوَيم، عن عبد الرحمن بن غَنم، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت**» غريب(٣). وكان الإمام أحمد ينشد هذين البيتين:

---

(١) عزاه الحافظ ابن كثير إلى الاسماعيلي من حديث ابن خزيمة عن جنادة به وقال: إسناده غريب. مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٢/ ٦٠٩) انظر: السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٧٦ ح٧).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب في زكاة السائبة برقم (١٥٨٢) والبيهقي من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري (السنن الكبرى ٤/ ٩٦). انظر: صحيح سنن أبي داود (ح١٤٠٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٣٦ ح٨٧٩٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٢٤) كلاهما من طريق نعيم بن حماد به ونعيم بن حماد صدوق يخطئ كثيرًا (التقريب ص٥٦٤). وقال سماحة العلامة الشيخ ابن باز رحمه الله تعليقًا على هذا الحديث: هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات وهذه المعية تقتضي علمه سبحانه بحال العبد واطلاعه على كل شؤونه، وأنه سبحانه يسمع كلامه ويرى مكانه ويعلم سره وعلانيته؛ ولا تقتضي هذه المعية حلولًا ولا اختلاطًا خلافًا لأهل البدع بل هو سبحانه فوق العرش وعلمه في كل مكان؛ لا تخفى عليه خافية، قد حكى أبو عمر بن عبد البر وأبو عمر الطلمنكي إجماع أهل السنة على ذلك، والله ولي التوفيق. حرر في ٢٢/ ٣/ ١٤١٢ وكتبه أمين مكتبة سماحته الفقير الى الله صلاح الدين عثمان =

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ: عَلَيَّ رَقِيبُ
وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَلُ سَاعَةً وَلا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ...

وقوله: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ أي: هو المالك للدنيا والآخرة كما قال: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل: ١٣]، وهو المحمود على ذلك، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ [القصص: ٧٠]، وقال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ: ١]. فجميع ما في السماوات والأرض ملك له، وأهلهما عبيد أرقَّاء أذلَّاء بين يديه كما قال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٣ ـ ٩٥]. ولهذا قال: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي: إليه المرجع يوم القيامة، فيحكم في خلقه بما يشاء، وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة، بل إن يكن أحدهم عمل حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها، ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] وكما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ أي: هو المتصرف في

= أحمد. وعلى قوله غريب: قال سماحته رَحِمَهُ اللهُ: الصواب أنه صحيح وإسناده عند نعيم بن حماد رحمه الله صحيح كما ذكره الحافظ ابن كثير في أول سورة الحديد، ومحمد بن مهاجر هذا هو الأنصاري وهو ثقة كما في التهذيب والتقريب، وهكذا شيخه عروة بن رويم، وقد جزم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الواسطية بأنه حديث حسن، أما نعيم بن حماد فالصواب توثيقه وهو أحد شيوخ البخاري رَحِمَهُ اللهُ الذين روى عنهم في كتابه الصحيح، والأصل سلامة حديثه حتى يوجد ما يدل على أنه أخطأ في شيء منه، وهذا الحديث تشهد له الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة بالصحة، والله ولي التوفيق، حرر في ٢٢/ ٣/ ١٤١٢هـ.

الخلق، يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء، فتارة يطوِّل الليل ويقصر النهار، وتارة بالعكس، وتارة يتركهما معتدلين. وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعًا ثم قيظًا ثم خريفًا، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه، ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: يعلم السرائر وإن دقت، وإن خفيت.

* *

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ﴾ [الحديد: ٧][(١)].

فيقول الله ﷻ في كتابه المبين: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾.

يأمر سبحانه عباده المؤمنين بالإيمان به وبرسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ يعني: بالثبات على الإيمان والاستقامة عليه، وهو يشمل أداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند حدود الله، والغيرة لله ﷻ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كل هذا داخل في قوله: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ لأنَّ الإيمان قول وعمل وعقيدة، يدخل فيه كل ما أمر الله به ورسوله، وترك كل ما نهى الله عنه ورسوله.

ثم قال: ﴿وَأَنفِقُواْ﴾.

فالنفقة من جملة الإيمان، ولكنه خصَّها بالذكر؛ لعظم شأنها، وللتنبيه على عظم فائدتها والحاجة إليها: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ﴾، الله استخلف العباد على هذه الأموال، وساقها إليهم ابتلاءً وامتحانًا، فمن أدَّى حقها، وصرفها في مرضاته التي أمر بها فاز بكل خير، وسَلِم من عهدتها، وجُوزي عليها بالجزاء الحسن، ومن صرفها في غير وجهها استحق العقاب عليها.

فأنت أيها المؤمن خليفة في هذا المال مأمور مؤتمن، فليس لك أن

(١) حديث المساء (ص١٥٩).

تصرف فيه إلا على الوجه الذي شرعه الله لك ﷻ وأباحه لك مما شرع الله لك في هذا المال أن تنفقه في وجوه البر والإحسان، وأن تعين به على طاعة الله، وأن تواسي به الفقير والمسكين، ولهذا قال: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾، فأعاد لفظ الإيمان؛ لأن النفقة والصدقة والإحسان وسائر الأعمال الصالحة إنما تنفع أهلها مع الإيمان، أمَّا من دون إيمان، فإنَّها تكون هباءً منثورًا لا قيمة لها، من أنفق عن إيمان بالله وتوحيد له وإخلاص له ورغبه فيما عنده، نفقة اتقائه، جُوزي عليه بالجزاء الحسن، ومن كانت نفقته على غير إيمان لم ينفعه ذلك، ولم تكن نفقة صالحة ولم يُجزَ عليها بالجزاء الحسن، والله يقول ﷻ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠]، فما قدَّمه العبد من عمل صالح من صلاة وصوم وصدقة وغير ذلك وجد ثوابه عند ربِّه ﷻ، ويقول ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] فجمع لك أيها المؤمن بين الجزاءين، الجزاء العظيم في الآخرة بالجنة والسعادة ومضاعفة الأجور، وفي الدنيا بالخلف، يُخلف عليك ما أنفقت: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧] .

وكان نبيّنا ﷺ أجود الناس بأنواع الجود، بماله ونفسه وكلامه ودعوته، وغير هذا من وجوه التصرف، وكان أجود ما يكون في رمضان ـ عليه الصلاة والسلام ـ، حين يلقاه جبرائيل فيدارسه القرآن، فكان رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أجود بالخير من الريح المرسلة ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وجوده يتضاعف، كما أنَّ جود الله يتضاعف، فجود الله ﷻ على عباده يتضاعف، فجوده في رمضان وفي أوقات الحاجة وعلى عباده المؤمنين، وفي جهاد أعداء الله يتضاعف، وهكذا جود نبيّه ﷺ يتضاعف في أوقات متعددة.

هكذا ينبغي لأهل الإيمان أن يتضاعف جودهم وإنفاقهم، وأن

يزداد في أوقات الفضائل كرمضان، فيه الفقير المسكين، وفيه المعطَّل عن الأسباب، وفيه من ضعفت أسبابه في هذا الشهر الكريم، فهم في حاجة إلى الإنفاق والإحسان والمساعدة من الزكاة وغيرها.

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يدارسه جبرائيل القرآن كل سنة في رمضان، كل سنة ختمه والسنة الأخيرة عرضه عليه مرتين ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فدلَّ ذلك على شرعية المدارسة للقرآن، وأن المدارسة من أفضل القربات، وأنها من عمل نبيّنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع جبرائيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأنها في الليل أفضل اقتداءً به ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ولا شك أنَّ المدارسة للقرآن من أسباب التوفيق لكل خير، فإنه كتاب عظيم يدعو إلى الجود والإنفاق والإحسان، ويدعو إلى كل ما أمر الله به ورسوله، ويدعو إلى مضاعفة الجهود في الخير، ويدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدعو إلى بر الوالدين وصلة الأرحام وإكرام الجار، ويدعو إلى كل ما فيه سعادة العبد في الدنيا والآخرة.

فالمدارسة لكتاب الله والعناية بكتاب الله والإقبال عليه في هذا الشهر الكريم مما يعين على كل خير ولا سيما مع التدبر والتعقل والإقبال عليه وطلب الاستفادة، وهكذا مع المدارسة والمذاكرة، فإن الإنسان يضم إلى علمه علمًا، وفهمًا إلى فهمه، ويتعاون مع أخيه في المدارسة والمذاكرة.

وهذا شهر عظيم أيامه محدودة ثم ينتهي، وأنت لا تدري هل تُكمله أم لا تُكمله، ولا تدري هل تُدركه مرة أخرى أو لا.

فالجدير بالعاقل والجدير بالهمة العالية أن يغتنم الفرصة، وأن لا يؤخر شيئًا من الجهد الطيب والعمل الصالح إلى وقت آخر، ويسارع به اليوم، وينافس فيه اليوم، ويجتهد قبل انصرام هذا الشهر العظيم، وكلما أمكنه أن يقدمه من الخير لم يتأخر ولا يُسوف، فهو لا يدري هل يدرك

ما أراد أو لا؛ فليبادر بالخير الذي تحضره أسبابه ويستطيع إنفاذه، فليبادر به؛ اغتنامًا لفضله ومصلحته، واغتنامًا لأجله.

* *

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦][١].

فهذه الآية الكريمة من كتاب الله ﷻ فيها الحثُّ على المحافظة على طاعة الله والاستقامة عليها والثبات عليها، والحذر من أسباب إفسادها ونقضها، فالمؤمن من صفته العظيمة ومن أسباب نجاته المحافظة على ما يسَّر الله له من طاعته والثبات على ذلك والاستقامة على ذلك حتى يلقى ربه. وقد حذَّر الله من الانحراف عن الطاعة والهدى، فقال ﷻ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾؛ يعني: ألم يحِن ويحضر، فالمعنى أنه ينبغي للمؤمن أن لا يتشبه بأعداء الله من اليهود الذين طال عليهم الأمد إذ طال عليهم الأجل ـ المدة ـ فقست قلوبهم، لما مُتعُوا اشتغلوا باللذات وما تهوى الأنفس حتى قست قلوبهم، وضعفوا عن طاعة الله ﷻ.

فالمؤمن هكذا يراقب الله، ويستعين بنعم الله على طاعة الله، ويحذر أن يقسو قلبه بسبب ما أعطاه الله من النعم والخيرات التي يتمتع بها، والله يحذِّرنا أن نكون مثل أهل الكتاب الذين طال عليهم الأمد؛ يعني: مُتِّعوا فقست قلوبهم، ويحذِّرنا من مشابهة المرأة الضعيفة العقل

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (١/ ٣٢٤).

التي قال فيها ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل: ٩٢] جعلها كامرأة ضعيفة العقل، تفتل ثم تنقض، فلا ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك يعمل ثم يحبط أعماله، يعمل الصالحات ثم يحبطها بأعماله السيئة، بل يجب أن يحافظ على طاعة الله، ويستقيم عليها، ويحذر أسباب بطلانها، وهكذا ذمَّ أهل الكتاب النصارى؛ حيث قال ﷻ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، ذمَّهم على عدم الرعاية لما شرع الله لهم فابتدعوا، ولم يرعوا ما شرع الله لهم من طاعته، وعبادته.

فالواجب على المؤمن أن يرعى العبادة التي شرعها الله، ويحذر البدعة، ويستقيم على الحق حتى يلقى ربه، يكفيه الحق لا يبتدع ولا يحدث ولا يضعف ولا يكسل، وقال ﷻ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، هذا خطاب للنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٨ ـ ٩٩]؛ يعني: لا يضرك عصيان الكفرة وإعراضهم، لا تبالِ بهم، إنما على الرسل الدعوة إلى الله وبيان الحق، وهكذا أتباعهم عليهم الدعوة وبيان الحق: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس: ١٠٨]، يقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٧ ـ ٩٨]، يضيق صدره ـ عليه الصلاة والسلام ـ من كفرهم وإعراضهم وعنادهم، لكن الأمر بيد الله لو شاء لهداهم ﷻ، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣]، فالرسول والداعية إلى الله إنما عليه البلاغ والبيان، أما الهداية فبيد الله ﷻ؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]؛ يعني: استقم أنت على طاعة الله ولا تبالِ بمن خالف وأعرض، فإنما ضرره على نفسه وشره عليها، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢]، هذا جزاء أهل الاستقامة أهل الثبات على الحق، وفي الآية الأُخرى يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣ ـ ١٤]

فالواجب الاستقامة على الحق والثبات عليه وعدم الذوبان أو الذبذبة أو الإعراض والغفلة، لا، كن ثابتًا على الحق، وقد ذمَّ الله المنافقين بقوله: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾؛ يعني: ليس لهم استقامة على الحق، بل تارة مع الكفرة، وتارة مع أهل الإيمان؛ لمرض قلوبهم وقسوتها، وما فيها من الشك والريب، فهم ليسوا على ثبات بل تارة مع الكفرة، وتارة مع المؤمنين مذبذبين، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٢ ـ ١٤٣] لمرض قلوبهم وشكهم وريبهم، نسأل الله العافية.

يقول النبي ﷺ: «**أَحَبُّ العَمَلِ إِلَى اللهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ**»(١). أحب الأعمال إلى الله ما دمت عليه وثبت عليه من الطاعات؛ من صلاة الليل، صلاة النهار، الأذكار، الصدقات، ولو قليل بعد أداء الواجب، أدِّ الواجب، واترك المحرم، وما زاد على ذلك من الخير من صلاة الضحى، من التهجد بالليل، من قراءة القرآن، من الأذكار ما استطعت من ذلك فاثبت عليه ولو قليلًا، فإن أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قلَّ، كونه يتهجد من الليل بثلاث أو بخمس ويدوم على هذا

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره برقم (٧٨٢).

خير من كونه تارة وتارة، تارة يتهجد بالليل وتارة لا يتهجد، وهكذا صلاة الضحى، وهكذا الأذكار، وهكذا الصدقات، كونه يتصدق ولو بالقليل ويستمر على ذلك خير من ترك الصدقة إلا في بعض الأحيان ولو كثرها.

ويقول ﷺ في الحديث: «**مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ مِنَ اللَّيلِ، أَوْ عَنْ شَيءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وَصَلاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيلِ**»(١)، هذا من فضل الله ﷻ حتى يستمر الخير، فإذا كان له في الليل عادة يقرأ جزءًا أو أكثر أو أقل، ثم نام عنه أو شُغل عنه وقرأه في النهار بعد صلاة الفجر وقبل الظهر، كان كما لو قرأه بالليل في الفضل والأجر، فينبغي للمؤمن أن يكون حريصًا على الخير، ويستقيم عليه حتى يلقى ربه على الخير، وإن كان قليلًا، بعد أداء الفرائض وتركه المحارم.

وقال النبي في حق عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**يا عبد الله بن عمرو عليك بقيام الليل**»، وفي اللفظ الآخر: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**»(٢). وفي عبد الله بن عمر بن الخطاب: إنه رجل صالح لو كان يقوم من الليل، هذا فيه الحثُّ والتحريض على التهجد بالليل، وأنه ينبغي للمؤمن أن يكون له نصيب من الليل بعد العشاء، في وسط الليل، في آخر الليل، بعد العشاء مباشرة، يكون له نصيب من التهجد والوتر، هكذا المؤمن لا يَدَع هذه العبادة العظيمة التي شرعها الله وحثَّ عليها حتى قال سبحانه في أهلها: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٤]، هؤلاء عباد الرحمٰن الخُلَّص، وقال في حقِّهم: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ما جاء فيمن نام عن حزبه برقم (١٣٤٣)، والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب متى يقضي من نام عن حزبه من الليل؟ برقم (١٧٩٠).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل برقم (١١٢٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عباس برقم (٢٤٧٩).

يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ ـ ١٨]، وقال عنهم سبحانه: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦ ـ ١٧]، وقال للنبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٤].

المؤمن يكون له نصيب من الليل، طاعة لله وامتثالًا لأمره وحرصًا على ما رغَّب فيه سبحانه وتأسيًا بالنبي ﷺ وبعباد الرحمٰن الذين أثنى الله عليهم ومدحهم بالتهجد من الليل.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا شغله عن عمله بالليل مرض أو نوم صلَّى من النهار ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان في الليل يصلي إحدى عشرة، وربما صلَّى ثلاث عشرة وربما نقص عن ذلك فصلَّى سبعًا وتسعًا وخمسًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ وربما صلّى ثلاثًا على حسب التيسير، فإذا فاته ورده من الليل صلَّى بدلًا منه في النهار وكمله ولم يوتره، بل كمله شفعًا فيصلي من النهار اثنتي عشرة ركعةً بدل إحدى عشرة ركعة، يزيد واحدة، فهكذا السُّنَّة، إذا كان عادتك ثلاثًا تصلي أربعًا في النهار إذا فاتك في الليل عادتك خمس تصلي في النهار ستًّا، ثلاث تسليمات، عادتك سبع تصلي من النهار ثمانية، إذا فاتك في الليل أربع تسليمات عادتك تسع تصلي عشر ركعات، تسلم من كل ثنتين، عادتك إحدى عشرة تصلي ست تسليمات، تسلم من كل اثنتين، تأسيًا بالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ واستدراكًا لهذا الفضل حتى لا يفوت، فالإنسان قد يشغل في الليل، قد ينام، قد يمرض، قد يكون له شواغل تشغله عن راتبه في الليل، فالسُّنَّة له أن يستدركه بالنهار، وأن يفعله بالنهار؛ حتى لا يفوته هذا الخير.

❐ ❐ ❐

تفسير آيات من سورة المجادلة

□ **تفسير قول الله** ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة: ١](١).

هذه نزلت في امرأة ظاهَرَ منها زوجها، فأتت إلى النبي ﷺ تخبره بأن زوجها ضعيف كبير السن عاجز، ليس به حاجة إلى النساء، وتطلب السماح ببقائها عنده، فأخبر الله ﷻ عنها في قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ إلى آخره.

فالمقصود: أنه ظاهَرَ منها، فأفتاه النبي ﷺ بأن عليه الكفارة، عليه عتق رقبة مؤمنة، فإن عجز فصام شهرين متتابعين، فإن عجز أطعم ستين مسكينًا، فأخبره أنه عاجز عن الصيام، وعن العتق، فأمره النبي أن يكفِّر أن يطعم ستين مسكينًا، وهذا هو الحكم في كل من ظاهر من امرأته، إذا قال لزوجته: هي عليَّ حرام، أو: هي كظهر أمي، أو: هي محرَّمة عليَّ كظهر أمي، أو: كظهر أختي، أو: جدتي أو ما أشبه ذلك، فإن هذا يُسمَّى ظهارًا، وهو محرَّم لا يجوز، ليس للمسلم أن يظاهر؛ لأن الله قال فيه: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾،

---

(١) من برنامج نور على الدرب بصوت مقدم البرامج فضيلة الدكتور عبد العزيز العسكر حفظه الله «موقع سماحته رحمه الله».

وهو منكر وزور، ليست امرأته محرَّمة عليه، وليست كأمه، بل هي أباحها الله له، فليس له أن يقول: هي علي كظهر أمي أو: محرمة، ليس له ذلك، أو: هي محرمة، ليس له ذلك، ومتى قال ذلك فعليه التوبة والاستغفار، وعليه الكفارة، وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد صام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع أطعم ستين مسكينًا ثلاثين صاعًا، كل صاع بين اثنين من التمر أو من الأرز أو من غيرهما من قوت البلد، قبل أن يتماسَّا، قبل أن يقربها، هذا هو الذي بيَّنه الله ـ سبحانه ـ في كتابه العظيم، وبيَّنه رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ **[المجادلة: ٧]**(١).

معناها: أنه مطَّلع سبحانه على جميع عباده أينما كانوا؛ يسمع كلامهم وسرَّهم ونجواهم، ورسله من الملائكة الكرام والكاتبين الحفظة أيضًا مع ذلك يكتبون ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له.

والمراد بالمعيَّة المذكورة في هذه الآية ـ عند أهل السُّنَّة والجماعة ـ: معية علمه ﷻ فهو معهم بعلمه، ولكن سمعه أيضًا مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو ﷻ مُطَّلعٌ على خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء، مع أنه سبحانه فوق جميع الخلق، قد استوى على

---

(١) جزء من جواب على سؤال عُرِض على سماحته رحمه الله ونُشِر مطولًا في مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٨/ ٤٠٧).

عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته، ولا يشابه خلقه في شيء من صفاته، كما قال ﷻ: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ثم ينبئهم يوم القيامة بجميع الأعمال التي عملوها في الدنيا؛ لأنه ـ سبحانه ـ بكل شيء عليم، وبكل شيء محيط، عالم الغيب، لا يَعزُب عن علمه مثقال ذرة في السمٰوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المجادلة: ١٠][1].

فهذه الآية الكريمة في النجوى هي التسار في الحديث، وهي من الشيطان إذا كان في شر، إذا كانت النجوى في شر وإرادة سوء فهي من الشيطان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، أما النجوى في حق وفي حاجة فلا بأس بها إذا لم يكن بينهما أحد أو عندهما أكثر من واحد فلا بأس، أما إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث، أو أربعة لا يتناجى ثلاثة دون الرابع وهكذا، أما إذا كان الباقي الذي لم يدخل في النجوى أكثر من واحد فلا بأس؛ لأنه إذا تناجوا والواحد معهم لا يعلم ما يقولون، قد يظن أنهم يتناجون فيه ويتهمهم ويحزنه ذلك؛ ولهذا قال ﷺ: «إِذَا كَانُوا ثَلَاثَة فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»[2]، في اللفظ الآخر: «**حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ مِنْ أَجْلِ أَنْ**

---

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٤/ ٣٤٥).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب لا يتناجى اثنان دون الثالث برقم (٦٢٨٨)، ومسلم في كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه برقم (٢١٨٣).

يُحْزِنَهُ»[١]، فإذا كانوا ثلاثة فليس للاثنين أن يتناجيا دون الثالث، وإذا كانوا أربعة فليس لثلاث أن يتناجوا دون الرابع، وإذا كانوا خمسة فليس للأربع أن يتناجوا دون الخامس، إذا كان الباقي واحدًا فليس لهم التناجي دونه، أما إذا كان الباقي أكثر من واحد فلا حرج.

وفَّق الله الجميع.



(١) متفق عليه من حديث عبد الله رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة برقم (٦٢٩٠)، ومسلم في كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه برقم (٢١٨٤).

تفسير آيات من سورة الحشر(١)

﴿ٱلۡجَلَآءَ﴾ [٦]: الإخراج من أرض إلى أرض.

حدّثنا محمّد بن عبد الرّحيم، حدّثنا سعيد بن سليمان، حدّثنا هشيمٌ، أخبرنا أبو بشرٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، قال: قلت لابن عبّاسٍ: سورة التّوبة؟ قال: التّوبة: هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتّى ظنّوا أنّها لم تبق أحدًا منهم إلّا ذكر فيها، قال: قلت سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدرٍ، قال: قلت: سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النّضير(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: الفاضحة لأهل النّفاق الّذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وهم أعداء الله وأعداء المؤمنين، فضحتهم سورة التّوبة، وبيّنت خزيهم: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، ثم عدَّد فيهم، منهم، ومنهم، ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ [التوبة: ٦١].

حدّثنا الحسن بن مدركٍ، حدّثنا يحيى بن حمّادٍ، أخبرنا أبو عوانة،

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب برقم (٤٨٨٢)، ومسلم في كتاب التفسير، باب في سورة براءة والأنفال والحشر برقم (٣٠٣١).

عن أبي بشرٍ، عن سعيدٍ، قال: قلت لابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: سورة الحشر؟ قال: «قل سورة بني النّضير»(١).

*

تفسير قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ [الحشر: ٥](٢).

نخلةٍ، ما لم تكن عجوةً، أو برنيّةً.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

- **س: اللينة، أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

النخل يعني: ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٥] يوم الحشر حين قطعوا النّخيل حرّقها، نخيل بني النّضير، قطعها، لما صار الكفّار يتوقون بها، ويتستّرون بها في حرب المسلمين أمر بقطعها، وفي هذا يقول حسّان رضي الله عنه:

وهان على سَراة بني لؤيٍّ حريقٌ بالبويرة مستطير

- **س: أليس من أجل - أحسن الله إليك - الإغاثة لهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم، ولأجل تسهيل الحرب.

- **س: استثناء العجوة والبرنية من النّخلة: «النّخلة ما لم تكن عجوةً أو برنيةً»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا يحتاج مراجعة كلام أهل التّفسير في هذا، أقول: يحتاج إلى مراجعةٍ؛ كلام البخاريّ قد يكون أخذه من بعض النّاس، من بعض السّلف، المعروف باللّينة من النّخل.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

• **س: ما ثبت عند البخاريّ الظّهار الّذي بين أوس بن الصّامت رضي الله عنه وزوجته خولة بنت ثعلبة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: كيف؟

(الطالب): هنا المجادلة أو المجادلة، ما ثبت عنده قصة الظّهار؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: المجادلة معروفةٌ بلا شكٍّ، بنصّ القرآن، أقول: بنصّ القرآن.

• **س: ما ثبت في البخاريّ، ما أورد إلّا معاني الكلمات؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: يمكن في محلٍّ آخر، لعلّه ليس على شرطه.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ [الحشر: ٥].

«نخلةٍ ما لم تكن عجوةً أو برنيّةً».

*

حدّثنا قتيبة، حدّثنا ليثٌ عن نافعٍ، عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنّ رسول الله ﷺ حرّق نخل بني النّضير، وقطع، وهي البويرة، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾[(١)]».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وفي هذا من الفوائد: أنه يجوز لوليّ الأمر تحريق وإتلاف بعض العدوّ؛ إذا رأى المصلحة في ذلك، إذا رأى المصلحة في ذلك، فله أن يتلف ما يرى، ويحرّق ما يرى، ولا يكن من إضاعة المال المنهيّ عنه،

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب المزارعة، باب قطع الشجر والنخيل برقم (٢٣٢٦)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها برقم (١٧٤٦).

بل هذا من إغاظة المشركين، ومن تعذيبهم، ومن تسهيل نصر المسلمين عليهم.

❊

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الحشر: ٧][(١)].

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا سفيان - غير مرّةٍ - عن عمرٍو، عن الزّهريّ عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضي الله عنه قال: «كانت أموال بني النّضير ممّا أفاء الله على رسوله ﷺ، ممّا لم يوجف المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركابٍ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصّةً، ينفق على أهله منها نفقة سنته، ثمّ يجعل ما بقي في السّلاح، والكراع، عدّةً في سبيل الله»[(٢)].

❊

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧][(٣)].

حدّثنا محمّد بن يوسف، حدّثنا سفيان، عن منصورٍ، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: «لعن الله الواشمات، والموتشمات، والمتنمّصات، والمتفلّجات للحسن، المغيّرات خلق الله»، فبلغ ذلك امرأةً من بني أسدٍ، يقال لها: أمّ يعقوب، فجاءت فقالت: إنّه بلغني أنّك

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ برقم (٤٨٨٥)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء برقم (١٧٥٧).

(٣) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

لعنت كيت، وكيت، فقال: «وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ، ومن هو في كتاب الله»، فقالت: لقد قرأت ما بين اللّوحين، فما وجدت فيه ما تقول، قال: «لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؟»، قالت: بلى، قال: «فإنّه قد نهى عنه»، قالت: فإنّي أرى أهلك يفعلونه، قال: «فاذهبي فانظري»، فذهبت، فنظرت، فلم تر من حاجتها شيئًا، فقال: «لو كانت كذلك ما جامعتها».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: ما أبقيتها، جامعتها؛ يعني: ما أبقيتها.

والمقصود من هذا أن الرّسول ﷺ إذا نهى عن شيءٍ، أو أمر بشيءٍ فهو من أمر الله جل جلاله؛ لأنّه قال جل جلاله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، وقال جل جلاله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٤]، وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النِّساء: ٨٠] إلى غير هذا من الآيات.

فالّذي أمر به الرّسول ﷺ، أو نهى عنه الرّسول ﷺ ينسب إلى الله، هو أمر الله وأمر رسوله ﷺ؛ لأنّ محمّدًا إنّما يبلّغ عن الله، ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٧٦]، فهو مبلغٌ.

ولهذا في حجّة الوداع لما خطب النّاس وبيّن لهم مناسك الحجّ، وحذّرهم من ظلم بعضهم بعضًا: في دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم، وبيّن لهم أشياء كثيرةً مما يحتاجون إليه، قال: «**وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُم قَائِلُونَ**»(١)؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت، وأدّيت ونصحت، فجعل

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨).

يرفع أصبعه إلى السّماء، ثمّ ينكبها إلى النّاس ويقول: «**اللَّهُمَّ اشْهدْ، اللَّهُمَّ اشْهدْ**».

• **س: أحسن الله إليك، قد يوجد في الأسنان شيءٌ من التمايل فيقوّمها، أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا ليس من التّفليج، التّفليج للحُسن، فإذا صار فيها عيبٌ، أو سوادٌ أو شيءٌ، فهذا من باب الدّواء من باب العلاج.

• **س: شدّ البشرة وما أشبه ذلك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: كذلك، إذا كان فيها شيءٌ من المرض، من الحوادث، فعلاجها من باب التّداوي.

حدّثنا عليٌّ، حدّثنا عبد الرّحمن، عن سفيان قال: ذكرت لعبد الرّحمن بن عابسٍ حديث منصورٍ، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لعن رسول الله ﷺ الواصلة» فقال: سمعته من امرأةٍ يقال لها أمّ يعقوب، عن عبد الله مثل حديث منصورٍ[(١)].

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧][(٢)].

فهذه الآية الكريمة تتعلق بوجوب تعظيم سُنَّة الرسول ـ عليه الصلاة

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر برقم (٥٩٣٧) وبرقم (٥٩٤٠)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة... إلخ برقم (٢١٢٤).

(٢) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لكتاب رياض الصالحين (١/ ٣٣٠).

والسلام ـ واتباعها والاستقامة عليها، وسنته هي ما ثبت عنه من أحاديثه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أقواله وأفعاله ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ لأن الرسول ﷺ هو المبلِّغ عن الله، هو المفسِّر لكلام الله والمبيِّن لمعنى القرآن الكريم.

الواجب على أهل الإسلام أن يعظِّموا سنته، وأن ينقادوا لها، وأن يتبعوها ويستقيموا عليها؛ لأن الله بعثه بالقرآن، وبعثه بالسُّنَّة كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إِنِّي أُوتيتُ القُرآنَ وَمِثْلَهُ مَعَه**»[1]، وهو ما أوحى الله إليه من الأحاديث في سائر أمور الدين؛ ولهذا قال الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، فما جاء به ﷺ من قول وعمل فهو يفسِّر به كتاب الله، ويبيِّن به شرعه سبحانه وتعالى، وقال ﷻ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٢]؛ يعني: محمدًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ الضال الجاهل، والغاوي الفاهم العلم يعلم ويخالف علمه، فليس بغاوٍ ولا جاهل، عليه الصلاة والسلام، بل إنما يتحدث عن علم مما شرع الله له ﷻ؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]؛ يعني: أوحى الله إليه ﷻ.

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]؛ يعني: النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فلا بد من تحكيمه واتباع ما جاء به، والرضى بذلك والتسليم له، وقال ﷻ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، ويقول ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث المقدام بن معد يكرب (٤/ ١٣٠).

كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، فمن كان صادقًا في محبة الله فعليه اتباع الرسول ﷺ والسير على منهاجه؛ قال ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فالذي يخالف أمر الله ورسوله على خطر عظيم من زيغ القلب، فالواجب الحذر من ذلك، وأن يستقيم على ما قاله الله ورسوله، وأن ينقاد لذلك، وأن يثبت على ذلك، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] ردّوه إلى الله؛ يعني: إلى القرآن وإلى الرسول؛ يعني: إليه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ، هذا هو الواجب على أهل الإسلام.

فعلى كل مسلم أن ينقاد لشرع الله، وأن يستقيم على أمر الله، وأن يحافظ على حدود الله، وأن يفسِّر كلام الله بما ثبت عن رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ ولهذا يقول ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] ففيه الأسوة ـ عليه الصلاة والسلام ـ الحسنة لجميع المسلمين؛ ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ واخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**»(١)، هلاك الناس بالاختلاف على الأنبياء وعدم القيام بما قاله الأنبياء، فدلَّ ذلك على وجوب اتباع ما قاله النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ والاستقامة على هديه وشريعته، كما قال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ يعني: تُرشد الناس وتدُلهم على صراط مستقيم، وهو الإسلام وهو دين الله؛ ولهذا

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٧٢٨٨)، ومسلم في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر برقم (١٣٣٧).

قال بعده: «**فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»(١)، وما نهى عنه الرسول ﷺ وجب اجتنابه والحذر منه، وما أمر به وجب أن نأتي منه ما استطعنا، فاتقوا الله ما استطعتم، من عجز أن يصلي قائمًا صلى قاعدًا، ومن عجز أن يصلي قاعدًا صلى على جنبه، من عجز عن الماء تيمم، وهكذا، فاتقوا الله ما استطعتم.

وخطَبَهم ذات يوم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقالوا له: **(يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ)**؛ لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أظهر لهم فيها العناية الكاملة بهم وتوجيههم وترقيق قلوبهم حتى ذرفت العيون ووجلت القلوب؛ لأنه بالغ في الخطبة ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالموعظة فقالوا: يا رسول الله كأنها موعظة، هذه الموعظة كأنها موعظة إنسان مودع لأهله وجماعته وقومه فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة**»؛ يعني: لولاة الأمور، فأوصاهم بتقوى الله في أداء حقه امتثال أوامره وترك نواهيه ﷻ ثم قال: «**والسمع والطاعة**» لولاة الأمور؛ لأن السمع والطاعة لولاة الأمور فيها اجتماع الكلمة، وفيها الأمن، وفيها الطمأنينة، وفيها ظهور الحق، وفيها نصر الحق، وفيها دحض الباطل. أما الاختلاف والمنازعات ففيها الهلاك. «**وَإِنْ تَأَمَّر عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ**»(٢)، في الرواية الأخرى: «**مُجَدَّع الأَطْرَافِ**»(٣)؛ يعني: عليكم السمع والطاعة لأميركم في طاعة الله ورسوله في المعروف، كما في الرواية الأخرى (في المعروف).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه في كتاب السنة، باب في لزوم السنة برقم (٤٦٠٧)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين برقم (٤٢)، والإمام أحمد (٤/ ١٢٦).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه في كتاب المساجد، باب وقت العشاء وتأخيرها برقم (٦٤٨).

ثم قال: «**فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اختِلافًا كَثيرًا**»؛ يعني: من يطول عمره «**مِنْكُمْ فَسَيَرَى اختِلافًا كَثيرًا**»، قد وقع ذلك، وقع الخلاف ووقع النزاع، فأرشد ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى سنته: «**فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتِي**»؛ يعني: طريقتي وما أنا عليه من العلم والعمل، وهكذا سُنَّة الخلفاء الراشدين من بعده ﷺ: الصدِّيق أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، هؤلاء هم الخلفاء الراشدون: «**تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»؛ يعني: عضوا عليها بالأضراس؛ يعني: تمسَّكوا بها جدًّا والزموها، هذا هو الواجب على أهل الإسلام أن يتمسكوا بطريقته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وطريقة أصحابه ويسيروا عليها ويلزموها، وألا يلتفتوا إلى من خالفها، هكذا المؤمن يلزم الحق ويستقيم عليه، ولو خالفه من خالف.

ولهذا قال بعده: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُور**»؛ يعني: احذروا المحدثات، احذروا البدع التي يأتي بها الناس بعد ذلك، حتى يخالفوا السُّنَّة ويخالفوا الشريعة، «**فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

وكان يقول هذا في خطبته ﷺ في الجمعة، يقول في خطبته يوم الجمعة: «**فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١). فلا يجوز لمؤمن أن يُحدِث في الدين ما لم يأذن به الله، كما قال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، الواجب علوم الشريعة التي جاء بها نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ والاستقامة عليها، والحذر من كل ما يخالفها، هذا هو الواجب على جميع المسلمين، وهذا هو طريق

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ برقم (٤٨٨٨).

النجاة، وهذا هو الصراط المستقيم الذي قال الله فيه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وقال فيه سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. فصراط الله هو الإسلام، هو دين الله الذي بعث به محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهو طاعة الأوامر وترك النواهي، والوقوف عند حدود الله، وما خالف ذلك فهو السبل التي تدعو إليها الشياطين، ما خالف طريق النبي ﷺ ودينه الذي جاء به من طاعة الله ورسوله والوقوف عند حدود الله والسير على منهاج الله الذي رسمه لعباده، من خالف ذلك وحاد عن ذلك فقد تابع السبل التي هي طرق الشياطين، وهي البدع التي أحدثها من خالف الشرع، ولا سيما في هذه العصور الأخيرة التي اشتدت فيها غربة الإسلام، وكثر فيها من خالف الدين، واتُّبع الهوى، فإن الواجب على المؤمن في هذا أكثر من غيره في هذا العصر وما مضى من العصور، الواجب عليه أن يتمسك بالشريعة غاية التمسك، وأن يلزم كتاب الله القرآن وسُنَّة الرسول ﷺ بكل ما يستطيع حتى لا يأخذه أعداء الله، حتى لا يجرَّه أعداء الله إلى اتباع الهوى وطاعة الشيطان فيهلك مع من هلك.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الحشر: ٩][1].

حدّثنا أحمد بن يونس، حدّثنا أبو بكرٍ؛ يعني: ابن عياش، عن حصينٍ، عن عمرو بن ميمونٍ قال: قال عمر رضي الله عنه: «أوصي الخليفة بالمهاجرين الأوّلين، أن يعرف لهم حقّهم، وأوصي الخليفة بالأنصار

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

الّذين تبوّؤوا الدّار والإيمان من قبل أن يهاجر النّبيّ ﷺ، أن يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الله أكبر، رضي الله عنهم جميعًا، هكذا وليّ الأمر يوصي من خلفه بما ينبغي، يوصي من خلفه من الولاة بما ينبغي من طاعة الله ورسوله، وإكرام ذوي الفضل ومعرفة أقدارهم، وإنزالهم منازلهم كما أوصى عمر رضي الله عنه وأرضاه.

ومعنى العفو عن مسيئهم؛ يعني في المسائل الّتي تحتمل، مثل ما في الحديث الآخر: «**أَقِيلُوا ذَوِي الهَيئاتِ عَثَراتِهِم**»(٢)، إلّا الحدود؛ فالحدود وحقّ الآدميّين يجب أن ينفّذ.

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآيَةَ [الحشر: ٩](٣).

الخصاصة: الفاقة، ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾: الفائزون بالخلود. الفلاح: البقاء، حيّ على الفلاح: عجّل، وقال الحسن: ﴿حَاجَةً﴾ [٩]: حسدًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾؛ يعني: ما يجدون حسدًا؛ يعني: لا يحسدون إخوانهم المهاجرين على ما آتاهم الله من

(١) أخرجه البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا برقم (١٣٩٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ برقم (٤٨٨٩)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب إكرام الضعيف وفضل إيثاره برقم (٢٠٥٤).

(٣) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

فضله، بل الأنصار يحبّون المهاجرين، ويؤثرونهم، ويواسونهم، ولا يحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله.

حدّثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثيرٍ، حدّثنا أبو أسامة، حدّثنا فضيل بن غزوان، حدّثنا أبو حازمٍ الأشجعيّ، عن أبي هريرة ﷺ قال: أتى رجلٌ رسول الله ﷺ فقالٌ: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه، فلم يجد عندهنّ شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: «**أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُه اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللهُ؟**» فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ، لا تدّخريه شيئًا، فقالت: والله ما عندي إلّا قوت الصّبية، قال: فإذا أراد الصّبية العشاء فنوّميهم، وتعالي فأطفئي السّراج، ونطوي بطوننا اللّيلة، ففعلت، ثمّ غدا الرّجل على رسول الله ﷺ فقال: «**لَقَدْ عَجِبَ اللهُ** ﷻ**، أَوْ ضَحِكَ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةَ**»، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [٩][(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

رضي الله عنهم، وفي هذا الحثّ على إكرام الضّيف، والمحتاج والفقير، وأنّ من نزل به المحتاج وليس عنده شيءٌ يشفع إلى غيره، يقول من يضيّف هذا؟ من يحسن إلى هذا؟ من يرحم هذا أيّها الإخوة؟ من باب التّعاون على البرّ والتّقوى، كما قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

فإذا عرفت أنّ فلانًا ذو حاجةٍ شديدةٍ؛ وليس عندك ما يسدّ حاجته؛ تشفع له عند من يسدّ حاجته، كلّه من التّعاون على البرّ والتّقوى.

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير (ص٩٤٤).

• **س: عفا الله عنك، ظاهر السّياق أنّ المرأة كانت حاضرةً مع الضّيف حال الأكل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أعلم، تكلّم الشّارح على القصّة، كلام الأنصاريّ، قال لزوجته أطفئي السّراج، ماذا قال الشّارح؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٣١)]: «قوله: (**أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ** ﷺ): هذا الرّجل هو أبو هريرة، وقع مفسّرًا في رواية الطّبرانيّ، وقد نسبته في المناقب إلى تخريج أبي البختريّ الطّائيّ في صفة النّبيّ ﷺ، وأبو البختريّ لا يوثق به.

قوله: (**ألا رجلٌ يضيّفه هذه اللّيلة يرحمه الله**): في رواية الكشميهنيّ: يضيّف هذا رحمةً ـ بالتّنوين.

قوله: (**فقام رجلٌ من الأنصار**): تقدّم شرح هذا الحديث في مناقب الأنصار أنّه أبو طلحة، وتردّد الخطيب هل هو زيد بن سهلٍ المشهور، أو صحابيٌّ آخر يكنّى أبا طلحة. وتقدّم أيضًا قول من قال: إنّه ثابت بن قيسٍ، ولكن أردت التّنبيه هنا على شيءٍ وقع للقرطبيّ المفسّر ولمحمّد بن عليّ بن عسكرٍ في «ذيله» على تعريف السّهيليّ؛ فإنّهما نقلا عن النّحّاس والمهدويّ: أنّ هذه الآية نزلت في أبي المتوكل، زاد ابن عسكرٍ النّاجيّ وأنّ الضّيف ثابت بن قيسٍ، وقيل: إنّ فاعلها ثابت بن قيسٍ. حكاه يحيى بن سلّامٍ. انتهى.

وهو غلطٌ بيّنٌ، فإنّ أبا المتوكّل النّاجيّ تابعيٌّ مشهورٌ، وليس له في القصّة ذكرٌ، إلّا أنّه رواها مرسلةً أخرجها من طريق إسماعيل القاضي كما تقدم هناك، وكذا ابن أبي الدّنيا في كتاب «قَرى الضّيف»، وابن المنذر في «تفسير» هذه السّورة كلّهم من طريق إسماعيل بن مسلمٍ، عن أبي المتوكّل: أنّ رجلًا من المسلمين مكث ثلاثة أيّامٍ لا يجد شيئًا يفطر

عليه حتّى فطن له رجلٌ من الأنصار يقال له: ثابت بن قيس... الحديث.

وقد تبع ابن عسكرٍ جماعةٌ من الشّارحين ساكتين عن وهمه؛ فلهذا نبّهت عليه، وتفطّن شيخنا ابن الملقن لقول ابن عسكرٍ: إنّه أبو المتوكّل النّاجيّ؛ فقال: هذا وهمٌ؛ لأنّ أبا المتوكّل النّاجيّ تابعيٌّ إجماعًا. انتهى. فكأنّه جوّز أنّه صحابيٌّ يكنّى أبا المتوكّل، وليس كذلك.

قوله: **(ونطوي بطوننا اللّيلة)** في حديث أنس عند ابن أبي الدّنيا...». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا عند ابن أبي الدّنيا قد يثبت، وقد لا يثبت، ولو ثبت، فهم قد أطفؤوا السّراج، وأظهروا له أنّهم يأكلون معه حتّى تسمح نفسه؛ حتّى يأكل ويشاركونه في المحادثة، وقد يكون هذا لأنّه لا يراه، ولهذا يتلمّظون، يورونه أنّهم يأكلون، وإذا كان لا يرى ما يضرّ، ولكن هذه رواية ابن أبي الدّنيا ما يعلم صحّتها.

● **س: أورده البخاريّ ـ عفا الله عنك ـ في مناقب الأنصار: «وأريه أنّا نأكل»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يحتاج إلى ثبوته، وإذا ثبت معناه أنّه لا بأس أن يأكلوا جميعًا، لكن من غير أن يرى، فقد أطفئ السّراج، ظلمةٌ.

● **س: التّلمظ مع إطفاء السّراج؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا التّلمظ؛ يعني: حتّى يسمع صوت أنّهم يأكلون.

● **س: فيه حجاب يا شيخ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما فيه حجاب، ما دام ظلمة ما فيه حجاب.

● **س: أحسن الله إليك، في «صحيح مسلم» أنّه قال: «فإذا أراد أن يأكل فأطفئي السراج، وأريه أنا نأكل»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا واضحٌ.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠](١).

ففي هذه الآية الدعاء للمؤمنين بظهر الغيب، وأن المؤمن يدعو لأخيه في غيبته سواء حيًّا أو ميتًّا؛ لأن المؤمن أخو المؤمن يحب له الخير ويكره له الشر، فيستحب للمؤمن أن يدعو لإخوانه المؤمنين بالمغفرة والرحمة والصلاح والاستقامة والتوفيق والهداية، المؤمن أخو المؤمن؛ ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**»(٢).

والله يقول في كتابه العظيم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، ويقول ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾؛ يعني: من بعد الصحابة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ، كتاب عيادة المريض وتشييع الميت. . . . ، باب الصدقة عن الميت والدعاء لَهُ (٣/ ٢٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم برقم (٦٠١١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٢٥٨٦).

تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] فدعوا لأنفسهم ولمن سبقهم من إخوانهم، والله يقول ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، ونوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨] هذا من نصح الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يدعون الله لمن آمن من أمتهم، ويسألون الله الهداية لمن لم يؤمن.

والنبيُّ ﷺ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، فالمؤمن يستغفر لإخوانه لوالديه لأقاربه، لجيرانه، لأحبابه يدعو لهم بالمغفرة ربما صادفت دعوة مستجابة، في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ إِلَّا قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ**»(١). فدعواتُ المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب مستجابة، فأنت يا أخي على خير في دعوتك لأخيك تنفعه وتنفع نفسك، الملَك يؤمِّن ويدعو لك يقول: لك بمثله، إذا قلت: اللَّهُمَّ اغفر لفلان، اللَّهُمَّ أصلح قلبه وعمله، اللَّهُمَّ يسِّر أموره، اللَّهُمَّ ارزقه الذرية الصالحة، الزوجة الصالحة، العلم النافع، تدعو لأخيك ما تراه مناسبًا، والملك الموكل يقول: آمين وَلَكَ بِمِثْلٍ، وهذا في الحقيقة إنما يقع من أصحاب القلوب السليمة الراغبة في الخير المحبة للخير، فإنها تعتني بهذه المسائل؛ لما في قلوبها من الرقة والمحبة والرغبة فيما عند الله والنصح لعباد الله، فيدعو لنفسه، ويدعو لإخوانه المسلمين.

*

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه في كتاب الذكر والدعاء برقم (٢٧٣٢).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠][1].

هذه الآية تتعلق بالصدقة على الميت والدعاء، أجمع أهل العلم على أن الصدقة تلحق الميت وتنفعه، وهكذا الدعاء قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ يعني: من بعد الصحابة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ فأثنى عليهم بالدعاء لإخوانهم السابقين، فالمؤمن يدعو لإخوانه السابقين بالمغفرة والرحمة، يدعو لوالديه وأحبابه وإخوانه في الله، فالدعاء للميت أمر مطلوب ونافع ومفيد، الميت المسلم، وهكذا قوله ﷺ من شيَّع الميت إذا فرغ قال: «**اسْتَغْفِرُوا لأخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسألُ**»[2]. في الحديث الصحيح: «**مَنْ دَعَا لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**»[3]، فيستحب للمؤمن أن يكثر من الدعاء لوالديه المسلمين وذريته وأهل بيته: إخوانه أحبابه، صدقة «**إِذَا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**» ذكر الولد وليس خاصًّا بالولد، دعاء إخوانه وأحبابه والديه وغيرهم ينفع؛ لكن الولد بالأخص...؟ لأن الولد بضعة من أبيه وأقرب الناس إليه، وهو أولى الناس بأن يجتهد في الدعاء لأبيه والترحُّم عليه، وإلا فالدعاء من

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ (٣/ ٢٩٣).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب برقم (٢٧٣٢).

(٣) أخرجه البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في كتاب الجنائز، باب موت الفجأة البغتة برقم (١٣٣٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه برقم (١٠٠٤).

أبيه، من أخيه، من عمه وغيره من المسلمين ينفع كما تقدَّم، وهكذا الصدقة بالمال القليل والكثير ينفع، والصدقة الجارية الأوقاف الجارية؛ كالمساجد والمدارس والكتب التي تُطبَع وتُوزَّع وقفًا والمصاحف، وهكذا ما يُصرف في وجوه البر هذه صدقة جارية، وهكذا الدعاء للحي كما ينفع الميت ينفع الحي أيضًا، الدعاء للأحياء والأموات جميعًا والصدقة للأحياء والأموات نافعة.

في الحديث الصحيح: (**أن رجلًا قال: يا رسول الله، إنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا** يعني: أُخذت نفسها فجأة، **وأُرَاهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ:** «**نَعَمْ**»). فالميت يُؤجَر بصدقة الحي عنه إذا كان الميت مسلمًا، وهكذا الحج والعمرة عن الميت وعن الهَرم تنفعه، وسُئل النبي عن ذلك، سأل رجال ونساء عن الحج عن الميت والعمرة فأمرهم بالحج، فجاءت امرأة فقالت: أَنَّ أَبِي أَدْرَكَهُ الحَجُّ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَثْبُتُ عَلَى رَاحِلَتِهِ أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟) قَالَ: «**نَعَمْ**»[1]. وجاءه رجل رشيد: (إنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ الحَجَّ وَلَا العُمْرَةَ وَلَا الظَّعْنَ). قَالَ: «**احْجُجْ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ**»[2].

فالاستثناء للضعيف مثل الميت يحج عنه ويعتمر عنه، هكذا قضاء الديون تنفع الميت إذا قُضيت عنه تنفعه، فالمشروع للمؤمن أن يهتم بوالديه وأولاده وإخوته بالدعاء لهم والترحُّم عليه، وإذا تيسَّر له الصدقة فخير إلى خير، والحج والعمرة كله خير، وأيسرها ـ الحمد لله ـ الدعاء،

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب وجوب الحج برقم (١٥١٣)، ومسلم في كتاب الحج، باب الحج عن العاجز برقم (١٣٣٤).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث لقيط بن عامر ﵁ في كتاب المناسك، باب الرجل يحج عن غيره برقم (١٨١٠)، والترمذي في كتاب الحج، باب ٨٧ برقم (٩٣٠).

ميسَّر ـ بحمد الله ـ بدون كلفة من أقاربه وغيره من المسلمين، والدعاء لولاة الأمور بالتوفيق والهداية، وصلاح البطانة والإعانة على كل خير من أهم الدعوات، الدعاء لولاة الأمور من الأُمراء والوزراء وكل من يتولى أمر المسلمين، الدعاء لهم بالتوفيق والهداية وصلاح النية والعمل والتوفيق لإصابة الحق، كل هذا من الدعاء المطلوب.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر: ١٨][١].

فقد قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ١٨ ـ ٢٠]، الله ﷻ في كتابه الكريم يخاطب المؤمنين، في مواضع كثيرة من القرآن، يأمرهم بالتقوى؛ لأنها دين الله؛ لأنها توحيده وطاعته؛ لأنها امتثال أوامره، وترك نواهيه؛ لأنه يتقي بذلك غضب الله، وعقابه، وفي بعض الآيات، يأمر الناس جميعًا، فيقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

---

(١) من كلمات سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في موسم حج ١٤١٧هـ.

فجميع العباد مأمورون بالتقوى، وهو عبادة الله، التي خُلِقوا لها، وأُمِروا بها؛ لقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، خُلِقوا ليعبدوا الله، وهذه العبادة هي تقوى الله، هي توحيد الله، وطاعته، هي الإسلام، والإيمان، والهدى، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وهذا الإسلام هو الهدى؛ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، وهو الإيمان، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]، ويقول النبي ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»(١).

فالواجب على كل مكلَّف، من الرجال والنساء، من الجن والإنس، من العرب والعجم، أن يتقي الله، وأن يعبد الله كما أمره الله، وذلك بتوحيده والإخلاص له، وتخصيصه بالعبادة، فلا يدعو إلا ربه؛ ولا يستغيث إلا به؛ ولا يذبح إلا له؛ ولا يصلي إلا له؛ ولا ينذر إلا له؛ ولا يسجد إلا له؛ ولا يصوم إلا له، العبادة حقه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، ويقول سبحانه: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾

---

(١) سبق تخريجه في (ص٧٨).

[الجن: ١٨]، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، القطمير: اللفافة التي على النواة، اللفافة التي على النواة يقال لها: القطمير، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ما بين ميت، وصنم، وغائب؛ لا ينفعك، العبادة حق الله، ارفع حاجتك إليه ﷻ، واسأله من فضله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

فالواجب عليك، يا عبد الله، التقوى، وهي توحيد الله وطاعته، أن تتقي غضبه، وعقابه، بفعل أوامره، وترك نواهيه، سمَّى الله دينه تقوى؛ لأن المتقي يقي نفسه عذاب الله، المتقي بطاعته لله، وتوحيده لله، وإتباعه شرع الله، يقي نفسه عذاب الله، يعيذها عن غضب الله، يسبب لها دخول الجنة والنجاة من النار، بهذه التقوى، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٧٠]؛ يعني: اعبدوا الله، وعظِّموه، وأطيعوه، وأخلصوا له العبادة، وانقادوا لشرعه، واتبعوا رسوله محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، هذه التقوى، أن تخص الله بالعبادة، وأن تؤمن به وبرسوله محمد ﷺ، وأن تؤمن بكل ما أخبر الله به ورسوله، عما كان وما يكون، صادقًا يطابق قلبك لسانك، ولسانك قلبك، ثم تعمل فتؤدي حق ربك، تقيم الصلاة، تؤدي الزكاة، تصوم رمضان، تحج البيت، تبتعد عن الشرك كله قليله، وكثيره، تبتعد عن محارم الله، من الزنا، والربا، والعقوق، وقطيعة الرحم، والغيبة، والنميمة، وشرب المسكرات، إلى غير ذلك.

هكذا المؤمن، يؤدي ما أوجب الله، ويبتعد عما حرَّم الله، يرجو ثواب ربه، ويخشى عقابه؛ هكذا المتقي لله؛ هكذا المؤمن لله، هكذا المسلم حقًّا، هو الذي ينقاد لشرع الله، ويبتعد عن محارم الله،

ويخص الله بالعبادة، دون كل ما سواه، ورأس هذا الأمر: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هذا هو أصل هذا الدين، ورأس هذا الأمر، أن تشهد أنه لا إلٰه إلا الله؛ أي: لا معبود حق إلا الله، وأن تشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله الله إلى الناس عامة، إلى الجن والإنس، وختم به الرسل: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، قال ـ سبحانه ـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فهو رحمة للعالمين جميعهم، جنِّهم، وإنسهم، عربهم، وعجمهم، ذكورهم، وإناثهم، فقيرهم، وغنيهم، هو رحمة للجميع، إذا استقاموا على دينه، إذا اتبعوا شرعه، إذا وقفوا عند الحدود، التي حدَّها، فهو لهم رحمة، وإذا خالفوا، صاروا إلى النار، نسأل الله العافية.

يقول ﷻ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤]، وإن أهم شيء بعد الشهادتين هذه الصلاة، عمود الإسلام، يقول فيها النبي ﷺ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ**»، والله يقول فيها: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ويقول فيها ـ سبحانه ـ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، ويقول فيها ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]،

ويقول فيها ـ سبحانه ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، إلى أن قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩ ـ ١١].

علينا أيها الإخوة العناية بهذه الصلاة، والمسارعة إليها، والمحافظة عليها في الجماعة، في الأوقات الخمسة، الفجر، الظهر، العصر، المغرب، والعشاء، يجب المحافظة عليها في الجماعة، على كل رجل، أما الأنثى فعليها أن تحافظ في البيت، عليها أن تصلي في البيت هو خير لها وأفضل لها، وإن صلت في المسجد فلا بأس، لكن بيتها خير لها وأفضل، وأصون.

والواجب التناصح في هذا، والتواصي، كثير من الناس يتساهل في الصلاة، وربما صلاها في البيت، وربما تركها، هذه مصيبة عظيمة، يجب التواصي بذلك.

المنافقون من شأنهم إضاعتها، والكسل عنها، فلا ينبغي؛ ولا يجوز للمسلم أن يتشبَّه بهم، يقول ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، ويقول النبي ﷺ: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا**»؛ يعني: من الأجر: «**لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»(١).

كثير من الناس اليوم يتشبه بالمنافقين، في التأخر عن صلاة الفجر،

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة برقم (٦٥٧)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها برقم (٦٥١).

وصلاة العشاء، في صلاة العشاء يشتغل بأصحابه أو أكله أو غير هذا، والفجر بالنوم، هذه مصيبة، تشبُّه بأعداء الله.

فالواجب التواصي بهذه الصلاة والمحافظة عليها وأدائها في الجماعة في جميع الأوقات ولا سيما الفجر، والعشاء؛ ليحذر التشبه بأعداء الله المنافقين.

الواجب على الأب، على الأم، على الأخ الكبير، على جميع جيرانه، التعاون في هذا، الله يقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، لا بد من التواصي والتعاون، ويقول ﷻ: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

الواجب الحذر، من التشبه بأعداء الله، يقوم الرجل على أولاده، والمرأة كذلك، على إخوانه، على من تحت يده من خدم وعمال؛ هكذا، لا بد من العناية، لا بد من الصبر؛ من الجد والصدق، وهكذا مع جيرانه ينصحهم، ويتفقَّدهم، ويلاحظ جيرانه، يقول النبي ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»**(١).

من أعظم الإكرام أن تنصح له، وأن تعينه على طاعة الله: **«مَنْ كَانَ**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان برقم (٦٤٧٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان برقم (٤٧).

يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»(١).

من أعظم الإحسان أن تنصحه، وأن توجِّهه إلى الخير؛ وهكذا مع جلسائك، مع زملائك، تنصحهم، توجِّههم، تعينهم على الخير، ولا سيما الصلاة، أداؤها في الجماعة، في جميع الأوقات، وهكذا الزكاة، هكذا صوم رمضان، هكذا حج البيت مع الاستطاعة، هكذا بر الوالدين، صلة الرحم، إلى غير هذا من وجوه الخير، عيادة المريض، اتباع الجنائز، إلى غير هذا من وجوه الخير، المؤمنون يتناصحون، يتواصون بالخير كله، ويتواصون بترك ما حرم الله، أينما كانوا، هكذا المؤمنون، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء المؤمنين، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، ونسأل الله أن يعيننا وإياكم على أداء الواجب، ونسأل الله أن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ومضلات الفتن، ونسأله سبحانه أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يوفِّق ولاة أمرنا لكل خير، وأن يعينهم على كل خير، وأن يصلح لهم البطانة، ويجعلنا وإياكم وإياهم من الهداة المهتدين، كما أسأله سبحانه أن يصلح أحوال جميع المسلمين في كل مكان، أسأل الله أن يصلح أحوال جميع المسلمين في كل مكان، وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يولي عليهم خيارهم، ويصلح قادتهم، وأن يعيذهم من كل ما يغضبه سبحانه، إنه

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا من الخير وكون ذلك كله من الإيمان برقم (٤٨).

سبحانه ولي ذلك، والقادر عليه، وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله نبيّنا محمد وعلى آله، وأصحابه وأتباعه بإحسان.

❊

□ تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ **[الحشر: ١٨]**[1].

هذه الآية الكريمة كآيات كثيرات غيرها، يأمر الله بها عباده المؤمنين أن يتقوه، وقد جاء هذا المعنى في عدة مواضع من كتاب الله ﷻ، وذلك يدل على أن المؤمن يُؤمَر بالتقوى كما يُؤمَر بها غيره.

وقد جاء في آيات أخرى توجيه الأمر إلى جنس الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

فالعبادة والتقوى مأمور بها جميع الثقلين: الجن والإنس فكلاهما مأمور بتقوى الله وعبادته، ولهذا خُلقوا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فوجب على كل ذي عقل من الجن والإنس أن يُعنَى بهذا الأمر الذي خُلق من أجله، وأن يلتزم بما أُمر به، وبما فُرِض عليه من تقوى الله سبحانه وعبادته وحده دون كل ما سواه.

وتقوى الله: هي توحيده، والإخلاص له، ومراقبته بتعظيم أوامره، وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده في جميع الزمان والمكان، وهي

---

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية جمع الشيخ عبد السلام السليمان حفظه الله (٤/ ٤٠٢).

أيضًا العبادة التي أُمرنا بها في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]؛ فإن عبادة الله هي توحيده والإخلاص له، والخضوع له، والذل لعظمته في جميع الشؤون وفي جميع الأحوال، ولا يكون هذا إلا بفعل الأوامر وترك النواهي، أما الذي لا يمتثل أمر الله ونهيه فإنه لم يعبده ولم يتقه.

فأما أمرُ الناس بالتقوى والعبادة فهو ظاهر؛ لأنهم خُلِقوا لذلك، وفيه سعادتهم ونجاتهم، فوجب عليهم أن يتقوا الله، وأن يعبدوه ويعظِّموه.

وسُمِّي الدين: تقوى؛ لأنه يقي من التزمه عذاب الله وغضبه، فلهذا قيل للإسلام والإيمان والهدى: تقوى؛ لأن من التزم بالإسلام واستقام عليه وقاه الله عذاب الدنيا والآخرة، وأحسن له العاقبة.

وسُمي: إسلامًا؛ لما يتضمنه من الذل لله والانقياد له بفعل المأمور وترك المحذور، يقال: أسلم فلانٌ لفلان إذا انقاد له، فالإسلام: هو الانقياد، فسُمِّي الإسلام دينُ الله: إسلامًا؛ لأن أهله يلزمهم أن يستسلموا لله، وأن ينقادوا لعظمته، وأن يعظِّموه ويُجلُّوه ويلتزموا أمره ونهيه.

وسمِّي: إيمانًا؛ لأن التزام العبد بما أمر الله به ورسوله، وتصديقه لله ورسوله هو الإيمان، فالإيمان مصدر آمن يؤمن إيمانًا، من صَدَّقَ، فصاحب الدين والمنتسب للإسلام قد صدَّق الله ورسوله، فالتزم بدين الله، وعظَّم أمر الله ونهيه وصدَّق أخباره، فهو مؤمن، ويسمى دينه إيمانًا.

ويسمَّى ديننا أيضًا: هدىً؛ لأن صاحبه مهدي، ولأنه يهدي من التزمه إلى طريق الخير والرشاد.

وسُمي: إحسانًا؛ لما فيه من الإحسان إلى نفسك، وإلى عباد الله،

فأنت بعبادة الله وحده والإخلاص له وعبادته كأنك تراه، قد أحسنت إلى نفسك، وقد أحسنت إلى عبادة الله بفعل المأمور وترك المحذور، وبإلزامهم بالحق، وبأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، إلى غير ذلك.

فلهذا يقول الله ـ سبحانه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ ووجه أمرهم بالتقوى وهم متقون: أن الإيمان ذو شعب قولية وفعلية، ظاهرة وباطنة، فهم مأمورون بأن يلتزموها ويعظِّموها ويستمروا عليها. هذا معنى قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: الزموا تقواه وسيروا عليها، وهكذا قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، فالنبي رأس المتقين ـ عليه الصلاة والسلام ـ فمعنى أمره بالتقوى: هو الأمر بالتزامها والسير والصبر والثبات عليها، وهكذا المؤمنون، يُؤمَرون بالثبات على التقوى، ولزومها والسير عليها، والنظر في جميع الشُّعب والفروع التي تتفرَّع عنها حتى يلتزموها ويأخذوا بها.

فأنت مأمور بلزوم التقوى، ثم مأمور أيضًا بتفقُّد حالك ومحاسبة نفسك حتى لا تدع شيئًا من التقوى، ولا تفرِّط في شيء منها، وهكذا يأمرك بالإيمان لتلتزمه وتستقيم عليه، كما في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦] فالمعنى: التزموا الإيمان واستقيموا واثبتوا عليه وسيروا عليه.

﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾؛ أي: انظروا ماذا قدمتم للآخرة، فلتنظر كل نفس ماذا قدمت لآخرتها، فقد يترتب على الغفلة تضييع بعض الأوامر، أو ركوب بعض النواهي، فإذا حاسب الإنسان نفسه ونظر وتأمل فقد يعرف ما فرَّط فيه، وقد يعلم ما ركبه من محارم، فليبادر بالتوبة والإصلاح.

فالنظر فيه فوائد: ففيه حسابٌ للنفس، وفيه تتبع لأعمالها وأقوالها، وفيه نظر فيما ضيَّعت من أمر الله أو تساهلت فيه أو ارتكبته

من محارم الله، فواجب على كل مكلَّف أن ينظر، وأن يتأمل ويحاسب نفسه، وألا يجازف في الأمور، وألا يغفل، فقد يكون على سيئة وهو غافل، وقد يكون مضيعًا لواجب وهو غافل، فوجب عليك أن تنظر فيما أنت عليه، وأن تحاسب نفسك، وأن تنظر ماذا قدمت لآخرتك.

وسُميت الآخرة: غدًا، تقريبًا لها؛ لأنها هي التي تلي هذا اليوم، فالدنيا بمنزلة يوم، وبعد هذا اليوم غدٌ، وهو يوم القيامة، فالدنيا كلها كيوم واحد، من أولها إلى آخرها، فهي أمر زائل منتهٍ له حد، وما بعده هو الآخرة، فجدير بالنفس الزكية، وبمن تعزُّ عليه نفسه، وبمن يهمه خلاصها ونجاتها أن يعد العدة، وأن ينظر للآخرة.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨﴾ فإذا اتقى ربه وحاسب نفسه عرف ما له وما عليه، كالذي يحاسب نفسه من جهة البضاعة، أو يحاسب شركاءه، فيعرف النتيجة، وهذا أعظم وأهمُّ، فمحاسبة النفس فيما يتعلق بأمر الله وأمر الآخرة من أهم الأمور وأعظمها؛ لأنك مخلوق؛ لتعبد ربك وتتقيه، ومخلوق لتحاسب هذه النفس عن أخطائها وتجاهدها بما يجب عليها، ونتيجة المحاسبة أن المؤمن يعرف بعدها ما له وما عليه، فإن ظهر له أنه مستقيم، وأن سيره على الهدى ثابت حمدَ الله، وسأله الثبات، وعرف قدر هذه النعمة، وشكر الله عليها، واستمر في الخوف والوجل حتى لا تزول أو يزول بعضها. وإن ظهر له بعد الحساب تفريطٌ وأخطاء كثيرة وأغلاط وعيوب، وهذا هو الأغلب والأكثر فعند ذلك يبادر بالتوبة وإصلاح ما وقع منه من أخطاء، وما زلَّت فيه قدمه، وما أضاع من أمر الله، وليجاهد نفسه لله، وليتب إلى الله مما فرَّط فيه، ويجدّد له حالًا مع الله في ترك نواهيه والتزام أوامره والوقوف عند حدوده.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩][(١)].

ينهانا ـ سبحانه ـ عن التشبُّه بأعداء الله الذين نَسُوا الله؛ يعني: أضاعوا أمره، وتركوه، وعاملوه معاملة من نسي، وقد لا ينسون، ولكنهم لا يبالون، فقد غلبت عليهم الأهواء، وشُغِلوا بالشهوات، وغفلوا عن حق الله، فصاروا على خطر عظيم، وعلى شفا جُرُف هار.

فينبغي لك يا عبد الله أن تحذر مشابهة أعداء الله الذين أضاعوا أمره، ونسوا حقه، وارتكبوا نهيه، ولم يقفوا عند حدوده، فتهلك كما هلكوا، ولهذا قال ﷻ: ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾؛ يعني: أنهم لمَّا نسوا الله بإضاعة الأوامر وترك النواهي أنساهم الله أنفسهم، إذ أنساهم أسباب النجاة والسعادة، وهل هناك شيء أعظم من أن تنسى نفسك، وتنسى نجاتها وأسباب سعادتها؟!

وهل عند الإنسان شيء أغلى من نفسه ليسعى لنجاتها وخلاصها؟!

فإذا ضيَّع أمر الله ولم يبالِ، ونسي حقه فإنه هالك، ومن عقوباته أن ينسيه الله نفسه، فينسى أسباب سعادتها، وينسى أسباب نجاتها، وينسى أسباب رُقيها ورضا الله عنها، ويقع في ضد ذلك من أسباب هلاكها وغضب الله عليها وسوء مصيرها، نسأل الله العافية.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ فمن نسي ربه وأنساه الله نفسه فهو الخاسر، وهو الفاسق: هو الخارج عن طاعة الله، والفسق: هو الخروج عن الشيء، ومن قول العرب: فسَقَتِ الرُّطبة؛ أي: خرجت منها النواة، وسُميت الفويسقة المعروفة؛ لأذاها وخروجها عن طبيعة أمثالها من الحيوانات الأخرى التي لا تؤذي.

*

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية جمع فضيلة الشيخ عبد السلام السليمان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للفتوى حفظه الله (٤/ ٤٠٩).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ٢٠][(١)].

ثم يبيِّن حال من اتقى الله، وهم أهل الجنة، وحال من أضاع التقوى، وهم أهل النار، وأنهما لا يستويان، فلا يستوي هؤلاء وهؤلاء.

فهل يحسن بالعاقل ويليق به أن يكون مع الهالكين، وأن يكون مع أصحاب النار! لا ينبغي له ذلك، ولا ينبغي له أن يسير في ركاب الهالكين، فالواجب عليه أن يأخذ بأسباب النجاة، وأن يكون حازمًا في الأمور كلها، لعله يكون مع الناجين.

ولهذا قال سبحانه: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ أصحاب الجنة الذين أعدوا العدة، وسارعوا إلى مرضاة الله، وانتهوا عن محارمه هم الناجون، وهم السعداء، وهم الفائزون بالعاقبة الحميدة والفضل الكبير والنجاة يوم القيامة.

* * *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١][(٢)].

ثم يبيِّن سبحانه أن هذا القرآن العظيم جدير بأن يتعقَّله المؤمن

---

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية جمع فضيلة الشيخ عبد السلام السليمان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للفتوى حفظه الله (٤/ ٤١١).

(٢) الفوائد العلمية من الدروس البازية جمع فضيلة الشيخ عبد السلام السليمان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة حفظه الله (٤/ ٤١٢).

ويقبل عليه، ويعالج به أمراض قلبه ومجتمعه، وألا يغفل عنه، فهو صراط الله المستقيم، وهو حبل الله المتين، وهو الهادي للتي هي أقوم، وهو الشفاء لما في الصدور.

لو أنزل القرآن على جبل أصم مكلف به وأمر بما فيه لخشع هذا الجبل خشوعًا عظيمًا، وهو جبل حجر، ولربما تصدَّع وتفتَّت من خشية الله ﷻ كما في الآية الأخرى في الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: ٧٤]، فهي لها إحساس إذا كلِّفت بشيء، إحساس يليق بها ويناسبها، وربها ﷻ هو الذي يعلم بها، فلو كلِّف الجبل بما في القرآن لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله، وأنت يا عبد الله، الذي أعطاك الله عقلًا وروحًا وتمييزًا، قد أعرضت عن هذا الكتاب، ولم تخشع، ولم تخف ما فرَّطت فيه من تضييع أمر هذا الكتاب.

فالمعنى: أن هذا الجبل لو كُلف بهذا القرآن لكانت له حال غير حالك، وهذا بالنسبة إلى أغلب الخلق، وإلا فالخلاصة من عباد الله لهم شأن مع كتاب الله، وامتثال عظيم وعناية وحذر وإقبال، ولكن أغلب الخلق ليسوا كذلك.

والمقصود من هذا: تنبيهك أنك جدير بأن تُعنَى بكتاب الله، وأنت الذي أُعطيت عقلًا، ولست كالجماد، إذ يهمك أن تعنى به، وأن تستقيم عليه، وأن تعالج به قلبك حتى يطهر من أمراضه، وأن تعالج أمراض المجتمع حتى يستقيم على طاعة الله ورسوله.

ثم يبيِّن صفاته العظيمة وأسماءه الحسنى، وأنه ﷻ هو الإلٰه الحق الذي لا إلٰه غيره، وأنه مسمى بهذه الأسماء العظيمة.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٢، ٢٣][١].

فيبيِّن سبحانه وتعالى هذه الأسماء العظيمة المشتملة على معانٍ جليلة؛ لتنتبه يا عبد الله لهذه الأسماء، وتتعقلها، وتعرف منها صفات ربك وأسماءه الحسنى، وأنه جل جلاله المستحق الذي يُعبد ويعظم.

ويختم آية إنزال القرآن على جبل بأن الآيات إنما تُفَصّلُ وتُوجَّهُ لمن يتفكر ومن يتعقل، والأمثال ليست لغير العقلاء، وإنما توجه وتُضرب لأهل التفكر والتعقل والنظر ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، فأنت يا عبد الله مأمور بالتعقل والتفكر والنظر؛ حتى تستفيد من أمثال الله ومن قصصه وأخباره، ومما يلفت إليه أنظار العقلاء من عباده؛ لتكون منهم.



(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية جمع فضيلة الشيخ عبد السلام السليمان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للفتوى حفظه الله (٤/ ٤١٤).

تفسير آيات من سورة الممتحنة

وقال مجاهدٌ: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ [٥]. لا تعذّبنا بأيديهم فيقولون: لو كان هؤلاء على الحقّ ما أصابهم هذا، ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [١٠]: أمر أصحاب النّبيّ ﷺ بفراق نسائهم، كنّ كوافر بمكّة.

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١][(١)].

حدّثنا الحميديّ، حدّثنا سفيان، حدّثنا عمرو بن دينارٍ، قال: حدّثني الحسن بن محمّد بن عليٍّ أنّه سمع عبيد الله بن أبي رافعٍ كاتب عليٍّ يقول: سمعت عليًّا رضي الله عنه يقول: «بعثني رسول الله ﷺ أنا والزّبير، والمقداد، فقال: «انطلقوا حتّى تأتوا روضة خاخٍ، فإنّ بها ظعينةً معها كتابٌ فخذوه منها»، فذهبنا تعادى بنا خيلنا، حتّى أتينا الرّوضة، فإذا نحن بالظّعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتابٍ، فقلنا: لتخرجنّ الكتاب، أو لنلقينّ الثّياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النّبيّ ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناسٍ من المشركين ممّن بمكّة، يخبرهم ببعض أمر النّبيّ ﷺ، فقال النّبيّ ﷺ: «**مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟**» قال: لا تعجل عليّ يا رسول الله، إنّي كنت امرأً من قريشٍ، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قراباتٌ يحمون بها أهليهم، وأموالهم بمكّة، فأحببت إذ فاتني من النّسب فيهم، أن

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

أصطنع إليهم يدًا يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا، ولا ارتدادًا عن ديني، فقال النّبيّ ﷺ: «**إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ**»، فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه، فقال: «**إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ** ﷻ **اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»، قال عمرٌو: ونزلت فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ قال: لا أدري، الآية في الحديث، أو قول عمرٍو[١].

حدثنا عليٌّ قال: قيل لسفيان في هذا فنزلت: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ الآية، قال سفيان: هذا في حديث النّاس حفظته من عمرٍو، ما تركت منه حرفًا، وما أرى أحدًا حفظه غيري».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه ـ التّجسّس على المؤمنين ـ جريمةٌ عظيمةٌ، ولهذا قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: دعني أضرب عنقه، وأقرّه النّبيّ ﷺ على هذا الكلام، لكن بيّن ﷺ أنّه من أهل بدرٍ، وأنّه تأوّل، فعفا عنه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ لما غلط فيه، وهو من أهل بدرٍ، وتأوّل، وإلّا فالمتجسّس يقتل ويرتدّ؛ لأنّه ظاهر الكفّار وساعدهم على المسلمين، ولهذا أمر النّبيّ ﷺ بقتل المتجسّسين لمّا جاء رجلٌ من العدوّ وعرف أنّه يتجسّس على المسلمين أمر بقتله ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، فهذه رخصةٌ خاصّةٌ لحاطبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وهذا يبيّن أن الكتابة للمشركين بأحوال المسلمين أو بشيءٍ من أحوال المسلمين من الولاية لهم، ومما يجب الحذر منه ولا سيّما وقت الحرب؛ فإن اطّلاعهم على شؤون المسلمين حتّى يستعدّوا، وحتّى يحذروا هجوم المسلمين عليهم، لا شكّ أنّه من الموالاة لهم، والنّصح لهم.

---

(١) متفق عليه من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ برقم (٤٨٩٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة برقم (٢٤٩٤).

ولكن عارض هذا أمران:

الأمر الأوّل: تأويل حاطبٍ ﷺ، وظنه أن هذا لا يضرّه؛ لأنّه ما دام ثابتًا على دينه وإنّما أراد أن يتخذها يدًا؛ فظنّ أنّ هذا مسوّغٌ.

والأمر الثّاني: كونه من أهل بدرٍ، والله ﷻ رفع لهم شأنهم ووعدهم الخير وقال: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(١)، وإن كان ليس إذنًا لهم في المعاصي، ولكنّه يدلّ على أنّه سيوفّقهم لما فيه المغفرة لهم، وأنّه ليس أحدٌ يؤذن له في المعاصي؛ فلهذا ترك النّبيّ ﷺ قتله، ولم يأذن لعمر ﷺ؛ للأمرين: لصدقه فيما قال، وأنّه ما أراد الرّدّة ولا أراد الكفر، وإنّما أراد يدًا، ولكونه من أهل بدرٍ.

فهذان الأمران ينتفيان في حقّ غيره ممّن جاء بعده من النّاس، فمن فعل هذا صار جاسوسًا للمشركين، وصار عونًا لهم؛ فتكون ردّةً ويستحق القتل كما يستحقّه جواسيس الكفرة؛ لأنّ الأمرين انتفيا في حقّ من جاء بعده.

وقد أوضح الله الأمر في السّورة الكريمة، وبيّن أنّ هذا من اتّخاذهم أولياء؛ فبقي الأمر واضحًا بالنّسبة إلى من بعده.

● **س: عفا الله عنك، إذا وجد أحد الأمرين التأويل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

التأويل في هذا لا يصلح؛ لأنّ الله وضّح الأمر، وأنزل السّورة، وبيّن أنّ هذا اتخاذٌ لهم أولياء.

(السّائل): لأنّ شهود بدرٍ هو الّذي كان أوّلًا؟

---

(١) متفق عليه من حديث علي ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس برقم (٣٠٠٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة برقم (٢٤٩٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا لأنّه كان قبل أن يعلم أن مثل هذا يدخل فيه.

• **س: عفا الله عنك، هذا خاصٌّ بحاطبٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

• **س: قول القائل: إنّ الصّحابة وقعوا في النّفاق العمليّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، وقع فيه المنافقون.

• **س:** ....[١]؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، ما يعذر، وإنما هذا خاصٌّ بحاطبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أقول هذا خاص؛ لأسبابٍ اقتضت ذلك.

• **س: يجوز للرّجل ـ حفظك الله ـ أنّه يركّب امرأةً في السيارة، يقودها للهيئة وغيرها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، ما يجوز الخلوة بها.

• **س: وإذا كانت مثلًا مخالفة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يسير معها ينادي واحدًا معه ثالثًا، يركب معه.

• **س: إذا اثنين أو ثلاثة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما فيه بأسٌ.

• **س: يمكن يمسكها بيده ليركّبها السّيارة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يمسك ثوبها، أو يمسكها من وراء الثّوب.

• **س: إذا أبت؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: من وراء الثّوب ما يخالف.

---

(١) غير واضح.

• س: التّجسّس لصالح الكفّار يعتبر من الكفر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: من نواقض الإسلام، من الرّدّة إلّا في حقّ حاطبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• س: أحسن الله إليك، المانع من قتل حاطبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو حضوره لبدرٍ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أمران: التأويل، ١ ـ متأوّلٌ، ٢ ـ ومن أهل بدرٍ؛ أمران.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠][(١)].

حدّثني إسحاق، حدّثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعدٍ، حدّثنا ابن أخي ابن شهابٍ عن عمّه، أخبرني عروة أنّ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النّبيّ ﷺ أخبرته: «أنّ رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية، بقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾، قال عروة: قالت عائشة: فمن أقرّ بهذا الشّرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: «**قَدْ بَايَعْتُكِ، كَلَامًا، وَلَا وَاللهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُبَايَعَةِ، مَا يُبَايِعُهُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ: قَدْ بَايَعْتُكِ عَلَى ذَلِكَ**»، تابعه يونس، ومعمرٌ، وعبد الرّحمن بن إسحاق، عن الزّهريّ، وقال إسحاق بن راشدٍ، عن الزّهريّ، عن عروة وعمرة[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: أنّه يبايعهن بالكلام ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، لا

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ برقم (٤٨٩١)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب كيفية بيعة النساء برقم (١٨٦٦).

بالمصافحة، ولهذا قالت رضي الله عنها: والله ما مست يد رسول الله يد امرأة قط. وكان يقول لهن: «**إني لا أصافح النِّسَاء، إِنَّمَا قولي لواحدة منكن كقولي للجميع**»[١] لما مدت بعض النساء يدها إليه.

ومن هذا استدل العلماء على تحريم مصافحة النّساء، وأنّه لا يجوز للرجل أن يصافح المرأة الأجنبية؛ لأنّه قد يكون شرًّا من النظر، وقد يفضي إلى الفتنة بها، فلا يجوز مصافحتها مطلقًا لا كبيرة ولا صغيرة ولا من وراء حائل أيضًا؛ لعموم الأدلّة إلّا ذات محرم كعمّته وخالته ونحو ذلك أو زوجته أو نحو ذلك.

• **س: كيف يكون امتحان المهاجرات؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: مثل ما في الآية.

• **س: بالكلام؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم.

• **س: لما نهيته عن مصافحة النّساء، قلت له: حرام عليك يا رجل، قال: قلبي زين، نيتي زين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ولو، إذا لو كان قلبه سليمًا يتجنب ما نهى الله عنه. هذا الّذي قلبه زين، القلوب إلى الله ما للنّاس إلّا الظواهر.

• **س: أحسن الله إليكم يا شيخ، هذا يدلّ على خصوصية حاطب، في رواية، قال: (إني علمت أن الله ناصرك)؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: المقصود بيَّنه هنا في الرّواية، قال: «قد صدق»، وذكر اطلاع الله لأهل بدر، وقال: (**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**)[٢] أعلَّه علَّتين.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٣٥٧)، والنسائي في كتاب البيعة، باب بيعة النساء برقم (٤١٨١)، وابن ماجه في كتاب الجهاد، باب بيعة النساء برقم (٢٨٧٤).
(٢) سبق تخريجه في (ص٢٠٩).

• **س: قتل الجاسوس ألا يكون تعزيرًا، من باب التعزير؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الجاسوس الّذي يعين عليك، ويبحث عن عورتك حتّى تقتل، أخ لك وصاحب لك، أم عدو لك؟!

الطالب: عدوي، لكن إذا كان في مثل حال حاطب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا شيء خاص بحاطب.

• **س: يعني: يقتل مرتدًّا، أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

• **س: أحسن الله إليك، حكم من يجرّح في عدل الصّحابة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من جرح الصّحابة فهو كافر، من سبّهم وجرحهم فهو كافر، يقتل، يجب قتله.

• **س: تفتيش المرأة، أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا دعت الحاجة تفتّش، إذا دعت الحاجة تفتش ولو امرأة، لكن ليس بخلوة، أما نساء ولا رجل، لكن معه غيره، ما يخلو بها.

• **س: الاستجمار يا شيخ، يجزئ عن الماء مع وجوده؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم عند جميع أهل العلم.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة: ١٢][(١)].

حدّثنا أبو معمرٍ، حدّثنا عبد الوارث، حدّثنا أيّوب عن حفصة بنت سيرين عن أمّ عطيّة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «بايعنا رسول الله ﷺ، فقرأ علينا: ﴿أَن

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

﴿لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، ونهانا عن النّياحة، فقبضت امرأةٌ يدها فقالت: أسعدتني فلانة، فأريد أن أجزيها، فما قال لها النّبيّ ﷺ شيئًا، فانطلقت ورجعت، فبايعها»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من كمال الإيمان، وكمال الصّدق ما أحبت أن تبايع النّبيّ ﷺ على شيءٍ، ثمّ تخلّ أو تخلف؛ فذهبت وأدّت ما عليها مما زعمت أنّها توفي به تقاصّها ثمّ جاءت فبايعت.

● **س: قبض اليد ـ عفا الله عنك ـ فيه مدّ يدٍ، فقبضت المرأة يدها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كأنّها إشارة؛ يعني: كأنّها إشارةٌ، تقدم أنّه ما فيه «مصافحةٌ»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال عليه الشّارح؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/٦٣٨)]: «قوله: **(بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، وَنَهَانَا عَنِ النِّيَاحَةِ)**: في رواية مسلم من طريق عاصم، عن حفصة عن أمّ عطيّة قالت: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾، كان منه النياحة.

قوله: **(فقبضت امرأةٌ يدها)**: في رواية عاصم: فقلت: يا رسول الله، إلّا آل فلانٍ؛ فإنّهم كانوا أسعدوني في الجاهليّة، فلا بدّ من أن أسعدهم، لم أعرف آل فلانٍ المشار إليهم، وفي رواية النّسائيّ قلت: إنّ امرأةً أسعدتني في الجاهليّة، ولم أقف على اسم المرأة، وتبيّن أنّ أمّ عطيّة في رواية عبد الوارث أبهمت نفسها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ برقم (٤٨٩٢)، ومسلم مختصرًا برقم (٩٣٦).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

قوله: **(أسعدتني فلانة فأريد أن أجزيها)**: وللنّسائيّ في رواية أيّوب: فأذهب فأسعدها ثمّ أجيئك فأبايعك، والإسعاد قيام المرأة مع الأخرى في النّياحة تراسلها». [انتهى كلامه].

• **س: تراسِلها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تنوح هذه مرةً، وهذه مرةً، تصيح هذه مرةً، وتصيح هذه مرةً. الله المستعان.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وهو خاصٌّ بهذا المعنى، ولا يستعمل إلّا في البكاء والمساعدة عليه، ويقال: إنّ أصل المساعدة وضع الرّجل يده على ساعد الرّجل صاحبه عند التّعاون على ذلك». [انتهى كلامه].

• **س: هذا قبل النّهي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم هذا قبل النّهي نعم، هذا في الجاهليّة، هذه أعمالهم في الجاهليّة.

• **س: الرّسول لما جاء ما نهاهم يعني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا، ظاهر السّياق هذا ما ذكر شيئًا.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قوله: **(فانطلقت ورجعت فبايعها)**: في رواية عاصم: فقال: «إلّا آل فلانٍ»، وفي رواية النّسائيّ قال: «فاذهبي فأسعديها»، قالت: فذهبت فساعدتها، ثمّ جئت فبايعت.

قال النّوويّ: هذا محمولٌ على أنّ التّرخيص لأمّ عطيّة في آل فلانٍ خاصّةً، ولا تحلّ النّياحة لها ولا لغيرها في غير آل فلانٍ كما هو ظاهر الحديث، وللشّارع أن يخصّ من العموم من شاء بما شاء، فهذا صواب الحكم في هذا الحديث.

كذا قال، وفيه نظرٌ، إلّا إن ادّعى أنّ الّذين ساعدتهم لم يكونوا أسلموا، وفيه بعدٌ، وإلّا فليدّع مشاركتهم لها في الخصوصيّة، وسأبيّن ما يقدح في خصوصيّة أمّ عطيّة بذلك.

ثمّ قال: واستشكل القاضي عياضٌ وغيره هذا الحديث وقالوا فيه أقوالًا عجيبةً، ومقصودي التّحذير من الاغترار بها؛ فإنّ بعض المالكيّة قال: النّياحة ليست بحرامٍ لهذا الحديث، وإنّما المحرّم ما كان معه شيءٌ من أفعال الجاهليّة من شقّ جيبٍ وخمش خدٍّ ونحو ذلك. قال: والصّواب ما ذكرناه أوّلًا، وأنّ النّياحة حرامٌ مطلقًا، وهو مذهب العلماء كافّةً. انتهى.

وقد تقدّم في الجنائز النّقل عن غير هذا المالكيّ أيضًا أنّ النّياحة ليست بحرامٍ، وهو شاذٌّ مردودٌ، وقد أبداه القرطبيّ احتمالًا وردّه بالأحاديث الواردة في الوعيد على النّياحة، وهو دالٌّ على شدّة التّحريم، لكن لا يمتنع أن يكون النّهي أوّلًا ورد بكراهة التّنزيه ثمّ لمّا تمّت مبايعة النّساء وقع التّحريم؛ فيكون الإذن لمن ذكر وقع في الحالة الأولى لبيان الجواز، ثمّ وقع التّحريم فورد حينئذٍ الوعيد الشّديد.

وقد لخّص القرطبيّ بقيّة الأقاويل الّتي أشار إليها النّوويّ، منها: دعوى أن ذلك كان قبل تحريم النّياحة. قال: وهو فاسدٌ؛ لمساق حديث أمّ عطيّة هذا، ولولا أنّ أمّ عطيّة فهمت التّحريم لما استثنت.

قلت: ويؤيّده أيضًا أنّ أمّ عطيّة صرّحت بأنّها من العصيان في المعروف، وهذا وصف المحرّم.

ومنها: أنّ قوله: «إلّا آل فلانٍ» ليس فيه نصٌّ على أنّها تساعدهم بالنّياحة، فيمكن أنّها تساعدهم باللّقاء والبكاء الّذي لا نياحة معه. قال: وهذا أشبه ممّا قبله.

قلت: بل يردّ عليه، ورود التّصريح بالنّياحة كما سأذكره، ويردّ

عليه أيضًا أنّ اللّقاء والبكاء المجرّد لم يدخل في النّهي كما تقدّم في الجنائز تقريره، فلو وقع الاقتصار عليه لم يحتج إلى تأخير المبايعة حتّى تفعله.

ومنها: يحتمل أن يكون أعاد إلّا آل فلانٍ على سبيل الإنكار كما قال لمن استأذن عليه؛ فقال له: «**مَنْ ذَا؟**» فقال: أنا. فقال: «**أَنَا أَنَا**». فأعاد عليه كلامه منكرًا عليه.

قلت: ويردّ عليه ما ورد على الأوّل.

ومنها: أنّ ذلك خاصٌّ بأمّ عطيّة. قال: وهو فاسدٌ؛ فإنّها لا تختصّ بتحليل شيءٍ من المحرّمات. انتهى.

ويقدح في دعوى تخصيصها أيضًا ثبوت ذلك لغيرها، ويعرف منه أيضًا الخدش في الأجوبة الماضية؛ فقد أخرج ابن مردويه من حديث ابن عبّاسٍ قال: لمّا أخذ رسول الله ﷺ على النّساء فبايعهنّ أن لا يشركن بالله شيئًا... الآية؛ قالت خولة بنت حكيمٍ: يا رسول الله، كان أبي وأخي ماتا في الجاهليّة، وإنّ فلانة أسعدتني وقد مات أخوها... الحديث.

وأخرج التّرمذيّ من طريق شهر بن حوشبٍ عن أمّ سلمة الأنصاريّة وهي أسماء بنت يزيد قالت: قلت: يا رسول الله، إنّ بني فلانٍ أسعدوني على عمّي ولا بدّ من قضائهنّ؛ فأبى. قالت: فراجعته مرارًا فأذن لي، ثمّ لم أنح بعد.

وأخرج أحمد والطّبريّ من طريق مصعب بن نوحٍ قال: أدركت عجوزًا لنا كانت فيمن بايع رسول الله ﷺ، قالت: فأخذ علينا: أن لا ينحن؛ فقالت عجوزٌ: يا نبيّ الله، إنّ ناسًا كانوا أسعدونا على مصائب أصابتنا، وإنّهم قد أصابتهم مصيبةٌ، فأنا أريد أن أسعدهم، قال: فاذهبي فكافئيهم؛ قالت: فانطلقت فكافأتهم، ثمّ إنّها أتت فبايعته. وظهر من هذا

كلّه أنّ أقرب الأجوبة أنّها كانت مباحةً ثمّ كرهت كراهة تنزيهٍ، ثمّ تحريمٍ، والله أعلم». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أحسن ما قيل، كان في الأوّل أباح لمن عليها شيءٌ أن تكافئ فقط، ثمّ جاء المنع التّامّ، لا عن المكافأة، ولا عن الابتداء، وقد جاءت الأحاديث الصّحيحة بلعن النّائحة والمستمعة، والتّحذير من النّياحة؛ فدلّ ذلك على استقرار الحكم الشّرعيّ في تحريم النّياحة، وأنّ ما أذن فيه سابقًا لأمّ عطيّة أو غيرها من المكافأة كان في أوّل الأمر يؤذن لمن عليها دَينٌ أن تكافئ، ثمّ منع الجميع ابتداءً ومكافأةً.

• **س: يكون على ثلاث مراحل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأقرب ـ والله أعلم ـ الأقرب أنّهم مرتبتان، مرتبة جواز المكافأة، ثمّ منع الجميع.

• **س: ....؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: محلّ نظرٍ، ليس بظاهرٍ.

• **س: عفا الله عنك، الإسعاد المقصود به النّياحة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الإسعاد لا، المساعدة، لما ساعدوهم مات عمّها ساعدتها على النّياحة، فهذه تريد أن تساعدها؛ لأنّها في هذه الحالة... [١] يساعدونها حتّى تستمرّ في النّياحة مدةً طويلةً.

• **س: بقصد المساعدة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: للمساعدة والتّعاون؛ يعني: على النّياحة.

---

(١) كلمة غير واضحة.

• **س: ليست المساعدة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: المساعدة من التّعاون يعني.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال على **(قبضت يدها)**؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٣٦)]: «قوله: **(قد بايعتك كلامًا)**؛ أي: يقول ذلك كلامًا فقط لا مصافحةً باليد، كما جرت العادة بمصافحة الرّجال عند المبايعة.

قوله: **(ولا والله)**: فيه القسم لتأكيد الخبر، وكأنّ عائشة أشارت بذلك إلى الرّدّ على ما جاء عن أم عطيّة، فعند ابن خزيمة وابن حبان والبزّار والطبري وابن مردويه من طريق إسماعيل بن عبد الرّحمن عن جدّته أمّ عطيّة في قصّة المبايعة قال: فمدّ يده من خارج البيت، ومددنا أيدينا من داخل البيت، ثمّ قال: «**اللّهمّ اشهد**». وكذا الحديث الّذي بعده حيث قالت فيه: قبضت منّا امرأةٌ يدها. فإنّه يشعر بأنّهنّ كنّ يبايعنه بأيديهنّ.

ويمكن الجواب **عن الأوّل**: بأنّ مدّ الأيدي من وراء الحجاب إشارةٌ إلى وقوع المبايعة، وإن لم تقع مصافحةٌ. **وعن الثّاني**: بأنّ المراد بقبض اليد التّأخّر عن القبول، أو كانت المبايعة تقع بحائلٍ؛ فقد روى أبو داود في «المراسيل» عن الشّعبيّ: أنّ النّبيّ ﷺ حين بايع النّساء أتى ببردٍ قطريٍّ فوضعه على يده وقال: «**لا أصافح النّساء**».

وعند عبد الرّزّاق من طريق إبراهيم النّخعيّ مرسلًا نحوه، وعند سعيد بن منصورٍ من طريق قيس بن أبي حازم كذلك.

وأخرج ابن إسحاق في «المغازي» من رواية يونس بن بكيرٍ عنه، عن أبان بن صالحٍ أنّه ﷺ كان يغمس يده في إناءٍ وتغمس المرأة يدها فيه. ويحتمل التّعدّد. وقد أخرج الطّبرانيّ أنّه بايعهنّ بواسطة عمر». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا الأقرب هو الأوّل، أنّهنّ يمددن أيديهنّ من دون مصافحةٍ، يمدّ يده وتمدّ يدها؛ إشارةً إلى المبايعة بدون مصافحةٍ، أمّا هذه المرسلات الّتي رواها عن أبي بردة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلا يعوّل عليها؛ مرسلاتٌ ضعيفةٌ لا يعوّل عليها، يردّها حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا السّابق.

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدّثنا عبد الله بن محمّدٍ، حدّثنا وهب بن جريرٍ قال: حدّثنا أبي قال: سمعت الزّبير، عن عكرمة، عن ابن عبّاسٍ في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ**﴾ [١٢]، قال: «إنّما هو شرطٌ شرطه اللهُ للنّساء»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فيه التّنبيه وإن كان الرّسول ﷺ لا يأمر إلّا بالمعروف، ولا يبايعهنّ إلّا على معروفٍ، لكن فيه إشارةٌ إلى أن المعصية لولاة الأمور لا تجوز إذا كان الأمر معروفًا، أما إذا كان الأمر غير معروفٍ فلا بأس بعصيانهم، فلا تجوز طاعتهم في غير المعروف.

فإذا كان الرّسول ﷺ يقال في حقّه: ﴿**وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ**﴾، فبقيّة الأمراء من باب أولى، أنّ الطّاعة [تكون] في المعروف لا في المعاصي فالطّاعة [تكون] في المعروف كما قال النّبيّ ﷺ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوف**»(٢)(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ برقم (٤٨٩٣).

(٢) سبق تخريجه (٢/ ٢٦٧).

(٣) وقال سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ في القراءة الثَّانِيَة: «وهذا للتَّنْبيهِ علَى أن المعصيةَ إنَّما تكونُ في غيرِ المعْروفِ، وأمَّا المعروفُ فهو محلُّ الطَّاعةِ، أما إذا كان في غير المعروف فلا يُسمع، «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**» تنبيهٌ، والنبي ﷺ معصومٌ، إنما يبايع على المعروفِ، لكن للتنبيه على الولاة بعده؛ ولهذا في الحديث الصحيح: «**إنما الطاعة في المعروف**»؛ فإذا نُبِّه في حقِّ النبي ﷺ فغيره من باب أولى.

• **س: أحسن الله إليك، من قال: إنّ: ﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ﴾. أنّها في هذا أن لا طاعة مطلقةً حتّى لرَسُولِ اللهِ ﷺ؟**

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرّسول ﷺ معصومٌ من أن يأمر بغير المعروف، معصومٌ فيما يبلّغ عن الله.

• **س: عفا الله عنك: هنا يقول: فقبضت امرأةٌ يدها، هل تمدّ يدها للنّبيّ ﷺ، ولا ما معناه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، كان يبايعهنّ بالكلام؛ يعني: معناه توقّفت عن البيعة؛ حتّى تؤدّي ما عندها لصاحبتها.

• **س: أحسن الله إليك، فانطلقت ورجعت، فبايعها، بايعها بعد ما أدبرت؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني: بعد ما ناحت ساعدت صاحبتها في النّوح.

• **س: يكون معنى قبض يدها في الحديث؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: توقفت عن البيعة، إشارة إلى أنّها توقفت عن البيعة حتّى ترجع.

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا سفيان قال الزّهريّ: حدّثناه، قال: حدّثني أبو إدريس سمع عبادة بن الصّامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنّا عند النّبيّ ﷺ فقال: «**أَتُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا؟**»[1] وقرأ آية النساء، وأكثر لفظ سفيان: قرأ الآية، «فمن وفى

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ﴾ برقم (٤٨٩٤)، ومسلم في كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها برقم (١٧٠٩).

منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب، فهو كفّارةٌ له، ومن أصاب منها شيئًا من ذلك، فستره الله، فهو إلى الله: إن شاء عذّبه، وإن شاء غفر له»، تابعه عبد الرّزّاق، عن معمرٍ في الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمبايعة هي الّتي يسمّونها النّاس اليوم المعاهدة، المبايعة هي المعاهدة يبايع وليّ الأمر، يبايع النّاس على أن يتقي الله ويلتزم بشرع الله، ويدع ما نهى الله عنه عند ولايته عليهم، وهكذا إذا كرّرها بعض الأحيان، إذا كرّرها على النّاس، إذا أراد التّأكيد عليهم أو على بعضهم فلا بأس، ولو على بعضهم كما كرّر البيعة لسلمة بن الأكوع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عدّة مرّاتٍ، وكرّر البيعة عليه الصّلاة والسّلام ليلة الحديبية لما قيل: إنّ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد قتل، مع أنّهم بايعوه سابقًا.

وهذا يفيد أنّ الحدود كفّاراتٌ، وأنّ الله يكفّر بها على الشّخص، ومن ستره الله فأمره إلى الله، لكن من أقيم عليه الحدّ صار كفارةً له، إن لم يأت بعدها بشيءٍ، إذا أقيم عليه الحدّ كالرّجم فمات؛ كفّارة له، أقيم عليه حدّ الزّنا بالجلد، ولم يأت بعد هذا كان كفّارة له، إذا أقيم عليه حدّ السّرقة وقطعت يده كان كفّارةً له، أقيم عليه قصاصٌ صار كفّارةً له.

• **س: إذا أصبح على رجلٍ مثلًا حدٌّ وعفي عنه يا شيخ هل يكون كفّارةً؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحدود ما تسقط بالعفو، الحدود تقام، ولو عفا السّارق.

• **س: لكن في القتل يا شيخ أهل القتيل عفوا عن القاتل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا عفوا فالحمد لله، سقط الحقّ، يبقى حقّ القتيل فقط، بينه وبين الله.

• **س: أحسن الله إليك يا شيخ، هنا جاء في الشرح، يقول: «وقد جاء في أخبارٍ أخرى أنّهنّ كنّ يأخذن بيده عند المبايعة من فوق ثوبٍ». أخرجه يحيى بن سلّامٍ في «تفسيره» عن الشّعبيّ»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا ما له أصلٌ، ليس له أصلٌ، غير صحيحٍ، إنّما كان يبايعهن بالكلام، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

• **س: يا شيخ بارك الله فيك، ألا يجوز بالمصافحة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: المصافحة لا، الرّجال باليد، والنّساء بالكلام.

• **س: يا شيخ بارك الله فيك، هل يشرع أن يجتمع ثلاثة أو اثنان ويتبايعون على ألا يشركوا بالله شيئًا ولا يسرقوا ولا يزنوا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما له أصلٌ، البيعة لوليّ الأمر.

• **س: يلزم منها مسك اليد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم هذه القاعدة ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾، للتوثّق.

• **س: فقط؛ يعني: للأعيان؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم ما فيه شكٌّ، أهل الحلّ والعقد، وهكذا إذا كانوا سريّة أو جماعةً محسوبين معهم، مثل ما في قصة الحديبية، بايعهم كلّهم وكانوا ألفًا وأربعمائةٍ وزيادة.

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدّثنا محمّد بن عبد الرّحيم، حدّثنا هارون بن معروفٍ، حدّثنا عبد الله بن وهبٍ قال: وأخبرني ابن جريجٍ أنّ الحسن بن مسلمٍ أخبره عن طاوسٍ، عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «شهدت الصّلاة يوم الفطر مع

رسول الله ﷺ، وأبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، فكلّهم يصلّيها قبل الخطبة، ثمّ يخطب بعد، فنزل نبيّ الله ﷺ، فكأنّي أنظر إليه حين يجلّس الرّجال بيده، ثمّ أقبل يشقّهم حتّى أتى النّساء مع بلالٍ، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [١٢] حتّى فرغ من الآية كلّها، ثمّ قال حين فرغ: «**أَنْتُنَّ عَلَى ذَلِكَ؟**» وقالت امرأةٌ واحدةٌ لم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله، لا يدري الحسن من هي، قال: «**فَتَصَدَّقْنَ**»، وبسط بلالٌ ثوبه، فجعلن يلقين الفتخ، والخواتيم في ثوب بلالٍ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

في اللّفظ الآخر قال: «**تَصَدَّقْنَ وأَكْثرنَ الاستِغْفارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّار**»(٢). فيه الحثّ على الصّدقة، الخطيب يحثّ النّاس على الصّدقة، والإحسان إلى الفقراء والمساكين.

ومن هذا يستفاد التّأكيد على النّساء أيضًا في الحثّ على الاستقامة والالتزام بالبيعة، والمراد الاستقامة على طاعة الله ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله في خطب العيد، والخطب المناسبة الأخرى، كما يؤكّد على الرّجال يؤكّد على النّساء؛ لأنّ الكلّ في حاجةٍ إلى التّأكيد، والحاجة إلى الوصيّة حتّى يلتزم الجميع بتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفي هذا من الفوائد: أنّ الإمام إذا ظنّ أنّ النّساء ما سمعن الخطبة في الأعياد يأتي إليهنّ ويذكّرهنّ.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ برقم (٤٨٩٥)، ومسلم في كتاب صلاة العيدين برقم (٨٨٤).

(٢) أخرجه مسلم من حديث عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ككفر النعمة والحقوق برقم (١٣٢).

وفيه من الفوائد أيضًا: تجليس الإمام النّاس إذا اقتضت المصلحة ذلك، إذا قاموا جلّسهم لعله جلّسهم؛ ليسمعوا ما يقول للنّساء عليه الصّلاة والسّلام؛ لأنّهم قد قاموا بعد نزوله من الخطبة قاموا؛ فجعل يجلّسهم ليسمعوا ما سيقول للنّساء، لعلّ الحكمة ذلك.

وفيه من الفوائد: أن المرأة لا بأس أن تتصدّق، وأن تهب بدون إذن زوجها، بدون إذن أبيها؛ لأنّها مكلّفةٌ رشيدةٌ؛ فلها أن تتصدّق، ولها أن تعطي، وليس عليها أن تستأذن، ليس بشرطٍ؛ فلهذا حثّهنّ على الصّدقة، وجعلن يلقين في ثوب بلالٍ ﵁ الفتخ والخواتيم والقلائد وغير ذلك، ولم يقل: لهنّ استأذنّ أزواجكنّ، أو استأذنّ آباءكنّ؛ فدلّ ذلك على أن لها التّصرّف في أموالها بالصّدقة والوصيّة، والعتق للعبيد وغير ذلك.

إلّا أن يعلم أنّها سفيهةٌ؛ فيؤخذ على يدها كما هو معلومٌ، والأصل عدم السّفه؛ ولهذا أقرهنّ النّبيّ ﷺ على الصدقات، ولم يقل لهنّ: استأذنّ أزواجكنّ.

ومن هذا الباب ما رواه مسلمٌ في «الصّحيح» أن ميمونة ﵂ عتقت جاريةً لها؛ فقالت: أشعرت يا رسول الله أنّي أعتقت وليدتي، قال: «**أَوَفَعَلْتِ؟**»، قالت: نعم، قال: «**أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكِ**»[(١)]، فهذا يدلّ على أنّها لم تستأذنه، ولم تخبره قبل عتقها.

ويستفاد من ذلك أن صلة الرّحم المحتاجة أفضل من العتق، كون الرّجل أو المرأة تعطي أقاربها، أو يعطي أقاربه خادمًا بدل عتقه يعطيه إيّاه؛ ليخدمهم، أو يبيعه ويتصدّق بثمنه على أرحامه المحتاجين

---

(١) متفق عليه من حديث ميمونة بنت الحارث ﵂، أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها برقم (٢٥٩٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين برقم (٩٩٩).

أفضل من العتق؛ لأنّه قال: «**أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكِ**».

• **س: لماذا يا شيخ بلالٌ ﵁ بالذّات الخواتم تعطى لبلال ﵁ بالذات؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

ليجمعها والنّبيّ ﷺ يتصرّف فيها ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ لأنّه هو الّذي يجمعها، خادم النّبيّ ﷺ.

• **س: سؤال إعطاء الكفّارات للأولاد، ما يدلّ حديث الرّجل الّذي جامع في نهار رمضان، ثمّ قال النّبيّ ﷺ: «خُذْهُ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ» ما يدلّ على جواز إعطائها للأولاد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

لا، هذه ليست كفّارة، صدقةٌ، مساعدةٌ من النّبيّ ﷺ، ليست بكفارةٍ، مساعدةٌ؛ لأنّه عاجزٌ.

• **س: يعني: تعتبر عليه صدقة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀: عاجزٌ؛ يعني: صدقة من النّبيّ ﷺ.

• **س: أحسن الله إليك، الضّابط في التّأويل الّذي لا يكفّر به؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

التّأويل الّذي قد يخفى، مثل قصة الّذي أمر أهله أن يحرّقوه، الشّيء الخفي الّذي قد يخفى.

• **س: أحسن الله عملك، مبايعة أمراء الجماعات في الوقت الحاضر تعتبر بدعةً؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀: ما لها أصلٌ، ما نعرف لها أصلًا.

❑ ❑ ❑

تفسير آيات من سورة الصف

وقال مجاهدٌ: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [١٤]: من يتّبعني إلى الله، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [٤]: ملصقٌ بعضه ببعضٍ، وقال يحيى: بالرّصاص.

□ تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦][(١)].

حدّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزّهريّ، قال: أخبرني محمّد بن جبير بن مطعم، عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ**»[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

اللّهمّ صلّ عليه وسلّم، معنى العاقب؛ يعني: آخر شيءٍ؛ يعني: خاتم الأنبياء، ليس بعده - نبيٌّ عليه الصّلاة والسّلام -، وهو نبيّ السّاعة، بعد بعثته قيام السّاعة ليس بعده - نبيٌّ عليه الصّلاة والسّلام -.

اللّهمّ صلّ عليه وسلّم. **(محمّدٌ وأحمد)** فهذا ظاهرٌ، وأمّا **(الماحي)**

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قول تعالى: ﴿يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ برقم (٤٨٩٦)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ برقم (٢٣٥٤).

مثل ما بيّن ﷺ أنّ الله يمحو به الكفر، وقد محا الله به الكفر العظيم، والشّرّ المستطير، ودخل النّاس في دين الله أفواجًا، واعتنقوا الإسلام، ودخل فيه من لا يحصيه إلّا الله من ملايين البشر.

وأمّا كونه (الحاشر) فلأنّه آخر الأنبياء، ليس بعده نبيٌّ، فليس بعده إلّا قيام السّاعة؛ فالنّاس بعده إلى المحشر، إلى قيام السّاعة، حين يقضى على هذه الدّنيا وتنتهي فليس بعده نبيٌّ، فهو آخر الأنبياء، والنّاس تبعٌ له ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

وهكذا العاقب ليس بعده نبيٌّ، وهو خاتم الأنبياء، اللّهمّ صلّ وسلّم عليه صار بعدهم وعاقبهم، فلم يكن بعدهم نبيٌّ سواه، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

• **س: قوله: «يحشر النّاس على قدمي» معناه أنّهم يتّبعونه...[1]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: هذا هو الظّاهر نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

تكلّم الشّارح على (قدمي) أم ما تكلّم؟ يمكن أن يأتي في أشراط السّاعة.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٦٤١)]: «وقد تقدم شرحه مستوفىً في أوائل السيرة النبوية». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ماشي.

• **س: أحسن الله إليك، تسمية الرّسول ﷺ بأبي المؤمنين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

جاء في النصّ كذلك، أبوهم، وأزواجه أمهاتهم، فهو إمامهم ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

---

(١) تتمة السؤال غير مسموعة.

• **س: من قال: إنّها شاذّةٌ وهو أبوهم، النّبيّ أولى بالمؤمنين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

جاء في بعض القراءات لكن هو معناه، في المعنى؛ لأنّه مربٍّ لهم ومحسنٌ إليهم؛ مربّيهم بما أوحى الله إليه، ولهذا سمّى أزواجه أمّهاتهم، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

ثمّ هو أعظم من الأب أيضًا - مع أنه - هو أبوهم، وهو أعظم من الأب؛ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب: ٦] هو أولى منهم بأنفسهم، ولهذا يجب أن يدافعوا عنه، وأن يحموه وأن ينصروه، أعظم من حمايتهم أنفسهم، عليه الصّلاة والسّلام، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦] اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

• **س: عفا الله عنك، من هذا الباب قول لوطٍ** عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو من هذا الباب، القول الآخر: «هن بناتي»؛ يعني: من ذرّيتي، ولكن المعروف أن المراد به بنات الأمّة.

• **س: أحسن الله إليك، قولهم: إنّ من أسماء الرّسول** ﷺ **طه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، ما لها أصلٌ، ضعيفٌ، «طه» حروفٌ مقطّعةٌ من أسماء السّور، مثل «كهيعص»، «حم»، «الر»، وأشباهه.

• **س: هؤلاء بناتي الرّاجح فيها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بنات الأمّة؛ يعني: النّساء أطهر لكم من الرّجال.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾ [الصف: ١٤][(١)].

الآية واضحة؛ أن يكونوا أنصار الله، وأنصار الله هم أنصار دينه، الله ليس بحاجة إلى أحد من الناس، الله ـ سبحانه ـ غني عن عباده ليس بحاجة إليهم، فأنصار الله هم أنصار دينه، والدعاة إليه، وحماته حتى يظهر بين الناس، وحتى يلتزمه الناس، كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧] تنصروا الله؛ أي: تنصروا دينه وشريعته، وما أمر به، وتنصروا ترك محارمه، وهكذا قوله سبحانه: ﴿...وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]. هذا نصر الله، بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله ﷻ، وإقامة الجهاد في سبيل الله، وردع المبطلين عن باطلهم، وإقامة الحدود عليهم، إلى غير ذلك، هذا هو النصر لدين الله، ومنها حديث ابن عباس المشهور: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**»[(٢)].

يعني: احفظ دين الله، باتباعه والاستقامة عليه، يحفظك الله ـ سبحانه ـ؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فمن حفظ الله باتباع دينه حفظه الله، ومن نصر الله نصره الله، فمعنى قوله ـ سبحانه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: كونوا من أنصار دين الله، كونوا من أتباع الشرع، ودعاة الحق، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ثم ذكر

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب برقم (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣).

عيسى عليه السلام أنه قال للحواريين: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: من أنصاري إلى التوجه إلى الله، والدعوة إليه، واتباع شريعته، وهكذا ينبغي لأهل الإيمان أن يكونوا أنصارا لله، وأنصارًا للرسل، وأنصارًا لدعاة الحق، فمعنى: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ يعني: من أنصاري في الدعوة إلى الله، والتوجيه إليه، وإقامة دينه، فقال الحواريون وهم الأنصار، الحواري هو الناصر، سُمِّي حواريًّا، لنصرته للحق، وقيامه بالحق، مثل قول النبي ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**»(١).

يعني: ابن العوام، لما انتدب إلى الأحزاب بأمره ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فالحواريون هم الأنصار، هم أنصار الحق، فقالوا هم في هذه الآية: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾؛ لأنهم يعلمون أن نصر النبي نصرٌ لله، فلم يقولوا، أنصارك، أتوا بالأمر الأعلى الذي هو مقصود عيسى عليه السلام، ولهذا قالوا: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: نحن الأنصار الذين دعوتهم إلى أن نكون معك في نصر دين الله، فقال: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؟ قالوا: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: نحن الأنصار الذين ينصرون دين الله، وينصرون الدعاة إليه، ومنهم عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فهم أتوا بعباراتٍ أكمل وأعظم وأشرف في حقهم، حيث قالوا: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾؛ لأن أنصار الرسل هم أنصار الله، من نصر الرسول فقد نصر الله، ومن نصر الحق فقد نصر الله، فهم اختاروا هذه الكلمة التي هي مقصود عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ.



(١) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب أخبار الآحاد، باب بعث النبي ﷺ الزبير طليعة وحده برقم (٧٢٦١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما برقم (٢٤١٥).

تفسير آيات من سورة الجمعة

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣](١).

وقرأ عمر: «فامضوا إلى ذكر الله».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والظّاهر من باب التّفسير ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] قرأ «فامضوا»؛ يعني: تفسيرًا للأمر، وأنّه ليس المراد الرّكض؛ لأنّ السّعي يطلق على المشي، ويطلق على العدو، فأراد عمر رضي الله عنه أن يبيّن للنّاس أنّ المراد به المشي والسّير المعتاد؛ لأنّ الإنسان مأمورٌ في الصّلاة أن يمشي وعليه السّكينة والوقار فلا يعجل.

● **س: أحسن الله إليك، إذا خشي الإنسان من فواته الرّكعة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ولو، ولو، عليه السّكينة والوقار حتّى ولو [فاتته] «**فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**»(٢)، هكذا قال ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أبي قتادة عن أبيه رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب قول الرجل: فاتتنا الصلاة برقم (٦٣٥)، ومسلم في كتاب المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعيًا برقم (٦٠٣).

● **س: مقاربة الخطا في المسجد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

سنّةٌ، التّقدّم إلى الصّلاة وأعمال الخير، إلّا أن يخشى فوت أعمال الخير، هذا شيءٌ آخر، لكن الصّلاة جاء النصّ فيها أنّه يمشي على مهله ولا يعجل.

● **س: أحسن الله إليك، مراد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من هذا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من باب التّفسير والبيان، وبيان أنّ السّعي هنا بمعنى المشي ليس بمعنى الرّكض والعجلة، ويحتمل أنّه من الحروف السّبعة؛ لأنّ الحروف السّبعة الصّحيح فيها أنّ القرآن أنزل على سبعة أحرفٍ؛ يعني: معناها أنّها متقاربةٌ في المعنى، وإن اختلفت الألفاظ؛ فالحروف السّبعة هي تقارب المعاني مع اختلاف الألفاظ: «فاسعوا، فامضوا، فاذهبوا» متقاربةٌ، (فسيروا، فامشوا) كلّها متقاربةٌ.

ثمّ اجتمع الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجمعوا المصحف على حرفٍ واحدٍ.

*

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله، قال: حدّثني سليمان بن بلالٍ، عن ثورٍ، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنّا جلوسًا عند النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾، قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتّى سأل ثلاثًا، وفينا سلمان الفارسيّ، وضع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده على سلمان، ثمّ قال: «**لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ، أَوْ رَجُلٌ، مِنْ هَؤُلَاءِ**»[1].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾ برقم (٤٨٩٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل فارس برقم (٢٥٤٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أسلم منهم الجمّ الغفير، الله أكبر، من فارس وغيرهم، من فارس والرّوم وغيرهم، إلى يومنا هذا، يسلم من النّصارى العدد الكثير، أمّا اليهود فهم أعداء الله، أهل الحسد والبغي، نادرٌ إسلام أحدٍ منهم، نسأل الله العافية.

وهذا من علامات النّبوّة؛ فإنّ أهل فارس دخلوا في دين الله أفواجًا، وظهر فيهم العلماء والأخيار والعبّاد والمجاهدون؛ لصدق رغبتهم في الإسلام، وقيامهم به وجهادهم فيه. الله المستعان.

حدّثنا عبد الله بن عبد الوهّاب، حدّثنا عبد العزيز، أخبرني ثورٌ، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة، عن النّبيّ ﷺ: «**لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ**»[(١)].

*

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ [**الجمعة: ٩**][(٢)].

لعظم شأنها ولأنها تفوت من لم يحضرها تفوت ولا يصلى إلا ظهرًا بعد ذلك، فالواجب عليه أن يسارع إليها، وأن لا يشتغل ببيع ولا غيره، حتى يدركها لعظم شأنها، ولأنها فرض الأسبوع، ويجتمع لها المسلمون وفيها فضل عظيم، فينبغي للمؤمن أن يحافظ عليها، وأن يحذر المعوقات.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سؤال طرح على سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ في برنامج نور على الدرب من مقدم البرنامج فضيلة الشيخ عبد الكريم المقرن ج٢٧ (ص٤٢٤).

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]**[١].

هذه الآية الكريمة تدل على شرعية العمل باليد والكسب باليد والحرص على الكسب الحلال، والاستغناء عما في أيدي الناس وسؤالهم، ينبغي للمؤمن أن يجتهد في أسباب الرزق: من طريق الحراثة، من طريق البيع والشراء والتجارة، من طريق الصنعة؛ كالنجارة والحدادة والخرازة والكتابة ونحو ذلك، حتى يستغني عن سؤال الناس والتعرض له، وقد أرشد الله إلى هذا بقوله ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يطلب الرزق في البيع والشراء وغير ذلك.

في الحديث لما سئل ـ عليه الصلاة والسلام ـ: أَيُّ الكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: «**عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ**»[٢]. كسب الرجل بيده من أفضل أسباب الرزق، يطلب بهذا نجارة وحدادة وخرازة وزراعة وغير هذا من الصناعات المباحة، هكذا البيع المبرور والتجارة من الكسب الحلال إذا صدق فيها وبرَّ وابتعد عن الخيانة والكذب.

وفي **حديث الزبير بن العوام الأسدي** رضي الله عنه، حواري النبي ﷺ وابن عمته، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، يروي عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحبُلَهُ ثُمَّ يَأْتِيَ الجَبَلَ، فَيَأْتِيَ بحُزْمَةٍ مِنْ حَطَب عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ**»[٣] هكذا رواه رضي الله عنه عن النبي ﷺ، والمعنى أنه ينبغي

---

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٢/ ٣٢٩).
(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه (٤/ ١٤١).
(٣) أخرجه في كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة برقم (١٤٧١) وفي كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده برقم (٢٠٧٥).

للمؤمن أن يحرص على الكسب والسبب حتى يستغني عما عند الناس، ولو بأن يحطب من الجبل أو من الشِّعاب الحطب والحشيش، ويبيع ليستغني عن حاجة الناس وسؤالهم.

وهكذا كان نبي الله داود يأكل من عمل يده وكان زكريا نجارًا يأكل من عمل يده، وكان نبينا ﷺ يأكل من عمل يده، من الغنائم يقول: **«جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رمْحِي»**(١).

وفي حديث المقدام: **«مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبيَّ الله دَاوُدَ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»**(٢) عليه الصلاة والسلام، هذه النصوص تُرشد المؤمن إلى الحرص على كسب الحلال وطلب الحلال، والاستغناء عما في أيدي الخلق، وليس طلب الرزق منقصة ولا محل مذمة، بل محل تشريف، طلب الرزق شرف للعبد وليس ذمًّا له، وقد صحَّ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ أنه قال: **«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بالله...»** رواه مسلم في الصحيح، هذا يعم ما ينفعه في الدنيا والآخرة، أول الحديث: **«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ «لَوْ» تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»**(٣).

---

(١) ذكره البخاري عن ابن عمر معلقًا في كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الرِّماح، ساقه بين حديث (٢٩١٣ ـ ٢٩١٤)، ووصله الإمام أحمد (٢/ ٥٠٠ و٩٢) وهذا لفظه: **«بُعثت بالسيف حتى يُعبد الله لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»**.

(٢) أخرجه البخاري من حديث المقدام رضي الله عنه في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده برقم (٢٧٠٢).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله برقم (٢٦٦٤).

المشروع للمؤمن والمؤمنة هو الحرص على الكسب الطيب والاستغناء عما في أيدي الناس من سائر أنواع الكسب المباح، ولا ينبغي للعاقل أن يستريح بالسؤال ويترك العمل، ليس هذا من صفات الأخيار صفات أهل الإيمان الكُمل، أهل الصفات الكُمل البعد عن السؤال والحرص على السلامة منه إلا من ضرورة.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

هذه الآية الكريمة في فضل يوم الجمعة وعظم شأنها، والجمعة فرض على المسلمين مثل الصلوات الخمس يوم الجمعة مثل الصلوات الخمس بدلًا من الظهر. قال ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ وهي الجمعة: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]. فالجمعة أمرها عظيم وشأنها كبير، وقال ﷺ: **«لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الغَافِلِينَ»**(١).

الواجب على الرجل المكلف أن يؤديها وعلى من بلغ سبعًا أن يؤمر بها، ومن بلغ تسعًا فليؤمر أو يضرب أيضًا حتى يحافظ عليها مع بقية الصلوات، ويقول ﷺ: **«خَيْرُ يَومٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ»** خير

---

(١) أخرجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة برقم (٨٦٥).

أيام الأسبوع هذا اليوم يوم الجمعة: «**فِيهِ خُلِقَ آدَمُ**» أبونا ـ عليه الصلاة والسلام ـ خلق يوم الجمعة العصر، «**وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا**»، «**وفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»، «**وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ**»(١) هذا اليوم العظيم. ويقول ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ وَزِيادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**»(٢)، من حافظ عليها من أسباب المغفرة، والسُّنَّة لها أن يتطيَّب من طيبٍ بيته، ويلبس من خير ثيابه ويتطيب، ثم يأتي الجمعة فيصلي ما يسِّر له ثنتين، أربعًا ثمانيًا، أكثر لنفسه، قبل الصلاة يصلي ما يسَّر الله ليس له حد محدود يصلي ثنتين، أقل شيء أو أربعًا أو ستًّا أو ثمانيًا يسلِّم من كل ثنتين؛ يعني: وقت صلاة الضحى كله، ثم إذا دخل الإمام أنصت للخطبة، ثم يصلي بعدها أربعًا، تسليمتين، هذا هو السُّنَّة والأفضل، فالمحافظة عليها وأداؤها مع الإمام على الوجه المشروع من أسباب المغفرة «**غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ وَزِيادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**»؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها.

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّراتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**»(٣). هذا يوجب الحذر من الكبائر؛ لأن ارتكاب كبائر الذنوب من أسباب حرمان المغفرة يوجب الحذر منها، والله ﷻ جعل الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن من صغائر

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة برقم (٨٥٤).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وأنصت برقم (٨٥٧).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس برقم (٢٣٢).

الذنوب، أما الكبائر فلا بد من التوبة منها، الكبائر كالزنى والعقوق، قطيعة الرحم، الربا، أكل الربا وظلم الناس، وغير ذلك من الكبائر هذه لا بد من التوبة، مجرد أداء الصلوات لا يكفي، لا بد من توبة صادقة والحذر من كبائر الذنوب؛ لأن الله يقول سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، فلا بد من اجتنابها حتى تكفر السيئات، واجتنابها يكون بالتوبة، والندم، والإقلاع، والعزم ألّا يعود فيها، هذا اجتنابها، تركها، والحذر منها خوفًا من الله، تعظيمًا لله وطاعة له وعزمًا صادقًا ألّا يعود فيها مع الندم عما مضى من ذلك.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾ [الجمعة: ١١][١].

حدّثني حفص بن عمر، حدّثنا خالد بن عبد الله، حدّثنا حصينٌ، عن سالم بن أبي الجعد، وعن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «أقبلت عيرٌ يوم الجمعة، ونحن مع النبيّ ﷺ، فثار النّاس إلّا اثنا عشر رجلًا، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: (إلا اثنا[٣] عشر) بالألف؟

(من الطّالب): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: والنّسخ الأخرى كذلك؟

(من الطّلّاب): نعم.

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث جابر رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾ برقم (٤٨٩٩)، ومسلم في كتاب الجمعة، باب قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ برقم (٨٦٣).

(٣) قرأها القارئ من نسخته (إلا اثنا عشر رجلًا).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشّارح تعرّض له؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٤٤)]: «قوله: (فثار النّاس إلا اثنا عشر رجلًا): وقع عند الطّبريّ من طريق قتادة إلّا اثني عشر رجلًا وامرأةً، وهو أصحّ ممّا روى عبد الرّزّاق عن معمرٍ عن قتادة قال: لم يبق معه إلّا رجلان وامرأةٌ. ووقع في «الكشّاف» أنّ الّذين بقوا ثمانية أنفسٍ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يكفي، المقصود: (إلا اثنا) تمشي على لغة المثنّى بالألف دائمًا؛ لأنّها لغةٌ للعرب معروفةٌ، المثنّى بالألف دائمًا، والأفصح عندهم والمستعمل عندهم أكثر: أنّ الألف حين الرّفع، والياء حين النّصب والجرّ.

• **س: عفا الله عنك، تنعقد الجمعة ولو بثمانيةٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصّحيح تنعقد بثلاثةٍ، فيها خلافٌ بين أهل العلم، لكن أصحّ ما قيل: تنعقد بثلاثةٍ فأكثر.

• **س: عفا الله عنك، البخاريّ ومسلمٌ وأبو داود كلّهم من رجال فارس؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، أقول: دخل في فارس أممٌ لا يحصيهم إلّا الله، ملايين النّاس كلّهم عظم قدمهم في الإسلام وعلمهم وعباداتهم وفضلهم، وإلّا مسلمٌ من بني قشيرٍ، عربيٌّ، والبخاريّ مولىً لبني جعفٍ ـ ناسٌ من العرب ـ مولىً لهم، وهؤلاء كلّهم لهم تعلّقٌ بفارس، لكن مسلمًا عربيٌّ، وسليمان عربيٌّ من الأزد من قحطان، والتّرمذيّ سلمي من بني سليم مولاهم.

• **س: تنعقد الجمعة بثلاثةٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصّحيح تنعقد بثلاثةٍ، إذا صاروا في قريةٍ مستوطنين صلّوا الجمعة على الصّحيح.

• **س: الدّليل، عفا الله عنك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عموم الأدلّة.

• **س: أحسن الله عملك يا شيخ، بعض الفقهاء يحتج بهذا الحديث بأنّه لا يجوز أن تقام الجمعة بأقلّ من اثني عشر رجلًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليس بدليلٍ، هذا واقعة عينٍ، ليس بشرطٍ، خبّر أنّهم قاموا وبقي اثنا عشر، والصّواب أن أقلّ العدد ثلاثة في الجمعة، ولا يشترط أربعون ولا اثنا عشر.

• **س: وفيهم الإمام، عفا الله عنك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أحد الثلاثة الإمام نعم، إذا كانوا في قريةٍ مستوطنين أحرارًا.

• **س: الثلاثة دون الإمام؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: مع الإمام، منهم الإمام.

• **س: سماع الخطبة يوم الجمعة واجبٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يجب على المؤمنين أن يتقدّموا إذا سمعوا النّداء؛ حتّى يسمعوا الخطبة ويحضروا الصّلاة، يجب؛ لأنّ المقصود من الخطبة وعظهم وتذكيرهم.

• **س: قول بعضهم: إنّ في أول الإسلام كانت الصّلاة قبل الجمعة والخطبة بعد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس بثابتٍ، جاء في أخبارٍ مرسلةٍ.

• **س: أحسن الله إليك، إذا كانوا ثلاثة يخطب أحدهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الإمام يصلّي بهم ويخطب بهم.

وهذا الواقع: قبل أن يعلموا وجوب هذا الأمر، فظنّوا أنّه لا حرج

عليهم أن يقوموا، ثمّ بيّن الله الأحكام، وأرشد الأمّة إلى ما يجب عليهم؛ وجوب سماع الخطبة، والمحافظة على الجمعة، والمسارعة إليها، إلى غيره ممّا تقرّر في الشّرع.

• **س: خطبة العيد ـ عفا الله عنك ـ اعتاد كثيرٌ من النّاس القيام إذا بدأ الخطيب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ينبغي ألّا يقوموا؛ لأنّ المقصود وعظهم، جاء في بعض الرّوايات: «من استمع فلا بأس، ومن حضر فلا بأس»، لكن يحتاج إلى النّظر في صحّته، إن ثبت فيه شيءٌ، وإلّا فالأصل الوجوب ـ وجوب السّماع ـ لأنّ المقصود من الخطبة وعظ الحاضرين وتذكيرهم، فإذا قاموا من يخطب؟! من يذكّر؟!.

(**من الطّالب**): سبق أن وهّنتم الحديث، عفا الله عنك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو الظّاهر، الّذي يظهر لي أنّه لا يثبت في هذا الباب، لكن يحتاج إلى مراجعةٍ حتّى يكشف عنه إن شاء الله.

• **س: أحسن الله إليك، حديث أم عطية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **«أمرنا أن نخرج العواتق، وذوات الخدور يسمعن من الخير وجماعة المسلمين». ألا يدلّ على الوجوب هذا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، هذا يدلّ على الفضل، أمر النّساء أن يحضرن ليستفدن ويحضرن.

• **س: يعني: أليس هو أمر وجوبٍ هذا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، الصّحيح أنّه لا يجب على النّساء.

• **س: المرابطون ـ أحسن الله عملك ـ ضد العدوّ أشهرًا كثيرة هل عليهم جمعة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

محلّ خلافٍ بين العلماء، المرابطة؛ لأنّهم ليسوا مستوطنين، إذا كانوا في محلٍّ ما فيه مستوطنون، أمّا إذا كان فيه مستوطنون تقام فيهم الجمعة بلا شكٍّ، أما إذا كان فقط ما فيه إلّا الجند المعيّنون فالمشهور عند أهل العلم ليس عليهم جمعة؛ لأنّهم غير مستوطنين.

• **س: أحسن الله إليك، إذا كانوا ثلاثةً في باديةٍ فهل تجب عليهم إقامة الجمعة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في البادية، البادية ما عليهم جمعةٌ، جزاك الله خيرًا، البادية ما عليهم جمعة، لا بدّ أن يكونوا في القرى، مستوطنون في القرى.

• **س: لكن المعروف ـ أحسن الله إليك ـ بعض البادية في هذه الأيّام أنهم يستوطنون أكثر الأعوام؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا استوطنوا صاروا من أهل القرى.

• **س: ولو سكنوا في الخيام؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا استوطنوا، لا بدّ أن يكون بناء وكل ما جرت به العادة.

• **س: يا شيخ أحسن الله إليك، ذبح الأضحية قبل أن تنتهي خطبة العيد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بعد الصّلاة تجزي ولو قبل الخطبة، تجزي. العبرة: بعد الصلاة.

• **س: خطبةٌ واحدةٌ أم خطبتين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خطبتان مثل الجمعة.

• **س: يعني: أحسن الله إليك، يشترط البناء للاستيطان؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: بناءٌ بما جرت به العادة.

• **س: يا شيخ، هل الخطبة باللّغة العربيّة واجبٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، هكذا خطب النّبيّ ﷺ، باللّغة العربيّة، وتفسّر إذا كان لا يحسنون العربيّة تفسّر لهم بلغتهم الّتي يفهمونها، أمّا إذا كانوا في محلٍّ ما فيه إلّا هم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، إذا كان ما فيهم من يحسن العربيّة يخطب بلغتهم واتقوا الله ما استطعتم.

• **س: أحسن الله إليك، ترجمة الخطبة خلال الخطبة أو عقب الصّلاة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا وهذا، في أثناء الخطبة أحسن؛ حتّى ينتفعوا، أنفع لهم.



تفسير آيات من سورة المنافقون(١)

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾، إِلَى: ﴿لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون: ١].

حدّثنا عبد الله بن رجاءٍ، حدّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاةٍ، فسمعت عبد الله بن أبيٍّ يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضّوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده، ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فذكرت ذلك لعمّي، أو لعمر، فذكره للنّبيّ ﷺ، فدعاني فحدّثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبيٍّ وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذّبني رسول الله ﷺ، وصدّقه، فأصابني همٌّ لم يصبني مثله قطّ، فجلست في البيت، فقال لي عمّي: ما أردت إلى أن كذّبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، فبعث إليّ النّبيّ ﷺ، فقرأ فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ**»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نسأل الله العافية، وعبد الله بن أبيٍّ ـ نعوذ بالله ـ لم يزل على

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ...﴾ برقم (٤٩٠٠)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين برقم (٢٧٧٢).

حاله؛ حتّى مات على كفره ونفاقه، نسأل الله العافية، وأنزل الله فيه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التّوبة: ٤٨]، نسأل الله العافية.

• **س: أحسن الله إليك، إذا علم أفراد النّاس أنّ جنازة الرّجل أنّه منافقٌ علموا منه النّفاق، هل لهم أن يتركوا الصّلاة عليه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: إذا علموا أنّه كافرٌ لا يصلّون عليه.

*

▫ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢].

يجتنون بها.

حدّثنا آدم بن أبي إياسٍ، حدّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنت مع عمّي، فسمعت عبد الله بن أبيٍّ بن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضّوا، وقال أيضًا: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فذكرت ذلك لعمّي، فذكر عمّي لرسول الله ﷺ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبيٍّ، وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فصدّقهم رسول الله ﷺ، وكذّبني، فأصابني همٌّ لم يصبني مثله، فجلست في بيتي، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [٧] إلى قوله: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [٨]، فأرسل إليّ رسول الله ﷺ فقرأها عليّ، ثمّ قال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ**»[1].

(١) سبق في (ص٢٤٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكان عليه الصّلاة والسّلام يصفح كثيرًا ويقبل من المنافقين ما أظهروا من التنصّل والاعتذار والإسلام حقنًا للدّماء، وتأليفًا للقلوب، وحذرًا من الفتنة الّتي يخشى منها لو قتل عبد الله أو سجن عبد الله بن أبيٍّ.

وكان رئيسًا فيهم ومعظمًا في الخزرج، فكان من الحكمة ومن السّياسة الشّرعيّة: التّسامح في أمره، وعدم العقوبة إلى أن يأتي الله بفرجٍ من عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فلم يزل في نفاقه وشرّه وخبثه يتظاهر بالإسلام، ولكنّه مغموسٌ بالنّفاق حتّى مات على نفاقه. نسأل الله العافية، في آخر حياة النّبيّ ﷺ. اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

ويؤخذ من هذا أن خبر الواحد لا يكفي في الحكم على النّاس بالكفر أو بالحد الشرعيّ يومًا، ولهذا لم يأخذ النّبيّ ﷺ بخبر زيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حتّى أنزل الله القرآن فيه، فالخبر الواحد لا يكفي في إقامة الحدود، وفي التصديق على أخبار الأمم حتّى يكون شاهدان فأكثر.

• **س: قبول خبر الكافر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، هذا يختلف، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، تثبّتوا، والكافر شرٌّ من الفاسق، فإذا وجد علاماتٌ تدلّ على صدقه يؤخذ بخبره لما ينفع المسلمين، إذا وجد أماراتٌ وعلاماتٌ تدلّ على صدقه ـ وإن كان كافرًا ـ يحتاط ويؤخذ بخبره فيما ينفع المسلمين؛ كأن يأتيهم ينذرهم من عدوٍّ لهم، ويقول: ترى كذا وكذا، أو يخبرهم بشيءٍ قد خبّئ لهم، يحتاطون، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَن﴾ ما قال: فردّوه، تثبتوا، في الكافر والفاسق التّثبّت.

• س: رد النّبيّ ﷺ له؛ لأنّ البيّنة على المدّعي، واليمين على من أنكر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا فيه؟

(من الطالب): في ردّ خبر زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لأنّه واحدٌ ويشهد على أمة، يشهد على عبد الله بن أبيٍّ أنّه فعل كذا وفعل كذا.

• س: ما فيه حد قذفٍ هذا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا يدلّ على أن الواحد ما يكفي في إثبات هذا، المراد حتّى يوجد اثنان فأكثر عدولٌ.

• س: أحسن الله إليك، الجمع بين هذا وبين ما جاء في قبول خبر الواحد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

خبر الواحد فيها ليس شهادةً على أحدٍ، خبرٌ عن النّبيّ ﷺ، روايةً، جاء كذا يعني فيما لا يتضمّن شهادةً على إنسانٍ يتضمّن كفره وقتله ونحو ذلك، أو إقامة حدٍّ عليه.

فالواحد في الأخبار الّتي ما تتعلّق بمعيّنٍ تثبت، يعمل بها؛ مثل أحاديث الآحاد الّتي عن النّبيّ ﷺ، لكن فيما يتعلّق بأن فلانًا زنى، فلانًا شرب الخمر، فلانًا كفر وارتدّ، سبّ الدّين؛ ما يكفي فيه الواحد؛ لأنّ له أحكامًا معينةً على إنسانٍ معيّنٍ.

• س: عفا الله عنك، ثبت أنّ النّبيّ ﷺ أتى قبر عبد الله بن أبيٍّ، ذكره ابن حجرٍ وغيره، أتى عبد الله بن أبيٍّ وأخرجه من قبره وتفل عليه من ريقه، وألبسه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا قبل إنزال الله فيه ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ [التوبة: ٨٤]، ألبسه قميصه وصلّى عليه، ثمّ نهاه الله بعد ذلك.

• **س: المقصود نبش قبره، عفا الله عنك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما أدري، الظّاهر أنّه أخذه، ما هو منبوشٌ، قد دلي فيه، فأخرجه وألبسه قميصه لما طلبه عبد الله، ولده عبد الله بن عبد الله.

• **س: النّبيّ ﷺ حكم بالظّاهر، أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

• **س: على هذا شهادة رؤية الهلال؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يقبل، هذه ما هي على معيّن، هذه عمومٌ للدّين، ليست شهادة على معيّن.

• **س: أحسن الله إليك، الحرف الّذي جمع القرآن عليه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الّذي تقرأه الآن، الموجود في المصحف الآن؛ يعني: السّتة تركت وبقي حرفٌ واحدٌ، حروف الّتي نزل بها القرآن في بعض الآيات وفي بعض الكلمات. اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ [المنافقون: ٣][١].

حدّثنا آدم، حدّثنا شعبة، عن الحكم قال: سمعت محمّد بن كعبٍ

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

القرظيّ قال: سمعت زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لمّا قال عبد الله بن أبيٍّ: لا تنفقوا على من عند رسول الله، وقال أيضًا: لئن رجعنا إلى المدينة، أخبرت به النّبيّ ﷺ، فلامني الأنصار، وحلف عبد الله بن أبيٍّ ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فنمت، فدعاني رسول الله ﷺ فأتيته، فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ**»، ونزل: ﴿**هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا**﴾ [٧] الآية، وقال ابن أبي زائدة، عن الأعمش عن عمرٍو، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن زيد بن أرقم، عن النّبيّ ﷺ(١).

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ **[المنافقون: ٤]**(٢).

حدّثنا عمرو بن خالدٍ، حدّثنا زهير بن معاوية، حدّثنا أبو إسحاق قال: سمعت زيد بن أرقم قال: خرجنا مع النّبيّ ﷺ في سفرٍ أصاب النّاس فيه شدّةٌ، فقال عبد الله بن أبيٍّ لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضّوا من حوله، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فأتيت النّبيّ ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى عبد الله بن أبيٍّ فسأله، فاجتهد يمينه ما فعل، قالوا: كذب زيدٌ رسول الله ﷺ، فوقع في نفسي ممّا قالوا شدّةٌ، حتّى أنزل الله ﷻ تصديقي في: ﴿**إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ**﴾ [١]، فدعاهم النّبيّ ﷺ ليستغفر لهم، فلوّوا رؤوسهم. وقوله:

---

(١) متفق عليه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ ...﴾ إلخ برقم (٤٩٠٢)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين برقم (٢٧٧٢).

(٢) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

﴿خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [٤]، قال: «كَانُوا رِجَالًا أَجْمَلَ شَيْءٍ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال على (في سفر)؟ الظّاهر ـ والله أعلم ـ أنّها غزوة تبوك؛ لأنّها هي الشّيء الّتي فيها الشّدّة وفيها قال ما قال، نسأل الله العافية، خرج معهم في سفرٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما تكلّم بشيءٍ؟ والعينيّ أشار قال: غزوة تبوك؟

(من الطّالب): أشار إلى أنّها غزوة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: فقط.

(من الطالب): نعم.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾ [المنافقون: ٥](٢).

حرّكوا: استهزؤوا بالنّبيّ ﷺ، ويقرأ بالتّخفيف من لويت.

حدّثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم قال: كنت مع عمّي، فسمعت عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضّوا، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فذكرت ذلك لعمّي، فذكر عمّي للنّبيّ ﷺ وصدّقهم، فدعاني، فحدّثته، فأرسل إلى عبد الله بن أبيٍّ

---

(١) متفق عليه من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ برقم (٤٩٠٣)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين برقم (٢٧٧٢).

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، وكذّبني النّبيّ ﷺ، فأصابني غمٌّ، لم يصبني مثله قطّ، فجلست في بيتي، وقال عمّي: ما أردت إلى أن كذّبك النّبيّ ﷺ، ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [١]، وأرسل إليّ النّبيّ ﷺ فقرأها، وقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ**»(١).

● **س: تكرار الحديث على الآيات؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما يظهر لي شيءٌ واضحٌ، إلّا كان تكرار أسانيد فقط بثبوت القصّة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أقول: لهذا نظائر كثيرةٌ.

● **س: أحسن الله عملك، الرّسول ﷺ وهو يعلم الوحي ما عنده ثقة أن ابن أرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ثقةٌ، ما عند الرّسول ﷺ؛ يعني: يقينٌ على أن ابن أرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ثقةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

جاء جماعةٌ كثيرٌ يتظاهرون بالإسلام وكذّبوه، أقول: جاء جماعةٌ كثيرٌ يتظاهرون بالإسلام مع عبد الله بن أبيٍّ، النّبيّ ﷺ لا يعلم الغيب، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

(السّائل): وهو يعلم المنافقين؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعلم بعضهم ليس كلّهم يعلم البعض، ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١]، يقول الرب جَلَّ وَعَلَا.

(من الطّالب): ذكر الشّارح هنا أنّها غزوة تبوك وقال: الّذي عليه أهل المغازي أنّها غزوة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من هذا؟

(من الطّالب): الحافظ.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٤٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ماذا قال؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٦٤٤)]: «قوله: **(كنت في غزاةٍ)**: زاد بعد بابٍ من وجهٍ آخر عن إسرائيل: مع عمّي. وهذه الغزاة وقع في رواية محمّد بن كعبٍ عن زيد بن أرقم عند النّسائيّ أنّها غزوة تبوك، ويؤيّده قوله في رواية زهيرٍ المذكورة: **(في سفرٍ أصاب النّاس فيه شدّةٌ)**.

وأخرج عبد بن حميدٍ بإسنادٍ صحيحٍ عن سعيد بن جبيرٍ مرسلًا: أنّ النّبيّ ﷺ كان إذا نزل منزلًا لم يرتحل منه حتّى يصلّي فيه، فلمّا كان غزوة تبوك نزل منزلًا؛ فقال عبد الله بن أبيٍّ... فذكر القصّة. والّذي عليه أهل المغازي أنّها غزوة بني المصطلق، وسيأتي قريبًا في حديث جابرٍ ما يؤيّده.

وعند ابن عائذٍ وأخرجه الحاكم في «الإكليل» من طريقه ثمّ من طريق أبي الأسود عن عروة أنّ القول الآتي ذكره صدر من عبد الله بن أبيٍّ بعد أن قفلوا». [انتهى كلامه].

قال ابن بازٍ رَحِمَهُ اللهُ: محتملٌ، لكن السّند الصّحيح لا يعوّل على غيره. هو مات بعد ذلك، مات في سنة عشرةٍ، أو في آخر سنة تسعٍ، الخبيث مات بعد رمضان في سنة تسعٍ، أو في أوّل سنة عشرٍ.

● **س: أحسن الله إليك، بعض المدرّسين إذا شرح للطلاب ولم يفهموا، قال: كأنّهم خشبٌ مسندةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ترك العبارة هذه أحوط، لا يشبّههم بالمنافقين، يذكر يقول: يا أبنائي انتبهوا، احرصوا، افهموا، أما تشبيههم بالمنافقين كأنّهم خشبٌ مسندةٌ ما يناسب، الّذي ينبغي ترك هذا، ولكن يحرّضهم ويرغّبهم في

الاستماع والإنصات والتفهم بالعبارات الحسنة، هذا هو الّذي ينبغي، وألا يشبه تلاميذه بأعداء الله المنافقين.

● **س: أحسن الله إليك، قبل هذه الآية ما كان النّبيّ ﷺ يعلم أنّهم منافقون؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

علاماتهم ظاهرةٌ، معلومٌ عبد الله، لكن المقصود هذه المقالة، الكلام في هذه المقالة: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٧]، ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]. وإلّا هم معروفون، معروفون بأخلاقهم وصفاتهم الخبيثة.

● **س: أحسن الله إليك، هل تثبت العقائد بخبر الواحد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عن النّبيّ ﷺ نعم، الحديث عن النّبيّ ﷺ، وعن غيره إذا كان فيه ما يكذّبه، إذا كان ثقةً، أو فيه ما يكذّبه ما أنكر من نسبت إليه، أما إذا أنكر فلا بدّ من شاهدٍ ثانٍ[١].

(**من الطّالب**): يسأل: هل تثبت العقائد بخبر الواحد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

تثبت، النّبيّ ﷺ قال: «**إِنَّمَا الأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ**»[٢] حديثٌ واحدٌ، مع أن له شواهد كثيرة، حديث: «**نَهَى عَنْ بَيْعِ الْوَلَاءِ، وَعَنْ هِبَتِهِ**»[٣].

فالصّحيح أن خبر الواحد تثبت به العقائد والأحكام جميعًا إذا كان الرّواة ثقاتٍ.

---

(١) لم يتضح للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مراد السائل على ما ينبغي، وسيأتي توضيح الطالب للمراد بعده.

(٢) سبق تخريجه في (ص٨٠).

(٣) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب العتق، باب النهي بيع الولاء وهبته.

• **س: أحسن الله إليك، هل هناك فرقٌ بين رواية المرأة ورواية الرّجل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، الرّجل والمرأة إذا كانوا ثقاتٍ عدولًا، بخلاف الشّهادة على معينٍ، لا، الشّهادة لها أحكامها.

• **س: أحسن الله إليك، حديث: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا»(١) النّفاق العملي يقصد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، هذا النّفاق العمليّ.

• **س: يقول عبد الله بن أبيٍّ: لا تنفقوا على رسول الله؛ يعني: يقرّ له بالرّسالة، ما قال محمّد وأصحابه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، المعروف قال محمّد وأصحابه، المعروف في الرّوايات محمّد وأصحابه، هو ما يقر أنّه رسول الله، هو خبيثٌ، ولكن في الظّاهر المنافقون يقولون: رسول الله ويمدحونه ويمدحون المؤمنين على طريقتهم، المنافقون هكذا، وإذا خلا بعضهم إلى بعضٍ أظهروا نفاقهم، نسأل الله العافية.

• **س: لكن لفظ الآية ما يؤيّد هذا، ﴿عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المراد رسول الله، لكن هم ما قالوا: رسول الله، الّذي يظهر أنّهم قالوا: محمّدًا وأصحابه في رواية زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(من الطّالب): في الحديث هنا قال: ﴿عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم؟

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٢٧٤).

(**من الطالب**): يقول: سمعت عبد الله بن أبيٍّ يقول: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ [المنافقون: ٧].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يحتمل على نفاقه، إذا قال فهو على نفاقه المعروف، يقولها نفاقًا.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ **[المنافقون: ٦]**(١).

حدّثنا عليٌّ، حدّثنا سفيان قال عمرٌو: سمعت جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنّا في غزاةٍ، قال سفيان مرّةً في جيشٍ، فكسع رجلٌ من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاريّ: يا للأنصار، وقال المهاجريّ: يا للمهاجرين، فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال: «**مَا بَالُ دَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ؟**» قالوا: يا رسول الله، كسع رجلٌ من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»، فسمع بذلك عبد الله بن أبيٍّ فقال: فعلوها، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فبلغ النّبيّ ﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النّبيّ ﷺ: «**دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، وَكَانَتِ الأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ**»، قال سفيان: فحفظته من عمرٍو، قال عمرٌو: سمعت جابرًا كنّا مع النّبيّ ﷺ(٢).

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ...﴾ إلخ برقم (٤٩٠٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا برقم (٢٥٨٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: أن الإنسان لا يخصّ أحدًا، يطلب إخوانه، ساعدوني يا إخوان، ما يقول يا آل فلانٍ وآل فلانٍ، ويصير تعصّبًا، ولهذا أنكر عليهم: يا للمهاجرين، ويا للأنصار؛ لأنّ المهاجرين والأنصار شيءٌ واحدٌ، فالواجب عليهم جميعًا أن يساعدوا إخوانهم، وأن يكونوا درعًا لإخوانهم، فلا ينبغي للمسلم أن يفرّق حتّى يجعل النّاس شعوبًا وقبائل ليتعصّب بعضهم لبعضٍ؛ بل ينبغي عند وجود الحادث أن يلتئم المؤمنون جميعًا، وأن يكونوا جميعًا ضدّ الحادث المخالف للشّرع.

ومعنى: (**دعوها فإنّها منتنةٌ**)؛ يعني: هذه النّعرة هذه النّعرة وهذه الدّعوى خبيثةٌ؛ لأنّها تسبّب الشّحناء والعداوة والانقسام، وهم إخوانٌ وأحبابٌ ومؤمنون، لا فرق بين مهاجريٍّ وأنصاريٍّ؛ فلهذا قال: (**دعوها**)؛ يعني: دعوا الاعتزاء إلى القبائل والأصحاب.

(يا للمهاجرين، ويا للأنصار) وإن كانت ألقابًا شرعيّة جميلةً، لكنّها توجب الانقسام، والواجب أن يقولوا: يا للمؤمنين، يا لإخواني، ولا ينحاز إلى أحدٍ؛ لأنّهم إخوانه: مهاجرهم وأنصاريّهم، كلّهم إخوانه.

فلهذا أنكر هذه الدعوى مع أنّها متعلقةٌ بألقابٍ إسلاميّةٍ، فكيف إذا تحيّز إلى قبائل وقال: يا لقريشٍ، أو يا لثقيفٍ، أو يا لتميمٍ، أو يا لفلانٍ؟! فإنّها تكون أقبح؛ لأنّها خروجٌ عن الألقاب الإسلاميّة.

والكسع: يعني: ضربه بيده على مقعدته من باب المزح، ولكنّه استنكر ذلك؛ لأنّها قد تحمل على محامل غير طيّبةٍ.

فالمقصود: أن الرّسول حذّرهم من هذه الألقاب وهذه الاعتداءات الّتي قد تفرّق شملهم، وتقسم جمعهم، وتسبّب الشّحناء بينهم. والله المستعان.

وفي هذا خُبث عبد الله بن أبيٍّ، وأنّه عند كلّ ما تقع أي شيءٍ من الهنّات ينتهز الفرصة؛ فيتكلّم ليسبب الانقسام، ويسبّب الشّرّ بين المسلمين، ولكنّ الرّسول ﷺ كان ينظر إلى أمرٍ بعيدٍ، ويراعي السّياسة الشّرعيّة الّتي فيها الجمع وعدم فتح باب الشّرّ؛ فلهذا قال: «**دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاس أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابه**»، ولأنّه يعرف أنّ للرّجل أناسًا يتبعونه ويعظّمونه، وما زال في نفوسهم شيءٌ من أمره، وقد كانوا اصطلحوا على أن يُرئسوه ويملّكوه على المدينة قبيل الهجرة؛ فلمّا هاجر النّبيّ ﷺ إلى المدينة، وصارت الرّياسة بيده، والسّلطان بيده ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ شرق بذلك عبد الله بن أبيٍّ؛ لأنّه رأى أنّه قد فاته أمرٌ قد تهيّأ له. فنسأل الله العافية.

فلم يزل ـ والعياذ بالله ـ في نفاقه وخبثه وشرّه حتّى مات على ذلك ـ نسأل الله العافية ـ في آخر الهجرة.

• **س: عفا الله عنك، النّبيّ ﷺ ما عاقب الرجل الّذي كسع الرجل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ما بلغنا شيءٌ.

• **س: أحسن الله إليك، حكم الكسع؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ما يجوز، لا، ما يجوز، مثل هذا اللعب الّذي قد يثير الشّحناء، وقد يوجب التّهمة، اللّعب يكون بغير هذا المزح، المسابقة المصارعة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ماذا قال الشّارح على (الكسع)؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٦٤٩)]: «قوله: (**فكسع رجلٌ**): الكسع يأتي تفسيره بعد بابٍ، والمشهور فيه أنّه ضرب الدّبر باليد أو بالرّجل، ووقع عند الطّبريّ من وجهٍ آخر عن عمرو بن دينارٍ عن جابرٍ: أنّ رجلًا من المهاجرين كسع رجلًا من الأنصار برجله،

وذلك عند أهل اليمن شديدٌ. والرّجل المهاجريّ هو جهجاه بن قيس ويقال: ابن سعيدٍ الغفاريّ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والأوس والخزرج أصلهم من اليمن، كأنّه كان عندهم عظيمًا، ولهذا استنكرها الأنصاريّ وقال: يا للأنصار، والمهاجريّ ما قصد إلّا المزح واللّعب، ولكن لما كانت عندهم عظيمة استنكرها وقال ما قال.

كانوا يفعلونها قديمًا هنا أيضًا في اللّعب يسمّونها: الرّماح بالأرجل، يتضاربون بالأرجل، وربّما ضرب الإنسان ألية أخيه برجله عند الرّماح الّتي يفعلونها، لعبةٌ كانوا يفعلونها؛ حتّى هنا في الرّياض وغيرها.

المقصود: أنّه الضّرب باليد على المقعدة، أو بالرّجل على المقعدة، يسمّونها الكسع.

• **س: أحسن الله إليك، هذه الغزاة هي الّتي فيها زيد** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**، الّتي فيها القصة، قول عبد الله بن أبيٍّ في هذه الغزاة هي الغزاة الّتي فيها زيد** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو الظّاهر، الحادثة واحدة، كرّرها كثيرًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

• **س: أحسن الله إليك، من يكثر من الأيمان ويجعلها جُنّةً في القليل والكثير دومًا يحلف؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ينصح، ويوجّه إلى الخير، والله يقول: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾، وحذّر النّبيّ ﷺ من تنفيق السّلعة بالحلف الكاذب، وفي الحديث: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ؛**

أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ»[1]. ما يجوز للمؤمن التّساهل بالأيمان؛ لأنّ هذا يجرّه إلى الكذب، أو اليمين الغموس، إذا اعتاد الأيمان الكاذبة ما يبالي.

ينبغي له أن يكون حريصًا على يمينه، ولا يحلف إلّا عند الحاجة؛ لأنّ الله قال: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

• **س: أحسن الله إليك، قصّة زيدٍ ﷺ تكرار تراجم المؤلّف خمس مرّاتٍ أو ست مرّاتٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الظّاهر كالشّرح؛ يعني: كالتّنبيه، للقارئ والطّالب؛ حتّى ينتبه، إذا ما انتبه إلى التّرجمة الأولى إلى التّرجمة الثّانية والثّالثة؛ كالشّارح الّذي يعيد الكلمات، ويعيد التّنبيهات؛ ليفهمها القارئ والطالب رحمه الله، اصطلاحٌ رآه رحمه الله.

• **س: أحسن الله إليك، هل وقع للبخاريّ أن روى حديثًا بإسناده ومتنه مكررة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الأحاديث المكرّرة كثيرةٌ بالتتبع، لكن كونه ما يشير إلّا إلى هذا. . .[2] ممكن، لكن التّكرار في الصّحيح كثيرٌ جدًّا؛ تكرار الأسانيد وتكرار المتون، زيادة كلمةٍ ونقص كلمةٍ واقعٌ في البخاريّ رحمه الله.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦١١١)، بلفظ: **«ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَةً، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ»**.

(٢) عبارة غير واضحة.

• **س: أحسن الله عملك، إذا مسح الرّجل على الجوربين وهو مقيمٌ ثمّ سافر، فهل يتم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يتمّ يومًا وليلةً، إذا مسح ثمّ سافر يكمّل يومًا وليلةً، وإذا سافر قبل أن يمسح يمسح ثلاثة أيّام بلياليها، وإذا قدم كمّل يومًا وليلةً فقط، الّذي مسح فيه، إذا رجع من السّفر مهما كان، إذا رجع بعد اليوم والليلة يخلع.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [المنافقون: ٧][(١)].

﴿يَنفَضُّوا۟﴾: يَتفرّقوا.

* *

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ [المنافقون: ٧][(٢)].

حدّثنا إسماعيل بن عبد الله، قال: حدّثني إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن موسى بن عقبة، قال: حدّثني عبد الله بن الفضل أنّه سمع أنس بن مالكٍ يقول: حزنت على من أصيب بالحرّة، فكتب إليّ زيد بن أرقم، وبلغه شدّة حزني، يذكر أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**اللّهُمّ**

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

اغْفِرْ لِلأَنْصَارِ، وَلأَبْنَاءِ الأَنْصَارِ»، وشكّ ابن الفضل في «أبناء أبناء الأنصار»، فسأل أنسًا بعض من كان عنده، فقال: هو الّذي يقول رسول الله ﷺ: «**هَذَا الَّذِي أَوْفَى اللهُ لَهُ بِأُذُنِهِ**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: زيدٌ رضي الله عنه لما أخبر عن عبد الله بن أبيٍّ، وجاء عبد الله يحلف ويكذّبه؛ أنزل الله تصديقه، تصديقه فيما سمع بأذنه رضي الله عنه: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ [المنافقون: ٧]، ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ﴾ [المُنَافِقون: ٨]، ففضح الله عبد الله بن أبيٍّ، وصدّق زيدًا رضي الله عنه كما تقدّم.

وفي هذا منقبةٌ للأنصار (**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الأَنْصَار**) رضي الله عنهم وأرضاهم، وأكرم مثواهم.

قوله: (**هَذَا الَّذِي أَوْفَى اللهُ لَهُ بِأُذُنِهِ**): يعني: زيد بن أرقم رضي الله عنه، الله أكبر. صدّقه فيما قال، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

● **س: ومن أصيب في الحرّة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

قتل فيها جمٌّ غفيرٌ على يد يزيد بن معاوية، لما خلعوه سنة ثلاثٍ وستين من الهجرة خلعوه؛ بسبب ما بلغهم عنه من الفسق، وغلط من خلعه في ذلك؛ فبعث إليهم جيشًا، فحصل قتالٌ بينهم وبين أهل المدينة، وقتل فيها ناسٌ كثيرٌ، واستحلّ المدينة وقتل منها جمًّا غفيرًا من أبناء الأنصار.

---

(١) متفق عليه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ برقم (٤٩٠٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل الأنصار برقم (٢٥٠٦).

• **س: موالون لابن الزّبير رضي الله عنه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، مستقلّون؛ نقضوا، مستقلّون، تزعّمهم عبد الله بن مطيعٍ وجماعةٌ معه.

• **س: عفا الله عنك، ولاية عبد الله بن الزّبير رضي الله عنه تعتبر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذه بعد ذلك، عبد الله بن الزّبير رضي الله عنه بعد ما مات يزيد.

(السّائل): لكن تعتبر خروجًا على الخلافة الإسلامية؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، هذيك السّاعة الخلافة لابن الزبير رضي الله عنه؛ لأنّه ما بقي أحدٌ، ما بويع لأحدٍ، فدعا إلى نفسه وبايعه النّاس رضي الله عنه، بعد ما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية.

• **س: من يقول: انفرد الحسين بن عليٍّ رضي الله عنهما؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الحسين رضي الله عنه المشهور أنّه غلط، ولكنّه رجع رضي الله عنه وأرضاه؛ لأنّه زيّن له العراقيّون، ودعوه وقالوا: نبايعك، وغلط، فلمّا تنبّه وأراد الرجوع أبى عليه عبيد الله بن زيادٍ، وقال: **دعوني إمّا أرجع إلى مكّة، وإمّا أذهب إلى يزيد، وإمّا أسيح في الأرض، دعونا من القتال**، لكن أبى عبيد الله بن زيادٍ إلّا أنّه يسلم نفسه لسريّة عبيد الله، فأبى أن يسلّم نفسه، فصار القتال.

• **س: يعني: اجتهد أولًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

اجتهد أولًا وغلط، مثل ما اجتهد معاوية رضي الله عنه وأصحابه.

• س: أما عبد الله بن الزبير رضي الله عنه فتعتبر ولايته شرعيّة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

شرعيّةٌ لا شكّ، بايعه النّاس، ما بقي أحدٌ إلّا نفرٌ يسيرٌ في الشّام.

• س: عفا الله عنك، رفضه تسليم نفسه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كأنّه خاف أن يؤذوه، أو يعذّبوه أو شيءٌ، لعلّه خاف أن يؤذوه ويعذّبوه... فتنةٌ وقعت زيّنها الشّيطان، نسأل الله السّلامة.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨][١].

حدّثنا الحميديّ، حدّثنا سفيان قال: حفظناه من عمرو بن دينارٍ قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: كنّا في غزاةٍ، فكسع رجلٌ من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاريّ: يا للأنصار، وقال المهاجريّ: يا للمهاجرين، فسمّعها الله رسوله ﷺ، قال: **«مَا هَذَا؟»**، فقالوا: كسع رجلٌ من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاريّ: يا للأنصار، وقال المهاجريّ: يا للمهاجرين، فقال النّبيّ ﷺ: **«دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»**، قال جابرٌ: وكانت الأنصار حين قدم النّبيّ ﷺ أكثر، ثمّ كثر المهاجرون بعد، فقال عبد الله بن أبيٍّ: أوقد فعلوا؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا

(١) من شرح سماحة رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

المنافق، قال النّبيّ ﷺ: «**دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي هذا من الفوائد:

أن الاعتزاء إلى غير الإسلام والدّين لا ينبغي؛ لأنّها منتنةٌ، دعوى منتنةٌ؛ لأنّها تفرّق الجماعة، لما قال: يا للمهاجرين، والآخر قال: يا للأنصار، جعلهم حزبين، كلّ واحدٍ يخاصم الآخر، وهم إخوانٌ وليسوا بحزبين، حزبٌ واحدٌ، شيءٌ واحدٌ أنصارٌ لدين الله.

فالمؤمن يقول: يا إخواني، يا أهل الإيمان، يا أهل التّوحيد، يا أهل الإسلام، ولا يقول: يا مطير والآخر يقول: يا عتيبة، والآخر يقول: يا فلان، لا؛ لأنّ هذا يفرّق النّاس، الواجب أن يكون الهدف واحدًا، وأن يكون التعاون شيئًا واحدًا فيما يتعلّق بدين الله والنّصر لدين الله.

وفيه أيضًا: عناية الرّسول ﷺ بالسّياسة الشّرعيّة، ولهذا قال: (**دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاس أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابه**)؛ يعني: إذا قتلنا من أظهر الإسلام بدعوى النّفاق؛ صارت في هذا شيءٌ من الفتنة والتّنفير من الإسلام؛ لأنهّ ما كلّ أحدٍ يعرف المنافقين، قالوا: هذا يتكلّم بالإسلام ويحسبونه مسلمًا، وهذا من السّياسة الشّرعيّة في التّثبّت في الأشياء الّتي قد تفرّق الجماعة.

وفي هذا فائدةٌ عظيمةٌ، وهي أن وليّ الأمر له أن يعفو عن قتل من يستحقّ القتل إذا رأى المصلحة في عدم قتله، إذا رأى أن قتله قد يثير شرًّا كبيرًا، وفتنةً عظيمةً، فإنّ له أن يدع قتله؛ سياسةً شرعيّةً وحقنًا للدّماء، وحسمًا للفتن؛ خوفًا من أحاديث تفرّق جمع المسلمين

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٥٧).

وتضرّهم، كما فعل ﷺ مع هذا الرّجل، وكما فعل في أشياء أخرى وقعت رأى فيها ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ عدم القتل كالذي قال: اعدل فإنّك لم تعدل. قال: «**لَا**»؛ فقال: «**إِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا**...»[(١)]، إلى آخره.

• **س: هذا الكلام الأخير؛ يعني: يورد شبهة أنّه كيف يترك النّبيّ ﷺ رجلًا يعلم أنّه سيخرج من عقبه فتنةٌ لم يقطع دابره ويقتله، كيف يتركه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا بدّ من حكمةٍ، تركه لحكمةٍ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، وهو كان يعفو كثيرًا عمّا يتعلّق بذاته ﷺ وما ينسب إليه؛ لئلّا يتفرّق النّاس، ويقال: إنّه إذا غضب قتل. وإذا قيل في حقه شيءٌ قتل فيحصل للنّاس شيءٌ من الفرقة والفتنة.

• **س: عفا الله عنك، ما يكون عن وحيٍ تركه إيّاه عن وحيٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما يبعد، الأصل هذا ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٤].

الأصل هو هذا، ولا مانع أن يجتهد في مثل هذا ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

• **س: أحسن الله إليك يا شيخ، هذا يبيّن بأنّ الجماعات الإسلاميّة الآن المتفرّقة أن يجتمعوا إلى جماعةٍ واحدةٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) أخرجه مسلم من حديث علقمة بن علاثة في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤).

يجب أن يكونوا شيئًا واحدًا؛ حتّى يتعاونوا على البرّ والتّقوى.

❋

□ تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ [المنافقون: ٩][1].

فقد قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾.

في هذه الآية الكريمة يوجه ﷻ أمره إلى عباده المؤمنين وينهاهم ـ سبحانه ـ عن أن يلتهوا ويشتغلوا عن ذكر الله بأموالهم أو أولادهم، ويبيِّن ﷻ أن من فعل ذلك فقد خسر، يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾، وهذا واقع كثيرًا في كتاب الله ﷻ يوجه ﷻ عباده المؤمنين إلى أن يلزموا مقتضى الإيمان ومقتضى الإيمان الامتثال للأوامر والانتهاء عن النواهي والوقوف عند الحدود التي حدَّها المولى ـ سبحانه ـ هكذا المؤمن وهكذا الإيمان الذي أوجبه الله عليه فإن إيمانه بالله ورسوله يقتضي منه فعل الواجب وترك المحظور والوقوف عند الحدود التي حدَّها ربنا ﷻ، وبذلك يستقيم أمر الإيمان ويحصل لصاحبه الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ﴾ المعنى: حقّقوا هذا الإيمان، والزموه واستقيموا عليه حتى تدعوا ما حرم الله عليكم وتلتزموا بما أوجب الله عليكم، هكذا المؤمن إيمانه يوجب له الوقوف عند حدود الله يوجب له أداء فرائض الله، يوجب عليه ترك محارم الله، هكذا المؤمن، ولهذا

(١) حديث المساء (ص١٦٣).

يقول في آيات كثيرات ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ١]، فهو سبحانه يأمرهم بلزوم التقوى التي هي أداء الفرائض وترك المحارم والوقوف عند الحدود.

وفي هذه الآية يقول ﷻ: ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ فهذا جزء من التقوى، فمن التقوى أن يدع المؤمن ما يشغله عن طاعة الله ورسوله من أهل ومال وولد وغير ذلك، فإذا تعارض أمر الله ورسوله مع حاجة الولد أو حاجة النفس أو حاجة المال قدَّم أمر الله ورسوله على هوى نفسه وعلى هوى ولده وعلى حظ ماله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

والمراد بالذكر هنا: ما شرعه الله لنا من الطاعات من الصلاة والصيام والحج والزكاة والجهاد وغير ذلك، كله ذكر الله وفَسَّر جمع من المفسِّرين ذكر الله هنا بالصلاة والأمر عام، فإن الصلاة جزء من ذكر الله والمنهي عنه أن يشتغل المؤمن بماله أو بأولاده أو بشيء آخر عما أوجب الله عليه من صلاة وغيرها.

ثم قال ﷻ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾.

يعني: يشتغل بماله أو بولده عن حق الله.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾.

والخُسران إذا أُطلق عمَّ الدنيا والآخرة. نعوذ الله. فمن شغله ماله أو شغله ولده أو شغلته نفسه الأمارة بالسوء عن أداء ما أوجب الله أو أوقعه ذلك في محارم الله فقد خسر، فإن كان كفرًا وضلالًا وخروجًا من الإسلام صارت الخسارة كاملة نعوذ بالله، صارت الخسارة كاملة والنهاية إلى النار، أعوذ بالله، والخلود فيها، نسأل الله العافية، وإن كان الواقع من الشغل أوقعه في المعاصي دون الكفر بالله صارت الخسارة عظيمة، ولكنها دون الخسارة الكبرى التي هي خسارة الكفر، نسأل الله العافية.

فعلى المؤمن أن يحذر الخسارتين؛ أن يحذر الخسارة الكبرى والصغرى، وأن يبتعد عن كل ما يُغضب الله ﷻ؛ حتى يسلم من الخسارة، وحتى يفوز بالربح الكامل، وذلك في طاعة الله ورسوله وترك ما نهى الله عنه ورسوله.



تفسير سورة التغابن(١)

وقال علقمة، عن عبد الله ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [١١]: هو الّذي إذا أصابته مصيبةٌ رضي بها، وعرف أنّها من الله، وقال مجاهد: التغابن: غبن أهل الجنة أهل النار.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا في قوله ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، يقول علقمة رَحِمَهُ اللَّهُ ابن قيسٍ، أحد أصحاب ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النخعي: هو الرّجل تصيبه المصيبة فيعلم أنّها من عند الله، فيرضى ويسلّم، ولا يجزع ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾؛ يعني: من يؤمن أن الله قدّرها لحكمةٍ بالغةٍ ويحتسب يهد قلبه.

هكذا المصائب، ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧]، هكذا المؤمن عند المصيبة، يحتسب ويصبر، ويقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾؛ يعني: إنّا ملكٌ لله وإليه مرجعنا، يقضي بيننا بحكمه العدل سبحانه، وفي الحديث الصّحيح عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أن النّبيّ ﷺ قال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُول**: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، **اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللهُ فِي**

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»(١). أخرجه مسلمٌ في «الصّحيح».

فالمؤمن عند المصائب يتذكّر أنّها بقضاء الله، وأنّ الله له الحكمة البالغة، فإذا أصابته مصيبةٌ: مات أبوه، ماتت أمّه، مات ولده، أصابه مصيبةٌ في نفسه، مرضٌ، كسرٌ، أو غير ذلك: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللّهمّ آجرني - ضبط آجرني، وأجرني - في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها، اللّهمّ ارزقني الصّبر والاحتساب، اللّهمّ اشفني وعافني، يأتي بالكلمات الطّيبة؛ إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

• س: أحسن الله إليك، ما معنى قوله: «واخلف لي خيرًا منها» هي مصيبةٌ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: خيرًا ممّا أصاب، مما فات عليه من هذه المصيبة، مات ولده أو أخوه، أو تلف ماله، أو أشياء «اخلف لي خيرًا منها»؛ يعني: ثوابًا أحسن منها، ولدًا أحسن، صحةً، مالًا، عافيةً، استقامةً في الدّين، علمًا، شيئًا يرزقه الله خيرًا ممّا أصابه.

• س: عن المفقود يعني؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عن المفقود نعم.

• س: أحسن الله إليك يا شيخ، هل هناك ضابطٌ معينٌ بإطلاق الفسق على الرّجل مثلًا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا أظهر المعاصي يسمّى فاسقًا.

• س: كمن يحلق اللّحية مثلًا ويشرب الدّخان يطلق عليه فاسقٌ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: قد يسمّى فاسقًا عند بعض أهل العلم الّذين يقولون بوجوب إكرامها وتوفيرها، قد يسمّونه فاسقًا.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة برقم (٩١٨).

قوله: **(وقال مجاهدٌ: «التّغابن»: غبن أهل الجنّة أهل النّار)**:

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩] التّغابن: هو غبن أهل الجنّة لأهل النّار، أعظم الغبن وأكبر الغبن ما يحصل لأهل النّار؛ مغبونون، هذا ولده أو أخوه، أو خادمه، يذهب إلى الجنّة، وهو يذهب إلى النّار، هذا هو الغبن العظيم؛ أن يرى خادمه أو ولده أو أخاه أو ابن عمّه أو جاره إلى الجنّة، وهو يساق إلى النّار؛ لكفره وضلاله، هذا الغبن العظيم. الله المستعان.

....[1] هو غبن أهل الجنّة لأهل النّار، نسأل الله العافية، هؤلاء فازوا بالنّعيم العظيم الباقي الدّائم، وهؤلاء باؤوا بالخيبة والخسارة والعذاب الدّائم.

فأعظم غبنٍ هو هذا، نسأل الله العافية، هو يوم التّغابن.

• **س: في الشّرح ـ أحسن الله إليك ـ في «الفتح» يقول: «سورة التغابن والطّلاق»، جعلهما جميعًا.**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يمكن، طيب.

(من الطالب): العينيّ أحسن الله إليك، ما جاء بها، لم يدخل هذه الآية جعلها في سورة الطّلاق منفصلةً.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: مناسبٌ.

• **س: أحسن الله إليك، الحافظ ذكر في أول الشرح «فتح الباري» أنّه لم يذكر متن البخاريّ، ألّفه بدون ما يذكر المتن، وإنّما المتن الموجود هذا من الطّابع.**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يمكن، الله المستعان.

---

(١) هنا قطع في الأصل، وهذا الكلام واردٌ تحت تفسير سورة التغابن قول مجاهد: «التغابن: غبن أهل الجنة أهل النار».

تفسير سورة التغابن(١)

قد سمعنا جميعًا هذه السورة العظيمة، سورة التغابن ما فيه العظة والذكرى لكل من له لبٌّ، يقول ﷻ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [التغابن: ١]، الله ﷻ هو المستحق لأن يُنزَّه عن كل نقص، والكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا شريك له، ولا شبيه له، ولا مثل له يسبِّح له أهل الأرض والسماء، ويقدِّسونه، وينزِّهونه عن كل نقص، المؤمن بلسان المقال غير المؤمن من سائر المخلوقات بلسان الحال، فإنها تشهد لصانعها بأنه الكامل في ذاته، وأسمائه، وصفاته ﷻ، هو الحق الذي لا شريك له في ملكه، وتدبيره، ولا شريك له في استحقاقه العبادة، ولا شريك له في أسمائه وصفاته ﷻ، وبيَّن في أثنائها سبحانه: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾ [التغابن: ٧]، زعموا؛ يعني: كذبوا، الزعم معناه: الكذب هنا، الزعم يُطلَق بمعنى: قال، ويطلق بمعنى الكذب؛ يعني: كذبوا ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾ [التغابن: ٧]، يقول للكفرة من قريش وغيرهم من منكري البعث، منكري الآخرة يقولون: ليس هناك بعث، ولكنه حياة يموت قوم ويعيش آخرون وهكذا، فأكذبهم الله، وأبان سبحانه أنه لا بد من بعث ونشور، ولا بد من جزاء وحساب، وجنة ونار، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، وقال ﷻ هنا يحلف ـ سبحانه ـ وهو الصادق وإن لم يحلف ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ [التغابن: ٧]؛ يعني: قل يا محمد ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧] يأمر نبيّه أن يقسم على ذلك ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ [التغابن: ٧]؛ يعني: تخبرن ﴿بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧]؛ يعني: من خير وشر ﴿...وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

---

(١) درس سماحة الشيخ بعد الفجر في مخيمه بمنى في يوم ٩ ـ ١٢ ـ ١٤١٠هـ. ونشر في حديث الصباح (ص٤٨) ط٢ ١٤٣٧ طبعة دار قرطبة بيروت.

وقد أقسم في آية أخرى أيضًا، بقوله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ [سبأ: ٣]، أمر الله نبيَّه أن يقسم أيضًا في هذا الموضع الثاني، وفي موضع ثالث قال: ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ﴾ [يونس: ٥٣]؛ يعني: البعث، والنشور، والجزاء، والحساب، وفي هذا يقول ﷻ: ﴿...قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧]، يقسم ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﷻ: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]، هو على كل شيء قدير ﷻ.

ثم قال: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ [التغابن: ٨]؛ يعني: أيها الناس آمنوا بالله ورسوله، آمنوا بالله ربًّا وإلٰهًا ﷻ، ورسوله محمد - عليه الصلاة والسلام - المبعوث إليكم رحمة للعالمين، وصدقوه، واتبعوه ما جاء به هو ما بعث الله به نبيَّه من الهدى ودين الحق هو النور، قد جاء بنور نظر الله به للعباد الطريق وأوضح لهم به السبيل، فأمرهم به، ما أمرهم به، ونهاهم عما نهى عنه، ووعدهم على ذلك الجنة ودار الكرامة، والسعادة الأبدية: ﴿...قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ [التغابن: ٨]، في آية آل عمران: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [٣١]، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠﴾ [التغابن: ٨] لا تخفى عليه خافية ﷻ، ثم قال سبحانه: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾ [التغابن: ٩]؛ يعني: يوم القيامة، يوم الجمع يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين، ويجازهم بأعمالهم خيرها وشرها كما قال في سورة الواقعة ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠]، وفي هذه الآية يقول آية التغابن: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾؛ يعني: يوم القيامة ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ

ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن: ٩]، يوم فيه التغابن، يوم عظيم يوم القيامة، يوم عظيم فيه التغابن.

معنى التغابن: أن أهل الجنة يغبنون أهل النار، هؤلاء ناجون، وهؤلاء هالكون، هذا هو الغبن العظيم، ليس غبن السلع كونها اشتراها بمائة، وهي تساوي ثمانين فغبن، أو اشتراها بألف وهي تساوي ثمانمائة فغبن، هذا غبن يسير في الدنيا، لكن الغبن العظيم أن تُساق إلى النار، وأخوك أو خادمك يكون إلى الجنة، هذا هو الغبن العظيم، أن تغبن بخسارة أعمالك، وفساد أعمالك، وعدم قيامك بحق الله، فتكون إلى النار، والآخر الذي تعرفه أخوك، أو أبوك، أو عمك، أو خادمك، أو خادمتك، قد قام بأمر الله وصار إلى الجنة، وأنت مغبون صرت إلى النار بأعمالك السيئة، هذا هو الغبن العظيم ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن: ٩].

ويوم عرفة هذا اليوم يذكرنا بيوم الجمع، يوم عرفة يذكر بيوم الجمع، يذكر بيوم القيامة، يوم عرفة يجمع الله فيه أممًا كثيرة من أنحاء كثيرة، ومن أقطار متنوعة يجتمعون في هذا اليوم؛ للقيام بين يدي الله، وذكره، ودعائه، ومناجاته يرجون رحمته، ويخشون عقابه ﷻ، قد تجمعوا من بلاد كثيرة، من أقطار كثيرة، من كل فجٍّ عميق، يرجون رحمة الله، في زي واحد، أو زي متقارب، وأهل القيامة يوم القيامة كلهم ليس عليهم شيء حفاة عراة غرلًا يوم القيامة، ما عليهم ملابس يجتمعون من قبورهم عراة ما عليهم شيء، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. فَقَالَ: «**الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ**»[1]؛ يعني:

(١) متفق عليه من حديث عائشة ؓ، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة برقم (٦٥٢٧)، ومسلم في كتاب الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة برقم (٢٨٥٩).

الأمر أشد من أن ينظر أحدٌ إلى أحدٍ، كل مشغول بنفسه، مشغول بماذا يلقى هل يكون ناجيًا أو هالكًا، ثم أول من يُكسى إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، أول من يُكسى إبراهيم الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]، ثم قال: ﴿...وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩]، هذا جزاء من آمن واستقام آمن بالله ربًّا وإلٰهًا، وعبده وحده واستقام على دينه، له الجنة والكرامة، وتكفير السيئات.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩]، هذا جزاء من آمن بالله وآمن بالآخرة واستعدَّ للقاء الله بطاعته واتباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه، أن الله يكفِّر عنه سيئاته، ويدخله الجنة، وينجيه من النار.

أما الذين كفروا بالله وعاندوا أمره، وخالفوا شريعته، فأخبر عنهم ﷻ، أخبر عنهم بأنهم أصحاب النار، فكيف ترضى لنفسك أن تكون من أصحاب النار، ينبغي لك أن تستعد للقاء الله، ينبغي لك أن تكون على عمل صالح، يجب أن تحذر مغبة سيئاتك وتفريطك.

والمؤمن دائمًا على حذر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، فالمؤمن يحذر سيئاته، ويحذر غفلاته، ويحذر جلساء السوء، ويحذر عدو الله الشيطان ونزغاته دائمًا في حذر حتى يستعد للقاء ربِّه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾ [التغابن: ١٠]، هذا جزاؤهم، فاحذر أن تكون من أولئك الأشرار، واحرص أن تكون من أهل الإيمان والخير، فالاستقامة

على طاعة الله، وتعظيم أمره ونهيه، والمسارعة إلى طاعته والحذر من المعصية، هذا طريق النجاة، هذا سبيل السعادة، والتهاون بأمر الله واتباع الهوى هذا هو سبيل الهلاك، ثم نبَّه أن المصائب بإذنه قال ﷻ بعد هذا: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ [التغابن: ١١]؛ يعني: بمشيئته، وقدره ﷻ، سواء كان يصيبه مرض، أو عمى، أو صمم في الأذن، أو عطل في اللسان، أو غير ذلك من أنواع المصائب هي بعلمه وتقديره ﷻ، ما جاءت عبثًا وصدفة، لا، ما جاءت إلا بإذن الله، بمشيئته، له الحكمة البالغة ﷻ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ﴾ [التغابن: ١١]، من يؤمن بالله، وأنه سبحانه له الحكمة البالغة، ويتصبر، ويتحمل، له الأجر العظيم، والخير العظيم، والعاقبة الحميدة؛ ولهذا قال: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ﴾ [التغابن: ١١]؛ يعني: يوفِّقه، ويثبِّت قلبه على الإيمان، ولا يزيغ مع الزائغين، يعني: يعلم أن الأمر من عند الله، وأنه بقضائه، وأنه الحكمة البالغة سبحانه، وأنه الحكمة البالغة ﷻ فيرضى، ويسلم، ويطمئن، ويرتاح ضميره، فله العاقبة الحميدة على صبره، فقد تزول المصيبة، قد يدعو ربه فيرفع عنه المصيبة، وقد تبقى المصيبة وله فيها الأجر العظيم، والخير العظيم، والفائدة العظيمة، والسعادة الأبدية ﴿...وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

ثم قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ [التغابن: ١٢]؛ يعني: على العبد الصبر في المصائب، وعليه طاعة الله ورسوله يصبر عند المصيبة، ويعلم أنه من عند الله فيطمئن قلبه، ويقول: ﴿...إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، ويسأل ربه العافية، ويعمل الأسباب التي تدافع المصيبة بحسب طاقته، ويلزم الطاعة لله ورسوله، حتى يفوز بالسعادة الأبدية.

ثم بيَّن أن بعض الأزواج، وبعض الأولاد عدو: ﴿ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ

أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، بعض أولادك، وبعض الزوجات، وبعض الأزواج أعداء فاحذر من أمرك بمعاصي الله، هو عدو لك في الحقيقة من ولد، أو زوجة، أو زوج؛ لا تطع من أمرك بالمعاصي، ولدك؛ بنت، أو ذكر قد يضرك، أو يدعوك إلى الشرك بالله، إلى شرب الخمر، إلى العقوق، إلى القطيعة، إلى غير هذا من المعاصي لا تطعه وإن كان ولدك، وهكذا أبوك قد يكون سيئًا يأمرك بالمعاصي وهو أبوك؛ لا تطعه في معاصي الله: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[1].

﴿...إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن: ١٤]؛ يعني: بعض الأزواج، وبعض الأولاد فاحذره، كن على حذر من أولادك، من زوجتك، والمرأة من زوجها إذا أمرها بمعاصي الله، والزوجة عليها أن تطيعه في المعروف، والكلام في الشيء الطيب؛ لكن إذا أمر بمعصية فلا، إذا أمرها بالزنا فلا تطيعه، أمرها بشرب المسكر، أمرها بالتكشف والعري، وعدم التستُّر والتبرُّج لا تطيعه في معاصي الله، إنما تطيعه في المعروف فيما شرع الله، فيما أباح الله، أما المعصية فلا، لا تطعه في معاصي الله في التبرج وإظهار زينتها لأخيه أو لعمه، أو الكشف له، أو الخلوة به، لا، لا طاعة له في ذلك، أمرها بالخمر، بالتدخين، بعقوق أبيها وأمها، لا، إنما الطاعة في المعروف، وهكذا إذا أمرته زوجته بما لا ينبغي فلا يطيعها في المعصية، لا يطيع زوجته ولا غيرها في المعاصي؛ ولا ولده في المعاصي لا في شرب المسكر، لا في حلق اللحى، لا في التدخين، لا في عقوق الوالدين أو أحدهما، لا في التكاسل عن الصلوات أو عدم الصلاة إلى غير هذا «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**».

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٢٦٧).

ولهذا قال سبحانه: ﴿...إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]، إذا هداه الله ورجع عما فيه من الشر، وتاب إلى الله تعفو وتصفح، عن ولدك، وعن زوجتك، إذا رجع الولد إلى الصواب، رجعت إلى الصواب، وهدى الله الجميع، وتركوا المعاندة والمخالفة فينبغي لك أن تعفو وتصفح، وتترك الكلام عما مضى بعد التوبة.

ثم قال: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، الأموال فتنة، والأولاد فتنة، فمن اتقى الله في ماله، وأطاع الله فيه، فله السعادة، ومن اتقى الله، في ولده، وأمره بطاعة الله، ونهاه عن معاصي الله، ولم يطعه في الشر، أفلح، فالفتنة الاختبار والامتحان، فاحذر أن تطيع ولدًا في معصية الله، بعض أولادك يجرك إلى الشر، ويدعوك إلى الشر، فلا تطعه في الشر، من أمرك بالخير أطع، ومن أمرك بالشر احذره، من زوجة أو زوج، أو ولد، أو صديق، أو أخ، أو غير ذلك ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]؛ يعني: اختبار وامتحان، الإنسان يُمتحَن بماله وولده، هل يطيع الله، أو يعصي الله في هذا المال وهذا الولد فتنة اختبار وامتحان.

﴿...وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]، لمن صبر واحتسب واتقى الله، ثم يقول بعده ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، في جميع الأمور [التغابن: ١٦]، مع الزوجة، ومع الأولاد، في الغنى، في الفقر، وفي المرض، وفي غير ذلك ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾ [التغابن: ١٦]، السمع والطاعة لولاة الأمور في المعروف، هذا الإنسان يسمع ويطيع لولي الأمر في المعروف، ولا ينزع يدًا من طاعة، ولا يشق العصا، ولا يسبِّب المشاكل، يسمع ويطيع في المعروف، في طاعة الله؛ لا في المعاصي.

ثم يقول: ﴿وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، يأمر بالنفقة،

يحثُّهم على النفقة، الصدقات، والإحسان، أنفق ولو ما عندك إلا القليل، يقول النبي ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»، ولو بشق تمرة، الذي عنده ملايين، والذي عند مائة ألف، والذي عنده ألف، والذي عنده مائة ريال يتصدق بحسب حاله، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن ١٦]، ويقول النبي ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»، تقول عائشة ﵂: جاءتني امرأة تشحذ ومعها ابنتان فلم أجد في البيت إلا ثلاث تمرات - زوج النبي ﷺ، عائشة ﵂ - قالت: فأعطيتها التمرات الثلاث فأعطت كل واحدة من ابنتيها تمرة، ورفعت الثالثة لتأكلها فاستطعمتها ابنتيها التمرة الثالثة فشقتها بينهما نصفين، ولم تأكل شيئًا، قالت: فأعجبني شأنها فلما جاء النبي ﷺ، أخبرته فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**»[(١)]، بهذه الرحمة وهذا الإحسان.

ولهذا يقول ﷻ: ﴿...وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]، من وقاه الله شحَّ نفسه وحرصها وبخلها قد أفلح، فالجود والكرم، والإحسان من رحمة الله، ومن نعم الله، ومن وقاه الله شحَّ نفسه وبخلها فقد أفلح، يروى عن عبد الرحمٰن بن عوف الصحابي الجليل، أحد العشرة المبشرين بالجنة كان يطوف بالكعبة، ويكثر من قول: «**رب قني شحَّ نفسي، رب قني شحَّ نفسي**»[(٢)]، فقال بعض أصحابه: يا عبد الرحمٰن أكثرت من هذا الدعاء! قال: ما سمعت الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]، إذا وقاني الله شح نفسي أفلحت، إذا وقاه الله بخلها وشحها وحرصها أفلح.

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات برقم (٢٦٣٠).

(٢) أورده الفاكهي في أخبار مكة (١/ ٤٣٢).

وأسأل الله أن يوفِّقنا وسائر المسلمين، وسائر حجاج بيت الله الحرام، نسأل الله أن يوفِّق الجميع لما يرضيه، وأن يصلح القلوب والأعمال، وأن يمنح الجميع الفقه في دينه والثبات عليه، وأن يعيذنا جميعًا من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، وأن يوفِّق ولاة أمرنا لكل ما فيه رضاه، وأن يصلح بطانتهم، وأن يعينهم على كل خير، وأن يوفِّق جميع المسلمين في كل مكان لما فيه رضاه، وأن يرزقهم الفقه في الدين، وأن يولي عليهم خيارهم، وأن يكفيهم شر شرارهم، وأن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين والصالحين المصلحين إنه سميع قريب، ونسأله القبول والمغفرة والعتق من النار، إنه ﷻ جواد كريم، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ﴾ [التغابن: ٧][1].

فقد سمعنا جميعًا قوله ـ تعالى ـ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾.

حيث إن الكفار ـ كفار العرب وغيرهم ـ إلا من رحم الله ينكرون البعث والنشور؛ لأنها حياة منتهية ويرون أن من مات مات؛ فلا عودة ولا بعث ولا نشور، هكذا قال لهم شيطانهم.

وقد بيَّن الله ﷻ أنه لا بد من البعث والنشور، والجزاء والحساب؛ ولهذا قال: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ﴾.

زعموا: أي: كذبوا ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ يبعثون وينبئون بأعمالهم ـ خيرها وشرها ـ، هكذا أخبر الله

---

(١) كلمة ألقاها سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ في منى بتاريخ ١١ ـ ١٢ ـ ١٤١٥هـ، شريط (٤٩/ ٦).

في كتابه العظيم أنه لا بد من البعث والجزاء، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣]، فلا بد من البعث والنشور والجزاء والحساب والجنة والنار؛ ولهذا فإن من أصول الإيمان: الإيمان بالأركان الستة التي هي أصول الإيمان: الإيمان باليوم الآخر ـ يوم القيامة ـ والبعث والنشور والجنة والنار والجزاء والحساب.

ثم قال ﷻ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨﴾ [التغابن: ٨].

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التغابن: ٨]؛ أي: آمنوا بالله ربًّا وإلهًا ومعبودًا بالحق، وهو الخلاق العليم، المالك لكل شيء، المدبر لكل شيء، القاهر فوق عباده، المستحق أن يعبد دون كل ما سواه.

﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ [التغابن: ٨] محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وسائر الرسل جميعًا، الرسول: مفرد يعم الرسل، وبالأخص خاتمهم وإمامهم وأفضلهم؛ محمد عليه الصلاة والسلام، فلا بد من الإيمان بالله، وجميع الرسل والأنبياء، وبكل ما أخبر الله به ورسوله.

ثم قال: ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ﴾ [التغابن: ٨]؛ النور الذي أنزل الله: شريعته التي جاء بها نبيّه محمد ﷺ وهي نور، من عرفها عرف الحق من الباطل، والهدى من الضلال وصار كالبصير بين العميان، يرى الأشياء على ما هي عليه، فهي نور، جعلها الله للعباد يعرفون بها ما يرضيه وما يسخطه، وما أعدَّه لأوليائه وما أعده لأعدائه، وما سيقع يوم القيامة.

نور كما قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [النساء: ١٣٦]، فالإيمان بالله والرسول، والإيمان بالكتاب المنزل هو القرآن، وفيه أمر بطاعة الله ورسوله، فلا بد من هذا النور، لا بد من الإيمان بهذا النور، والأخذ به والتفقه من هذا النور، وهو: ما أنزل من كتابه وسُنَّة رسوله ـ عليه الصلاة

والسلام ـ حتى تعرف مواضع الرضى والغضب، وتعرف الشرائع التي شرعها الله والأوامر، وحتى تعرف الأشياء التي نهى عنها.

فبالأوامر وامتثالها تحصل النجاة، وبترك النواهي والمعاصي كذلك، هذا هو النور: أن تكون على بصيرة وبينة، تعرف هذا وهذا، تعرف الأوامر فتأتي بها وتؤديها، وتعرف النواهي فتحذرها وتجتنبها، فهذا هو المقصود، مع الإيمان والتصديق بذلك هذا هو الواجب على الجميع ـ الجن والإنس ـ أن يعرفوا أوامر الله فيمتثلوها، وأن يعرفوا نواهيه فيجتنبوها، وذلك بالتفقه في الدين بالتعلم، وبالعناية بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وبسؤال أهل الذكر.

يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(١)، ويقول ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**»(٢).

ويقول: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ** ـ يعني: مواضع مطمئنة أمسكت الماء ـ **فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلأً** ـ وهذه هي حال الناس ـ **فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ**

---

(١) سبق تخريجه في (٣/ ٥٥٤).

(٢) جزء من حديث أبي هريرة، أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ برقم (٢٦٩٩)، وأبو داود في كتاب العلم باب الحث على طلب العلم برقم (٣٦٤١)، والترمذي في كتاب العلم، باب فضل طلب العلم برقم (٢٦٤٦) وحسنه الترمذي، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلم والحث على طلبه برقم (٢٢٥).

مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»(١).

هذه هي أقسام الناس مثل الأرض: أرض طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وهم: أهل العلم والإيمان والتعليم والتوجيه والإرشاد.

وطائفة أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا، وهم: حملة العلم، فحملوه للناس حتى استفادوا منه وفجّروا ينابيعه للناس؛ حفظوه وفقّهوا غيرهم من طريق أهل العلم الذين نقلوه عنهم وأخذوه عنهم، فهم حفظة استفادوا وأفادوا، وأهل العلم والفقه في الدين وأهل التبصر استخرجوا ما فيه من العلوم، استخرجوا ما فيه من الأحكام والفوائد ونشروها في الناس، مثل إذا أخذوا الماء فشربوا وسقوا وزرعوا.

وغالب الخلق مثل القيعان، لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، هذه هي حال أكثر الخلق، لا خير فيهم، لا علم ولا عمل، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿...وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وقوله: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠] فاحذر أن تكون من الأكثرين المعْرِضين الضالين، واحرص أن تكون من القليل الناجي، من المؤمنين الصادقين المصدقين، المتفقهين في الدين المتعلمين، وهذا كتاب الله بين أيدينا ـ بحمد الله ـ أقبل عليه، أكثر من تلاوته، يقول ـ سبحانه ـ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، العلم، باب فضل من علم وعلّم برقم (٧٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم برقم (٢٢٨٢).

إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، ويقول: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ويقول: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ويقول: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

تأملوا هذا القرآن، وكل واحد يجب أن يكون له عناية في الليل أو في النهار أو فيهما جميعًا، به يقرأ ما تيسر، ويتدبَّر ويتعقَّل، ويحثُّ أهله وأولاده وإخوانه وجيرانه على كثرة القراءة والتدبر والتعقل.

وهكذا سُنَّة الرسول ﷺ التي حفظها العلماء ونقلوها إلينا مثل: الصحيحين، والسنن الأربع في «المنتقى»، وفي «بلوغ المرام»، وفي «عمدة الحديث»، و«رياض الصالحين»، وفي غيرها من كتب الحديث التي نقل فيها أهل العلم هذه الأحاديث وصحَّحوها؛ فالمؤمن يستفيد منها يقرأ ويستفيد، ويسمع ويسأل.

وهذا اليوم هو يوم القر - يوم الخميس - هذا هو يوم القر، وهو اليوم الأول من أيام التشريق، وغدًا هو يوم النفر الأول، ويوم السبت هو يوم النفر الثاني.

بعض الناس قد يخلط؛ يحسب أن هذا اليوم هو النفر الأول، يوم العيد لا يعد من الأيام الثلاثة، يوم العيد مستقل وحده، ومحل أعمال الحج أيام التشريق، التي أولها هذا اليوم الحادي عشر، وثانيها الثاني عشر، وثالثها الثالث عشر، وهي المراد في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، هذه هي الأيام المعدودات.

﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]؛ يعني: يوم الجمعة في هذه السنة ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]؛ يعني: يوم السبت، ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ

إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، هذه الأيام المعدودات أيام التشريق، وهي التي يصومها من عجز عن الهدي ـ هدي المتمتع ـ يجوز له صومها، أما غيره فلا يصومها.

هي أيام عيد، أيام أكل وشرب، قال النبي ﷺ: «**أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ اللهِ ﷻ**»(١).

وكان يبعث من ينادي في الناس ويعلِّمهم: أن هذه الأيام أيام أكل وشرب وليست أيام صيام، إلا لمن فقد الهدي، ولمن عجز عن الهدي.

أولها هذا اليوم، والنفر الأول غدًا ـ يوم الجمعة ـ إذا رمى الجمار بعد الزوال، وأحب أن ينفر إلى مكة ليقيم فيها أيامًا أو إلى بلاده، فلينفر قبل غروب الشمس من منى، يمر بمكة، ويطوف طواف الوداع إن كان طاف طواف الإفاضة، أو يطوف طواف الإفاضة وينوي الوداع معه، ثم ينفر بعده إذا أحب، أو يقيم في مكة ما شاء الله، ثم إذا عزم على السفر طاف طواف الوداع. والنفر الثاني يوم السبت يوم الثالث عشر، فإذا غابت الشمس انتهت أيام التشريق، وانتهت أيام الرمي، ولو جلس في منى فليس عليه رمي؛ لو جلس الرابع عشر في منى ما عليه رمي، انتهت أيام الرمي بغروب الشمس.

وهذه الأيام هي أيام تكبير أيضًا مطلق ومقيد؛ في أدبار الصلوات وبقية الأوقات يكبر، في الضحى، وفي الظهر، وفي الليل؛ كان عمر ﵁ في هذه الأيام يكبر في مخيمه، فيسمعه الناس وترتجُّ منى تكبيرًا؛ في أسواقهم وفي طرقاتهم؛ يذكِّر الناس ﵁.

وهذه هي أيام الذبح؛ مثل الضحايا والهدايا في هذه الأيام الأربعة، هذا الصحيح من أقوال العلماء: أربعة أيام، يوم العيد وثلاثة

(١) أخرجه مسلم من حديث نبيشة الهذلي ﵁ في كتاب الصيام، باب تحريم صوم أيام التشريق برقم (١١٤١) وأحمد (٥/ ٧٥).

أيام بعده، كلها أيام ذبح إلى غروب الشمس من يوم الثالث عشر ذبح الهدايا والضحايا، الضحايا في جميع الدنيا ـ في البر والبحر، في القرى والأمصار ـ هذه الضحايا.

والهدي هو: هدي التمتع والقران في هذه الأيام في مكة، ومن فاتته الأيام ولم يذبح هديه ـ إما عاجزًا، أو لم يحصل الدراهم إلا بعد الحج، أو ضلّ هديه ووجده فيما بعد، أو اقترض واشترى ـ فإنه يذبح ولو بعد الأيام، كالقضاء.

إذا فاتت الأيام ثم تيسر له الهدي يذبحه، ولو كان قد صام الثلاثة يذبحه بعد الثلاثة، ويسقط عنه صيام السبعة، ولو تيسَّر له ذبيحة يوم أربعة عشر أو خمسة عشر يذبحها ويأكل ويطعم، ويسقط عنه صيام السبعة إن كان قد صام الثلاثة، وإن كان ما صام الثلاثة سقطت عنه العشرة كلها، إذا تيسر الذبح في الرابع عشر أو في الخامس عشر أو في السادس عشر أو في السابع عشر أو بعده، يذبحه في الحرم ويأكل ويطعم.

وهذا اليوم يوم رمي إلى آخر الليل، يبدأ بعد الزوال، قبل الصلاة أفضل ـ إن تيسر ـ وإلا بعد الصلاة، وبعد العصر وبعد المغرب وبعد العشاء إلى آخر الليل، كله رمي عن هذا اليوم ـ يوم الحادي عشر ـ وغدًا كله رمي بعد الزوال إلى آخر الليل عن اليوم الثاني عشر، ويوم السبت يرمي بعد الزوال إلى غروب الشمس فقط.

وفَّق الله الجميع، وثبَّت الجميع على الهدى، وتقبَّل منا ومنكم، وصلَّى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، وسلم.



تفسير سورة الطلاق(١)

﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ [الطلاق: ٤]: إن لم تعلموا أتحيض، أم لا، فاللائي قعدن عن المحيض، واللائي لم يحضن بعد فعدتهنّ ثلاثة أشهر. وقال مجاهدٌ: ﴿وَبَالَ أَمۡرِهَا﴾ [٩]: جزاء أمرها.

*

حدّثنا يحيى بن بكيرٍ، حدّثنا اللّيث، قال: حدّثني عقيلٌ، عن ابن شهابٍ قال: أخبرني سالمٌ أنّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره أنّه طلّق امرأته وهي حائضٌ، فذكر عمر لرسول الله ﷺ، فتغيّظ فيه رسول الله ﷺ ثمّ قال: «**لِيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ يُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ فَتَطْهُرَ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا، فَلْيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا، قَبْلَ أَنْ يَمَسَّهَا، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ**»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا هو الواجب، ليس له أن يطلّق في الحيض، أو في النّفاس، أو في طهرٍ جامعها فيه، وليست حاملًا ولا آيسةً، ولهذا غضب النّبيّ ﷺ على عبد الله لما طلّقها في الحيض، قال: «**مُره فَلْيُراجِعْهَا، ثُمَّ لِيُمسِكَهَا؛ حتَّى تَطْهُر، ثُمَّ تحيضُ، ثُمَّ تَطهُر، ثُمَّ إن شَاءَ طلَّق، وإن شَاءَ أمسَكَ**»، «**مُرْهُ**

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الطلاق برقم (٤٩٠٨)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض... إلخ برقم (١٤٧١).

فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهُرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ»(١).

فاختلف النّاس؛ هل هذا الطّلاق واقعٌ أو ليس بواقعٍ؟ فالأكثرون يقولون: إنّه واقعٌ؛ لأنّه قال: «**فليُراجعْها**»، والرجعة تكون بعد الطّلاق.

وذهب جمعٌ من أهل العلم إلى أنّها لم تقع، ولهذا أمره أن يراجعها ويمسكها، والمراد يراجعها؛ يعني: يردّها، الرّدّ معناه: فارجعوهن، ردّوهنّ، رددتم.

المقصود: أنّ المراجعة هنا الرّدّ، ليس المراجعة الاصطلاحيّة؛ ولهذا قال: «**فإذا طهرت فليطلِّقْ أو يمسك**»، في رواية مسلم: فردّها عليه ولم يرها شيئًا، وهذا إذا طهرت فليطلّق، أو ليمسكْ، وهذا هو الصّواب، هذا هو الأرجح، أنّها لا تقع، خلافًا للجمهور، إلّا إذا حكم بها حاكمٌ، إذا حكم حاكمٌ ينفّذ حكمه؛ لأنّ قول الجمهور أنّها تقع، فإذا حكم حاكمٌ نفّذ حكمه.

وهذه المسألة كثيرٌ من النّاس أو الأكثر من النّاس لا يبالي في الطّلاق، ولا ينتبه لها، فمتى غضب أو بدا له أن يطلّق لا ينظر، وسبب ذلك غلبة الجهل، وقلّة البصيرة في هذه الأمور، وعدم السّؤال وعدم العناية بأمور الطّلاق والنّكاح؛ لأنّ الوقت وقت غربةٍ، وقت غلبة الجهل، وشغل النّاس بالدّنيا، وما يجمع لهم الدّنيا وما يحصّلها لهم، هذا هو الغالب إلّا من رحم ربّك؛ فلهذا تجده يطلّق ولا يبالي ولا ينظر حال المرأة.

والواجب ألّا يطلّق إلّا في حالين، هذا هو وقت الطّلاق الشّرعيّ، ألّا يطلّق إلّا في حالين فقط:

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ...﴾ إلخ برقم (٥٢٥١)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض... إلخ برقم (١٤٧١).

إحداهما: أن تكون المرأة في طهرٍ لم يجامعها فيه.

والحال الثّاني: أن تكون في حال الحمل: «**فليطلّقْها طَاهرًا أو حَامِلًا**».

أما في الأحوال الأخرى فلا يطلّق لا في حال الحيض، ولا في حال النّفاس، ولا في حال طهرٍ جامعها فيه؛ فالمرأة لها أحوالٌ خمسة تطلّق في ثنتين، ولا تطلق في ثلاثة: «حائضٌ، نفساء، طاهرٌ قد جامعها، طاهرٌ لم يجامعها، حبلى».

هذه خمسة الأحوال، والطّلاق للثّنتين، يطلّقها إذا أحبّ الطّلاق في حال طهرٍ لم يجامعها فيه، قد طهرت من نفاسها وحيضها ولم يجامعها، وإذا أحبّ الطّلاق فليطلّق على أن يطلّقها واحدةً فقط لا يزيد، طلقةً واحدةً فقط، طلاق السّنّة.

أمّا في حال الحيض أو في حال النّفاس أو في حال الطّهر الّذي جامعها فيه فلا يطلّق في هذه الحال، بنصّ هذا الحديث عن رسول الله ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

فقوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطّلاق: ١]؛ يعني: طاهرات من غير جماعٍ أو حبالى، هذه عدّتهنّ، إمّا طاهراتٌ من غير جماعٍ وإمّا حبالى.

واختلف النّاس في الحكمة: والأظهر في الحكمة أنّ حالة الحيض، وحالة النّفاس حالةٌ ممنوعٌ فيها من جماعها، فربّما رخصت عليه وسهل عليه فراقها؛ لأنّه ممنوعٌ من جماعها؛ فتكون في هذه الحالة ليست عنده بالغاية، وليست عنده بالّتي لها أهمية؛ فأقلّ شيءٍ يسبّب له طلاقها في هذه الحال؛ فمنع حتّى لا يقع الطّلاق.

وكذلك إذا كان قد جامعها؛ فقد طابت نفسه وحصل مقصوده؛ فربّما هان عليه طلاقها بعد ذلك؛ لأنّه قد أخذ نهمته؛ فربّما سهل عليه طلاقها، فمنع من هذا إبقاءً للنكاح الّذي فيه الخير العظيم، والمصالح

والسّكن والذّرّية، والعفّة، وغضّ البصر؛ فوجود زوجته فيه مصالح كبيرةٌ، فمن رحمة الله أن منع الطّلاق في هذه الأحوال الّتي قد يهون عليه طلاقها فيها.

أمّا الحالتان اللّتان فيهما الطّلاق: فهي حالة طهرٍ لم يجامعها، ففي هذه الحال ما دام لم يجامعها قد يكون مشتاقًا إلى جماعها، وحريصًا على جماعها؛ لأنّه قد منع منها مدةً؛ فالجماع هنا يمنعه من طلاقها، ورغبته في جماعها يمنعه من طلاقها.

وكذلك في حال الحمل، لما حملت يترقّب الولد، ويرجو حصول الولد؛ فيسهل عليه طلاقها.

فكان هذا من حكمة الله ﷻ، أن جعل الطّلاق في حالتين، لا يشتاق الرّجل إلى فراقها فيها، ولا يهون عليه فراقها فيها، وبهذا يبقى النّكاح، ويبقى الوءام، وتبقى العشرة.

وقال بعضهم: إنّ الطّلاق في الحيض والنّفاس قد يطوّل عدّتها، ولكن هذه علّةٌ ليست بواضحةٍ، والمعنى الأوّل أظهر.

فينبغي للمؤمن أن يلاحظ هذه الأمور عند الطّلاق، ولا يعجل إذا غضب؛ فيتعوّذ بالله من الشّيطان، ويتباعد عن أسباب الغضب، ويعالج الأمور بغير الطّلاق، هذا هو الّذي ينبغي للمؤمن، وهذا هو الواجب عليه؛ حتّى لا يقع فيما حظره الشّرع.

● **س: وقوع الطّلاق، في الحيض والنفاس عفا الله عنك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا فيه خلافٌ مشهور: الجمهور على أنّه يقع، مع كونه محرمًا يرونه يقع، وذهب بعض السّلف إلى أنّه لا يقع، ومنهم ابن عمر رضي الله عنهما؛ فقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما من طريق العلّامة محمّد بن عبد السّلام القشري رحمه الله بإسنادٍ جيّدٍ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه سئل عن من طلّق امرأته وهي حائضٌ؛ فقال: «لا يعتدّ بذلك».

وهكذا جاء عن طاوس بن كيسان اليمانيّ التّابعيّ الجليل خلاس بن عمرٍو الهجري، وقال به جماعةٌ من أهل العلم، واختاره أبو العبّاس ابن تيميّة، وابن القيّم وجماعةٌ أنّها طلاقٌ ممنوعٌ، فلا يقع.

أمّا الجمهور فقالوا: يقع ويعاقب بما فعل، فيكون آثمًا ويقع مؤاخذةً له بما فعل، وعزو القول بعدم وقوعه إلى الخوارج والرّوافض، ولكن الصّحيح أنّه لا يقع، الصّواب الّذي تقوم عليه الأدلّة أنّه لا يقع؛ لأنّه طلاقٌ ممنوعٌ، طلاقٌ غير مشروعٍ فلا يقع، هذا هو الأرجح.

• **س: في الحيض والنّفاس والطّهر الّذي جامعها فيه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: في الأحوال الثلاثة.

• **س: الجمهور بم يستدلّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقولون: ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حسبها اعتدّ بها، وهو صاحب القصّة، لكنّه سئل: هل عدّها عليه النّبيّ ﷺ، ما نسبه إلى النّبيّ ﷺ قال - لما سئل - قال: كيف إن عجزت واستحمقت، ولم يقل: إنّ الرّسول ﷺ عدّها عليه أو أمضاها عليه. قال في الرّواية الأخرى: «**حُسِبَتْ عَلَيَّ بِتَطْلِيقَةٍ**»(١)، قال نافعٌ: حسبها ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال سالمٌ: حسبها ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واعتدّ بها.

فكونه حسبها من باب اجتهاده وليس من باب النّصّ؛ ولهذا لما سئل بعد ذلك أفتى بعدم الوقوع.

• **س: أحسن الله إليك، ما المراد بالمراجعة؟**

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الطلاق، باب إذا طلقت الحائض تعتد بذلك الطلاق برقم (٥٢٥٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: يردّها، ليست المراجعة الّتي تقتضي وقوع الطّلاق، الرّجعة رجعتان: رجعةٌ بمعنى الرّدّ والضّمّ، ورجعةٌ بمعنى مراجعتها بعد مضيّ الطّلاق؛ فالمراد هنا مثل ما في ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [التّوبة: ٨٣]، ومثل قول النّبيّ ﷺ لبشير بن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ارجع فِي صدقَتِك**».

ردّها؛ يعني: بمعنى الرّدّ، وهو العودة إلى حالها الأوّل، ولهذا قال بعده: «**ثُمَّ لِيُطَلِّقْهَا إِنْ شَاءَ**». فلو كان أراد الرجعة المعروفة الّتي بعد الطّلاق لكان معناه أمره بتكرار الطّلاق، أمضى عليه الطّلاق ثمّ أمره بطلاقٍ آخر، يكثر عليه الطّلاق، والشّريعة لا تحبّذ الطّلاق، بل تبغض الطّلاق.

• **س: أقول بارك الله فيك، هنا في هذا الحديث ذكر طهرين، طهران أم ثلاثة؛ يعني: تطهر ثلاث حيضاتٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

طهرٌ واحدٌ بدل الحيضة الجديدة، تطهر من حيضها الأوّل الّذي وقع فيه الطّلاق، ثمّ تحيض حيضةً أخرى، ثمّ تطهر، ثمّ إن شاء طلّق، وإن شاء أمسك.

• **س: أحسن الله إليك، سمعت لكم فتوى في «نورٍ على الدّرب»، تقولون: إن كان الزّوج يعلم أنّ عليها العادة، فهذا لا يقع، وأمّا إذا لا يعلم فصادف طلاقًا في وقت الحيض...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا إذا كان ما يعلم ما تُصدّق هي، إذا كان يعلم أنّها حائضٌ؛ لأنّها قد تدعي لتبقى، لا بدّ أن يكون يعلم أنّها حائضٌ أو نفساء.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾ [الطلاق: ٤][1].

قوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾: كذا للجميع، وأولات الأحمال: واحدها ذات حملٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: أنّها تعتد بوضع الحمل، الله المستعان.

كان هذا خلافًا قديمًا ثمّ زال واستقرّ إجماع المسلمين على أنّ المرأة إذا وضعت خرجت من العدّة، كما أنّها إذا وضعت في الطّلاق خرجت من العدّة؛ فالطّلاق والوفاة سواءٌ، أمّا القول بأطول الأجلين كان قاله ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويروى عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثمّ رجعا عن ذلك؛ لما ظهرت لهم السّنّة، ولا يعرف في هذا خلافًا بعد ذلك.

• **س: تلاوة الآية: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ﴾، تبيّن؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: أن العدة واحدةٌ بوضع الحمل مطلقًا، سواءٌ كانت وفاةً أو طلاقًا.

(السّائل): نزلت سورة النّساء الصّغرى بعد الطّولى؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم الطّولى البقرة نعم، فهذا معناه أنّها خاصّةٌ بالمطلّقات، والمتوفّى عنها غير ذوات الحمل، أمّا ذوات الحمل فإذا ولدت سواءٌ بعد الأربعة أشهرٍ وعشرًا، أو قبلها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: انظر ذكر عن أحدٍ خلافًا، الحافظ تكلّم بشيءٍ في هذا؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٥٦)]: «قوله:

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

«لنزلت»: هو تأكيدٌ لقسمٍ محذوفٍ، ووقع في رواية الحارث بن عميرٍ بيانه، ولفظه: فوالله لقد نزلت.

قوله: «سورة النّساء القصرى بعد الطّولى»؛ أي: سورة الطّلاق بعد سورة البقرة، والمراد بعض كلٍّ، فمن البقرة قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، ومن الطّلاق قوله: ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، ومراد ابن مسعودٍ: إن كان هناك نسخٌ فالمتأخّر هو النّاسخ، وإلّا فالتّحقيق أن لا نسخ هناك، بل عموم آية البقرة مخصوصٌ بآية الطّلاق.

وقد أخرج أبو داود وابن أبي حاتمٍ من طريق مسروقٍ قال: بلغ ابن مسعودٍ أنّ عليًّا يقول: تعتدّ آخر الأجلين؛ فقال: من شاء لاعنته أنّ الّتي في النّساء القصرى أنزلت بعد سورة البقرة، ثمّ قرأ: ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾. وعرف بهذا مراده بسورة النّساء القصرى.

وفيه جواز وصف السّورة بذلك، وحكى ابن التّين عن الدّاوديّ قال: لا أرى قوله: القصرى محفوظًا، ولا يقال في سور القرآن: قصرى ولا صغرى. انتهى.

وهو ردٌّ للأخبار الثّابتة بلا مستندٍ، والقصر والطّول أمرٌ نسبيٌّ، وقد تقدّم في صفة الصّلاة قول زيد بن ثابتٍ طولى الطّوليين، وأنّه أراد بذلك سورة الأعراف». [انتهى كلامه].

• **س: ....؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم؛ لأنّه أخبر أنّها حلّت لما وضعت حملها.

• **س: لكن الدّخول عليها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يجوز لكن لا يطؤها حتّى تطهر، فلو تزوجت في حال النّفاس تم

العقد، صحّ العقد، أو في حالة الحيض صحّ العقد، لكن ليس للزّوج أن يطأها حتّى تطهر.

*

حدّثنا سعد بن حفصٍ، حدّثنا شيبان، عن يحيى قال: أخبرني أبو سلمة قال: جاء رجلٌ إلى ابن عبّاسٍ، وأبو هريرة جالسٌ عنده، فقال: أفتني في امرأةٍ ولدت بعد زوجها بأربعين ليلةً، فقال ابن عبّاسٍ: «آخر الأجلين»، قلت أنا: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، قال أبو هريرة: «أنا مع ابن أخي»؛ يعني: أبا سلمة، فأرسل ابن عبّاسٍ غلامه كريبًا إلى أمّ سلمة يسألها، فقالت: «قتل زوج سبيعة الأسلميّة وهي حبلى، فوضعت بعد موته بأربعين ليلةً، فخطبت، فأنكحها رسول الله ﷺ، وكان أبو السّنابل فيمن خطبها»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال عليه الشّارح، أو العينيّ؟

[قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القارئ» (١٩/ ٢٤٥)]: «وسعد بن حفص أبو محمّد الطلحي الكوفي». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: راجع: «التّقريب»؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التّقريب» (٢٢٣٤)]: «سعد بن حفص الطلحي مولاهم، أبو محمّد الكوفيّ المعروف بالضّخم، ثقةٌ من كبار العاشرة خ س».

* *

وقال سليمان بن حربٍ، وأبو النّعمان، حدّثنا حمّاد بن زيدٍ، عن أيّوب، عن محمّدٍ قال: «كنت في حلقةٍ فيها عبد الرّحمن بن أبي ليلى،

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ برقم (٤٩٠٩)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفّى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل برقم (١٤٨٥).

وكان أصحابه يعظّمونه، فذكر آخر الأجلين، فحدّثت بحديث سبيعة بنت الحارث، عن عبد الله بن عتبة قال: فضمّز لي بعض أصحابه، قال محمّدٌ: ففطنت له فقلت: إنّي إذًا لجريءٌ، إن كذبت على عبد الله بن عتبة، وهو في ناحية الكوفة، فاستحيا، وقال: لكنّ عمّه لم يقل ذاك، فلقيت أبا عطيّة مالك بن عامرٍ، فسألته، فذهب يحدّثني حديث سبيعة، فقلت: هل سمعت عن عبد الله فيها شيئًا؟ فقال: كنّا عند عبد الله، فقال: أتجعلون عليها التّغليظ، ولا تجعلون عليها الرّخصة؟ لنزلت سورة النّساء القصرى بعد الطّولى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا هو الحقّ، أنّها متى وضعت خرجت من العدّة ولو بعد الموت بيومٍ؛ متى وضعت الحامل بعد وفاة زوجها؛ خرجت من العدّة كالطّلاق سواء سواء، إذا طلّقها وهي حبلى، أو مات عنها وهي حبلى، خرجت من العدّة بوضع الحمل، ولو بعد يوم أو يومين؛ للآية الكريمة: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطّلاق: ٤]؛ يعني: مدّتهن؛ أي: في العدّة أن يضعن حملهنّ، وحديث سبيعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا يوافق ذلك، فإنّها وضعت بعد وفاة زوجها بليالٍ، فقال لها النبيّ ﷺ: «**انْكِحِي**»[2]، تزوَّجِي.

وقال بعض السّلف: أطول الأجلين، والذي قال هذا خفي عليه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ برقم (٤٩١٠).

(٢) متفق عليه من حديث أبي سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ برقم (٥٣١٨)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفَّى عنها زوجها، وغيرها بوضع الحمل برقم (١٤٨٥) واللفظ للبخاري.

خبر سبيعة، اشتبه عليه الأمر، وأطول الأجلين معناه: إن مرّ أربعة أشهرٍ وعشرًا قبل أن تلد فأجلها وضع الحمل، وإن وضعت الحمل قبل أربعة أشهرٍ وعشرًا فأجلها أربعة أشهرٍ وعشرًا؛ يعني: أطول الأجلين هو هذا المعنى؛ يعني: الّذي يتأخّر منهما، فإذا كانت حبلى، فوضعت قبل أربعة أشهرٍ وعشرًا؛ عليها أن تعتد بأربعة أشهرٍ وعشرًا؛ لأنّها أطول الأجلين، وإن مضت أربعة أشهرٍ وعشرًا ولم تضع فعليها أن تراعي الحمل، فلا تخرج من العدّة حتّى تضع، ولو بعد أربعة أشهرٍ وعشرًا، وهذا مجرّد رأيٍ، واجتهاد، لا وجه له؛ بل هو باطلٌ، رأي باطلٌ؛ مخالفٌ للآية، ومخالفٌ للسّنّة.

فالذي عليه الجمهور: هو أنّها متى وضعت خرجت من العدّة، ولو بعد ساعة من موت زوجها.

• **س: أحسن الله إليك، في جميع أنواع العدد؛ يعني: في الطّلاق وفي الوفاة وفي كلّها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم، إذا وضعت الحمل، مطلقة، مخلوعة، أو متوفىً عنها، أو مفسوخة، أو مفقود، كلّها واحد.

• **س: إذا طلّقها وقد جامعها وهي طاهرٌ فهل يقع أم ما يقع؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

فيه خلافٌ: عند الجمهور يقع، وإذا حكم الحاكم يقع، والصّواب أنّه لا يقع، وهو قول الأقلّ، وإذا أفتى الحاكم بأنّه وقع وقع، يحكم بأنّه وقع.

• **س: الإحداد تبع العدّة، فإذا انتهت العدّة انتهى الإحداد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: تبع العدّة، تحادّ وقت العدّة.

❐ ❐ ❐

تفسير سورة التحريم(1)

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١﴾ **[التحريم: ١]**.

حدّثنا معاذ بن فضالة، حدّثنا هشامٌ، عن يحيى، عن ابن حكيم، عن سعيد بن جبيرٍ أنّ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: «في الحرام يكفّر»، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١](٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: كذا عندكم «عن يحيى عن ابن حكيم» كذا؟

(من الطّلّاب): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ماذا قال الشّارح عليه؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٦٥٦)]: «قوله: **(عن ابن حكيم)**: هو يعلى بن حكيمٍ، ووقع في رواية الأصيليّ: عن أبي زيدٍ المروزيّ بأنّ أحمد الجرجانيّ يحيى عن ابن حكيمٍ لم يسمّه عن سعيد بن جبيرٍ، وذكر أبو عليٍّ الجيّانيّ أنّه وقع في روايةٍ أبي عليّ بن السّكن

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ برقم (٤٩١١)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرَّم امرأته ولم ينوِ الطلاق برقم (١٤٧٣).

مسمّىً؛ فقال فيه: عن يحيى عن يعلى بن حكيمٍ، قال: ووقع في رواية أبي ذرٍّ، عن السّرخسيّ هشامٌ عن يعلى بن حكيمٍ عن سعيد بن جبيرٍ. قال الجيّانيّ: وهو خطأٌ فاحشٌ.

قلت: سقط عليه لفظة «عن» بين يحيى وابن حكيم. قال: ورواية ابن السّكن رافعةٌ للنّزاع.

قلت: وسمّاه يحيى بن أبي كثيرٍ في رواية معاوية بن سلّامٍ عنه كما سيأتي في كتاب الطّلاق». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومراده بقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١﴾، قال ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إنّه لمّا حرّم مارية أو حرّم العسل كفّر كفّارة اليمين وهذا حقٌّ؛ فإنّ تحريم الحلال من العسل أو الجارية أو الكلام أو غير ذلك الله أنكره على نبيّه ﷺ قال: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾، وفرض عليه تحلّة اليمين، وهي الكفّارة، لكن أمرٌ آخر وهو ما يتعلّق بتحريم الزّوجات: ظاهر النّصوص الّتي جاءت في الظّهار أنّ تحريم الزّوجات ليس كتحريم الأشياء الأخرى، وأنّ في تحريم الزّوجات كفّارة الظّهار، وهي فوق كفّارة اليمين وأعظم منها.

فابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شاع عنه في هذا رواية كما يأتي: أنّه ليس بشيءٍ، والرّواية الأخرى: أنّها يمينٌ يكفّرها، وهي أظهر وأصحّ، أوفق للكتاب العزيز، والسّنّة المطهّرة.

ولكن إذا كان التّحريم للنّساء مطلقًا فهو أشبه بالظّهار، وأظهر في حكمه لا في حكم اليمين، بخلاف ما إذا كان التّحريم للعسل وتحريم الجارية الّتي ليست زوجةً، فما قاله ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا واضحٌ في ذلك.

ولهذا تنازع العلماء فيما يتعلّق بتحريم المرأة على أقوالٍ كثيرة، بسطها ابن القيّم وأدلتها رَحِمَهُ اللَّهُ في كلامه، وأظهرها وأصوبها أنّه مثل

الظّهار إذا كان تحريمًا مطلقًا، كأن قال لها: أنت عليّ حرامٌ. فهو مثل: أنت عليّ كظهر أمّي في المعنى، ففيه كفّارة الظّهار.

بخلاف ما إذا كان تحريمًا معلّقًا يقصد منه الحثّ والمنع؛ فهو ليس مثل الظّهار كـ: أنت عليّ حرامٌ إن كلمت فلانًا، أنت عليّ حرامٌ إن خرجت من البيت، فهذا له حكم اليمين على الأرجح، وعليه ينزل قول ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما فيما إذا علّق الحثّ عليه، أو التّصديق أو التّكذيب، أو كان التّحريم لغير الزّوجة كالعسل والجارية والأمور الأخرى من المخلوقات.

• **س: عفا الله عنك، قوله: (ليس بشيءٍ)؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: هذه إحدى الرّوايتين عنه.

(السّائل): ولا كفّارة يمين؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ولا كفّارة يمينٍ، هذه الرّواية ظاهرها أنّه لا كفّارة عليه، ولكن يجب أن يقال: إن المطلق يحمل على المقيّد؛ فلا تكون الرّوايتان مختلفتين.

وهذا أحسن، على القاعدة في النّصوص المطلقة والمقيّدة، ثمّ نصّ القرآن الّذي احتجّ به فيه اليمين؛ فلا ينبغي حمل كلامه على ما يخالف نصّ الآية، ويخالف روايته الأخرى.

ومعناه: ليس بشيءٍ يحرّم ما حرّم؛ يعني: ليس بشيءٍ يحرّم ما حرّم؛ بل تكفي فيه الكفّارة.

*

قال البخاري رحمه الله: حدّثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، عن ابن جريجٍ، عن عطاءٍ عن عبيد بن عميرٍ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يشرب عسلًا عند زينب ابنة جحشٍ، ويمكث

عندها عسلًا، فتواطأتُ أنا وحفصة عن أيّتنا دخل عليها، فلتقل له: أكلت مغافير؟ إنّي أجد منك ريح مغافير، قال: «**لَا، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ لَا تُخْبِرِي بِذَلِكِ أَحَدًا**»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يدلّ على أن الإنسان إذا حرّم شيئًا، أو حلف أنّه لا يفعل شيئًا؛ كفّارة يمينٍ؛ كقصّة العسل، لما حلف النّبيّ ﷺ أنّه لا يشرب العسل؛ لما تمالأت حفصة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عليه أن يقولوا له: إنّ فيه ريح مغافير؛ يعني: ريح ليست طيبة؛ يعني: عسله أن نحلها أكل شيئًا فيه رائحةٌ غير جيّدةٍ؛ حتّى يكره شربه عند زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وهذا من الغيرة الّتي تقع بين النّساء، من غيرة الجارات، فغاظهنّ أن يشرب عسلًا عند زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فتحيلنّ بهذه الحيلة، غفر الله لهنّ ورضي عنهنّ، فقال ﷺ: «**والله لا أشربه ما دام فِيْهِ هَذِهِ الرائحة**»[(٢)]، فأوحى الله إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التحريم: ١، ٢].

وقيل: إنّها نزلت في قصّة مارية، لما حرّمها؛ لأنّها جاريته، قال الله له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ [التحريم: ١]؛ يعني: حتّى إذا حرّم الجارية كفّارة يمينٍ؛ لأنّها ليست من الزّوجات.

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ...﴾ إلخ برقم (٤٩١٢)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرَّم امرأته ولم ينوِ الطلاق برقم (١٤٧٤).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري في كتاب الطلاق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ...﴾ إلخ برقم (٥٢٦٧)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرَّم امرأته ولم ينوِ الطلاق برقم (١٤٧٤)، بلفظ: «**بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ لَهُ**».

والمغافير نبتٌ له رائحةٌ غير طيبةٍ؛ فأرادت حفصة وعائشة رضي الله عنهما أن ينفّراه منه؛ لما بين النّساء من الغيرة؛ فإنّه ساءهما أن يجدا عند زينب رضي الله عنها شيئًا مناسبًا وهي ضرّتهما.

وهذا من المعروف عند أهل العلم وعند النّاس جميعًا، الغيرة المعروفة عند النّساء، وحرص كلّ واحدةٍ على أن تكون فوق ضرّتها.

• **س: عفا الله عنك، المغافير غير العسل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: يعني: نحلته رعت العرفط؛ يعني: إذا رعت شيئًا فيه رائحةٌ يبين في عسلها.

• **س: يعني: نوعًا خاصًّا من العسل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم رعت نحله العرفط وهو المغافير، رعت رعيًا فيه رائحةٌ ظهرت في العسل؛ فلهذا وجدت منه ريح مغافير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ماذا قال الشّارح على المغافير هو العرفط ولا غيره؟ جرست نحله العرفط؛ يعني: رعت.

(من القارئ): ما تكلّم.

*

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ [التحريم: ١]، ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [التحريم: ٢](١).

حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدّثنا سليمان بن بلالٍ، عن يحيى، عن عبيد بن حنينٍ أنّه سمع ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما يحدّث أنّه قال: «مكثت سنةً أريد أن أسأل عمر بن الخطّاب عن آيةٍ، فما أستطيع أن أسأله هيبةً له،

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

حتّى خرج حاجًّا، فخرجت معه، فلمّا رجعت، وكنّا ببعض الطّريق، عدل إلى الأراك لحاجةٍ له، قال: فوقفت له حتّى فرغ، ثمّ سرت معه، فقلت له: يا أمير المؤمنين، من اللّتان تظاهرتا على النّبيّ ﷺ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة، وعائشة، قال: فقلت: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنةٍ، فما أستطيع هيبةً لك، قال: فلا تفعل، ما ظننت أنّ عندي من علمٍ فاسألني، فإن كان لي علمٌ خبّرتك به، قال: ثمّ قال عمر: والله إن كنّا في الجاهليّة ما نعدّ للنّساء أمرًا، حتّى أنزل الله فيهنّ ما أنزل، وقسم لهنّ ما قسم، قال: فبينا أنا في أمرٍ أتأمّره، إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا، قال: فقلت لها: ما لك، ولما هاهنا، فيما تكلّفك في أمرٍ أريده؟ فقالت لي: عجبًا لك يا ابن الخطّاب، ما تريد أن تراجع أنت، وإنّ ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتّى يظلّ يومه غضبان، فقام عمر فأخذ رداءه مكانه حتّى دخل على حفصة، فقال لها: يا بنيّة، إنّك لتراجعين رسول الله ﷺ حتّى يظلّ يومه غضبان؟ فقالت حفصة: والله إنّا لنراجعه، فقلت: تعلمين أنّي أحذّرك عقوبة الله، وغضب رسوله ﷺ، يا بنيّة، لا يغرّنّك هذه الّتي أعجبها حسنها حبّ رسول الله ﷺ إيّاها، يريد عائشة، قال: ثمّ خرجت حتّى دخلت على أمّ سلمة لقرابتي منها، فكلّمتها، فقالت أمّ سلمة: عجبًا لك يا ابن الخطّاب، دخلت في كلّ شيءٍ، حتّى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه، فأخذتني والله أخذًا كسرتني عن بعض ما كنت أجد، فخرجت من عندها، وكان لي صاحبٌ من الأنصار، إذا غبت أتاني بالخبر، وإذا غاب كنت أنا آتيه بالخبر، ونحن نتخوّف ملكًا من ملوك غسّان، ذكر لنا أنّه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الأنصاريّ يدقّ الباب، فقال: افتح، افتح، فقلت: جاء الغسّانيّ؟ فقال: بل أشدّ من ذلك، اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه، فقلت: رغِمَ أنف حفصة، وعائشة، فأخذت ثوبي، فأخرج حتّى جئت، فإذا رسول الله ﷺ في

مشربةٍ له، يرقى عليها بعجلةٍ، وغلامٌ لرسول الله ﷺ أسود على رأس الدّرجة، فقلت له: قل هذا عمر بن الخطّاب، فأذن لي، قال عمر: فقصصت على رسول الله ﷺ هذا الحديث، فلمّا بلغت حديث أمّ سلمة، تبسّم رسول الله ﷺ، وإنّه لعلى حصيرٍ ما بينه وبينه شيءٌ، وتحت رأسه وسادةٌ من أدمٍ، حشوها ليفٌ، وإنّ عند رجليه قرظًا مصبوبًا، وعند رأسه أهبٌ معلّقةٌ، فرأيت أثر الحصير في جنبه، فبكيت، فقال: «ما يبكيك؟»، فقلت: يا رسول الله، إنّ كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله، فقال: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا، وَلَنَا الآخِرَةُ؟**»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: (**فأخذت ثوبي**)؛ يعني: لباس الجمال.

وقوله: (**أهبٌ**)؛ يعني: جلودًا، جمع إهابٍ.

الله أكبر، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم، وهذا يدلّ على تواضعه ﷺ، وصبره وحلمه؛ فالمشربة: غرفةٌ مرتفعةٌ اعتزل نساءه، وصار فيها لما حصل منهن بعض التّظاهر من جهة النّفقة، فاعتزلهنّ شهرًا، وكان في هذه المشربة على حصيرٍ قد أثّر في جنبه، حصيرٌ ووسادةٌ من أدم حشوها ليفٌ، فلمّا رأى ذلك عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بكى، قال: فارس والرّوم فيما هم فيه من النّعيم، وأنت رسول الله على هذا الحصير، فقال: «**أفي شكٍّ يابن الخطّاب؟! ألا ترضى أن تَكُون لَهُم الدُّنْيَا ولنا الآخِرَة؟!**»[2] اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ برقم (٤٩١٣)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ برقم (١٤٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٣)، بلفظ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ**».

هكذا ينبغي للمؤمن ألا يغترّ بالدّنيا وحطامها، ولا بما حصل لأهلها؛ بل يجب أن يهتمّ بالآخرة، وليعدّ لها العدّة، ولو كان فقيرًا، فإن الدّنيا أمرها زائلٌ لا قيمة لها، وإنّما الأمر أمر الآخرة، والله حذّر من الغرور بالدّنيا وزينتها، والرّضا بها: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، قبل ذلك عمر ﷺ لما قالت أمّ سلمة ﷺ، وأنكرت عليه تدخّله في شأن النّبيّ ﷺ وأزواجه، تبسّم ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ هو أراد بهذا الإيناس، أراد عمر ﷺ بهذا الإيناس للنّبيّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

وفي هذا دلالةٌ على أن الإنسان قد يحصل له بعض الأذى من الزّوجات، فليصبر كما صبر الرّسول ﷺ، عليه المعاشرة بالمعروف ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [النّساء: ١٩]، وعليه أن يصبر، وأن يتعاطى الحلم، وإذا أصابه شيءٌ فقد أصاب غيره ذلك، مثل ما قال ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»(١)، وقال: «**إِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّار**»، فقالت له امرأةٌ: لم يا رسول الله؟ قال: «**لأنكنّ تكثرن اللعن وتَكْفُرن العشير، لو أحسن إِلَى إحداكن الدهر، ثُمَّ رأت مِنْهُ شَيْئًا، قَالَتْ: ما رأيت منك خيرًا قطّ**»؛ يعني: هذا وصفٌ غالبٌ يقع منهنّ كثيرًا، فلا بدّ من الصّبر، ولا بدّ من الحلم، ولا بدّ من الإنصاف والتّواضع.

قوله: (يا بنيّة، لا يغرّنّك هذه الّتي أعجبها حسنها حبّ رسول الله ﷺ إيّاها):

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم برقم (٣٠٤)، وأخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمر ﷺ من كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات... برقم (٧٩) (١٣٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وحبّ ما عندك (واو)؟

(**من القارئ**): لا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ساقطة؛ لأنّ الحسن غير الحبّ. ما عندكم (واو)؟

(**من الطلاب**): لا.

(**من القارئ**): ما يكون الحبّ على أنّه بدل من فاعل[1]...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليس بالظّاهر لا... كونها بدلًا لا، الظّاهر أنّها ساقطة من الرّواية الحسن شيءٌ، والحبّ شيءٌ.

(**من القارئ**): ما يكون بدل اشتمالٍ، ما يشتمل...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قد يكون لأنّه سببٌ، قد يكون؛ يعني: لأنّ الأول سببٌ، الثّاني محتمل، لكن المعروف في الرّواية الواو.

قوله: (**فأخذت ثوبيّ**)؛ يعني: ثوبيّ المناسبين للخروج؛ يعني: الثوبين المناسبين للخروج؛ لأنّ ثوبي البيت غير ثوبي (الخروج)[2].

- **س: الإزار والرّداء يعني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الإزار والرّداء نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما ضبط عندكم (ثوبي) بفتح الياء؟

(**من الطّلاب**): في الشّكل بالفتح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، الشّكل ليس بواضحٍ، ما يخالف، محتملٌ.

---

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

قوله: **أهب**[١] **معلَّقة**: أهب: جمع إهاب، الأفصح فيها أهُب مثل كتب.

قوله: (**وإنّه لعلى حصيرٍ...**)؛ يعني: على حصيرٍ، الحصير المعروف من الخوص، لحافاتٌ تكون بسبب فتله الخوص، تكون لحافاتٍ معروفة، قد أثّرت في جنبه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ لما اضطجع عليها أثّرت؛ لأنّه ما بينه وبينها إلّا الرّداء؛ فلهذا قال عمر رضي الله عنه ما قال، ليس هناك مطرحة فوقها، ولا شيء فوقها.

وهذا يدلّ على تواضعه ﷺ وزهده في هذه الدار.

والمقصود من هذا: أنّه يحصل له ما يحصل لغيره من الأزواج وحاجات الأزواج، ومناقشة الأزواج، وتكدير الأزواج، كلّ امرأةٍ لها حاجاتٌ ولا سيّما الضّرائر، ولا سيّما وهنّ كثيراتٌ، فلا بدّ أن يقع شيءٌ من المكدّرات؛ فكان يصبر ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، ويعرض عمّا قد يسبّب الطّلاق، ويصبر على الأشياء الأخرى من خشونة العيش، وكثرة الحاجة، وغير هذا مما يرد عليه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

وفي قصّة عمر وابن عبّاسٍ رضي الله عنهم من الفوائد: أن طالب العلم يسأل عمّا أشكل عليه، وأنّه لا يستحي في هذا، يسأل الكبار الّذين يظنّ أنّ عندهم علمًا، ولا يحقر نفسه عن سؤالهم، وإن كانوا عظماء، وإن كانوا رؤساء يسألهم؛ حتّى يستفيد.

وفي هذا أيضًا: فضل عمر رضي الله عنه، وتواضعه وحبّه لإفادة الغير؛ ولهذا قال له: (**لا تفعل، ما ظننت أن عندي به علمٌ فاسألني عنه؛ فإنّه كان عندي علمٌ أخبرتك**).

وفيه أيضًا: أنّ الكبير لا يحقر الصّغير، الكبير في العلم والجاه

---

(١) قرأها الطالب (أهب) بفتح الهمزة.

والرّياسة ليس له أن يحقر الصّغير، والطّالب للعلم المستفيد. الله المستعان.

• **س: الخبر الّذي بين الأنصاريّ وعمر** ﵄**...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

تناوبًا يعني تناوبًا، هذا ينزل وهذا يبقى في أهله، يومًا يبقى عمر ﵁ عند أهله، وينزل الأنصاري ﵁ يأخذ الأخبار الّتي تقع عند الرسول الله ﷺ، والأحاديث والخطب والكلام الّذي يسمعه والحوادث، واليوم الثّاني ينزل عمر ﵁، ويبقى الأنصاريّ عند أهله، يتناوبون، مثل اثنين واحدٌ يحضر حلقةً اليوم، وواحدٌ يحضر الحلقة باكرًا، كلّ واحدٍ يخبر الآخر؛ لأنّ عندهم مشاغل.

هذا فيه الحرص على العلم والاجتهاد في طلب العلم، والحرص على معرفة الواقع.

• **س: أحسن الله إليك، دخول النّبيّ ﷺ المشربة؛ يعني: أبقاهنّ في المنزل وتركهنّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀: كلّ واحدةٍ في منزلها.

• **س: يعني: لم يخرجهن؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀: لا، كلّ واحدةٍ في منزلها نعم، اعتزلهنّ.

• **س: عفا الله عنك، ورد زمن هذا الاعتزال من النّبيّ ﷺ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀: ما أتذكّر الآن.

• **س: هذا من الهجر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀: الهجر، هذا من الهجر نعم.

• **س: يعني: الزّوجة تهجر أكثر من ثلاثٍ لا بأس؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هجرهن شهرًا ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ لأنّها معصية.

● **س: أحسن الله إليك، الأيمان إذا كانت متكررةً بنفس اليمين عليها كفّارةٌ واحدةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كفّارة واحدةٌ نعم، إذا كانت يمينًا واحدةً؛ يعني: على شيءٍ واحدٍ، لإطلاق قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [التحريم: ٢]، ويقول ﷺ: «**وإِنِي واللهِ إن شَاءَ اللهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فأَرَى غَيْرَهَا خيرًا مِنْهَا إِلَّا كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي وأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خير**»(١)، والتّكرار يقع؛ يعني: من باب التّأكيد: والله ما أقوم، والله ما أقوم، والله ما أقوم، والله ما أكلّم فلانًا، والله ما أكلّم فلانًا، يكرّرها، يمين، تسمّى يمينًا واحدةً، إذا كانت على شيءٍ واحدٍ: والله ما أزور فلانًا، والله ما أزور فلانًا، ولو قالها مائة مرةٍ، إذا زاره عليه كفّارةٌ واحدةٌ.

● **س: الهجر فوق ثلاث ليالٍ، الهجر لمدة شهرٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا في حقّ الإنسان، فيما بينه وبين أخيه ثلاثة أيّامٍ فقط.

● **س: ولكن الزّوجة يجوز أكثر من ثلاثٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إي نعم؛ لأنّها معصيةٌ، إلّا إذا كان في شيءٍ يتعلّق فيما بينها وبين حقّه: يكون ثلاثة أيّامٍ في الكلام، ولو يهجرها زيادةً على ذلك في غير

---

(١) متفق عليه من حديث أبي بردة عن أبيه، أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ برقم (٦٦٢٣)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها... برقم (١٦٤٩).

الكلام؛ يعني: «**وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَام**»(١)، ولهذا هجرهنّ النّبيّ شهرًا عليه الصّلاة والسّلام.

● **س: في الفراش يهجرها أكثر من ثلاثٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

له أن يهجرها أكثر من ثلاثٍ، لكن السّلام والكلام ثلاث فقط.

● **س: أحسن الله إليك، المعصية المطالبة بالنّفقة، معصيتهنّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: في النّفقة نعم.

● **س: المطالبة بالنّفقة وهو ليس عنده شيءٌ؛ يعني: الواجب عليهنّ الصّبر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

● **س: أحسن الله إليك، إذا كان حلف أنّه لا يذهب إلى فلانٍ، أو إلى المحل الفلانيّ، إذا كان هذا المحل مختلفًا، فهل يكون كلّ محلٍّ له كفارة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا تقول؟

(من السّائل): إذا قال: والله لا أذهب إلى مكان كذا، ومكان كذا ومكان كذا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا كان المقصود الشّخص سواءٌ ذهب له في بيت زوجته هذه، أو زوجته هذه فكلّها واحدٌ، إذا كان المقصود لا يذهب له، سواءٌ ذهب له في بيت فاطمة أو في بيت عائشة، أو بيت فلانة، المقصود ذهابه.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي أيوب الأنصاري، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب في الهجرة برقم (٦٠٧٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة والأداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي برقم (٢٥٦٠).

• **س: لكن إذا كان أكثر من شخصٍ، أحسن الله إليك، فهل يكون لكلّ شخصٍ كفارةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يمينٌ واحدةٌ وأم أيمانٌ، كلّ واحدٍ له يمينٌ؟

(السّائل): لا، كلّ واحدٍ له يمينٌ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كلّ واحدٍ له يمينه تختصّ به، يمينٌ تختصّ به، وأمّا إذا كانوا عن يمينٍ واحدةٍ؛ فكفّارةٌ واحدةٌ، قال: والله ما أزور آل فلانٍ؛ كفّارةٌ واحدةٌ إذا زار واحدًا منهم.

• **س: كون الموضوع واحدًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود ما دام أنّها أيمانٌ متعدّدةٌ لأشخاصٍ، قال: والله ما أزور فلانًا، ما أزور محمّدًا، والله ما أزور خالدًا، والله ما أزور سعيدًا، هذه متعدّدةٌ، كلّ واحدٍ لحاله.

• **س: ما يقال: إنّها عدم زيارةٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، لا، كلّ واحدةٍ لحالها.

• **س: تحريم الزّوجة، أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الصّواب أنّه ظهارٌ، إلّا إذا علّقه على أمرٍ يقصد الحثّ والمنع فهذا من حكم اليمين: عليه الحرام ما يكلّم فلانًا، وما يكلّم فلانًا قصده المنع، ما قصده التّحريم؛ يعني: فيكون كفّارة يمينٍ، أمّا إذا صرّح بالظّهار هي عليه كظهر أمّه فهو ظهارٌ؛ كظهر أمّه أو ظهر أخته، أو قال: هي عليّ حرامٌ وسكت فهو كالظّهار، هذا الصّواب.

• **س: يعني: يفرق بين تحريم الزّوجة والأمة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأمة والسّيد يكون كفّارة يمينٍ، تحريم الأمة وتحريم الطّعام كفّارة يمينٍ، ليس محلّ خلافٍ، الكلام إذا حرّمها هي قال: عليّ الحرام ما أكلّم فلانةً، عليّ الحرام من زوجتي ما أكلّم فلانةً قصده الامتناع ليس قصده الظّهار، هذا كفّارة يمينٍ، بخلاف من قال: عليّ كظهر أمّي، أو كظهر أختي، صرّح بالظّهار.

• **س: إذا صرّح بالظّهار وعلّقه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

صار ظهارًا؛ لأنّ نصّ القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ [المجادلة: ٣].

• **س: ولو علّقه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الظّاهر، ولو علّقه، بخلاف التّحريم؛ لأنّ التّحريم مشتركٌ.

• **س: أحسن الله إليك، إذا قصد بالتّحريم الطّلاق؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يكون طلاقًا، هذا الصّواب، كنايةٌ، يكون كنايةً.

• **س: عدم النّفقة خاصٌّ بالنّبيّ ﷺ، أو قلّة النّفقة خاص بالنّبيّ ﷺ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا فيه؟

• **س: أقول: قلّة النّفقة عدم توفّرها، إذا كان الزّوج عنده عدد أكثر من واحدةٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لها الخيار هي؛ إن شاءت صبرت، وإن شاءت طلبت الطّلاق،

لكن هذه أمورٌ وقعت للنّبيّ ﷺ معهنّ، قد يكون معها أشياء أخرى، ما نعرف تفصيلها.

المقصود: أنّه هجرهنّ لأسبابٍ وقعت منهنّ، وأمّا ما يتعلّق بالزّوجة ونفقتها فشيءٌ آخر، إذا عسر بها فلها الخيار؛ إن صبرت وإلّا يطلّق، أمّا كونه هجرهنّ شهرًا لأسبابٍ، اشتهر منها: نزاعهنّ معه في النّفقة، وقد يكون هناك أشياء أخرى أوجبت هذا الهجر العظيم.

● **س: إذا هجرها، ينام عند جارتها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا يهجرهنّ إلّا في البيت، كان النّبيّ ﷺ يهجر في البيت، مثل ما قال ﷺ: «**لا تهجروا إِلَّا فِي البَيْت**»، «**وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي البَيْت**»[(١)]، وإلّا يهجرهنّ، يخلّيهم جميعًا.

المقصود: أنّ المستحقّة يهجرها وينام عندها في البيت، حتّى لا تقع الفتنة، ويهجرها بينه وبينها، ويروح للأخرى في ليلتها، وإن كانت المسألة منهنّ جميعًا هجرهنّ جميعًا في محلٍّ آخر.

● **س: لكن إذا صارت من واحدةٍ يا شيخ، ينام عند الثّانية؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، ينام عندها ولا يقربها، ينام في الفراش، يعطيها ظهره، أو في فراشٍ آخر، لا يمنع، وهي في بيتها.

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ، الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ **ذكر عند قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠] أن معاذًا** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أتى إلى النّبيّ ﷺ من الشّام فسجد للنّبيّ ﷺ؛ فنهاه النّبيّ ﷺ عن ذلك؟**

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب النكاح، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها برقم (٢١٤٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مخالفةٌ، من باب التّعليم، علّمه النّبيّ ﷺ أنّه لا يصلح إلّا لله، معاذٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ظن أن هذا يصلح للنّبيّ ﷺ؛ فعلّمه النّبيّ ﷺ.

● **س: لكن قال الحافظ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **إنّ هذا كان جائزًا في شريعتهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

شريعة الماضين؛ يعني: ولهذا سجد إخوة يوسف ليوسف وأبيه عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وسجد الملائكة لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، هذا من باب التّحيّة والإكرام، لكن في شريعة محمّدٍ ﷺ حرّم ذلك، شريعة محمّد ﷺ هي أكمل الشّرائع، حرّم فيها السّجود لغير الله، كان يجوز فيما مضى من باب التّحية، ومن باب الإكرام.

● **س: سجود انحناءٍ أو سجودٌ حقيقيٌّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الظّاهر أنّه سجودٌ حقيقيٌّ.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم: ٣][(١)].

فيه عائشة، عن النّبيّ ﷺ.

حدّثنا عليٌّ، حدّثنا سفيان، حدّثنا يحيى بن سعيدٍ قال: «سمعت عبيد بن حنينٍ قال: سمعت ابن عبّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقول: أردت أن أسأل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللّتان تظاهرتا على

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

رسول الله ﷺ، فما أتممت كلامي حتّى قال: **عَائِشَةُ، وَحَفْصَةُ**»[(١)].

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤][(٢)].

صغوت وأصغيت: ملت، (لِتَصْغَى) [الأنعام: ١١٣]: لتميل، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [٤]: عونٌ، تظاهرون: تعاونون، وقال مجاهدٌ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ [٦]: أوصوا أنفسكم، وأهليكم بتقوى الله، وأدّبوهم.

حدّثنا الحميديّ، حدّثنا سفيان، حدّثنا يحيى بن سعيدٍ قال: سمعت عبيد بن حنينٍ يقول: سمعت ابن عبّاسٍ يقول: أردت أن أسأل عمر، عن المرأتين اللّتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ، فمكثت سنةً، فلم أجد له موضعًا، حتّى خرجت معه حاجًّا، فلمّا كنّا بظهران ذهب عمر لحاجته، فقال: أدركني بالوضوء، فأدركته بالإداوة، فجعلت أسكب عليه، ورأيت موضعًا، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللّتان تظاهرتا؟ قال ابن عبّاسٍ: فما أتممت كلامي حتّى قال: «عائشة، وحفصة»[(٣)].

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ...﴾ إلخ برقم (٤٩١٤)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب الإيلاء واعتزال النساء... إلخ برقم (١٤٧٩).

(٢) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٣) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ برقم (٤٩١٥)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب الإيلاء واعتزال النساء... إلخ برقم (١٤٧٩).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: **(تظاهرتا)**: تعاونتا من التّظاهر وهو التّعاون ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢] ما له منهم من عوين.

وكانت حفصة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في مسائل كثيرةٍ تتعاونان فيما يتعلّق ببقية النّساء، وفيما يتعلّق باستحصال بعض الأمور من النّبيّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

ومثل ما تعاونتا أيضًا في طلب أمر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالصّلاة بالنّاس في مرض النّبيّ ﷺ، وأصرّ النّبيّ ﷺ على أن الصّدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الّذي يصلّي بالنّاس، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

قوله: **(فلما كنا بظهران)**:

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كذا عندكم **(بظهران)**؟

(من القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال المحشّي عليه، الشّارح؟ ظهران أو ضجنان في طريق مكّة ظهران.

(من القارئ): ما ضبطه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لعلّه ممكن، مثل مرّ ظهران هو قريبٌ من مكّة.

- **س**: ....؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، الظّاهر ـ والله أعلم ـ أنّه مرّ بظهران؛ لأنّه قرب وادي فاطمة، قرب مكّة، بينه وبين مكّة بريد أو... قرب مكّة لكن أسقط «مرّ» هو معروفٌ بمر الظهران «مرّ».

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ [التحريم: ٥].

حدّثنا عمرو بن عونٍ، حدّثنا هشيمٌ عن حميدٍ، عن أنسٍ قال: قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اجتمع نساء النّبيّ ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهنّ: عسى ربّه إن طلّقكنّ أن يبدّله أزواجًا خيرًا منكنّ، فنزلت هذه الآية»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذه إحدى المواضع الّتي نزل القرآن بموافقته ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ.

● **س: أبدل سائحاتٍ بصائماتٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

تفسيرٌ، قراءة تفسيرٍ. تكلّم عليه الشّارح؟ السّائحون: أحسن ما قيل فيه: إنّه الصّيام.

● **س: (أن يبدّله) قراءةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يبدله ويبدّله لغتان نعم.

● **س: أحسن الله إليك، إذا قال: عليّ حرامٌ لا يقصد بذلك طلاقًا، لكن فيه قصدٌ آخر: وهو إلزام الضّيف بالبقاء، هل يقع أو ما يقع؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يعني: قصد الأمرين؟

(السّائل): قصد الأمرين نعم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يقع الطّلاق، إذا قصد الأمرين يقع.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ...﴾ إلخ برقم (٤٩١٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر برقم (٢٣٩٩).

• **س: أحسن الله عملك يا شيخ، لمن دخل والمؤذّن يؤذّن الأذان الثّاني يوم الجمعة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يصلّي ركعتين ثمّ يجلس، أفضل يجيب المؤذّن أولًا ثمّ يصلّي ركعتين، حتّى يجمع بين السّنتين.

• **س: لكن ترديد الأذان سنّةٌ مؤكدةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

سنّةٌ مؤكدةٌ، وتحيّة المسجد سنّةٌ مؤكدةٌ، يجمع بين السّنّتين.

• **س: إذا علم بارك الله فيك أن الخطبة ستقام أثناء صلاته تحيّة المسجد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما يضرّ، يجيب المؤذّن، وركعتين ما تكلّفه، دقيقتين ثلاثة وهي منتهيةٌ.

• **س: لكن استماع الخطبة واجبٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يصلّي ركعتين ويجيب المؤذّن، ويسمع الخطبة، كلّه متيسّر، والحمد لله.



تفسير آيات من سورة المُلك(١)

التّفاوت: الاختلاف، والتّفاوت والتّفوّت واحدٌ، ﴿تَمَيَّزُ﴾ [٨]: تقطّع، ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ [١٥] جوانبها، ﴿تَدَّعُونَ﴾ [٢٧]، وتدعون، مثل تذّكّرون وتذكرون، ﴿وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾ [١٩] يضربن بأجنحتهنّ، وقال مجاهدٌ: ﴿صَٰٓفَّٰتٖ﴾ [١٩] بسط أجنحتهن، ﴿وَنُفُورٍ﴾ [٢١] الكفور.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: ﴿تَمَيَّزُ﴾: تقطّع. ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ﴾ [الملك: ٨]؛ يعني: تتقطّع من شدّة غيظها على أعداء الله، نسأل الله السّلامة، لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

قوله: ﴿وَنُفُورٍ ٢١﴾: **الكفور...**):

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تعرّض لها الشّارح؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٦١)]: «قوله: ﴿وَنُفُورٍ ٢١﴾: الكفور، وصله عبد بن حميد والطبري من طريق ابن أبي نجيحٍ عن مجاهدٍ في قوله: ﴿بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ٢١﴾ قال: كفورٍ». [انتهى كلامه].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني: الجحد، «نفور» من شدّة الجحد نفروا من شدّة الجحد والإنكار، وصار ذلك الجحد والإنكار يتضمّن النّفور الشّديد، نسأل الله العافية، وكُفر الشّيء جحده، نسأل الله العافية.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وذكر عياضٌ أنّه وقع عند الأصيليّ: ونفورٍ تفور كقدرٍ؛ أي: بفتح المثنّاة تفسير قوله: ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧﴾، قال: وهي أوجه من الأوّل. وقال في موضعٍ آخر: هذا أولى وما عداه تصحيفٌ؛ فإن تفسير نفورٍ بالنّون بكفورٍ بعيدٌ.

قلت: استبعده من جهة أنّه معنىً فلا يفسّر بالذّات، لكن لا مانع من ذلك على إرادة المعنى، وحاصله أنّ الّذي يلجّ في عتوّه ونفوره هو الكفور». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هو الجاحد، هو راعى المعنى رَحِمَهُ اللَّهُ، الجحد؛ لأنّ الجحد الشّديد الجاحد للشّيء ينفر منه، نسأل الله العافية.

❊

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦﴾ [الملك: ١٦]، **ومنها: قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ حكاية عن قول فرعون:** ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦﴾ [غافر: ٣٦][(١)].

هذه الآيات الكريمات فسَّرها أهل العلم من أهل السُّنَّة والجماعة؛ كالبغوي في التفسير وابن كثير وابن جرير وغيرهم، ومعناها عند أهل السُّنَّة واضح، فقوله ﷻ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ تفسَّر **بمعنيين**:

أحدهما: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ يعني: المبنية، السماوات المعروفة، فيكون معنى «في»؛ يعني: «على»، مَن على السماوات، كما قال ﷻ: ﴿فَسِيحُوا

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٢٧).

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]؛ يعني: على الأرض، وقال ﷻ عن فرعون أنه قال لخصومه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]؛ يعني: على جذوع النخل.

والمعنى الثاني: أن المراد بالسماء: العلو، جهة العلو، فتكون «في»: للظرفية، والمعنى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي﴾ [الملك: ١٦] من في العلو، وهو الله سبحانه فإنه في العلو فوق العرش ﷻ، قد استوى على العرش استواءً يليق بجلاله وعظمته، لا يشابه خلقه في شيء من صفاته ﷻ، وهو فوق جميع الخلق في أعلى شيء فوق جميع الخلق ﷻ، وهكذا قصَدَ فرعون اللعين حينما قال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [غافر: ٣٦]؛ يعني: الطرق ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [غافر: ٣٧]؛ يعني: طرق السماوات، عرف الخبيث أنه في العلو؛ لأن موسى بلَّغه أنه في العلو، فلهذا زعم هذا الزعم، وهو لا يستطيع ذلك ولا هامان، فإن العلو إلى السماوات لا يستطيعه المخلوق إلا بأمر من الله ﷻ، كما عرج الله بنبيِّنا محمد ﷺ إلى العلو مع جبرائيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فالسماوات لها أبواب، ولها حرس لا يستطيع أحد الدخول إليها إلا بإذن من الله ﷻ، وهذه من مكابرة فرعون، ودعواه الباطلة، فهو يعلم أن الله في العلو كما أخبره موسى، ولهذا قال هذه المقالة، وهي من أدلة أهل السُّنَّة على أن الله في العلو، وأن موسى بلَّغ فرعون أن الله في العلو؛ فلهذا قال هذه المقالة.

وهكذا قوله ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ يعني: ثم علا على العرش، وهذا قاله ـ سبحانه ـ في سبعة مواضع في كتابه ﷻ، بيَّن في ذلك استواءه على العرش سبحانه، وأنه فوق العرش، كما قال في سورة طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، فالمعنى: الاستواء العلو والارتفاع، ومنه استوى على السفينة يعني ارتفع عليها، ومنه: استواء

السفينة على الجودي؛ يعني: ارتفعت على الجودي، فالاستواء معناه: العلو والارتفاع، استوى فلان على الدابة؛ يعني: صار على ظهرها، واستوى على السطح صار فوق السطح، واستوى على الجمل صار فوق الجمل، فمعنى: استوى على العرش؛ يعني: ارتفع فوق العرش ﷻ، واستواؤه يناسبه سبحانه، ويليق به ﷻ، ولا يشابه الخلق في استوائهم على دوابهم وعلى الجُمال وعلى غيرها.

وهكذا كل صفات الله تليق به سبحانه وتعالى، ولا يشبه فيها خلقه ﷻ، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال ﷻ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ﴾ [النحل: ٧٤]، وقال ﷻ: ﴿...هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]؛ يعني: لا سَمِيَّ له، ولا كُفء له سبحانه وتعالى.

وهكذا أمثالها الآيات كلها تدل على علوّ الله، وأنه فوق العرش مثل: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿...فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، هو العلي العلو الكامل، علو الذات وعلو القهر والسلطان، وعلو المكان، فهو فوق العرش ﷻ، فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى، والعرش فوق كل المخلوقات وأعلاها، والله فوقه سبحانه وتعالى، ومع هذا لا يخفى عليه شيء من أحوال عباده يعلم كل شيء سبحانه وتعالى.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ **[الملك: ٢٣]**(١).

الفؤاد مثل ما تقدم هو: القلب وهو العقل؛ لأن القلب يعقل به،

(١) من برنامج نور على الدرب رقم الحلقة (٧٨٦/ ٣).

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، ويسمَّى: فؤاد، فالقلب يسمى الفؤاد، وهو محل العقل أيضًا، وهو مسؤول عمّا عمل من خير وشر، فخوف الله، ومحبة الله، وخشيته والإخلاص له هذا عمل طيب، والنفاق، والرياء، والكبر، وأشباه ذلك كلها من القلوب السيئة.



تفسير آيات من سورة القلم(١)

وقال قتادة: ﴿حَرْدٍ﴾ [٢٥]: جدٍّ في أنفسهم، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾ [٢٣]: يَنْتَجون السّرار، والكلام الخفيّ، وقال ابن عبّاس: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ [٢٦]: أضللنا مكان جنّتنا، وقال غيره: ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ [٢٠]: كالصّبح انصرم من اللّيل، واللّيل انصرم من النّهار، وهو أيضًا كلّ رملةٍ انصرمت من معظم الرّمل، والصّريم أيضًا: المصروم، مثل: قتيلٍ، ومقتولٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ماذا قال على (حردٍ) الشّارح؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٦٦١)]: «قوله: (وقال قتادة): حردٍ جدٍّ في أنفسهم: هو بكسر الجيم وتشديد الدّال الاجتهاد والمبالغة في الأمر، قال ابن التّين: وضبط في بعض الأصول بفتح الجيم. قال عبد الرّزّاق عن معمرٍ عن قتادة: كانت الجنّة لشيخٍ، وكان يمسك قُوته سنةً ويتصدّق بالفضل، وكان بنوه ينهونه عن الصّدقة؛ فلمّا مات أبوهم غدوا عليها؛ فقالوا: ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ [القلم: ٢٤، ٢٥]، يقول: على جدٍّ من أمرهم. قال معمرٌ وقال الحسن: على فاقةٍ.

وأخرج سعيد بن منصورٍ بإسنادٍ صحيحٍ عن عكرمة قال: هم ناسٌ من الحبشة كانت لأبيهم جنّةٌ... فذكر نحوه إلى أن قال: ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

قَدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ قال: أمرٌ مجتمعٌ. وقد قيل في حردٍ: إنّها اسم الجنّة. وقيل: اسم قريتهم. وحكى أبو عبيدة فيه أقوالًا أخرى: القصد والمنع والغضب والحقد». [انتهى كلامه].

قال ابن بازٍ رَحِمَهُ اللهُ: القول بالمنع هنا جيّدٌ لو كانت اللّغة تساعده؛ لأنّهم مصمّمون على عدم الصّدقة، منتقدين أباهم في الصّدقة والإحسان؛ فعاقبهم الله، نسأل الله السّلامة.

(من الشّيخ): ماذا قال على الصّريم ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠]؛ لأنّ المقام يقتضي أنّها أصبحت مظلمةً؛ يعني: فيها ثمارٌ عظيمةٌ، ثمّ حيل بينهم وبينها، نسأل الله العافية.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٦٦٢)]: «قوله: **(وقال غيره: ﴿كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ كَالصُّبْحِ انْصَرَمَ مِنَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلُ انْصَرَمَ مِنَ النَّهَارِ)**: قال أبو عبيدة: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ النّهار انصرم من اللّيل، واللّيل انصرم من النّهار. وقال الفرّاء: الصّريم اللّيل المسودّ.

قوله: **(وهو أيضًا كلّ رملةٍ انصرمت من معظم الرّمل)**: هو قول أبي عبيدة أيضًا، قال: وكذلك الرّملة تنصرم من معظم الرّمل فيقال: صريمةٌ وصريمة أمرك قطعه.

قوله: **(والصّريم أيضًا المصروم مثل قتيل ومقتول)**: هو محصل ما أخرجه ابن المنذر من طريق شيبان عن قتادة في قوله: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ كأنّها قد صرمت.

والحاصل: أنّ الصّريم مقولٌ بالاشتراك على معانٍ يرجع جميعها إلى انفصال شيءٍ عن شيءٍ، ويطلق أيضًا على الفعل فيقال: صريمٌ بمعنى مصرومٌ.

تكميلٌ: قال عبد الرّزّاق عن معمرٍ: أخبرني تميم بن عبد الرّحمن أنّه سمع سعيد بن جبيرٍ يقول: هي - يعني: الجنّة المذكورة - أرضٌ

باليمن يقال لها: صرفان بينها وبين صنعاء ستّة أميالٍ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما تكلّم على معنىً واضحٍ. العينيّ موجودٌ؟ أو القسطلاني؟

(من الطّالب): غير موجودٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الظّاهر يتبيّن من سياق الآية ﴿كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ أنّها أصبحت يعني قد تلفت وذهبت ولم يبق لها أثر، كأنّها شيءٌ سلب وانتهى وقبض، نسأل الله العافية.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ [القلم: ٢١، ٢٢].

ما دروا عن ما جرى عليها ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [القلم: ٢٦، ٢٧]؛ فالسّياق واضحٌ في أنّها أتي عليها(١) ...) فيها نسأل الله العافية.

(من الطالب): عندنا زيادةٌ ـ أحسن الله إليك ـ: «مكظوم وكظيم: مغموم. وتدهن فيدهنون: ترخص فيرخصون».

(القارئ): هذا في الشرح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يمكن نسخةٌ، سهلٌ.

* *

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١](٢).

فهذه الآية تتعلَّق بالنميمة، تقدم الكلام في الغيبة وما فيها من الأحاديث، وما فيها من الشر والفساد وأنها تسبِّب العداوة والشحناء

(١) كلمة غير واضحة. لعلها: (وُقدوا فيها).

(٢) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٤/ ٢٦٥).

والبغضاء ونشر الفاحشة، وهذه النميمة أيضًا تسبِّب الشر والشحناء والعداوة والبغضاء بين الناس، وهي نقل الكلام السيئ من شخص إلى شخص، أو من قبيلة إلى قبيلة، أو من جماعة إلى جماعة، أو من أهل البلد إلى أهل بلد، كأن يقول: فلان يقول فيك: إنك بخيل، يقول فيك: إنك جبان، يقول فيك: إنك كذا وكذا مما يكره، ينقل الكلام السيئ، فذاك يجد في نفسه عند النقل، قد يبطش بالرجل، وقد يؤذيه وقد ينم عليه بأكثر، إلى غير ذلك، فهي طريق شر وطريق فساد؛ ولهذا قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ نهى الله نبيه أن يطيع هؤلاء الهمازين المشائين بالنميمة؛ لأنهم مفسدون؛ فالواجب الحذر منهم والإنكار عليهم إذا نقلوا يقول: لا تنقل إليَّ، ثم قال ﷺ: **«لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُم وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»**. فلا ينبغي للعاقل، بل لا ينبغي للمسلم أن ينقل الكلام السيئ فقد يتساهل بعض الناس يتكلم عندك بشيء فلا تنقله، تقول: قال فلان فيك، قال فلان فيك، أو في المرأة كذلك سواء رجل أو امرأة وقال ﷻ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] أقوالك مضبوطة محفوظة، مكتوب عليك فاحذر أن تتكلم بشيء يضرك، ويكتب في سيئات عملك، ويقول ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، فهم كرام يكتبون قولك وعملك فاحفظ هذا اللسان حتى لا تقول إلا خيرًا، يقول ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»** هذا هو الجماع، جماع السلامة إما خير وإما الصمت، يقول ﷺ: **«لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ»** في اللفظ الآخر: **«لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ»** متفق على صحته(١)، وقتَّات ونمَّام

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري من حديث حذيفة ﷺ في كتاب الأدب، ما يكره =

هو الذي ينقل الكلام السيئ من شخص إلى شخص، أو من جماعة إلى جماعة.

وهكذا قوله ﷺ إنه مرَّ على قبرين يعذبان وما يعذبان في كبير؛ يعني: كبير في اعتقادهما أو معنى شاق عليهما؛ يعني: شيء ما يكلف والعياذ بالله. قال: بلى إنه لكبير من كبائر الذنوب، «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ**»، في لفظ: «**لَا يتنزه مِنَ البَوْلِ**»، «**وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**». بيَّن ﷺ أنهما يعذبان في قبورهما بأسباب هذين الذَّنبين، عدم التنزه من البول، والمشي بالنميمة، «**ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا بِنِصْفَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً**»، فَقَالُوا: (يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟) فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**» هذا خاص بهما لا يقاس عليه غيرهما؛ يعني: الرسول ﷺ أطلعه الله على عذابهما ففعل هذا، أما بقية القبور لا نعرف عذابهما ولا نجعل عليهما جرائد؛ لأنه ﷺ لم يجعل في قبور البقية ولا غيرها جرائد، إنما جعل لهذين القبرين اللذين أطلعه الله على عذابهما، والشاهد قوله: «**وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»، فاحذر من النميمة، وأنها من أسباب عذاب القبر مع عذاب النار، نسأل الله العافية.

في الحديث يقول ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ**»؛ يعني: ما هو الشر أو ما هو القطع؛ يعني: ما هو الشيء الضار الكثيرة «**هِيَ النَّمِيمَةُ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**»؛ لأنها تعمل عمل الشر في التفريق بين الناس والشحناء والعداوة؛ فالعضه يطلق على السحر يطلق على النميمة يُطلق على الشيء الذي لا خير فيه؛ فالمعنى ألا أنبئكم عن الشر الكبير وهذا المنكر العظيم «**هِيَ النَّمِيمَةُ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**»؛ يعني: الفاشية بين الناس، كثير

= من النميمة برقم (٦٠٥٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة برقم (١٠٥).

من الناس يتلذذ بنقل الكلام السيئ، ويتلذذ بالغيبة، يتلذذ بكل شيء شر، طبيعته الشر؛ فلا يرتاح حتى ينقل الكلام السيئ، أو يغتاب الناس فاحذر أن تكون مثله؛ يعني: احذر إطلاق لسانك فيما يضرك، أو يسبب الشحناء والعداوة بين الناس كالنميمة والغيبة.

*

▢ تفسير قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم: ١٣][(١)].

حدّثنا محمودٌ، حدّثنا عبيد الله عن إسرائيل، عن أبي حصينٍ، عن مجاهدٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ قال: «رجلٌ من قريشٍ له زنمةٌ مثل زنمة الشّاة»[(٢)].

حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا سفيان، عن معبد بن خالدٍ قال: سمعت حارثة بن وهبٍ الخزاعيّ قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ، مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ، مُسْتَكْبِرٍ**»[(٣)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

(من الشّيخ): ماذا قال على **(عتلٍّ جوّاظ)** على الحديث أهل الجنّة وأهل النّار؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٦٦٣)]: «قوله: **(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ)**: بكسر العين وبفتحها، وهو

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ برقم (٤٩١٧).
(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ برقم (٤٩١٨)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٥٣).

أضعف. وفي رواية الإسماعيليّ: «مستضعفٌ»، وفي حديث عبد الله بن عمرٍو عند الحاكم: «الضّعفاء المغلوبون». وله من حديث سراقة بن مالكٍ: «الضّعفاء المغلوبون». ولأحمد من حديث حذيفة: «الضّعيف المستضعف ذو الطّمرين لا يؤبه له». والمراد بالضّعيف من نفسه ضعيفةٌ؛ لتواضعه وضعف حاله في الدّنيا، والمستضعف المحتقر لخموله في الدّنيا». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: وهذا يناسب الرّواية الأخرى: «**فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ**»(١)؛ لأنّ الفقراء في الغالب ليس عندهم أموالٌ ورئاساتٌ تمنعهم من قبول الحقّ، وهم أقرب إلى الحقّ، وهم أتباع الأنبياء، وأسبق النّاس إلى الأنبياء لعدم الموانع.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ:

«قوله: (**عتلٍّ**): بضمّ المهملة والمثنّاة بعدها لامٌ ثقيلةٌ، قال الفرّاء: الشّديد الخصومة. وقيل: الجافي عن الموعظة. وقال أبو عبيدة: العتلّ الفظّ الشّديد من كلّ شيءٍ، وهو هنا الكافر. وقال عبد الرّزّاق عن معمرٍ عن الحسن: العتلّ: الفاحش الآثم. وقال الخطّابيّ: العتلّ الغليظ العنيف. وقال الدّاوديّ: السّمين العظيم العنق والبطن». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: التّفسير الأخير ليس بشيءٍ، هذا إنّما هو من اجتمع فيه الصّفات الخبيثة الغليظ الجافي العنيد الجحود للحقّ المتكبّر. أمّا السّمن وعظم العنق ما له تعلّقٌ بهذا.

● **س: لفظة الحديث يا شيخ: «اللّهمّ أحيني مسكينًا»(٢)؟**

---

(١) متفق عليه من حديث حارثة الخزاعي، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝﴾ برقم (٤٩١٨)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب الزهد عن رسول ﷺ، باب ما =

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس بصحيحٍ.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقال الهرويّ: الجَموع: المنوع، وقيل: القصير البطن.

قلت: وجاء فيه حديثٌ عند أحمد من طريق عبد الرّحمن بن غنمٍ وهو مختلفٌ في صحّته قال: سئل رسول الله ﷺ عن العتلّ الزّنيم قال: «**هُوَ الشَّدِيدُ الْخَلْقِ، الْمُصَحَّحِ الْأَكُولُ الشَّرُوبُ الْوَاجِدُ لِلطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، الظَّلُومُ لِلنَّاسِ الرَّحِيبُ الْجَوْفِ**»». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: المقصود أنّ لفظة «العتلّ» هذه اللفظة الكريهة الشّديدة المشدّدة تدلّ على شَينٍ؛ ولهذا فسّر بما يدلّ على عنفه، من شدّته وعدم قبوله للحقّ، واستكباره عن اتّباعه؛ فهو جافٍ معرضٌ عن سماع العظة والذّكرى، جحودٌ منوعٌ جافٍ فيما يتعلّق بالشّرع، عنيفٌ في كلامه وخُلُقه؛ يعني: قد جمع الشّرّ كلّه، نسأل الله العافية.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قوله: (**جوّاظٍ**): بفتح الجيم وتشديد الواو، وآخره معجمةٌ، الكثير اللّحم المختال في مشيه، حكاه الخطابيّ. وقال ابن فارسٍ: قيل: هو الأكول، وقيل: الفاجر.

وأخرج هذا الحديث أبو داود عن عثمان بن أبي شيبة عن وكيع عن الثّوريّ بهذا الإسناد مختصرًا: «**لا يدخل الجنّة جوّاظٌ ولا جعظريٌّ**». قال: والجوّاظ: الفظّ الغليظ. انتهى. وتفسير الجوّاظ لعلّه من سفيان.

= جاء في فضل الفقر برقم (٢٣٥٢)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء برقم (٤١٢٦). قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

والجعظريّ بفتح الجيم والظّاء المعجمة بينهما عينٌ مهملةٌ، وآخره راءٌ مكسورةٌ، ثمّ تحتانيّةٌ ثقيلةٌ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «جعظريٌّ» عندك بالظّاء أخت الطّاء، وجواض[1] بالضاد أخت الصّاد (جواض).

(من الطّالب): لا، بالظّاء أخت الطّاء؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ:

«قيل: هو الفظّ الغليظ. وقيل: الّذي لا يمرض. وقيل: الّذي يتمدّح بما ليس فيه أو عنده. وأخرج الحاكم من حديث عبد الله بن عمر: أنه تلا قوله تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ إلى ﴿زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَهْلُ النَّارِ كُلُّ جَعْظَرِيٍّ جوَّاظٍ مُسْتكبرٍ**». [انتهى كلامه].

المعروف أنّ من طبيعة الكافر كثرة الأكل؛ لأنّه يأكل في سبعة أمعاءٍ كما في الحديث، من طبيعته لا همّ له إلّا بطنه وفرجه.

فالحاصل: أنّ هذه الصّفات صفات خبثٍ: «العتلّ، والجواظ، والمستكبر، والجعظريّ» كلّها تدور على الجفاء والعنف والشّدّة، واللّدد في الخصومة، والجفاء عن قَبول الحقّ، والتّكبّر والاختيال؛ فهي صفاتٌ كلّها ذميمةٌ، نعوذ بالله، نسأل الله العافية.

أما كونه مع ذلك أكولٌ شروبٌ، أو كذا هذا قد يقع، وكذلك كونه سمينًا كما جاء في الحديث: «**وَيَظْهَرُ فِيهِم السِّمَنُ**»[2]؛ لأنّ الإنسان إذا جفا وصار همّه الأكل والشّرب عظم جسمه؛ فسمِن في الغالب.

---

(١) وقعت في سمع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بالضاد (جواض).

(٢) متفق عليه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب =

وهكذا كونه قصيرًا وبطينًا أو نحو ذلك، هذا قد يقع، لكن ليس هو المقصود، المقصود عمله، المقصود كونه متكبّرًا، كونه جافيًا، كونه شديد الخصومة، لدد، لا يقبل الحقّ إلّا إذا وافق هواه وما أشبه ذلك من الخصال الّتي ذمّها الشّرع وعابها، نسأل الله العافية.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢][١].

حدّثنا آدم، حدّثنا اللّيث عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلالٍ، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسارٍ، عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: «**يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِئَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا**»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذه من آيات الصّفات، يكشف عن ساقٍ، ساقه سبحانه، مثل القدم، واليد والأصابع، كلّها يجب إثباتها لله على الوجه اللّائق به سبحانه وتعالى، ويقال في اللّغة العربية: كشفت الحرب عن ساقٍ؛ يعني: عن شدّةٍ، والمراد هنا: كشفه عن ساقه سبحانه، ليس المراد الشّدّة، المراد هنا:

= الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جَور إذا أُشهِد برقم (٢٦٥١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم برقم (٢٥٣٥).

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ برقم (٤٩١٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية برقم (١٨٣).

كشفه عن ساقه الّذي هو علامةٌ، يعرفه بها المؤمنون المتّبعون، يعرفون بها ربّهم؛ فيسجدون له، بخلاف المنافقين؛ فلا يستطيعون ذلك.

قوله: (**يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ**): وهذا عند أهل السّنّة والجماعة من صفات الله، يكشف عن ساقه: مثل القدم، والرّجل، واليد، والأصابع، كلّها صفات حقٍّ، كلّها يجب إثباتها لله رغم أنوف الجهميّة والمعتزلة ومن تشبّه بهم، يجب إثباتها لله، وأنّها حقٌّ، وأنّها من صفاته العظيمة اللّائقة به ﷻ، وإن كره الكافرون، والمبتدعون، والضّالّون.

وقال بعضهم في تفسير الآية: إنّ المراد بالآية ﴿سَاقٍ﴾؛ يعني: عن شدّةٍ، قامت الحرب على ساقٍ، هذا نعم معنى معروفٌ في اللّغة، لكن المراد هنا: الصّفة، وهي علامةٌ بين الرّبّ ﷻ وبين أهل الإيمان في الموقف، إذا أظهرها لهم سجدوا.

وأهل السّنّة والجماعة ما عندهم توقّفٌ فيما يثبت في النّصوص، كلّ ما ثبت في النّصوص أثبتوه لله سبحانه، على الوجه الّذي يليق به ﷻ، ليس عندهم في هذا تفصيلٌ ولا تفريقٌ؛ بل كلّ ما جاء في النّصوص الثّابتة فهو حقٌّ يجب إثباته لله على الوجه اللّائق بالله، فكما نثبت يدًا وأصابع وقدمًا كلّها تليق بالله، فهكذا ساقٌ على الوجه الّذي يليق بالله سبحانه، لا نشبّه الله بخلقه ﷻ.

وهكذا بقيّة الصّفات من السّمع، والبصر، والضّحك، والرّضا، والغضب، والمجيء، والنّزول، كلّها بابها واحدٌ، كلّها بابها واحدٌ عند أهل السّنّة والجماعة، يجب إمرارها كما جاءت، مع الإيمان بأنّه سبحانه لا شبيه له، ولا مثل له، ومع الإيمان بأنّها حقٌّ ليست مجازًا؛ بل حقٌّ ثابتةٌ لله ﷻ يجب إمرارها كما جاءت من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ، مثل بقيّة الصّفات سواء، الباب واحدٌ عند أهل

الحقّ، خلافًا للجهميّة والمعتزلة ومن سلك مسلكهم من الأشاعرة، والماترديّة، والكلّابيّة وغيرهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال الشّارح عليه؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٦٤)]: «قوله: (**باب**: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾): أخرج أبو يعلى بسندٍ فيه ضعفٌ عن أبي موسى مرفوعًا في قوله: : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: عن نورٍ عظيم؛ فيخرّون له سجّدًا. وقال عبد الرّزّاق عن معمرٍ عن قتادة في قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: عن شدّة أمرٍ. وعند الحاكم من طريق عكرمة عن ابن عبّاسٍ قال: هو يوم كربٍ وشدّةٍ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: :

هذا لا ينافي كونها صفةً، هو يوم كربٍ وشدّةٍ وكشفٍ عن ساقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا منافاة؛ فاليوم يومٌ عظيمٌ، ويوم أهوالٍ عظيمةٍ، ما في الدّنيا يوم أعظم من أهوال يوم القيامة، ما فيه شيء أعظم من أهوال يوم القيامة؛ حتّى يعرق النّاس عرقًا عظيمًا، يذهب في الأرض سبعين ذراعًا من عرق النّاس، من شدّة الهول، وحتّى يخوض النّاس في عرقهم، منهم من يبلغ عرقه قدمه، ومنهم من يبلغ عرقه ركبته، ومنهم من يبلغ عرقه حقوه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا؛ كالسّيل يخوض فيه، نسأل الله العافية.

فالأمر لا شكّ أنّه عظيمٌ، ولكن هذه الشّدّة يوم القيامة وهذه الأهوال لا تنافي أيضًا أنّه يومٌ يكشف الله فيه عن ساقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيكون هناك نورٌ على ما في رواية أبي يعلى الضعيفة[1] هذه، وهناك شدّة، وهناك أهوالٌ، وهناك كشفٌ عن ساقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا منافاة بين هذا وهذا.

(١) أشار لها الحافظ في الشرح.

• **س: المصرّ على تحريف السّاق؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد يعذر لجهله، ما بلغته السّنّة، وقد يكون لبّس عليه بسبب أنّه قلّد أئمةً كبارًا قالوا ما قال في الاعتقاد. مثل ما يقال في الأشاعرة، الرّاجح فيهم عدم الكفر؛ لأنّهم لبّس عليهم الأمر.

والتقليد هذا أمره عظيمٌ، التّقليد له آثارٌ شنيعةٌ في قلوب النّاس، تقليد الكبار، وتقليد العظماء، وتقليد الشّيوخ له شأن كبير في الخطر، نسأل الله السّلامة.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قال الخطّابيّ: فيكون المعنى: يكشف عن قدرته الّتي تنكشف عن الشّدّة والكرب، وذكر غير ذلك من التّأويلات كما سيأتي بيانه عند حديث الشّفاعة مستوفىً في كتاب الرّقاق إن شاء الله تعالى.

ووقع في هذا الموضع: (**يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ**)، وهو من رواية سعيد بن أبي هلالٍ عن زيد بن أسلم، فأخرجها الإسماعيليّ كذلك، ثمّ قال في قوله: (**عن ساقه**) نكرةٌ، ثمّ أخرجه من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم بلفظ: «يكشف عن ساقٍ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأخيرة (عن ساقٍ)؟

(**من القارئ**): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد يكون العكس، الأوّل عن (ساقٍ) نكرةٌ غير مضافٍ، والثّانية هي الّتي فيها الإضافة.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قال الإسماعيليّ: هذه أصحّ؛ لموافقتها لفظ القرآن في الجملة، لا يظنّ أنّ الله ذو أعضاءٍ وجوارحٍ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

سبحان الله! مع جلالة كثيرٍ منهم، ومع عظمة فهمه، ثمّ يقع في هذه البلاوي، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لا يظنّ أنّ الله ذو أعضاءٍ وجوارحٍ؛ لما في ذلك من مشابهة المخلوقين، تعالى الله عن ذلك ليس كمثله شيء». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أثبتها وقل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ما عليك منهم، أعوذ بالله، نسأل الله العافية. أجّلها إلى الشفاعة، في الرّقاق.

- **س: كلام الخطّابي ـ عفا الله عنك ـ على منوال كلام الإسماعيليّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كلّهم ابتلوا بهذا، أقول: كلّ هذه بلاوٍ؛ لأنّ مذهب الأشاعرة اشتهر في زمانهم، مذهب أبي الحسن الأشعريّ وجماعةٍ من المعتزلة.

- **س: يا شيخ لم يستشهد بالذي أثبت الصّفة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول أجّله. على كلّ حالٍ ينبغي أن تعلموا أنّ هذه الأمور وإن كان من قال بعض هذه الأشياء عظيمًا لمسائل أخرى في حفظه أو في كلامه في الحديث، أو فيما يتعلّق بمعرفته كلام أهل العلم، أو شهرته بين النّاس، مهما كانت حاله فهذه الأوهام لا يلتفت إليها منه مهما عظم الرّجل، ومهما عرف عنه من العلم والمنزلة، فإنّ الأوهام لا تقبل ممّن يهم ويغلط؛ فيقال فيه ما يستحقّ من معرفة قدره وفضله، ولكن قصارى ما يقال فيه: إنّه معذورٌ؛ لالتباس الأمور عليه، وإلّا فأهل السّنّة من الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن بعدهم كالتّابعين، وأتباع التّابعين، والأئمة الأربعة وأشباههم ممن كان في زمانهم كإسحاق بن راهويه وأشباههم: هؤلاء

عرفوا هذه المسائل وأقرّوها وأمرّوها كما جاءت، مثل ما قال مالكٌ رَحِمَهُ اللهُ: «الاستواء معلومٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ». وهكذا قال الأوزاعيّ، وأحمد، وإسحاق، والثّوريّ، وغيرهم: نمرّها كما جاءت، أمرّوها كما جاءت بلا كيفٍ.

وقد بسط المقام الإمام الجليل أبو العبّاس في «الحمويّة» بسطًا جيّدًا عظيمًا، وكتاب «الحمويّة» كتابٌ كبيرٌ عظيمٌ في المعنى، نقل فيه كلام أهل السّنّة الجماعة، وردّ على أهل البدع نقلًا وعقلًا.

- **س: الإسماعيليّ ـ عفا الله عنك ـ أليس من أهل السّنّة والجماعة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

من رواة البخاريّ، وهو معروفٌ بالعلم والفضل، وله شأنٌ، ولكن غلط في هذا ـ الله المستعان ـ ممّن خرّج أحاديث البخاريّ.

وهذا أيضًا يوجب للإنسان التثبت في الأمور والحذر، فإذا كان هؤلاء الكبار زلّوا في مسائل واضحةٍ عظيمةٍ، وبيّنة في النّصوص، ومع هذا زلّوا، فأنت الّذي لا تبلغ عشير معشار ما عندهم من العلم احذر أن يصيبك ما أصابهم.

واحذر من الأغلاط الّتي وقعوا فيها، وعليك بالتّمسّك بما قاله الأوّلون قبلهم، أهل السّنّة والجماعة قبلهم، الصّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ومن سلك سبيلهم، وهو ما دلّ عليه كتاب الله، وسنّة رسوله ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، عضّ عليه بالنّواجذ.

الزم ذلك، ولا تبال بعد ذلك بمن خالف، ولو خالفك جميع أهل القرون المتأخّرة، ولو خالف النّاس كلهم، ما دمت على الصّواب والحقّ؛ فأنت على خيرٍ عظيمٍ، ولا يضرّك من خالفك، مثل ما قال ابن مسعودٍ لعمرو بن ميمون رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لما سأله من الجماعة قال: «الجماعة من كان على الحقّ ولو كنت وحدك». يقوله ابن مسعودٍ لعمرو بن ميمونٍ

الأوديّ رضي الله عنهما: «الجماعة ما وافق الحقّ، وإن كنت وحدك»[1]، الله المستعان.

ومثل ما قال النّبيّ ﷺ لحذيفة رضي الله عنه لمّا سأله عن أشياء وقال: كان النّاس يسألونه عن الخير وكنت أسأل عن الشّرّ؛ مخافة أن يدركني. قال في آخر حديثه: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِيْن وَإِمَامَهُمْ**»، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَو أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوت وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**». خرّجه البخاريّ ومسلم في «الصّحيحين»[2].

يعني: اعتزل الباطل وأهله، ولو كانوا أهل الأرض جميعًا، لو كانوا أهل الأرض فالتزم بالحقّ، واشدد عليه، وعضّ عليه بالنّواجذ حتّى يأتي الموت حتّى ينزل بك الموت.

- **س: قوله: «متضعّف»، معنى المتضعّف؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

محتملٌ المراد ضعيف متضعّف؛ يعني: الّذي قد ظهر ضعفه وتبيّن ضعفه بما ظهر عليه من الحاجة، ومع هذا استقام على الحقّ، ولم تدفعه حاجته إلى ما حرّم الله؛ بل مع ضعفه وإظهاره ضعفه وعدم خفائه لم تدفعه الحاجة إلى ما حرّم الله؛ بل ثبت على الحقّ، واستقام عليه، مع شدّة الحاجة والفقر، بخلاف بعض النّاس، فإنّه قد يحمله ضعفه وحاجته على ما حرّم الله.

---

(١) رواه اللالكائي في: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (١٦٠).

(٢) متفق عليه من حديث حذيفة بن اليمان، أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام برقم (٣٦٠٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة برقم (١٨٤٧).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: راجع: كلام الشّارح عليه؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٦٣)]: «قوله: (**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ**): بكسر العين وبفتحها، وهو أضعف. وفي رواية الإسماعيليّ: «مستضعفٌ»، وفي حديث عبد الله بن عمرٍو عند الحاكم: «الضّعفاء المغلوبون». وله من حديث سراقة بن مالكٍ: «الضّعفاء المغلوبون». ولأحمد من حديث حذيفة: «الضّعيف المستضعف ذو الطّمرين لا يؤبه له». والمراد بالضّعيف من نفسه ضعيفةٌ؛ لتواضعه وضعف حاله في الدّنيا، والمستضعف المحتقر؛ لخموله في الدّنيا.

قوله: (**عُتُلٍّ**): بضمّ المهملة والمثنّاة بعدها لامٌ ثقيلةٌ، قال الفرّاء: الشّديد الخصومة. وقيل: الجافي عن الموعظة. وقال أبو عبيدة: العتلّ الفظّ الشّديد من كلّ شيءٍ، وهو هنا الكافر. وقال عبد الرّزّاق عن معمرٍ عن الحسن: العتلّ: الفاحش الآثم. وقال الخطّابيّ: العتلّ الغليظ العنيف. وقال الدّاوديّ: السّمين العظيم العنق والبطن.

وقال الهرويّ: الجموع المنوع، وقيل: القصير البطن.

قلت: وجاء فيه حديثٌ عند أحمد من طريق عبد الرّحمن بن غنمٍ وهو مختلفٌ في صحّته قال: سئل رسول الله ﷺ عن العتلّ الزّنيم قال: «**هُوَ الشَّدِيدُ الْخَلْقِ، الْمُصَحَّحِ الْأَكُولُ الشَّرُوبُ الْوَاجِدُ لِلطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، الظَّلُومُ لِلنَّاسِ الرَّحِيبُ الْجَوْفِ**»(١).

قوله: (**جَوَّاظٍ**): بفتح الجيم وتشديد الواو، وآخره معجمةٌ، الكثير اللّحم المختال في مشيه، حكاه الخطابيّ. وقال ابن فارسٍ: قيل: هو الأكول، وقيل: الفاجر.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الرحمن بن غنم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤/ ٢٢٧).

وأخرج هذا الحديث أبو داود عن عثمان بن أبي شيبة عن وكيع عن الثّوريّ بهذا الإسناد مختصرًا: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ جَوَّاظٌ وَلَا جَعْظَرِيٌّ**». قال: والجوّاظ: الفظّ الغليظ. انتهى. وتفسير الجوّاظ لعلّه من سفيان.

والجعظريّ بفتح الجيم والظّاء المعجمة بينهما عينٌ مهملةٌ وآخره راءٌ مكسورةٌ، ثمّ تحتانيّةٌ ثقيلةٌ.

قيل: هو الفظّ الغليظ. وقيل: الّذي لا يمرض. وقيل: الّذي يتمدّح بما ليس فيه أو عنده. وأخرج الحاكم من حديث عبد الله بن عمر: أنه تلا قوله تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ إلى ﴿زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَهْلُ النَّارِ كُلُّ جَعْظَرِيٍّ جواظٍ مُسْتكبرٍ**». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

المقصود أنّها صفاتٌ ذميمةٌ، جوّاظٌ وعتلٌّ؛ يعني: أنّه كافرٌ مستكبرٌ، كافرٌ مُعرِضٌ عن الحقّ، ولهذا وصفه بالاستكبار أيضًا، وأما ضعيفٌ مضعّفٌ متضعّف، فهذا محلّ نظرٍ، أمّا إذا قرئ مضعّف ومستضعف زال الإشكال؛ يعني: يعرف النّاس ضعفه، ويعتبرونه ضعيفًا، وهو من أهل الحقّ والسّعادة والصّبر، أما متضعّف فهو محلّ الإشكال، أما رواية مستضعف، ومضعّف فما فيها إشكالٌ، كلّ ضعيفٍ متضعّف هو محلّ الإشكال.

فالمتضعّف ـ والله أعلم ـ هو المُظهِر لضعفه، وليس فيه خفاءٌ؛ بل هو مظهرٌ له مبيّنٌ له، ومع هذا لم يحمله هذا الضّعف الظّاهر على فعل الباطل أو ترك الحقّ، بل هو مستقيم على الحقّ والهدى مع ضعفه الظّاهر الّذي لا شكّ فيه، ومع كون النّاس يستضعفونه أيضًا، ويعرفون ضعفه، ومع هذا فهو مستقيم على الحقّ، ثابتٌ على الحقّ، لم يحمله فقره إلى الميل إلى الباطل، أو استحلاله للحرام، أو كثرة السّؤال إلى النّاس.

• **س: يوم يكشف عن ساقٍ، ذكر الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ بعض الآثار، ثمّ قال (٨/ ٦٦٤): «هذه أصحّ؛ لموافقتها لفظ القرآن في الجملة لا يظنّ أنّ الله ذو أعضاءٍ وجوارحٍ؛ لما في ذلك من مشابهة المخلوقين»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا جهلٌ، هذا غلطٌ منه كأشباهه، الواجب إثبات صفات الله على الوجه اللّائق بالله، فله اليد، وله الرجل، وله العين، وله الوجه، وله الساق على الوجه اللّائق بالله سبحانه، كلّ ما جاء في النّصوص يجب إثباته على الوجه اللّائق بالله؛ من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تمثيلٍ، ساقٌ لا كساق المخلوقين، ويدٌ لا كأيديهم، وقدمٌ لا كأقدامهم، وعينٌ لا كأعينهم، وسمعٌ لا كأسماعهم، وبصرٌ لا كأبصارهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ولم يكنْ لَهُ كفوًا أحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

• **س: عفا الله عنك، إذا أوّلناها بالشّدّة وبالقوّة، فهذا من التّأويل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم نعم، هذا في اللّغة، في السّاق، كشفت الحرب عن ساقٍ: عن شدّةٍ، لكن المراد هنا صفةٌ خاصّةٌ، وهي كشف الرّبّ عن ساقه جَلَّ وَعَلَا.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾(١).

س: قرأت في تفسير الصابوني عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ فأوّلها وقال: في الحديث: «**يسجد لله كل مؤمن ومؤمنة**»، ولما رجعت إلى صحيح البخاري وجدت الحديث يقول: «**يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ**

(١) من فتاوى الحج، الشريط الرابع.

سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِئَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا»(١).

• **فقد حذف الصابوني الجزء الأول من الحديث، فهل يجوز له ذلك؟ وماذا يسمى هذا العمل، ولا سيما إذا كان متعمدًا؟**

○ **الجواب**: على كل حال هذا خطأ وغلط، والواجب عليه وعلى غيره بيان الحق. فالحديث: «**يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ**» العلماء اختلفوا في الآية (عن ساقه)، قال بعضهم: عن شدة، ولكن جاء في الحديث الصحيح فسَّر الآية بما لا يجوز معه خلاف الحديث، والمعنى: يكشف عن ساقه.

والله ﷻ يوصف بذلك على الوجه اللائق به ﷻ، كما يوصف بالوجه واليد والقدم والأصابع والعين، كذلك يوصف بالساق على الوجه اللائق به ﷻ لا يشابه الخلق في شيء من صفاته، ولا يجوز للعالم أن يخفي الحق، أو يتأول التأويل الباطل. والله المستعان.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢﴾ [القلم: ٤٢](٢).

الرسول ﷺ فسَّرها بأن المراد: يوم يجيء الرب يوم القيامة، ويكشف لعباده المؤمنين عن ساقه، وهي العلامة التي بينه وبينهم ﷻ، فإذا كشف عن ساقه عرفوه وتبعوه.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد رضي الله عنه في كتاب التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] برقم (٤٩١٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية برقم (١٨٣).

(٢) سؤال طُرِح على سماحته رحمه الله بعد محاضرة بمكة بجامعة أم القرى، ونُشِر في (مجلة الدعوة)، العدد: ١٧١٨، وتاريخ ١٠/٨/١٤٢٠هـ.

وإن كانت الحرب يقال لها: كشفت عن ساق، إذا اشتدت، وهذا معنى معروف لغويًّا قاله أئمة اللغة.

ولكن في الآية الكريمة، يجب أن يُفسَّر بما جاء في الحديث الشريف، وهو كشف الرب عن ساقه ﷻ، وهذه من الصفات التي تليق بجلال الله وعظمته، لا يشابهه فيها أحد ﷻ، وهكذا سائر الصفات؛ كالوجه واليدين والقدم والعين، وغير ذلك من الصفات الثابتة بالنصوص.

ومن ذلك: الغضب والمحبة والكراهة وسائر ما وصف به نفسه سبحانه في الكتاب العزيز، وفيما أخبر به عنه النبي ﷺ.. كلها صفات حق، وكلها تليق بالله ﷻ لا يشابهه فيها أحد سبحانه وبحمده، كما قال تعالى: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

وهذا هو قول أهل السُّنَّة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان من أئمة العلم والهدى.



تفسير سورة الحاقَّةِ(١)

﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [٢١]: يريد فيها الرِّضا، ﴿ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [٢٧]: الموتة الأولى الَّتي متّها، ثمّ أحيا بعدها، ﴿مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾ [٤٧]: أحدٌ يكون للجمع وللواحد، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿ٱلْوَتِينَ﴾ [٤٦]: نياط القلب، قال ابن عبّاسٍ: ﴿طَغَا﴾ [١١]: كثر، ويقال: ﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [٥]: بطغيانهم، ويقال: طغت على الخزّان، كما طغى الماء على قوم نوحٍ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(**من الطالب**): أحسن الله إليك، فيه زيادة: «حسومًا: متتابعةً»، في نسخة العينيّ، ذكر ـ أحسن الله إليك ـ أنّها رواية أبي ذرٍّ، قال: وهذه هي الأصحّ، والظّاهر أن النّاسخ صحّف (لم) بـ(ثمّ).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال عندك؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٦٤)]: «قوله: (والقاضية الموتة الأولى الّتي متّها) لم أحي بعدها: كذا لأبي ذر ولغيره (**ثمّ أحيي بعدها**)، والأوّل أصحّ، وهو قول الفرّاء». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هي الأظهر، «لم أحي» ﴿يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾﴾؛ يعني: القاضية الموتة الّتي ما بعدها حياةٌ، لم يحيى بعدها ناسٌ.

(**من قارئ «العمدة»**): عندنا زيادة عفا الله عنك (١٩/ ٢٥٩):

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

«وغسلينٍ: ما يسيل من صديد أهل النّار، وقال غيره: من غسلينٍ: كلّ شيء غسلته فخرج منه شيء فهو غسلينٌ، فعلينٌ من الغسل من الجرح والدّبر، أعجار نخلٍ: أصولها، باقيةٍ: بقيةٍ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نبّه عليه الشّارح أنّه نسخة؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٦٥)]: قوله: وغسلين ما يسيل من صديد أهل النّار: كذا ثبت للنّسفيّ وحده عقب قوله: ﴿ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾، وهو عند أبي نعيمٍ أيضًا، وهو كلام الفرّاء قال: في قوله: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦] يقال: إنّه ما يسيل من صديد أهل النّار.

قوله: وقال غيره: من غسلينٍ: كلّ شيءٍ غسلته فخرج منه شيءٌ فهو غسلينٌ، فعلينٌ من الغسل مثل الجرح والدّبر: كذا للنّسفيّ وحده هنا». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طيب ضع نسخة.

*

تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ الآيات [الحاقة: ١٩][1].

هذه الآية الكريمة تدل على شرعية البداءة باليمين واستعمال اليمين فيما هو أشهر بالتكريم والتقدير والعناية؛ كالأكل والشرب، والمصافحة، والأخذ والعطاء، واللُّبس، والترجل، والوضوء، والغسل، ونحو ذلك ودخول المسجد، والخروج من الخلاء، وما أشبه ذلك مما هو جدير بالتكريم يبدأ فيه باليمين، الله مدح أهل اليمين، وأعطى أهل الحق كتابهم بأيمانهم، كما قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٣/ ٦٦).

كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٤]. قال ﷻ: ﴿فَأَصْحَٰبُ الْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨] تعظيمًا لشأنهم وإظهارًا لفضلهم فاليمين لها صفة التقديم، والبُداءة باليمين كذلك، فيبدأ باليمين، وتستعمل اليمين فيما هو مقصود لذاته وما هو جدير بالتكريم والعناية كما تقدم من الوضوء، والغسل، والأكل والشرب، والمصافحة، والأخذ والعطاء ونحو ذلك، واليسار يكون لضد ذلك من المفضولات، والمستكرهات والقذر والأذى، كله يكون باليسار، هذا من الآداب الإسلامية والآداب الشرعية.

قالت عائشة ﵂: (**كَانَ رسولُ الله ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ في شَأنِهِ كُلِّهِ: في طُهُورِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَتَنَعُّلِهِ**)(١). تنعله يبدأ باليمين، طُهُورِهِ يبدأ باليد اليمنى والرجل اليمنى، ترجُّله يسرح رأسه يبدأ بالشق الأيمن قبل الأيسر، هكذا في الحلق يبدأ بالأيمن قبل الأيسر، وهكذا تقول ﵂: (**كَانَتْ يَد رسول الله ﷺ اليُمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتِ اليُسْرَى لِخَلائِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أذىً**)، هذا يدل على أن اليسار لما يُستقذر ولما هو مكروه، واليمين لما هو فاضل ومقصود.

هكذا **حديث أم عطية** في قصة غسل زينب حَيْثُ أَمَرَهَا أَنْ تَغْسِلَ ابْنَتَهُ قَالَ لَهَا: «**ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا**».

ومنها **حديث أبي هريرة**: «**إِذَا تَوَضَّأْتُم فَابْدَؤُوا بِمَيَامِنِكُمْ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب التيمُّن في الوضوء والغسل برقم (١٦٨)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب التيمن في الطهور وغيره برقم (٢٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس، باب في الانتعال برقم (٤١٤١)، والترمذي في كتاب اللباس، باب جاء في القُمص برقم (١٧٦٦) بلفظ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا لَبِسَ قَمِيصًا بَدَأَ بِمَيَامِنِهِ**». بزيادة: «**إِذَا لَبِسْتُمْ**»، وباللفظ المستشهد به أخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة، باب التيمن في الوضوء برقم (٤٠٢).

هكذا في حديث أبي هريرة يقول ﷺ: **«إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِاليَمِينِ وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ لِتَكُنِ اليَمِينُ أَوَّلَهُمَا يَنْتَعِلُ وَآخِرَهُمَا يَنْزِعُ»**.

وقال لعمر بن أبي سلمة رضي الله عنه: **«يَا غُلَامُ سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»**[١].

والأحاديث في هذا كثيرة، فينبغي للمؤمن أن يتأدب بالآداب الشرعية في كل شيء: يأكل بيمينه، ويشرب بيمينه، ويصافح بيمينه، ويأخذ ويعطي بيمينه، وإذا توضأ كذلك يبدأ باليمين، والغسل يبدأ بالشق اليمين، وإذا حلق يبدأ بالشق الأيمن، وإذا دخل المسجد يبدأ باليمنى، وإذا خرج يبدأ باليسرى، وهكذا إذا انتعل يبدأ باليمنى ولبس السراويل، يبدأ بالكم الأيمن، وفي الخلع يبدأ بالأيسر، كل شيء له يمين وشمال يبدأ باليمين في اللبس، ويبدأ باليسار في الخلع، والله ﷻ شرع لنا الآداب الشرعية وجَبَل نبينا ﷺ على خلق عظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]؛ أي: بالأخلاق العظيمة الأكل باليمين واستعمال اليمين فيما هو مقصود وفاضل، واستعمال اليسرى فيما سوى ذلك، وتارة يتعاونان يتعاون هذه مع هذه تعاون اليمنى مع اليسرى تعاضد؛ كتكبير رفع اليدين عند الإحرام وعند الركوع وعند الرفع منه يرفعهما جميعًا متعاونتين كلتاهما، وعند القيام في التشهد الأول إلى الثالثة يرفعهما جميعًا ويضعهما جميعًا حيال المنكبين وحيال أُذنيه عند السجود ويضع اليمنى على اليسرى حال الوقوف على صدره، هكذا يرفعهما في الاستسقاء إذا استسقى رفع يديه يستسقي يطلب الغيث جميعًا، ويستعملهما جميعًا عند

---

(١) متفق عليه من حديث عمر بن أبي مسلمة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين (٥٣٧٦)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها برقم (٢٠٢٢).

الحاجة ويبدأ باليمين، ويستعمل اليمين فيما يكتفى باليمين بأشياء مقصودة وكريمة، وباليسار في الأشياء المقصودة ويستعملهما جميعًا عند الحاجة إلى ذلك، كما في رفعهما عند الركوع وعند الرفع وعند تكبيرة الإحرام وعند القيام من التشهد الأول وعند رفعهما في الاستسقاء، وفي غير ذلك من الشؤون التي تحتاج إلى تعاونهما؛ كحمل الأثقال وربط الحبال ونحو ذلك مما يحتاج اليمين واليسار.



تفسير سورة المعارج(١)

الفصيلة أصغر آبائه القربى، إليه ينتمي من انتمى، ﴿لِّلشَّوَىٰ﴾ [١٦]: اليدان، والرجلان، والأطراف، وجلدة الرأس، يقال: لها شواة، وما كان غير مقتل، فهو شوىً، ﴿عِزِينَ﴾ [٣٧]: والعزون: الحلق، والجماعات، وواحدها عزة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

(**من الطّالب**): هنا زيادة «في «عمدة القارئ» (١٩/ ٢٦٠)»: «يوفضون: الإفاض الإسراع».

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٦٥)]: «قوله: يوفضون: الإيفاض الإسراع: كذا للنّسفيّ هنا وحده، وهو كلام الفرّاء، وقد تقدّم في الجنائز.

قوله: وقرأ الأعمش وعاصمٌ: «إلى نصبٍ»؛ أي: إلى شيءٍ منصوبٍ يستبقون إليه، وقراءة زيد بن ثابتٍ: إلى نصبٍ، وكأنّ النّصب الآلهة الّتي كانت تعبد، وكلٌّ صوابٌ، والنّصب واحدٌ، والنّصب مصدرٌ، ثبت هذا هنا للنّسفيّ، وذكره أبو نعيمٍ أيضًا. وقد تقدّم بعضه في الجنائز، وهو قول الفرّاء بلفظه، وزاد في قراءة زيد بن ثابتٍ برفع النّون، وبعد قوله: الّتي كانت تعبد من الأحجار. قال: النّصب والنّصب واحدٌ

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

وهو مصدرٌ والجمع أنصابٌ. انتهى. يريد أنّ الّذي بضمّتين واحدٌ لا جمعٌ مثل حقبٍ واحد الأحقاب». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: شيء منصوب يعني، يستبِقون إليه.



سورة نُوحٍ(١)

﴿أَطْوَارًا﴾ [١٤]: طورًا كذا، وطورًا كذا، يقال: عدا طوره؛ أي: قدره، والكبّار: أشدّ من الكبار، وكذلك جمّالٌ، وجميلٌ؛ لأنّها أشدّ مبالغةً، وكبّارٌ الكبير، وكبارًا أيضًا بالتّخفيف، والعرب تقول: رجلٌ حسّانٌ، وجمّالٌ، وحَسَانٌ، مخفّفٌ، وجمالٌ، مخفّفٌ، ﴿دَيَّارًا﴾ [٢٦]: من دورٍ، ولكنّه فيعالٌ من الدّوران، كما قرأ عمر: (الْحَيُّ الْقَيَّامُ) [البقرة: ٢٥٥]، وهي من قمت، وقال غيره: ﴿دَيَّارًا﴾: أحدًا، ﴿تَبَارًا﴾ [٢٨]: هلاكًا، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿مِّدْرَارًا﴾ [١١]: يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، ﴿وَقَارًا﴾ [١٣]: عَظَمَةً.

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ [نوح: ٢٣].

حدّثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشامٌ، عن ابن جريجٍ، وقال عطاءٌ: عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: «صارت الأوثان الّتي كانت في قوم نوحٍ في العرب بعد، أمّا ودٌّ، فكانت لكلبٍ بدومة الجندل، وأمّا سواعٌ، فكانت لهذيلٍ، وأمّا يغوث، فكانت لمرادٍ، ثمّ لبني غطيفٍ بالجرف عند سبأ، وأمّا يعوق، فكانت لهمدان، وأمّا نسرٌ، فكانت لحِمْير؛ لآل ذي الكلاع، أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوحٍ، فلمّا هلكوا، أوحى

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

الشّيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم الّتي كانوا يجلسون أنصابًا، وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد، حتّى إذا هلك أولئك، وتنسّخ العلم عُبِدت»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: كذا (تنسّخ) كذا عندكم بالتاء؟

(من الطلاب): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ماذا قال عليه الشّارح؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٦٦٩)]: «قوله: **(فلم تعبد حتّى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم)**: كذا لهم، ولأبي ذرٍّ والكشميهنيّ: «ونسخ العلم»؛ أي: علم تلك الصّور بخصوصها. وأخرج الفاكهيّ من طريق عبيد الله بن عبيد بن عميرٍ قال: أوّل ما حدثت الأصنام على عهد نوحٍ وكانت الأبناء تبرّ الآباء؛ فمات رجلٌ منهم فجزع عليه؛ فجعل لا يصبر عنه، فاتّخذ مثالًا على صورته، فكلّما اشتاق إليه نظره، ثمّ مات، ففعل به كما فعل، حتّى تتابعوا على ذلك فمات الآباء، فقال الأبناء: ما اتّخذ آباؤنا هذه إلّا أنّها كانت آلهتهم فعبدوها.

وحكى الواقديّ قال: كان ودٌّ على صورة رجلٍ، وسواعٌ على صورة امرأةٍ، ويغوث على صورة أسدٍ، ويعوق على صورة فرسٍ، ونسرٌ على صورة طائرٍ. وهذا شاذٌّ، والمشهور أنّهم كانوا على صورة البشر». [انتهى كلامه][٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: وأنت عندك في النسخة الأخرى.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ برقم (٤٩٢٠).

(٢) وجاء في القراءة الثانية: (من الشيخ): كذا عندك (تنسخ) تاء نون؟
(من القارئ): نعم في المتن.

(من الطالب): كذا أحسن الله إليك قال في حاشية العمدة (١٩/ ٢٦٣): «قوله: **(وتنسّخ)** بلفظ الماضي من التفعيل؛ أي: تغير علمهم بصورة الحال وزالت معرفتهم بذلك، وفي رواية أبي ذر عن الكشميهني، ونسخ العلم فحينئذٍ **(عبدت)** على صيغة المجهول. وحاصل المعنى: أنّهم لما ماتوا وتغيّرت صورة الحال، وزالت معرفتهم جعلوها معابيد بعد ذلك». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن بازٍ رحمه الله: قول الواقديّ ليس بشيءٍ، وإنّما هي أسماء رجالٍ صالحين صوّرت، مثل ما قال ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، صوّروهم وعبدوهم بعد ذلك، صوّروهم شوقًا لهم، وتعظيمًا لهم، ومحبّةً لهم، ثمّ تغيّرت الأحوال حتّى عبدوهم من دون الله. نسأل الله العافية.

وهكذا الصّور، يتصوّرون لأسبابٍ، ثمّ تعبد؛ ولهذا قال النّبيّ ﷺ في قصّة أمّ سلمة وأمّ حبيبة رضي الله عنهما لما ذكرتا له الكنيسة في أرض الحبشة قال: «**أُولَئِك إِذَا مَاتَ مِنْهُم الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، ثُمَّ صَوَّرُوا فِيْهِ تِلْكَ الصُّورَةَ أُولَئِك شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ**»(١).

ومن العجائب والغرائب كيد الشّيطان ونوّابه، كونهم هلكوا، وقد طغى عليهم الماء، وأغرقهم الماء وأصنامهم، ثمّ نقّب عنها عدوّ الله ونقّب عنها نوّابه حتّى جمعوها وبثّوها في العرب؛ فصار هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا.

هذا من العجائب والغرائب والدّلائل على حرص عدوّ الله الشّيطان والشّياطين الآخرين على نشر الشّرّ والفساد، والتّنقيب عنه؛ حتّى يوقعوا النّاس في الضّلالة.

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب بناء المسجد على القبر برقم (١٣٤١)، ومسلم في كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد برقم (٥٢٨).

أصنام طما عليها الماء طمت عليها الآثار بعد الماء، ثمّ ينقّب عنها وتطلب وتوجد وتنشر وتوزّع، سبحان الله! ما أعظم شأنه! الله أكبر.

لله الحكمة، ابتلاءٌ وامتحانٌ ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠]، الله أكبر، ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٥٣]. الله المستعان.

• **س: يدلّ على هذا روايتها هي نفسها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم، أسماء رجالٍ صالحين، صوّرت عليهم، الآن الشّيطان يبثّ جنوده هذا يسأل يقول... صورةٌ لأبي، وهذه صورةٌ لزوجي، وهذا صورةٌ لكذا تذكار؛ هذا بسبب الشّيطان ونوّاب الشّيطان، كما فعله في الأوّلين، فعله في الآخرين.

• **س: أحسن الله إليك، كثيرٌ ممّن ينقّبون عن الآثار يجمعون هذه الأصنام، ويجعلونها في متحفٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يجب تحطيمها، يجب إتلافها إذا وجدت، وقد كتبنا في هذا لولاة الأمور، وأنّه لا يجوز استبقاء شيءٍ منها أبدًا؛ بل يجب ما يوجد من هذا يحطّم ويتلف، ولا يجوز أن يبقى شيءٌ من جهة الآثار، هذه من مكائد الشّيطان.

• **س: الدّراسة مثلًا للأزمنة القديمة يستفاد من الآثار؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما فيها فائدةٌ، بل فيها الشّرّ والفساد، يستفيدون مما عندهم، عندهم الاختراعات الجديدة أفضل ممّا كان سابقًا، الاختراعات الّتي

أفادت النّاس الآن تنفعهم، إذا أرادوها. أمّا آثار الشّرك، وآثار الفساد فلا يجوز بقاؤها؛ بل يجب القضاء عليها.

النّبيّ ﷺ بعث عليًّا كما في «صحيح مسلم» قال: «**أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**»(١)، وبعث عليٌّ أبا الهيّاج كذلك في ولايته كما بعثه النّبيّ ﷺ على ذلك.

وفي حديث جابرٍ رضي الله عنهما أن النّبيّ ﷺ نهى عن الصورة في البيت، وأن يصنع ذلك.

وهذا يدلّ على عظم خطر الصّور، ولا سيّما صور المعظّمين والعبّاد؛ فهو وسيلةٌ للشّرك، كما فعل قوم نوحٍ؛ لمّا وجدوا هذه الصّور وهذه الأجسام الّتي على صور الصّالحين؛ عظّموها ودسّ عليهم الشّيطان أن يدعوها ويستغيثوا بها، نسأل الله العافية، حتّى وقع الشّرك.

فالواجب على ولاة الأمور الحذر من وسائل الشّرك، والقضاء عليها؛ حتّى لا يقع الشّرك كما وقع في قوم نوحٍ عليه السلام، فسدّ الذّرائع من أهمّ المهمّات.

● **س: هل هذا يختصّ بالصّور المجسّمة الّتي تجسّم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: عامٌّ، المجسّمة وغير المجسّمة.



(١) أخرجه مسلم من حديث أبي الهياج حيان بن حصين رضي الله عنه في كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر برقم (٩٦٩).

تفسير آيات من سورة الجن(١)

قال ابن عبّاسٍ: ﴿لِبَدًا﴾ [١٩]: أعوانًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال الشّارح على (لبدا) أعوانًا؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٧٠)]: «قوله: **(قال ابن عبّاسٍ: ﴿لِبَدًا﴾ أعْوَانًا)**: هو عند التّرمذيّ في آخر حديث ابن عبّاس المذكور في هذا الباب، ووصله ابن أبي حاتمٍ من طريق عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عبّاسٍ هكذا. وقراءة الجمهور ـ بكسر اللّام وفتح الباء ـ وهشامٍ وحده ـ بضمّ اللّام وفتح الموحّدة ـ فالأولى جمع: لبدةٍ، بكسرٍ ثمّ سكونٍ ـ نحو قِربةٍ، وقِرَبٍ واللّبدة واللّبد الشّيء الملبّد؛ أي: المتراكب بعضه على بعضٍ، وبه سمّي اللّبد المعروف.

والمعنى: كادت الجنّ يكونون عليه جماعاتٍ متراكبةٍ مزدحمين عليه كاللّبدة، وأمّا الّتي بضمّ اللّام فهي جمع لبدةٍ بضمٍّ ثمّ سكونٍ، مثل غرفةٍ وغرفٍ، والمعنى أنّهم كانوا جمعًا كثيرًا كقوله تعالى: ﴿مَالًا لُّبَدًا﴾ [البلد: ٦]؛ أي: كثيرًا.

وروي عن أبي عمرٍو أيضًا بضمّتين فقيل: هي جمع لبودٍ مثل صبرٍ وصبورٍ، وهو بناء مبالغةٍ، وقرأ ابن محيصنٍ بضمٍّ ثمّ سكونٍ، فكأنّها مخفّفةٌ من الّتي قبلها، وقرأ الجحدريّ بضمّةٍ ثمّ فتحةٍ مشدّدة جمع لابد، كسُجَّدٍ

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

وساجدٍ، وهذه القراءات كلّها راجعةٌ إلى معنىً واحدٍ، وهو أنّ الجنّ تزاحموا على النّبيّ ﷺ لمّا استمعوا القرآن وهو المعتمد». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فقط؟ كلّ هذا ما يفيد أنّهم أعوانٌ، هذه الرّواية الّتي عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **(أعوانًا)** هذه بعيدةٌ عن مسألة الأعوان.

ثمّ عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما أدرك ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ منقطعٌ، المادّة والسّياق يقتضي أنّهم تجمّعوا؛ ليستمعوا وليس للمعاونة والمساعدة، تجمّعوا ليسمعوا، ولينظروا ويتأمّلوا ماذا يقول، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ [الجن: ١٩] ليسمعوا هذا الشّيء الغريب، الشّيء الّذي جاؤوا يطلبونه.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٧٠)]: «وروى عبد الرّزّاق عن معمرٍ عن قتادة قال: لمّا قام رسول الله ﷺ تلبّدت الإنس والجنّ، وحرصوا على أن يطفئوا هذا النّور الّذي أنزله الله تعالى، وهو في اللّفظ واضحٌ في القراءة المشهورة، لكنّه في المعنى مخالفٌ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما تعرض للرواية، ما نقد الرّواية. العينيّ زاد شيئًا؟

[قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ٢٦٣)]: «قوله: **(أعوانًا)**، جمع عون، وهو الظهير على الأمر». [انتهى كلامه]. وذكر كلام الحافظ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما أدري وجهه، إلّا أن يحمل على: أعوانًا فيما بينهم ضد الحقّ، «لبدًا» أعوانًا متظاهرين ضدّه، على الرّواية أنّ الشّيطان بعث جنًّا يلتمسون. محلّ نظرٍ.

• **س: لعلّه من هذا المعنى؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لعلّه من هذا المعنى، إذا أريد هذا المعنى فقريبٌ.

• **س: أحسن الله إليك، الحيلولة دون الشّياطين حيلولةٌ تامّةٌ، لا يسمعون شيئًا إطلاقًا، أو ربّما يستمعون؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في عهد إنزال القرآن ظاهر النّصوص أنّهم منعوا، ولكن بقي لهم شيءٌ من السّماء، يستمعون الكلمة؛ فيخلطون معها الكذب الكثير، كما جاء في الأحاديث الصّحيحة عن رسول الله ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

وقد يظهر من عموم الأحاديث أنّه بقي لهم شيءٌ قليلٌ، بقي لهم شيءٌ يفقهونه قليلٌ؛ لأنّ الله صان القرآن، وصان السّنّة من أن يلبّسوا فيها ويخلطوا فيها، وبقي لهم مثل ما كانوا سابقين، بقي لهم أشياء إلى يومنا هذا.

• **س: أحسن الله إليك، الحيلولة؛ يعني: العامّة؛ يعني: تحمل الحيلولة على الأغلب لما قيل لهم: ارجعوا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ظاهر بعض النّصوص في الغالب مثل ما في حديث... في الصّحيح: أنّه ربّما سمع الكلمة قبل أن يأتيه الشّهاب، وربّما أدركه الشّهاب قبل أن يلقيها، فالقول في العموم: إنّ الشّياطين تسترق السّمع وأنّهم يكذبون معها كذبةً فيصنعون معها مائة كذبةٍ.

ولم يقل: إنّ هذا خاصٌّ بما بعدي أو قبلي، أطلق؛ هذا يدلّ على أنّ لهم بقيّةً، لكن في عهده ﷺ شدّدت الحراسة، وشدّد الرّمي بالشّهب، وقبل ذلك وبعده التّشديد أقلّ.

• **س: الآية** ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ **[الجن: ٨]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

شديدًا وشهبًا نعم ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩]، فشدّد عليهم في هذا، لكن هذا التّشديد ظاهر النّصوص المطلقة أنّه لا يمنع من سماع بعض الكلمات الّتي يشوّشون بها، ويفتنون بها.

• **س: أحسن الله إليك، الضمير هنا عائدٌ على من؟ ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]، الآية هنا عائدةٌ على الجنّ أم الإنس؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عائدةٌ على الجنّ؛ لأنّ السّياق فيهم، كلّ السّورة فيهم.

• **س: أحسن الله عملك، الأنبياء السّابقون لما كان الوحي ينزل عليهم...(١) الجنّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أذكر من هذا شيئًا. ما أعلم في هذا شيئًا.

*

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا أبو عوانة، عن أبي بشرٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ قال: «انطلق رسول الله ﷺ في طائفةٍ من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظٍ، وقد حيل بين الشّياطين وبين خبر السّماء، وأرسلت عليهم الشّهب، فرجعت الشّياطين، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السّماء، وأرسلت علينا الشّهب، قال: ما حال بينكم وبين خبر السّماء إلّا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الّذي حدث؟ فانطلقوا، فضربوا مشارق

---

(١) عبارة غير واضحة.

الأرض ومغاربها، ينظرون ما هذا الأمر الّذي حال بينهم وبين خبر السّماء، قال: فانطلق الّذين توجّهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامدٌ إلى سوق عكاظٍ، وهو يصلّي بأصحابه صلاة الفجر، فلمّا سمعوا القرآن تسمّعوا له، فقالوا هذا الّذي حال بينكم وبين خبر السّماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا، إنّا سمعنا قرآنًا عجبًا، يهدي إلى الرّشد فآمنّا به، ولن نشرك بربّنا أحدًا، وأنزل الله ﷻ على نبيّه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وإنّما أوحي إليه قول الجنّ»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

- **س: هذه القصّة بعد شرعيّة الصّلوات أو بعد الفتح؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الظّاهر؛ لأنّها فرضت في مكّة، الصّلوات فرضت في مكّة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥][٢].

القسط الذي أمر الله بالحكم به هو: العدل، والمقسطون هم أهل العدل الذين يعدلون في حكمهم وفي أهليهم، وفيما ولّاهم الله عليهم، يقال: أقسط؛ أي: عدل في الحكم، وأدّى الحق ولم يجُر. أما القاسط فهذا هو: الجائر الظالم، يقال له: قسط يقسط قسطًا، فهو قاسط إذا

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٩٢١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن برقم (٤٤٩).

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٣٢).

جار وظلم؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾؛ يعني: الظالمين الجائرين المعتدين، المتعدين لحدود الله، وهم الذين توعَّدهم الله بأن يكونوا حطبًا لجهنم.

أما المقسطون ـ بالميم ـ من أقسطوا من الرباعي، فهؤلاء هم: أهل العدل الموفقون المهديون، الذين يعدلون في حكمهم وفي أهليهم، وفيمن ولّاهم الله عليهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾؛ يعني: يحب أهل العدل والاستقامة والإنصاف، ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَعْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»(١).

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦](٢).

الآية على ظاهرها، هذا وعد من الله ﷻ أن الناس لو استقاموا على الطريقة التي رسم الله لهم من اتباع الشرع وطاعة الأوامر وترك النواهي لأسقاهم الله الغيث الكثير الذي ينفعهم في حروثهم وفي آبارهم وفي سائر شؤونهم، ولكن بسبب التفريط والإضاعة والتساهل قد يؤخذ الناس بأنواع العقوبات التي منها الجدب والقحط ومنع الغيث، كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر... برقم (١٨٢٧).

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٣٤).

[الشورى: ٣٠]، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

فالحاصل: أن القوم قد يُعاقَبون بالجدب والقحط لمعاصيهم، وقد ينزل الله عليهم الغيث، ويمنحهم من فضله أنواع الخيرات؛ بسبب طاعاتهم واستقامتهم على أمر الله، وقد يبتلي بعض عباده بالسراء على معاصيهم، ولعلهم يرجعون، ولعلهم ينتبهون، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣].

فالواجب الحذر، وألا يغتر الإنسان بإملاء الله وإمهاله له على ما هو عليه من المعاصي مع وجود النعم العظيمة والخير الكثير، وقد يكون استدراجًا. وهذه الطريقة التي جاءت في الآية الكريمة هي طريقة إسلامية مشروعة، وليس طريقة صوفية.



تفسير آيات من سورة المدثر(١)

قال ابن عبّاسٍ: ﴿عَسِيرٌ﴾ [٩]: شديدٌ، ﴿قَسْوَرَةٍ﴾ [٥١]: ركز النّاس وأصواتهم، وكلّ شديدٍ قسورةٌ، وقال أبو هريرة: القسورة: قسور الأسد، الرِّكز: الصوت، ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [٥٠]: نافرةٌ مذعورة.

*

حدّثني يحيى، حدّثنا وكيعٌ عن عليّ بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثيرٍ سألت أبا سلمة بن عبد الرّحمن، عن أوّل ما نزل من القرآن؟ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ①﴾ [١] قلت: يقولون: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١] فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن ذلك، وقلت له مثل الّذي قلت، فقال جابرٌ: «لا أحدّثك إلّا ما حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «جاورت بحراءٍ، فلمّا قضيت جواري هبطت، فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئًا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئًا، ونظرت أمامي فلم أر شيئًا، ونظرت خلفي فلم أر شيئًا، فرفعت رأسي فرأيت شيئًا، فأتيت خديجة، فقلت: دثّروني، وصبّوا عليّ ماءً باردًا، قال: فدثّروني، وصبّوا عليّ ماءً باردًا، قال فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③﴾» [١ ـ ٣](٢).

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث جابر رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب برقم (٤٩٢٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم (١٦١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا مثل ما قال، كما جاء في الرّوايات الأخرى؛ يعني: بعد الفترة الّتي فتر الوحي فيها، بعد نزول «اقرأ» فتر الوحي، فكان أوّل شيءٍ نزل بعد الفترة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ①﴾، فقد ثبتت النّصوص بأنّ أوّل شيءٍ نزل عليه هو سورة «اقرأ» [العلق: ١]، ثمّ بعد ذلك فتر الوحي، ثمّ نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ①﴾ فصار بها رسولًا مبعوثًا، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: تكلّم على يحيى **(حدثني يحيى** تكلّم عليه؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٧٦)]: «قوله: **(حدثني يحيى)** هو ابن موسى البلخي أو ابن جعفر». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وأنت ماذا عندك؟

(من قارئ **«العمدة»**): كذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا الّذي قاله جابرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ يعني: بعد الفترة الّتي بين «اقرأ» وبين «المدّثّر»؛ فإنّ أوّل ما أوحي إليه سورة «اقرأ» كما في الأحاديث الصّحيحة، وصار بها نبيًّا، ثمّ فتر الوحي، ثمّ أنزل الله سورة المدّثّر، وبها صار رسولًا نبيًّا ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ لأنّ فيها: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدّثّر: ٢]، والرّسول هو الّذي يؤمر بالبلاغ، فصار نبيًّا بـ«اقرأ»، ورسولًا بالمدّثّر.

* *

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ②﴾ [المدثر: ٢][1].

حدّثني محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا عبد الرّحمن بن مهديٍّ وغيره،

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

قالا: حدّثنا حرب بن شدّادٍ، عن يحيى بن أبي كثيرٍ، عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النّبيّ ﷺ قال: «**جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ...**» مثل حديث عثمان بن عمر، عن عليّ بن المبارك(١).

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ [المدثر: ٣](٢).

حدّثنا إسحاق بن منصورٍ، حدّثنا عبد الصّمد، حدّثنا حربٌ، حدّثنا يحيى، قال: سألت أبا سلمة أيّ القرآن أنزل أوّل؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [١]، فقلت أنبئت أنّه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أيّ القرآن أنزل أوّل؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [١]، فقلت أنبئت أنّه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ فقال: لا أخبرك إلّا بما قال رسول الله ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «جاورت في حراءٍ، فلمّا قضيت جواري، هبطت فاستبطنت الوادي، فنوديت، فنظرت أمامي، وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فإذا هو جالسٌ على عرشٍ بين السّماء والأرض، فأتيت خديجة فقلت: دثّروني، وصبّوا عليّ ماءً باردًا، وأنزل عليّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [١ ـ ٣]»(٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

قوله: **(جالسٌ بين السّماء والأرض)**؛ يعني: جبرائيل ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

---

(١) المصدر السابق، أخرجه البخاري في باب ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ برقم (٤٩٢٣)، ومسلم في الكتاب والباب السابقين برقم (١٦١).

(٢) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٣) المصدر السابق، أخرجه البخاري برقم (٤٩٢٤)، ومسلم برقم (١٦١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومعنى (دثّروني): تلحيفه، يلحّفونه من شدّة ما أصابه من الوجل والخوف؛ حتّى اشتدّ به الأمر، فلهذا أمر بالتّدثير وصبّ الماء.

• **س: أحسن الله عملك، قول جابرٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **إنّها:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ **أول ما نزل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فهم من هذا الكلام، أقول: فهم من هذا الكلام، ولم يبلغه خبر «اقرأ».

* * *

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر: ٤][1].

حدّثنا يحيى بن بكيرٍ، حدّثنا اللّيث، عن عقيلٍ، عن ابن شهابٍ، (ح)، وحدّثني عبد الله بن محمّدٍ، حدّثنا عبد الرّزّاق، أخبرنا معمرٌ، عن الزّهريّ، فأخبرني أبو سلمة بن عبد الرّحمن، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت النّبيّ ﷺ وهو يحدّث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: **«فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ، جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجَئِثْتُ مِنْهُ رُعْبًا، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ **إِلَى:** ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ **قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَاةُ، وَهِيَ الأَوْثَانُ»**[2].

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ برقم (٤٩٢٥).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذه الرّواية تفسّر ما قبلها، وأنّ النّزول الأوّل هو مجيئه بـ«اقرأ»؛ يعني: بحراءٍ؛ يعني: بسورة «اقرأ»، هذه تفسّر الرّوايات كلّها.

وهذا صريحٌ، بأنّه في فترة الوحي، وأن هذا المَلَك هو الّذي جاءه في حراءٍ؛ يعني: بـ«اقرأ»، رآه بعد ذلك بين السّماء والأرض، بعد ما فتر الوحي؛ فالوحي أولًا بـ«اقرأ»، ثمّ فتر الوحي، ثمّ رآه بين السّماء والأرض، وهو الّذي جاءه بحراءٍ، وهو جبرائيل ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

في إحدى الرّوايات كما يأتي: (**فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاء وَالْأَرْض**». «**فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ**) يدلّ على أن «اقرأ» هي السّورة الّتي نزلت أولًا، وأنّ هذا مجيءٌ آخر.

• **س: كأنّه رآه على صورته الّتي خُلق؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

رآه مرتين: إحداهما بالأفق، والثّانية عند سدرة المنتهى، مثل ما في الرّواية الأخرى.

• **س: إنكار جابر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **على أبي سلمة؛ لأنّها أوّل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يقول: لا أحدّثك إلّا بما سمعت، هذا الّذي سمع؛ فهو فهم جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنّه أول شيءٍ نزل، خفي عليه ما جاء في الدّلائل على أنّها الثّانية.

• **س: هذه الرّواية: «سدّ عليه الأفق»؛ يعني: في غار حراءٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: رآه بين الأفق قد ملأ الأفق؛ يعني: له ستمائة جناحٍ.

• **س: أحسن الله عملك، قول بعض الفقهاء: إنّ الرّسول ﷺ نُبّئ بـ«اقرأ» وأُرسل بـ«المدّثّر» هل هو وجيهٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم صحيحٌ، هذا الّذي ذكره الشّيخ محمّد في ثلاثة الأصول رَحِمَهُ اللَّهُ؛ نبّئ بـ«اقرأ» صار نبيًّا، في قوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]؛ لأنّه ما أمر بالإنذار، فلمّا قيل له: قم فأنذر، صار نبيًّا رسولًا، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

• **س: أحسن الله عملك، قوله: فجئثت معناه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

سقط من شدّة الخوف، من شدّة الوجل والخوف سَقَط.

• **س: أحسن الله إليك، كأنّ جابرًا** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **فهم أنّ هذا بعد فترة الوحي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، عند فترة الوحي؛ فظنّ جابرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّ هذا هو أوّل شيءٍ، وبالتأمّل يظهر أنّه ليس هو الأوّل، الأوّل حين جاءه جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بـ«اقرأ» في حراءٍ، هذا الأوّل.

• **س: قبل أن تفرض الصّلاة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قبل الصّلاة وقبل كلّ شيءٍ، اقرأ، مجرّد أمرٍ بالقراءة، نبوّة.

• **س: أحسن الله عملك، في «صحيح مسلم» زيادة: «فإذا الّذي جاءني بالأمس بين السّماء والأرض» فيه زيادة: «فإذا الّذي جاءني»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ظاهر السّياق، السّياق واضحٌ. وجاء في رواياتٍ بأصرح من هذا أيضًا.

* *

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ٥][(١)].

يقال: الرجز، والرجس: العذاب.

حدّثنا عبد الله بن يوسف، حدّثنا اللّيث، عن عقيلٍ قال ابن شهابٍ: سمعت أبا سلمة قال: أخبرني جابر بن عبد الله أنّه سمع رسول الله ﷺ يحدّث عن فترة الوحي: «**فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجَئِثْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَٱهْجُرْ ۝٥﴾**» قال أبو سلمة: والرّجز الأوثان، ثمّ حمي الوحي وتتابع[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

• **س: أحسن الله إليك، الحديث واحدٌ، وترجم بعد الآية الآيات كلّها متتابعةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لكن الاختلاف تحمّل الرّواية، بعض الرّوايات أكمل من بعضٍ، وفيها إيضاحٌ أنّ المدّثّر نزلت بعد الفترةٍ؛ بعد نزول جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بـ«اقرأ».

• **س: أحسن الله عملك، (ثمّ حمي الوحي وتتابع)، فيه دليلٌ على أنّها كانت فترة الوحي؟**

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ برقم (٤٩٢٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم (١٦١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قبل المدّثّر فترةٌ، وبعد المدّثّر تتابع الوحي.

• **س: أحسن الله إليك، استدلال بعض الفقهاء بقوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ [المُدَّثِّر: ٤] على الطّهارة من النّجاسة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، الأقرب مثل ما قال أئمة العلم؛ يعني: أعماله من الشّرك؛ لأنّه ما بعد شرعت الصّلاة، هذا أوّل شيءٍ، أوّل ما نزل، أمّا ما يتعلّق بالطّهارة نعم، مثل ما قال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ [الأعراف: ٢٦] الأعمال لباسٌ، الله أكبر.

• **س: أحسن الله إليك، الرّسول يأتي بشريعةٍ جديدةٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الرّسول: هو الّذي يأمر بتبليغ النّاس، وهو الّذي يبعث إلى النّاس، يقال له: بلّغهم كذا، وبلّغهم كذا ومرهم بكذا، قد يأتي بشريعةٍ جديدةٍ، وقد لا يأتي، مثل أنبياء بني إسرائيل، ورسل بني إسرائيل؛ جاؤوا بشريعة التّوراة، فإذا قيل له: بلّغ النّاس هذا الرّسول.

• **س: أحسن الله إليك، بعض أهل العلم يقول: جلس النّبيّ ﷺ في مكّة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التّوحيد، هل يقصدون قبل فرض الصّلاة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قبل الصّلاة.

• **س: النّبيّ ما يبلّغ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النّبيّ لنفسه، نبوّته لنفسه، ما يصير مبلّغا للنّاس.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾ **[المدثر: ١١ ـ ١٦]**(١).

المشهور عند المفسرين أن هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان من كبار الكفار، ومن صناديدهم ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾، وهذا وعيدٌ من الله لهذا الرجل إذا استمر على كفره وضلاله نعوذ بالله.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴿٣١﴾﴾ **[المدثر: ٣١]**(٢).

على ظاهرها، هو الذي يهدي من يشاء ﷻ، الهداية بيده ﷻ يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ليس بيد العبد، العبد ليس بيده إلا دعاء الله والضراعة إليه، والعمل بطاعته، والجد في الطاعة، والله الموفق يهدي من يشاء ويضل من يشاء، له الحكمة البالغة ﷻ، ولكن العبد يسأل ربه الهداية، كما قال ﷻ في سورة الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، والله يقول ﷻ: «**يا عبادي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**»(٣).

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٣٥).
(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٣٦).
(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٧).

هكذا جاء في الحديث الصحيح القدسي، فالمؤمن والعبد يسأل ربه الهداية والتوفيق والصلاح، ويحرص على أسباب الخير، ويصحب الأخيار هكذا، ويسأل ربه الهداية ربنا هو الذي يهدي من يشاء.



تفسير آيات من سورة القيامة

❏ تسأل سماحتكم عما تطمئنون إليه في تفسير مثل قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١﴾ [القيامة: ١][1].

المعروف عند العلماء أنها نافية لما يقوله المشركون، ليس الأمر كما فعل المشركون من كذا وكذا من خلاف الحق، ثم قال: (أقسم)، «فلا» تدل على شيء محذوف، و(أقسم) ثابتة مثبتة، وقال بعضهم: إنها صلة؛ يعني: زائدة، تستخدمها العرب بغير قصد لمعناها، والمعنى: أقسم بيوم القيامة، أقسم بهذا البلد؛ لأن الله يقسم بما يشاء من مخلوقاته ﷻ، والمشهور هو الأول أنها نفي لأشياء مناسبة، لا كما يقول المشركون من تكذيب الرسول أو إنكار القرآن، أو ما أشبه ذلك مما يقوله أهل الشرك، بل ما قالوه باطل، وأقسم بيوم القيامة وأقسم بهذا البلد.

*

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ [القيامة: ١٦][2].

وقال ابن عبّاسٍ: ﴿لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾ [٥]: سوف أتوب، سوف

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٣٧).

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

أعمل، ﴿لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾ [١١]: لا حصن، ﴿سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [٣٦]: هملًا.

حدّثنا الحميديّ، حدّثنا سفيان، حدّثنا موسى بن أبي عائشة، وكان ثقةً، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: «كان النّبيّ ﷺ إذا نزل عليه الوحي حرّك به لسانه، ووصف سفيان، يريد أن يحفظه، فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾﴾»(١).

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٧](٢).

حدّثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل، عن موسى بن أبي عائشة أنّه سأل سعيد بن جبيرٍ عن قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ [١٦] قال: وقال ابن عبّاسٍ: «كان يحرّك شفتيه إذا أنزل عليه فقيل له ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾، يخشى أن ينفلت منه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾: أن نجمعه في صدرك، ﴿وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾﴾: أن تقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ يقول: أنزل عليه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [١٨ ـ ١٩]: أن نبيّنه على لسانك»(٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا من رحمة الله، فإنّه ﷺ كان حريصًا على أن يحفظ ما يلقى إليه، ويحرّك لسانه بذلك، فأنزل الله عليه ما يطمئنه، وأن عليه الإنصات، والاستماع، فإذا انقطع الوحي أقرأه الله إيّاه وثبّته في قلبه.

هذا من رحمة الله جل جلاله، القرآن ينزل يأتي به جبرائيل عليه السلام ثمّ يثبته الله في قلبه، ويطلق به لسانه؛ حتّى يبلّغ النّاس ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾﴾،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾﴾ برقم (٤٩٢٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة برقم (٤٤٨).

(٢) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٣) المصدر السابق، أخرجه البخاري برقم (٤٩٢٨)، ومسلم برقم (٤٤٨)

عليه جمعه في صدره، وعليه أن يقرئه إيّاه، وأن يحفظه، وأن يتلوه كما أنزل، وهذا من رحمة الله ﷻ وإحسانه إلى عباده، الله المستعان.

• س: هذا خاصٌ بالنّبيّ ﷺ جمعه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ليس بخاصٍّ بالنّبيّ ﷺ، الله ﷻ يسّر لعباده حفظ القرآن، والحفظة لا يحصيهم إلّا الله ﷻ.

المقصود من هذا أن المؤمن ينصت إلى التّالي والمعلّم، ثمّ يتعلّم.

• س: أحسن الله إليك، الإنصات إلى قراءة القرآن واجبٌ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم، ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، والنّبيّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ يقول: «**وَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا**»[١].

• س: أحسن الله إليك، في الصّلاة وغير الصّلاة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: في الصّلاة وغيرها، في الصّلاة وخارجها.

• س: أحسن الله إليك، ما جاء عن الإمام أحمد رحمه الله، **أنّه قال: أجمعوا على أنّه في الصّلاة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

بلى ورد، لكن إجماعٌ أنّه في الصّلاة ما يمنع من الاستماع خارج الصّلاة، الآية عامّة، فتفسيرها بالصّلاة إنّما هو من باب الأخصّ والأهمّ، فهي عامّة، ما يجوز التحدّث عند تالي القرآن، إمّا أن يقوموا، وإمّا أن يمسكوا، أمّا يقرأ وهم يتحدّثون!.

• س: يتحدّثون حديثًا بسيطًا يا شيخ مثلًا ممّا لا بدّ منه؟

---

(١) رواه البخاري في القراءة خلف الإمام (١٦٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٨].

قال ابن عبّاسٍ: ﴿قَرَأْنَاهُ﴾: بَيَّنَّاهُ، ﴿فَاتَّبِعْ﴾: اعْمَلْ بِهِ.

حدّثنا قتيبة بن سعيدٍ، حدّثنا جريرٌ، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [١٦]، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي، وكان ممّا يحرّك به لسانه وشفتيه، فيشتدّ عليه، وكان يعرف منه، فأنزل الله الآية الّتي في: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [١]: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾﴾، قال: علينا أن نجمعه في صدرك وقرآنه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾﴾: فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾: علينا أن نبيّنه بلسانك، قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله، ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾: تَوَعُّدٌ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحمد لله، وهذا من آيات الله ورحمته، والمراد بالأمّي: لا يكتب ولا يقرأ كتابه، ثمّ ينزل عليه هذا الكتاب العظيم؛ فيحفظه حفظًا عظيمًا، ويحفظ معانيه، ويبلّغه للنّاس، ويتلوه عليهم، ويشرح لهم هذه المعاني

---

(١) المصدر السابق، أخرجه البخاري في قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾﴾ برقم (٤٩٢٩)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة برقم (٤٤٨).

العظيمة؛ هذه من آيات الله الدّالّة على قدرته العظيمة، وصدق رسوله محمّدٌ ﷺ، وأنّ الله أعطاه هذه المعجزة العظيمة الباهرة. الله أكبر. الله المستعان.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ [القيامة: ٣٤]، ما معنى هذه الآية الكريمة[١]؟

معناها: التحذير والترهيب والحثّ على التوبة والرجوع إلى الله، وأن الواجب على المؤمن أن يبادر بالتوبة إلى الله والرجوع إليه، فإن هذا أولى له من الاستمرار في باطله. نسأل الله السلامة.

❐ ❐ ❐

(١) من برنامج نور على الدرب (٤٣٨/٢٧).

تفسير آيات من سورة الإنسان

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد(١):

قد سمعنا جميعًا لقراءة إمامنا الآن، سورة عظيمة بيَّن الله فيها سبحانه مبدأ الإنسان، ومصيره إما الجنة، وإما النار، وبيَّن فيها ما أعدَّه لأعدائه الكفرة، وبيَّن فيها في آيات كثيرات ما أعدَّ لأوليائه، أهل الطاعة وبيَّن صفاتهم، وأخلاقهم العظيمة، وما لهم عنده من الجزاء الحسن، وهي سورة الإنسان: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ [الإنسان: ١]، وبيَّن في آخرها إنزاله كتابه العظيم على نبيّه محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وختمها بأنه يُدخل من يشاء في رحمته، وهم أهل الإيمان والتقوى، وأنه أعدَّ للظالمين عذابًا أليمًا.

فهذه السورة العظيمة فيها عظة وذكرى، وكل القرآن عظة وذكرى، وكله هدى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، قال ﷻ: ﴿...وَنَزَّلْنَا

---

(١) درس سماحة الشيخ بعد الفجر في مسجد الأمير منصور بجدة، وذلك في يوم ٢ ـ ١٢ ـ ١٤١٢هـ. نُشِر في حديث الصباح (ص٥٧) ط٢، طبعة دار قرطبة بيروت.

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] كله هدى، كله رحمه، كله نزارة، كله بشارة، كله عظة، كله توجيه إلى الخير.

وهذه السورة «سورة الإنسان» من أوضح السور في الدعوة إلى الله، وبيان مبدأ الإنسان ونهايته، وبيان صفات الأبرار والأخيار، وصفات الأشرار، ولما فيها من العظة العظيمة شرع الله قراءتها مع السجدة في صلاة الفجر يوم الجمعة كل أسبوع ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السجدة: ١، ٢]، ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ يقرأها النبي ﷺ، في صلاة الفجر يوم الجمعة؛ لما في هاتين السورتين من العظة والتوجيه العظيم، وبيان مبدأ الإنسان ومصيره ونهايته، وبيان صفات الأخيار ومصيرهم، وبيان صفات الأشرار ومصيرهم، فجدير بكل مؤمن ومؤمنة أن يُعنَى بكتاب الله، وأن يتدبَّره ويتعقَّله حتى يعرف الحق، وحتى يعلم المطلوب الذي هو مطلوب منه، وحتى يعلم ما هو المطلوب الذي نهي عنه، وحتى يعلم مصير الأخيار، ويعلم مصير الأشرار.

يقول سبحانه، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، أنزل لهذا الأمر للتدبُّر، والذكرى والعمل، ويقول ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، ويقول ﷻ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]؛ يعني: للطريقة التي هي أهدى الطرق وأقومها وأسدّها وأصلحها، وهي طاعة الله ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، عن إيمان، وعن صدق، وعن إخلاص لله، وعبادة لله وحده، وعن براءة من الشرك وأهله، وعن عناية بأداء فرائض الله، وترك محارم الله، فالطريقة التي يهدي إليها القرآن، ويرشد إليها، ويدل عليها هي أفضل الطرق، وهي أهدى الطرق، وهي أسدُّها، وأصلحها، وأنفعها.

فالواجب على المكلفين جميعًا أن يأخذوا بها، وأن يستقيموا عليها، وأن يتواصوا بها أيضًا: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، وتعانوا على البر والتقوى، فأنت يا عبد الله، مُطالَب بتدبُّر هذا القرآن والعمل به، مُطالَب بالتواصي مع إخوانك بالحق، والصبر عليه، مُطالَب بالتعاون على البر والتقوى، ومع إخوانك، وأهل بيتك وغيرهم.

لست مهملًا ولا مغفلًا، ولا معرضًا عنه، فأنت مأمور، يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ويأمر في هذا ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، فعليك أن تعرف هذه العبادة، ما هي هذه العبادة، عليك أن تعرفها، أنت مخلوق لها، مأمور بها، عليك أن تعرفها، وهي توحيد الله والإخلاص له، وطاعة أوامره، وترك نواهيه هذه هي العبادة، اعرفها، تدبَّرها، تعلَّمها، من كتاب الله، ومن سُنَّة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، العبادة التي خُلِقْت لها مفصَّلة في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، هذه العبادة: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، هذه العبادة التي خلقت لها ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨

وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٩]، هذه العبادة فسَّرها في آيات، وينوِّعها، ويكرِّرها.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٣١]:

من ابتغى غير زوجته وملك يمينه فهو العادي الظالم بالزنا أو اللواط، أو نكاح اليد الاستمناء، أو غير هذا كله عدوان، ظلم لا يجوز، عليك زوجتك فقط، أباح الله لك الزوجة وملك اليمين، السُّرِّية التي ملكتها بالسبي أو بالشراء، أو بالإرث ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ [المعارج: ٢٩، ٣٠]، زوجاتهم ﴿...أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾﴾، وهكذا الزوجة ليس لها إلا زوجها أو سيدها الذي ملكها ملكة شرعية يحرم عليها سوى ذلك ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٢ ـ ٣٥]، فالله شرح هذه العبادة ووضَّحها، فسَّرها في آيات كثيرات من كتابه العظيم، وفسَّرها نبيَّه محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الأحاديث الصحيحة لما سأله جبرائيل قالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبرني عَنِ الإسلام؟ فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**الإسلامُ: أنْ تَشْهدَ أنْ لا إلٰهَ إلَّا الله وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله، وتُقيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيتَ إن اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبيلًا**»(١).

---

(١) جزء من حديث، أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه برقم (٨)، والترمذي في =

وهكذا لما سأله في حديث أبي هريرة سأله جبرائيل عن الإسلام **قَالَ: مَا الإِسْلَامُ؟ قَالَ: «الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ»**، ولما سأله عن الإيمان قال: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: **«الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ»**، سأله عن الإحسان، مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: **«الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**، هذا تفسير ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وتفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وتفسير قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

هذا هو الإسلام، طاعة الله ورسوله، الإسلام الانقياد لله، أسلم انقاد، الإسلام الانقياد والذل لله، والطاعة له والخضوع له، المسلم هو المنقاد لأمر الله، المطيع لله التارك للمعاصي هذا هو المسلم، سُمِّي الدين الإسلام إسلامًا؛ لأنه انقياد لله، طاعة لله، ذلٌّ لله، خضوع له ﷻ فالإسلام هو الانقياد لأوامر الله، وترك نواهي الله.

هذا هو الإسلام، وأساسه توحيد الله، والإخلاص له، وترك الشرك به، والإيمان برسوله محمد ﷺ، وبجميع المرسلين، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله، هذا أساسه أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وأن تؤمن برسوله محمد ﷺ، وتصدق بأخباره، تصدق بما قال الله ورسوله، وتؤمن بما قال الله ورسوله، مما كان، وما يكون، وعن الآخرة

= كتاب الإيمان، باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام برقم (٢٦١٠)، وأبو داود في كتاب السُّنَّة، باب في القدر برقم (٤٦٩٥)، والنسائي (٨/ ٩٧).

والجنة والنار، وعن الرسل وأخبارهم، تؤمن بكل ما أخبر الله به، كله داخل في الإيمان، وداخل في توحيد الله، والإيمان به، والإيمان برسوله ﷺ، ثم الصلاة، ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج، ثم جميع الأوامر والنواهي.

وأركانه خمسة بيَّنها الرسول ﷺ، خمسة فقط هذه أركانه عمده التي يقوم عليها، وهي ما ذكرها لجبرائيل: **«شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ»**. وذكرها في حديث آخر، حديث ابن عمر يقول ﷺ، في حديث ابن عمر: **«بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»**[(١)].

«بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»؛ يعني: على خمس دعائم، خمسة أركان: **«شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ»**. هذه عُمده والبقية فروعه، وأعماله التي تتمِّمه من الجهاد، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، الدعوة إلى الله، صدق الحديث، بر الوالدين، صلة الرحم، إكرام الجار، ترك ما نهى الله عنه ورسوله من سائر المعاصي، كل هذه متمِّمة للإسلام، وكل هذه بقيته داخلة في عبادة الله التي خُلِقت لها، داخلة في عبادة الله التي أمرت بها؛ ولهذا في الحديث الصحيح يقول ﷺ: **«الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»**[(٢)].

هذا الدين كله بضع وسبعون شعبة؛ يعني: خصلة، أعلاها وأعظمها **«شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**، ومعها **«أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»**؛ لأنها

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ١٧١).
(٢) سبق تخريجه في (ص٧٨).

قرينتها لا بد منها، تشهد أنه لا معبود حق إلا الله، وأن تشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله إلى جميع الثقلين الجن والإنس، وهو خاتم الأنبياء، فلا بد من التصديق بهذا على الرجل والمرأة الإيمان بهذا، الإيمان بأنه لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأنه المعبود بالحق دون كل ما سواه، وأن الآلهة سواه باطلة سواء من حجر، أو من شجر، أو من بشر، أو من جن، أو من إنس، أو من ملائكة، أو غير ذلك: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ يعني: نعبدك وحدك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، نستعينك وحدك.

ويقول ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣]. فأصل هذا الدين وأساسه أن تخص الله بالعبادة دون كل ما سواه، وأن تؤمن به وبما أخبر به من الجنة والنار، والحساب والجزاء، وما كان وما يكون، وأن تؤمن برسوله محمد ﷺ، وأنه الرسول حقًّا إلى جميع الثقلين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿...فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فالمفلحون هم أتباع النبي ﷺ، ومن حاد عن ذلك من جن، وإنس، فهو كافر، خاسر، من يهود، أو نصارى، أو مجوس، أو ملاحدة، أو غير ذلك، كل من حاد عن طريق النبي ﷺ، ولم يؤمن به، ولم يتبع شريعته فهو من أهل النار كائنًا من كان، يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي**

أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١)، ويقول ﷺ: «**كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»**(٢)، «**بُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ»**(٣).

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبإ: ٢٨]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ليس للعرب للعالمين الجن والإنس، والعجم والعرب جميع الناس رحمة لهم، إذا اتبعوه وأطاعوه وهداهم الله به صاروا إلي الجنة والسعادة.

وفي هذه السورة يقول: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾، هذا استفهام معناه التقرير، معناه: نعم أتى عليهم ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾؛ يعني: قد أتى عليهم يسميه النحاة استفهام تقرير يعني أنه أتى على الإنسان دهر ليس موجودًا آدم، كان قبله دهور ما وجد آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أبونا وهو الإنسان المذكور ثم خلقه الله من الطين، خلقه الله من تراب من طين ﴿...مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمٰن: ١٤]، ثم نفخ فيه الروح، لمّا صوَّره نفخ فيه الروح فقام إنسانًا سويًّا، وأسكنه الجنة، وخلق زوجته منه من جسمه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، من نفسه من لحمه ودمه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبيِّنا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته برقم (١٥٣)، والإمام أحمد (٢/ ٣١٧ و٣٥٠).

(٢) أخرجه البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في كتاب التيمم برقم (٣٣٥)، ومسلم في كتاب المساجد برقم (٥٢١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (١/ ٢٥٠).

[النساء: ١]، من أنكر هذا فهو كافر، من قال: إنها لم تُخلَق منه فهو كافر، كما وقع في بعض الصحف التي ذكرت عن بعض الملحدات إنكار كونها خُلقت من آدم، وإنكار عوجها.

المقصود: أن الله خلق آدم من تراب، وخلق زوجته منه، وجعلها سكنًا له، ثم خلق منهما جميعًا بقية الناس، جميع الناس خُلِقوا من هذا الذكر والأنثى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣]، آدم وحـــــواء ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، كان آدم غير موجود، ﴿...لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾، ثم خلقه الله من التراب من الطين، وخلق زوجته منه، ثم جعل منهما الناس، بثَّ منهما خلقًا كثيرًا إلى يومنا هذا، وإلى أن تقوم الساعة.

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾، الإنسان الذي هو ولد آدم، أما آدم نفسه فهو من تراب، وذريتهم من ماء مهين، من ماء ضعيف، ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]، ماء ضعيف، الماء المني، ماء ضعيف، مني المرأة ومني الرجل.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾؛ يعني: أخلاط ماؤه، وماؤها؛ ولهذا إذا حملت حكم بأنها قد بلغت؛ لأن لها ماءً اختلط مع مائه، ويكون منه الولد بإذن الله، ﴿أَمْشَاجٍ﴾: أخلاط ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾: نختبره، خلق هذا الإنسان؛ ليبتلى ويمتحن، ويؤمر بعبادة الله، يبتلى بطاعة الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿...وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، فهو خُلق وابُتلي، أُمر ونُهي، أرسل الله له الرسل، نوحًا إلى أهل الأرض، هودًا إلى أهل الأرض وهم قومه، صالحًا إلى أهل الأرض وهم قومه، ثم انتشر الناس شيئًا بعد شيء، فكل رسول يُبعَث إلى قومه إلا محمدًا ﷺ،

بُعِث للناس عامة، كل إنسان من الرسل يُبعَث إلى قومه وجماعته إلا نبيّنا محمدًا ﷺ، فقد أرسله الله إلى الثقلين جميعًا خلق الله هذا الإنسان من نطفة أمشاج من ماء مهين ماء الرجل، وماء المرأة، وجعله سميعًا بصيرًا يسمع بأذنيه، ويبصر بعينيه، فضلًا منه سبحانه وتعالى؛ لتقوم عليه الحجة ليسمع الآيات والدلائل ويبصر الآيات والدلائل، يرى بعينيه ما خلق الله من الآيات من ليل ونهار، من أرض وسماء، من شمس وقمر، من نجوم، من بحار، من أنهار، من حيوانات، من نباتات، كلها دلائل على قدرة خالقها، وأنه ربُّ العالمين، وأنه الخلاق العليم، له الخلق والأمر سبحانه وتعالى تبصر بعينيك هذه الدلائل.

يقول سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ يعني: خلق الشمس والقمر ﴿وَالنُّجُومَ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ يعني: الذي خلق النجوم، ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذلّلات بأمره، ﴿...أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، خُلقت هذه الآيات لمصلحتك، لحاجتك، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، الشمس لمصلحتك، القمر، النجوم لمصلحتك ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

فأنت يا عبد الله خُلِقت لك هذه الدنيا، هذه الأشياء لماذا؟ لتستعين بها على طاعة ربك؛ لتعبده، أنت تعقل، تفهم، جعل لك عقلًا أنت لست مثل البهيمة، مثل البعير والبقر، لا؟ أنت أكرمك الله بالعقل، تعلم واجبك، وتعمل بطاعة ربك، وتنتهي عن مناهيه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، كل واحد منكم يعرف هذا، الأطفال الذين عنده، أطفالهم، وأطفال غيره

ماذا يعلمون؟ ما عندهم شيء، ما يعلمون شيئًا ثم بعدما يكبرون يعلمون، عندهم سمع، عندهم بصر، عندهم عقل، يتعلمون شيئًا فشيئًا قليلًا، قليلًا ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، الأفئدة: القلوب التي فيها العقل، البهيمة ليست مثلك لها عقل، لكن عقل يليق بها يناسبها، الطير كذلك، هذه الحيوانات كلها لها عقول تليق بها، حتى النملة لها عقل يليق بها، تهتدي إلى مصالحها وجمع طعامها، وخروجها ودخولها، لكن أنت لك عقل ممتاز تعقل الأشياء غير ما تعقلها البهائم، تعقل الذي خلقك، تعقل الرسول الذي أُرسل إليك، تعقل الخير من الشر، تعقل الأوامر والنواهي، تعقل الضار من النافع غير المخلوقات الأخرى.

فالواجب عليك أن تستعمل هذه الأدوات في طاعة مولاك الذي خلقها: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، وفي سورة الإنسان: ﴿...فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ دلَّه السبيل بما أعطاه من العقل، والسمع والبصر: ﴿...إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، هو ممتحن مأمور ومنهي، قد أُعطي عقلًا، وسمعًا، وبصرًا، وهداه الله النجدين، وأوضح له الأمرين، طريق الشر، وطريق الخير، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨ ـ ١٠]، طريقين، طريق الخير والشر، أوضحها الله على أيدي الرسل، وفي الكتب المنزلة، وعلى يد محمد ﷺ، وفي كتابه العظيم القرآن، أوضح السبيل، فعليك يا عبد الله أن تتقي الله، وأن تنتفع بهذه الآيات وهذه الحُجج التي وضَّحها الله لك، وأرشدك إليها، لماذا؟ حتى تعبده على بصيرة، وحتى تكون إلى الجنة بعد ذلك والنعيم المقيم أبد الآباد، وإذا أبيت إلا الحيد عن الحق وسلوك طريق الضلالة فلك دار

أخرى، وهي دار الهوان، دار الجحيم، دار العذاب والشقاء.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤]، هذا المُعدُّ لهم الذين حادوا عن السبيل، ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، إن كان شاكرًا فله الجنة مع الأبرار، مع المتقين، وإن كان كفورًا فله النار التي قال فيها ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ [الإنسان: ٤]؛ يعني: هيَّأنا لهم وأرصدنا لهم ﴿...لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤]، فاحذر أن تكون من هؤلاء، أنت وضح لك الطريق، ابتليت اختبرت، وأوضح لك الطريق، قامت عليك الحجة، طريقان لا ثالث لهما، طريق الضلالة وهو عصيان الله ورسوله والحيد عن الحق والهدى، وطريق السعادة والهدى وهو اتباع كتاب الله وسُنَّة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فأنت بين هذين الأمرين، اختر، لك عقل، لك سمع وبصر، الله قال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، طريق الخير، وطريق الشر، أعطاك السمع والبصر والعقل فانظر لنفسك، وتأمل، ولا تتشبه بالبهائم.

يقول ﷻ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ [الفرقان: ٤٤]؛ يعني: أكثر الخلق ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ [الفرقان: ٤٤]: تظن ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الفرقان: ٤٤] إن نافية يعني ما هم ﴿...إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] زيادة على الأنعام، أضل من الأنعام؛ لأنهم حادوا عن الحق وتابعوا الهوى، تركوا الحق الذي وضح لهم، وحادوا عنه إلى الباطل، فصاروا شرًّا من الأنعام، البهيمة البقرة، والشاة، والناقة، إذا هُدِيت إلى منفعتها قبلت، تُقاد إلى علفها، تأكل، تُقاد إلى محل مناسب تنيخه، أما بعض بني آدم وهم الأكثرون فيقال لهم الحق، ويُقادون إليه ويأبون، لا، إلا النار، إلا العصيان والمكابرة، وترك الهدى، هذه المصيبة العظيمة يقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾: خلقنا ﴿...لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا

وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]: غافلون، معرضون؛ لا تكن من هؤلاء، احذر احذر، استعمل عقلك وسمعك وبصرك، واحضر مجالس العلم، تدبر القرآن، تدبر السُّنَّة، اسأل أهل العلم، يقول ـ سبحانه ـ: ﴿...فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ويقول ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**»(١).

ومن الطرق حضور هذا المسجد للصلاة، سماع العظات، سماع حلقات العلم، وهكذا المساجد الأخرى، هكذا المدارس، هكذا الجامعات بقصد العلم، كله من الطرق، هكذا السفر من بلاد إلى بلاد، أو من قرية إلى قرية، أو من قبيلة إلى قبيلة للعلم؛ لطلب العلم، أو للدعوة إلى الله، هذا من طرق الجنة: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**»، إذا خرجت من بيتك إلى حلقة العلم أو إلى الصلاة فقد سلكت طريقًا إلى الجنة، وهكذا إذا خرجت من بيتك لعمل صالح، لعيادة مريض، لتشييع الجنازة، للدعوة إلى الله، لإنكار المنكر للدعوة إلى الخير، أنت في طريق الجنة، طرق.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ لماذا أُعدَّت لهم؟ لأنهم حادوا عن الحق، حادوا عن السبيل، ما انتفعوا بالذكرى، ما انتفعوا بما جاء هذا القرآن العظيم؛ فعليك أن تعلم، أن تتدبر هذا الكتاب ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ [ص: ٢٩]، ليسوا ليقرؤوا فقط، القراءة ما تكفي، القراءة وسيلة، لكن يجب التدبر، والتعقل، والعمل، ويقول النبي ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(٢): تعلَّم وعلَّمه الناس للعمل، ليس لمجرد التلاوة ويقول ﷺ:

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ١٦٨).
(٢) سبق تخريجه في (٢/ ١٦٨).

«**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»(١)، حجة لك إن عملت به، حجة عليك إن ضيَّعته ولم تعمل به.

ثم يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ إلى آخر الآيات: يذكر فيها صفات الأبرار أعمالهم الطيبة، الأبرار هم المطيعون لله التي برَّت أعمالهم، برَّت أقوالهم، استقاموا؛ فالأبرار هم الذين أطاعوا الله ورسوله، استقاموا على دين الله، ويدخل فيهم السابقون لأنهم أبرار.

طبقات الناس:

والناس طبقات ثلاث: كفار، ومقتصدون، ومسابقون للخيرات، وقد يُجعل أربعة طبقات أيضًا، أربعة: الكفار، بأنواعهم وأشكالهم من اليهود والنصارى وغيرهم ممن لم يتبع الرسل، والمسلمون ثلاثة أقسام، كما قسمه الله في سورة فاطر، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه: العاصي، مقتصد: الأبرار المطيعون لله، المستقيمون على طاعته وترك محارمه، السابق للخيرات: هو الذي جمع بين أداء الفرائض وترك المحارم مع المسارعة للخيرات، مع الجد في أنواع الطاعات، مع الاستكثار من الخيرات، فهو

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري في كتاب الطهارة، باب الوضوء برقم (٢٢٣)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب برقم (٣٥١٧)، وابن ماجه في كتاب الطهارة، باب الوضوء شطر الإيمان برقم (٢٨٠)، والنسائي في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة برقم (٢٤٣٧)، والإمام أحمد (٥/ ٣٤٣).

من السابقين، فاحرص أن تكون من هؤلاء الأخيار، احرص أن تكون من الأبرار والسابقين، واحذر أن تكون من الظالم لنفسه، واحذر أكبر من ذلك أن تكون من الكافرين الضالين؛ لا تكون مع الكافرين والعياذ بالله، ولا مع الظالمين لأنفسهم بالمعاصي، احذر، جاهد نفسك؛ لعلك تسلم؛ لعلك تكون من المقتصدين أو من السابقين للخيرات من الأبرار أصحاب النعيم: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

فعليك يا عبد الله أن تتدبر هذا المقام، جعله سبحانه قسمين هنا كيف: كفار، وأبرار ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ [الإنسان: ٤]: أرصدنا وهيَّئنا، ﴿لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟﴾ [الإنسان: ٤]: تجعل في أعناقهم وأيديهم، ﴿وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤] سلاسل وأغلال ﴿...وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤]: عذاب شديد، عده عذابًا شديدًا ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ [الإنسان: ٥]: المطيعين لله ولرسوله، ﴿...يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]: شرابًا طيب، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٦، ٧]: إذا نذروا الطاعات أوفوا بها، ﴿...وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]: يوم القيامة، هذه حالهم، ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]: يطعمون وينفقون مع حب المال، يخرجون المال طاعة لله ومحبة له ﷻ، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]: أعطوهم وأحسنوا إليهم ما أرادوا منهم مكافأة، أعطوهم لله، يرجون ثوابه، وإحسانه ﷻ وخلفه، فأنت يا عبد الله احرص أن تكون من هؤلاء، تأمَّل صفاتهم في هذه السورة وغيرها، من صفاتهم قال الله عنهم: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]: كل يخافه احذر هذا اليوم، ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]: هو يوم القيامة خافوا فأعدوا له العدة.

فعليك يا عبد الله أن تنظر في هذه الآية وأشباهها حتى تستعد كما

استعدوا، وحتى تعمل كما عملوا، قال في حقهم، ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]: جزاهم بما صبروا على طاعته وترك معصيته جنة وحريرًا دار النعيم، والملابس الحسنة الجميلة اللينة، في الآية الأخرى يقول ﷻ: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١]: الفائزون بالنعيم، وفي الآيات الأخرى يقول ﷻ: ﴿...إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وفي آية أخرى يقول ﷻ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم﴾ [الرعد: ٢٣]؛ يعني: على أهل الجنة ﴿...مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]: يقولون لهم: سلام عليكم بما صبرتم؛ يعني: بسبب صبركم نلتم هذه المنزلة العظيمة ﴿...فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، تهنئهم، تسلِّم عليهم الملائكة في بيوتهم ومنازلهم، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤]؛ يعني: بسبب صبركم دخلتم الجنة وصرتم في هذه المنازل العظيمة ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]: نعم العاقبة العظيمة لأهل الإيمان والتقوى، هذه السورة العظيمة فيها عظة.

وهكذا القرآن كله، كله عظة وذكرى فيه الهدى والنور، فيه الدلالة على كل خير، يقول ﷻ في وصف نبيّه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، سألت عائشة ﵂ فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ[1]؛ يعني: يتدبر القرآن ويعمل بالقرآن، هذا خلق النبي ﷺ، يتخلَّق بالأخلاق التي مدحها القرآن ودعا إليها ومدح أهلها، ويحذر الأخلاق التي ذمَّها القرآن ونهى عنها وعاب أهلها، فأنت يا عبد الله، وأنتِ يا أُمَة الله كونا كذلك، تدبَّرا القرآن، تدبَّرا كتاب الله، وخذا بالأخلاق الحميدة، ودع الأخلاق الذميمة، كل واحد منه هكذا يتدبر، يتعقل، يقرأ في بيته، في الأوقات المناسبة يتدبر،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث سعد بن هشام (٦/ ٩١ و١٦٣ و٢١٦)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ١١٥).

غيبًا أو من المصحف يتدبر في بيته، في المسجد، في أي مكان يتدبر؛ لا يقرأ هكذا كأنه لا يفهم يقرأ ويتدبر، يعرف ما هو مراد الآيات يتدبر، الآيات أكثرها واضحة، وإذا أشكل عليك تراجع كتب التفسير، تسأل أهل العلم، الحمد لله.

المقصود: التدبُّر والتعقُّل، يقول الله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] هذا أحد يجهله ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]؟ صلِّ صلاة تامة، أقمها صلِّ مع الناس، مع إخوانك صلاة تامة مقامة، ما فيها نقص، لا تنقرها ولا تتدخل فيها بقلب غائب، بل بقلب حاضر، واركع مطمئنًا، واسجد مطمئنًا، وارفع مطمئنًا، واجلس مطمئنًا وهكذا، أقمها مع إخوانك، مع الجماعة في بيوت الله. ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، أعطوها سلِّموها للمحاويج، الأمر واضح. ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الأنفال: ١] افعلوا أوامر الله، واتركوا نواهي الله.

يقول سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥]، يصلي وقلبه في كل مكان لا يبالي بالصلاة كالمنافقين، لا، صلِّ وأنت حاضر القلب مطمئن، أقبل على صلاتك، أدِّها بخشوع لله وإقبال عليه ﷻ، وأدِّها وأنت مخلص لا مراءٍ، هكذا في الآيات الأخرى تأمل الآيات تعرفها، تعرف معناها.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، هذا يحتاج تفسيرًا؟ ما يحتاج تفسيرًا ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣]، ما يحتاج تفسيرًا واضح ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]، ما يحتاج تفسير ﴿...أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ﴾ [الإسراء: ٣٥]، ﴿...وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ

كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ الآيات [المؤمنون: ١، ٢]، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، هذه آيات واضحة.

وهكذا كل القرآن إن تدبرته فالأمر فيه واضح، لكن يحتاج إلى قلب، يحتاج إلى إصرار وعناية، يحتاج إلى إخلاص لله مع رغبة في الحق، وما أشكل عليك فالحمد لله عندك كتب التفسير ابن جرير، ابن كثير، البغوي وغيرهم، طالع، تأمل مع إخوانك مع زملائك، اسأل أهل العلم عما أشكل عليك، وهكذا المرأة تتدبر تقرأ، وتعتني، تعمل بكتاب الله، تجتهد في أداء حق الله عليها، وحق زوجها ووالديها وأقاربها تعمل كالرجل، كلٌّ مكلف، تسأل أهل العلم، تراجع كتب التفسير والحديث، كل من الرجل والمرأة عليه واجب من العناية والتدبر، ومراجعة الأحاديث وكتب التفسير فيما أشكل عليه، سؤال أهل العلم، واليوم ـ بحمد الله ـ ميسر، يمكن سؤال أهل العلم وأنت في مكانك بالهاتف وأنت في مكانك في بلد بعيد بينك وبين العالم الأيام والليالي الكثيرة بالهاتف، بالبرقية، بالمكاتبة، تسمع برنامج نور على الدرب، برنامج مفيد فيه فوائد كثيرة، أوصي بالعناية به والاستماع له، والاستفادة منه، وإذا أشكل عليك فاسأل صاحب البرنامج عما أشكل عليك من كلامه أو من كلام غيره، اسأل أهل العلم الآخرين، احرص على أهل العلم المعروفين بالاستقامة واتباع أهل السُّنَّة والجماعة حتى تسألهم عما أشكل عليك.

والمقصود أن كتاب الله أُنزِل للعمل، للتدبر والتعقل لا لمجرد التلاوة، وهكذا سُنَّة رسول الله ﷺ، بيَّنها الرسول ﷺ، ونقلت عنه للعلم

والعمل جميعًا، الصحيحان والسنن وغيرها من كتب الحديث، بلوغ المرام ملخص من الكتب، عمدة الحديث، الأربعون النووية، وتتمتها لابن رجب، رياض الصالحين، منتقى الأخبار، هذه كتب كلها جمعت جملة من الأحاديث يستفيد منها طالب العلم يغيبها يحفظها، يحفظ ما تيسر منها، يستفيد يراجع الشروح، يراجع كتب التفسير، يراجع كتب الحديث، يراجع أهل العلم، إذا أشكل شيء لا يسكت عن الجهل، يسأل ويتبصر حتى يعمل على بصيرة، ويدع على بصيرة.

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفِّقنا وإياكم بالعلم النافع والعمل الصالح، وأن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم، وأن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن ينصر من نصره، ويخذل من خذله، وأن يوفِّق جميع المسلمين في كل مكان للفقه في دينه، والثبات عليه، وأن يصلح قادتهم، وأن يولِّي عليهم خيارهم، وأن يوفِّق ولاة أمر المسلمين للتوبة إليه، والاستقامة على دينه، وتحكيم شريعته في كل شيء، وأن يوفِّق ولاة أمرنا لكل خير، وأن يعينهم على كل خير، وأن يصلح لهم البطانة، ويجعلهم من الهداة المهتدين، ويجعلنا وإياكم من أعوانهم في الخير، إنه سميع قريب، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

* * *

سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾(١)

يقال: معناه: أتى على الإنسان، و(هل) تكون جحدًا، وتكون خبرًا، وهذا من الخبر، يقول: كان شيئًا فلم يكن مذكورًا، وذلك من حين خلقه من طينٍ إلى أن ينفخ فيه الرّوح، ﴿أَمْشَاجٍ﴾ [٢]: الأخلاط: ماء المرأة، وماء الرّجل، الدّم، والعلقة، ويقال إذا خلط: مشيجٌ،

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

كقولك: خليطٌ، وممشوجٌ، مثل: مخلوطٍ، ويقال: ﴿سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا﴾ [٤]، ولم يجر بعضهم، ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ [٧]: ممتدًّا البلاء، والقمطرير: الشّديد، يقال: يومٌ قمطريرٌ، ويومٌ قماطرٌ، والعبوس، والقمطرير، والقُمَاطِرَ، والعصِيبُ: أشدُّ ما يكون من الأيّام في البلاء، وقال الحسن: النّضرة في الوجه، والسّرور في القلب، وقال ابن عبّاسٍ ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [١٣]: السّرر، وقال مقاتل: السّرر: الحجال من الدّرّ والياقوت، وقال البراء: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ [١٤]: يقطفون كيف شاءوا، وقال مجاهدٌ: ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ [١٨]: حديد الجرية، وقال معمرٌ: ﴿أَسْرَهُمْ﴾ [٢٨]: شدّة الخلق، وكلّ شيءٍ شددته من قتبٍ وَغَبِيطٍ فهو مأسورٌ.

وقال مقاتل: السرر الحجال من الدّرّ والياقوت.

وقال البراء: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ [الإنسان: ١٤]: «يَقْطِفُونَ كَيْفَ شَاؤُوا».

وقال مجاهد: ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٨]: حديدَ الجرية.

وقال معمرٌ: ﴿أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: ٢٨]: «شِدَّةُ الخَلْقِ، وَكُلُّ شَيْءٍ شَدَدْتَهُ مِنْ قَتَبٍ وَغَبِيطٍ فَهُوَ مَأْسُورٌ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: (**ويقال: سلاسلًا وأغلالًا**)؛ يعني: يقال: سلاسلًا بالإجراء والصّرف، ويقال «سلاسل» من غير إجراءٍ ومن غير صرفٍ كما في القراءة المشهورة؛ لأنّها على وزن «مساجد».

● **س: ما فيه قراءةٍ (النّضرة)[١]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: النّضرة من الإنضار، ما أعرف إلّا الفتح.

قوله: (**يقطفون كيف شاؤوا**)؛ يعني: متى أرادوا فالغصن مذلّلٌ،

(١) قرأها القارئ بالضم (النُّضرة) فصوَّبه الشيخ (النَّضرة) بالفتح.

الغصن مذلّلٌ، والقطفُ مذللٌ لهم، يأخذون منه ما شاءوا جالسين وقائمين، ومضطجعين مهما أرادوا فهو مذلّلٌ، ينخفض لهم قاعدين، وينخفض لهم مضطجعين، يتناولونه وهم قائمون، وماشون، وسائرون؛ يعني: ممّا أرادوا من الثّمار، وهذه من نعم الله، ومن لطفه ﷻ، ومن إكرامه.



تفسير سورة وَالْمُرْسَلَاتِ(١)

وقال مجاهدٌ: ﴿جِمَٰلَتٌ﴾ [٣٣]: حبالٌ، ﴿ٱرْكَعُواْ﴾ [٤٨]: صلّوا، ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ [٤٨]: لا يصلّون، وسئل ابن عبّاسٍ ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾ [٣٥]، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، و﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [يس: ٦٥]، فقال: إنّه ذو ألوانٍ، مرّةً ينطقون، ومرّةً يختم عليهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]؛ يعني: إذا قيل لهم: صلّوا مع النّاس لم يصلّوا، نسأل الله العافية.

● **س: عفا الله عنك، قول مجاهدٍ ما معناه ﴿سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني: يمشي بقوةٍ، المعنى يمشي بقوةٍ.

قوله: (**مرّةً ينطقون، ومرّةً يختم عليهم**)؛ لأنّ يوم القيامة له أحوالٌ؛ لأنّه يومٌ طويلٌ عظيمٌ، فتارةً: يجحدون ويقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ يرجون أن يغفر لهم؛ لمّا رأوا المغفرة لأهل التّوحيد، وتارةً يتكلّمون وينطقون ولا يجحدون. وتارةً يختم على أفواههم وتتكلّم أيديهم وأرجلهم. نسأل الله العافية.

فيوم القيامة ذو أحوالٍ.

قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النّساء: ٤٢]؛ يعني: في بعض

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

الأحوال، في بعضها يتكلّمون ويكذبون ويقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وفي بعضها لا يتكلّمون، فيختم الله على أفواههم وتتكلّم أيديهم وأرجلهم ـ نسأل الله العافية ـ وجلودهم، وأسماعهم، وأبصارهم، نسأل الله العافية: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠] نسأل الله العافية.

وذلك لأنّ القيامة وقتها طويلٌ، ويومها طويلٌ، ولهذا ذكر ﷻ ما يقع للنّاس فيها من أنواع العظائم، ومن ذلك: ما يقع للمشركين، تارةً يجحدون، وتارةً يقرّون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ هذا جحدٌ، وفي الآيات الأخرى يتكلّمون وينطقون: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٦٥].

فالمقصود: أنّهم لهم تاراتٌ ولهم أحوالٌ، نسأل الله العافية والسّلامة.

• س: الّذي ورد أنّ القيامة تخفّف على المؤمن؛ حتّى تكون كما بين الظّهر والعصر، سندها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله أعلم، هو يومٌ عسيرٌ على الكافرين، لكنّه ميسّرٌ على أهل الإيمان، والحمد لله.

*

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدّثنا محمودٌ، حدّثنا عبيد الله عن إسرائيل، عن منصورٍ، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه قال: «كنّا مع رسول الله ﷺ وأنزلت عليه: ﴿وَٱلْمُرْسَلَـٰتِ﴾ وإنّا لنتلقّاها من فيه، فخرجت حيّةٌ، فابتدرناها، فسبقتنا فدخلت جحرها، فقال رسول الله ﷺ: **«وُقِيَتْ شَرَّكُمْ، كَمَا وُقِيتُمْ شَرَّهَا»**[1].

(١) متفق عليه من حديث عبد الله رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب =

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي قصّة الحيّة: دلالةٌ على قتل هذه المؤذيات، ومنها الحيّة، وفي الحديث الصّحيح: «**خَمْسٌ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحَيَّةُ، وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ، وَالْفَأْرَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ، وَالْحُدَيَّا**»[1]. وهذه منها الحيّة، في الحرم وفي الحلّ؛ لأنّها مؤذيةٌ، وشرّها كبيرٌ؛ فلهذا أمرهم بقتلها، وهكذا بقية المؤذيات.

وفي هذا دلالةٌ على أنّه لا فرق بين الحلّ والحرم، وأنّ هذه المؤذيات تقتل في الحرم كما تقتل في الحلّ.

- **س: أحسن الله إليك، إذا دخلت في جحرها لا تقتل، لا تخرج فتقتل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، يعني فاتته، ما يتيسّر له، فاتتهم، تتبعها في جحرها قد يتعب ويؤذي.

- **س: أحسن الله عملك، بالنّسبة للتحريج، يكون خاصًّا بالبيت؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: بالبيوت، بالبيت.

- **س: هذه القصّة وقعت في منى؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: في منىً نعم.

- **س: بعض النّاس يا شيخ، إذا دخلت في جحرها أشعل فيه النّار؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، النّار لا يعذّب بها إلّا الله، ما يجوز، التّعذيب بالنّار، ما يجوز.

❋

= برقم (٤٩٣٠)، ومسلم في كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها برقم (٢٢٣٤).

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب برقم (١٨٢٩)، ومسلم في كتاب الحج، باب ما يندب المحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم برقم (١١٩٨).

حدّثنا عبدة بن عبد الله، أخبرنا يحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن منصورٍ بهذا، وعن إسرائيل، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله مثله، وتابعه أسود بن عامرٍ، عن إسرائيل، وقال حفصٌ، وأبو معاوية، وسليمان بن قرمٍ، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، وقال يحيى بن حمّادٍ، أخبرنا أبو عوانة عن مغيرة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، وقال ابن إسحاق، عن عبد الرّحمن بن الأسود، عن أبيه، عن عبد الله، حدّثنا قتيبة، حدّثنا جريرٌ، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود قال: قال عبد الله: بينا نحن مع رسول الله ﷺ في غارٍ، إذ نزلت عليه: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾، فتلقّيناها من فيه، وإنّ فاه لرطبٌ بها، إذ خرجت حيّةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ، اقْتُلُوهَا**»، قال: فابتدرناها، فسبقتنا، قال: فقال: «**وُقِيَتْ شَرَّكُمْ، كَمَا وُقِيتُمْ شَرَّهَا**»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال على (كنّا مع رسول الله)؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٨٧)]: «قوله: «كنّا مع النّبيّ ﷺ»: في رواية جريرٍ: في غارٍ، ووقع في رواية حفص بن غياثٍ كما سيأتي بمنىً، وهذا أصحّ ممّا أخرج الطّبرانيّ في «الأوسط» من طريق أبي وائل، عن ابن مسعودٍ قال: بينما نحن عند النّبيّ ﷺ على حراء.

قوله: (**فخرجت**) في رواية حفص بن غياثٍ الآتية: «إذ وثبت».

قوله: فابتدرناها، في رواية الأسود فقال رسول الله ﷺ: (**اقتلوها**)؛ فابتدرناها.

قوله: (**فسبقتنا**)؛ أي: باعتبار ما آل إليه أمرها.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٤٠٣).

والحاصل: أنّهم أرادوا أن يسبقوها فسبقتهم.

وقوله: **(فابتدرناها)**؛ أي: تسابقنا أيّنا يدركها؛ فسبقتنا كلّنا، وهذا هو الوجه والأوّل احتمالٌ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا شاهدٌ لما جاء في الحديث الصّحيح الآخر: «**خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ، كُلُّهُنَّ فَاسِقٌ، يَقْتُلُهُنَّ فِي الحِلِّ والحَرَمِ**»(١)، ذكر منها في الرّواية الأخرى الحيّة، وهنا «الحيّة» و«منى» من الحرم...(٢) فدلّ ذلك على أن الحيّات والعقارب وأشباهها من الفواسق تقتل في الحلّ والحرم.

● **س**: ....؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر عن ملابسات الواقعة، من باب كمال الخبر وضبطه، وضبط الواقع.

● **س: أحسن الله إليك، الغراب من الفواسق؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، الغراب والحدأة والكلب العقور.

● **س**: ....؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المساكن، في المساكن فقط، الحيّة، في المساكن في العمران، أمّا في الطّرقات والفضاء فتقتل.

● **س: في فرق بين الحنش والحيّة؟**

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. أخرجه البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب برقم (١٨٢٩)، ومسلم في كتاب الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في أكل لحم برقم (١١٩٨).

(٢) كلمة غير واضحة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما أدري، ما أعرف عن الحنش شيئًا، هل من عداد الحيّات أو لا؟ هذا يمكن أن يراجع: في حياة الحيوان أو أشباهه هل يعدّ من الحيّات أو ما يعدّ؟

• **س: عفا الله عنك الحيّة ما تقتل إلّا بعد الإيذان ثلاثًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

جاء في بعض الأحاديث، حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره، وأبي لبابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النّبيّ ﷺ أمر بإيذانهنّ ثلاثًا؛ فإن عادوا يقتلن قال: «**إِنَّ لِهَذِهِ الْبُيُوت عَوَامِرَ** ـ من الجنّ؛ لأنّ الجنّ يتصوّرون بالحيّات ـ **فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْهَا فَحَرِّجُوا عَلَيْهَا ثَلَاثًا، فَإِنْ ذَهَبَ، وَإِلَّا فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ**»(١).

• **س: خاصٌّ بالمدينة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، ليس خاصًّا بالمدينة، الظّاهر العموم، ليس بخاصٍّ بالمدينة، العموم جميع المنازل، بعض أهل العلم يقولون: إنّ هذا منسوخٌ وإنّ حديث: «**خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ، كُلُّهُنَّ فَاسِقٌ**»، أن هذا يعمّ المنازل وغير المنازل، وأن ذاك منسوخٌ، وأنّ هذا كان قديمًا.

ولكن الأظهر عدم النّسخ؛ لأنّ القاعدة الشّرعيّة: «مهما أمكن الجمع فهو مقدّمٌ على النّسخ». فالحيّات تقتل في الطّرقات والصّحراء، يشرع قتلها ويندب إلى قتلها، ولكن في البيوت تؤذن، يتعوّذ منها ثلاثًا، ثلاث مرّاتٍ؛ فإن عادت، قتلت.

• **س: الإنذار ثلاثة أيّامٍ أم ثلاث مرّاتٍ متوالية؟**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي السائب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها برقم (٢٢٣٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

جاء ثلاثة أيّامٍ، وجاء ثلاث مرّاتٍ مرةً بعد مرةٍ، وفي بعضها ثلاثة أيّامٍ، في بعضها ثلاث مراتٍ؛ يعني: في كلّ يومٍ مرةً.

والأقرب ـ والله أعلم ـ أنّه متى آذنها ثلاثًا إذا رآها ثلاث مرّاتٍ وآذنها حصل المقصود، أو آذنها ثلاثة أيّامٍ كذلك حصل المقصود؛ لأنّه نوع من الإذن.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ٣٢﴾ [المرسلات].

حدّثنا محمّد بن كثيرٍ، أخبرنا سفيان، حدّثنا عبد الرّحمن بن عابسٍ قال: سمعت ابن عبّاسٍ: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ٣٢﴾ قال: «كنّا نرفع الخشب بقصرٍ ثلاثة أذرعٍ، أو أقلّ، فنرفعه للشّتاء، فنسمّيه القصر»[1].

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ٣٣﴾ [المرسلات].

حدّثنا عمرو بن عليٍّ، حدّثنا يحيى، أخبرنا سفيان، حدّثني عبد الرّحمن بن عابسٍ، سمعت ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [٣٢]: «كنّا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرعٍ، وفوق ذلك، فنرفعه للشّتاء، فنسمّيه القصر، ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ٣٣﴾: حبال السّفن، تجمع حتّى تكون كأوساط الرّجال»[2].

---

(١) ورد بعد هذا الحديث تعليق من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على حديث (٤٩٣٠) قوله: «وفي قصة الحية: . . .» إلخ، ووضعته في محله.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ٣٣﴾ برقم (٤٩٣٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ماذا قال الشّارح على ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ٣٣﴾؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٨٨)]: «قوله: (**باب قوله**: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ٣٣﴾):

ذكر فيه الحديث الّذي قبله من طريق يحيى وهو القطّان، أخبرنا سفيان وهو الثّوريّ.

قوله: (**ثلاثة أذرع**): زاد المستملي في روايته أو فوق ذلك.

قوله: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ٣٣﴾: حبال السّفن تجمع؛ أي: يضمّ بعضها إلى بعضٍ ليقوى؛ حتّى تكون كأوساط الرّجال.

قلت: هو من تتمّة الحديث، وقد أخرجه عبد الرّزّاق عن الثّوريّ بإسناده وقال في آخره: وسمعت ابن عبّاسٍ يسأل عن قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ٣٣﴾ قال: حبال السّفن يجمع بعضها إلى بعضٍ حتّى تكون كأوساط الرّجال، وفي رواية قيس بن الرّبيع عن عبد الرّحمن بن عبّاسٍ: هي القلوص الّتي تكون في الجسور. والأول هو المحفوظ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: قيس بن الربيع ضعيفٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: العينيّ زاد شيئًا؟

[قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ٢٧٢)]: «أشار به إلى قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ٣٢ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [المرسلات: ٢٣، ٣٣]. وفسّر الجمالات بالحبال، وهي الحبال الّتي تشدّ بها السّفن، هذا إذا قرئ بضم الجيم، وأما إذا قرئ بالكسر فهو، جمع: جمالة، وجمالةٌ جمل زوج النّاقة.

وقال ابن التّين: ينبغي أن يقرأ في الأصل بالضّمّ؛ لأنّه فسّرها بالحبال، وقد قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤] هو: حبل السّفينة، وعن ابن عبّاسٍ وسعيد بن جبير: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾، هي حبال السّفن، يجمع بعضها إلى بعضٍ حتّى تكون كأوساط الرّجال، وفي رواية أبي ذر، وقال مجاهد: ﴿جِمَٰلَتٌ ﴿٣٣﴾﴾: حبالٌ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿جِمَٰلَتٌ ﴿٣٣﴾﴾؟ لعلّها قراءة؟ تكلّم عليها الشّارح؟

(من القارئ): ما تكلّم.

(من الطّالب): بارك الله فيك: هنا البخاريّ كلّ قراءةٍ عن ابن حجرٍ القراءة كلّها ورشٌ عن نافعٍ، ليس قراءة حفصٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المقصود ما نعرفها قراءةً.

- **س: أليست بالضّمّ جمالات...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول الحبال: جمالاتٌ، وأمّا الكسر إذا أريد به جمع الجمل.

- **س: لكن هذا الفتح أولى؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا المعروف جمالةٌ ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ جِمالةٌ.

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المرسلات: ٣٥][(١)].

حدّثنا عمر بن حفصٍ، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش، حدّثني

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله، قال: بينما نحن مع النّبيّ ﷺ في غارٍ، إذ نزلت عليه: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾، فإنّه ليتلوها، وإنّي لأتلقّاها من فيه، وإنّ فاه لرطبٌ بها، إذ وثبت علينا حيّةٌ، فقال النّبيّ ﷺ: «**اقْتُلُوهَا**»، فابتدرناها، فذهبت، فقال النّبيّ ﷺ: «**وُقِيَتْ شَرَّكُمْ، كَمَا وُقِيتُمْ شَرَّهَا**»، قَالَ عُمَرُ: حَفِظْتُهُ مِنْ أَبِي: «**فِي غَارٍ بِمِنًى**»[1].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهي مكيّةٌ؛ يعني: نزلت قبل الهجرة.

● **س: التّرجمة الأخيرة ما لها علاقةٌ بالحديث؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ليس ظاهرًا، ليس بظاهرٍ. تعرّض لها الشّارح؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٨٨)]: «قوله: (**بابٌ**: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥﴾): ذكر فيه حديث عبد الله بن مسعودٍ في الحيّة». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كأنّه ـ والله أعلم ـ يعني: قد تكون التّرجمة زائدةً في بعض النّسخ، وإنّما هو تابعٌ لما قبله، تكرارٌ للأحاديث؛ لتنوّع الأسانيد.

● **س: يعني: فرّق الحديث؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم من باب تنوّع الأسانيد.



---

(١) سبق تخريجه في (ص٤٠٣).

تفسير آيات من سورة النبأ

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد(١):

هذا النبأ العظيم الذي يتساءل فيه الناس جدير بأن يُعتنَى به ويعرف، ويُعدُّ له العدة. وهذا النبأ العظيم، هو نبأ يوم القيامة، نبأ البعث والنشور، ومجازاة الناس على أعمالهم، فإن كفار العرب أغلبهم منكرون له، ويكذبون بذلك، ويقولون: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧]، وهكذا غالب الأمم، فبعث الله الرسل تبيِّن هذا الأمر، وأن الناس لهم مصير، ولهم مرجع إلى ربهم، يجازيهم بأعمالهم، خيرها، وشرها، فجدير بالمكلف والعاقل أن ينظر لهذا اليوم، وأن يُعد له عدته، وأن يحذر تكذيب المكذبين، وضلال الضالين؛ ولهذا يقول ﷻ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١]؛ يعني: عن أي شيء يتساءلون الناس ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ٢]، فإن قريشًا وغيرها قد سألوا عن ذلك، وتنكر عن الرسول ﷺ، وتقول: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤]، فبيَّن الله ﷻ أن هذا اليوم يوم عظيم؛ لا بد منه لما عدَّد النعم، قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾ [النبأ:

(١) من دروس سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسجده بمكة الكرمة، ونُشِر في كتاب: حديث الصباح (ص٨٠) طبع دار قرطبة بيروت.

١٧]، هو يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبأ: ١٨ ـ ٢١]، جهنم للطاغين ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٢، ٢٣]؛ يعني: أحقابًا لا تنقضي، بل عذاب دائم نسأل الله العافية، كل حُقب بعده حقب، والحقب ثمانون عامًا، كما قال جمع من أهل العلم، فجدير بالعاقل أن يعد العُدة، ويحذر التساهل، والتفويت والتسويف، والتفريط فيهجم عليه الأجل وهو على غاية من الخسارة، والتفريط فيندم غاية الندامة.

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ١ ـ ٥]، وعيد، سوف يعلمون مغبة هذا التكذيب، وهذا الإنكار، وهذا الشك، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ [النبأ: ٦]: الله جعل الأرض مهادًا للناس يتقلبون فيها، ينامون، يسافرون، يغرسون، يزرعون، وجعلها لهم فراشًا مهدًا، ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧]: ثبَّت الله بها الأرض حتى لا تموج وتضطرب، فهو سبحانه عدَّد النعم لنشكره، وجعل هذه الشمس سراجًا وهّاجًا للناس، ينتفعون بها، وينفع الله بها العباد في معاشهم، ومعادهم، وأسفارهم، وإقامتهم، وزروعهم، وغير ذلك.

فالواجب على المكلَّفين أن ينتبهوا لهذا الأمر، ولهذه النعم التي عدَّدها عليهم ﷻ، وجعل ـ سبحانه ـ أزواجًا ذكورًا وإناثًا يتناكحون ويتوالدون حتى يكثروا ويتعاونوا، وجعل لهم هذه الشمس سراجًا وهّاجًا، وجعل لهم القمر أيضًا في الليل، كل هذا من نعمه العظيمة، ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩]: يقطع الحركة، ويستريحون فيه بعد تعب النهار وكَدِّه، وتعبه، وجعل لباسًا يغشى الناس وينامون فيه، ويستريحون، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١]: يتصرفون فيه كل

هذا من نعمه العظيمة، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢]: هذه السموات السبع، ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣]: هذه الشمس، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤]: المعصرات: السحاب، ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ: ١٥، ١٦]: بساتين، ونعم وزروع وخيرات، لهؤلاء العباد، يتنعَّمون بها، ويعيشون بها في هذه الدار، حتى ينتقلوا إلى الدار الأخرى، ثم يقول ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧]، يوم الفصل: يوم القيامة، هذا اليوم العظيم، الذي يفصل فيه بين العباد، فريق في الجنة، وفريق في السعير، كلٌّ يُعطَى نصيبه، وجزاء عمله، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، وهذا يثقل ميزانه، وهذا يخف ميزانه، هذا إلى الجنة مع المنعَّمين يُساق إلى الجنة، وهذا إلى النار مع الهالكين، فالواجب العناية بهذا الأمر والإعداد له، والحذر من التفريط والتساهل والغفلة.

نسأل الله أن يوفِّقنا وإياكم للعلم النافع، والعمل والصالح، وأن يمنحنا وإياكم المسارعة إلى كل خير، والعافية من كل شر، إنه ﷻ جواد كريم، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه.

*

سورة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾﴾(١)

قال مجاهدٌ: ﴿لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [٢٧]: لا يخافونه، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [٣٧]: لا يكلّمونه إلّا أن يأذن لهم، ﴿صَوَابًا﴾ [٣٨]: حقًّا في الدّنيا، وعملٌ به، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿وَهَّاجًا﴾ [١٣]: مضيئًا، قال غيره: (غَسَّاقًا) [٢٥]: غسقت عينه، ويغسق الجرح: يسيل، كأنّ الغسّاق

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

والغسيق واحدٌ، ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [٣٦]: جزاءً كافيًا، أعطاني ما أحسبني: أي: كفاني.

* * *

تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ [النبأ: ١٨](١).

زُمَرًا.

حدّثني محمّدٌ، أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**، **قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟** قال: أبيت، قال: **أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟** قال: أبيت، قال: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قال: أبيت، قال: «**ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهْوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: كذا عندكم (**إلا عظمًا واحدًا**) بالنّصب؟

(من الطلاب): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذه من آيات الله سبحانه وتعالى؛ فإنّه جل وعلا هو القادر العظيم، وهو على كلّ شيءٍ قديرٌ، والنّفختان: نفخة الصّعق، ويقال لها: نفخة الفزع.

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ برقم (٤٩٣٥)، ومسلم في كتاب العتق، باب ما بين النفختين برقم (٤٩٥٥).

والثّانية: نفخة البعث والنّشور، فهما نفختان كما دلّ عليه القرآن الكريم في سورة الزّمر، وفي سورة النّمل.

أما حديث الصّور وما فيه من ثلاث نفخاتٍ فهو حديثٌ ضعيفٌ: نفخة الفزع، ونفخة الصّعق ـ وهو الموت ـ، ونفخة البعث والنّشور.

لكن المحفوظ والثّابت نفختان فقط: نفخةٌ طويلةٌ وهي نفخة الصّعق، ويقال لها: نفخة الفزع؛ فينفخ إسرافيل ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ في الصّور ـ وهو قرنٌ عظيمٌ ـ فتطول هذه النّفخة، يطوّلها، وأوّل ما يسمعها النّاس ينصتون لها، والواحد يصغي ليتًا ويرفع ليتًا.

واللّيت: صفحة العنق، تكون هكذا وهكذا؛ يتسمّع ما هو الخبر، ما هذا الصّياح، فلا تزال الصّيحة تشتدّ وتعظم حتّى يموت النّاس يصعقون، حتّى يصعق النّاس ويموتون.

وهي نفخةٌ طويلةٌ، فظنّها بعض النّاس نفختين، وهي نفخةٌ طويلةٌ يمدّها إسرافيل عليه السلام، ثمّ يبقى النّاس مدةً، جاء في هذا الحديث الصّحيح أنّها أربعون، سئل أبو هريرة رضي الله عنه عن: هل هي أربعون يومًا أو شهرًا أو سنةً؟ فقال: «أبيت»؛ يعني: ما عندي علمٌ بهذا، هكذا سمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «**أَرْبَعُونَ**».

جاء في بعض الرّوايات: «**أَرْبَعُونَ خريفًا**»، لكن ليست الرّواية ثابتةً في بيان التّمييز.

فيمكثون أربعين، الله أعلم هل هي أربعون يومًا، أو شهرًا، أو سنةً؟ ثمّ ينزل الله مطرًا؛ فينبتون كما ينبت البقل.

وكلّ شيءٍ يفنى من ابن آدم إلّا عجب الذّنب، عُظيم العُصعص [الذي] في آخر الصّلب، ومنه يركّب الخلق، ثمّ يقوم النّاس من قبورهم إلى ربّ العالمين بعد النّفخة الثّانية ـ وهي نفخة البعث والنّشور ـ حفاةً

عراةً غرلًا كما بدأ الله خلقهم: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

فعند ذلك يأتون أفواجًا بعد ما يخرجهم الله من قبورهم، قد تمّ خلقهم؛ فيأتون أفواجًا، فوجًا فوجًا إلى مواضع محلّ المحشر، محلّ مجمعهم.

وهذا يومٌ عظيمٌ شديد الأهوال، عظيم الكروب، إلّا من سهّل الله عليه بسبب أعماله الصّالحة وإيمانه.

ويعرق النّاس في هذا اليوم عرقًا عظيمًا، يذهب في الأرض سبعين ذراعًا، وتدنو الشّمس من النّاس؛ حتّى تكون قدر ميلٍ، ويخرج النّاس في عرقهم، منهم من يأخذه العرق إلى كعبه، ومنهم من يأخذه إلى ركبته، ومنهم من يأخذه إلى حجزته، ومنهم من يلجمه ويخوض فيه خوضًا عظيمًا كالسّيل على حسب أعمال النّاس. الله المستعان، لا حول ولا قوّة إلّا بالله. الله أكبر.

• **س: المؤمنون يدخلون في الكروب هذه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

«كلٌّ يجيئه نصيبه، إلّا من تمّ إيمانه وكمل إيمانه، الله يجعلها عليه يسيرةً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدّثّر: ١٠].

أمّا من استقام أمره فلا يحزنه الفزع الأكبر. الله أكبر. الله المستعان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: تكلّم عليها الشّارح: أربعون يومًا؟

(من الطالب): قال في «الفتح»: «تقدّم شرحه في تفسير الزّمر».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والعينيّ؟

[قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ٢٧٦)]: «والحديث قد مضى في تفسير سورة الزمر، ومضى الكلام فيه.

قوله: (**أبيت**)؛ أي: امتنعت عن الإخبار بما لا أعلم.

قوله: (**إلا يبلى**)؛ أي: يخلق، قوله: (**عجب الذّنب**): بفتح العين المهملة وسكون الجيم الأصل فهو آخر ما يخلق وأول ما يخلق». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى أن أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يحفظ تفسير الأربعين، هل هي يومٌ، أو شهرٌ، أو سنةٌ؟ بين النفختين أربعون الله أعلم، هل هي يوم أو سنةٌ أو شهرٌ بين نفخة الموت ونفخة البعث؟ هي نفخة الصّعق ونفخة البعث والنّشور، فإنّ الله جَلَّ جَلَالُهُ بيّن في الكتاب العزيز نفختين: إحداهما: يموت بها النّاس، وهي نفخة الصّعق. والثّانية: يبعث بها النّاس.

وقال بعض أهل العلم: إنّها ثلاث نفخاتٍ، كما في حديث الصّور؛ نفخة الفزع يفزع النّاس، ثمّ نفخة الموت، ثمّ نفخة البعث، ولكن حديث الصّور ضعيفٌ، والمحفوظ نفختان: نفخة الصّعق هي نفخة الفزع، واحدةٌ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [النمل: ٨٧]، في الآية الأخرى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الزمر: ٦٨].

فالفزع والصّعق شيءٌ واحدٌ، يمدّها إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أو يطوّلها حتّى يفزع النّاس، ثمّ يموتون ـ وإذا سمعها ـ ومن يسمعها يصغي ليتًا ويرفع ليتًا، هكذا هكذا يتسمّع ما الأمر؟ فلا تزال هذه الصّيحة تزداد وترتفع وتعظم حتّى يموت النّاس، وتكون هذه الصّيحة وهي نفخة الفزع والصّعق، والنّاس في أمور دنياهم كما تقدّم، هذا يلوط حوض إبله ليسقيها، وهذا في يده النّخلة ليغرسها، وهذا في يده اللّقمة ليأكلها، وهذا في يده الثّوب، يتبايع الثّوب أو غيره، يتبايع مع صاحبه قد مدّوا

يتبايعون، ثمّ يسقطون كلّهم، هذا يسقط ما أكل، وهذا يسقط ما غرس، وهذا يسقط ما اشترى ولا باع في هذه الحالة، فهي نفخةٌ طويلةٌ تنزل بالنّاس وهم في أمور دنياهم وأعمالهم، فلا تنتهي إلّا وهم ميّتون، ثمّ يمكث النّاس أربعين، يمكثون أربعين بعد هذه النّفخة، الله أعلم هل هي يومٌ أو شهرٌ أو سنةٌ؟

ثمّ تكون نفخة أخرى؛ نفخة البعث والنّشور، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]؛ فالأمر عظيمٌ، والله المستعان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: عندك[(١)]؟

(**الطالب**): نعم، الحديث أحسن الله إليك.

حدّثنا عمر بن حفصٍ، حدّثنا أبي قال: حدّثنا الأعمش، قال: سمعت أبا صالحٍ، قال: سمعت أبا هريرة، عن النّبيّ ﷺ قال: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**»، قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنةً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: «**أَبَيْتُ وَيَبْلَى كُلّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ، إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ، فِيْهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: تكلّم عليه بشيءٍ؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٥٥٢)]: «قوله: (**ما بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ**): تقدّم في أحاديث الأنبياء الرّدّ على من زعم أنّها أربع نفخاتٍ، وحديث الباب يؤيّد الصّواب.

قوله: (**أَرْبَعُونَ. قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟**) لم أقف على اسم السّائل.

---

(١) أي: كلام الحافظ على حديث: «**ما بين النفختين أربعون**» وسبق قريبًا تكليف الشيخ للطالب بمراجعة البحث.

قوله: (أَبَيْتُ): بموحّدةٍ؛ أي: امتنعت عن القول بتعيين ذلك؛ لأنّه ليس عندي في ذلك توقيفٌ، ولابن مردويه من طريق أبي بكر بن عيّاشٍ عن الأعمش في هذا الحديث؛ فقال: أعييت من الإعياء وهو التّعب، وكأنّه أشار إلى كثرة من يسأله عن تبيين ذلك فلا يجيبه.

وزعم بعض الشّرّاح أنّه وقع عند مسلمٍ «أربعين سنةً» ولا وجود لذلك، نعم أخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن الصّلت عن الأعمش في هذا الإسناد: (أَرْبَعُونَ سَنَةً)، وهو شاذٌّ.

ومن وجه ضعيفٍ عن ابن عبّاسٍ قال: «ما بين النّفخة والنّفخة أربعون سنةً»، ذكره في أواخر سورة (ص)، وكأنّ أبا هريرة لم يسمعها إلّا مجملةً؛ فلهذا قال لمن عيّنها له: (أَبَيْتُ).

وقد أخرج ابن مردويه من طريق زيد بن أسلم عن أبي هريرة قال: (بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ) قالوا: أربعون ماذا؟ قال: هكذا سمعت.

وقال ابن التّين: ويحتمل أيضًا أن يكون علم ذلك، لكن سكت ليخبرهم في وقتٍ، أو اشتغل عن الإعلام حينئذٍ، ووقع في «جامع ابن وهبٍ»: «أربعين جمعةً» وسنده منقطعٌ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المقصود من هذا: أن المحفوظ أنّها لم تفسّر، وأنّ الرّسول ﷺ ما فسّرها لهم، هل هي أربعون يومًا أو شهرًا أو سنةً؟ الله أعلم بهذه الأربعين الّتي بين النفختين، ولله الحكمة في ذلك، لو شاء لبيّنها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

- **س: الصّعق الّذي قبل يوم القيامة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نفختان فقط، يقال لهما: نفخة الصّعق والفزع، ويقال للثانية: نفخة البعث والنّشور.

• س: قول النّبيّ ﷺ: «النَّاس يَصْعَقُونَ يَوْم القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ» هذه أخرى؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، هذه في يوم القيامة بعد بعث النّاس ونشورهم الّذي فيها: «**فأجد موسى باطشًا بقوائم العرش**»، هذه صعقةٌ أخرى، بعد وجود النّاس، بعد قيام السّاعة.

• س: الّذي فسّرها على أنّها ثلاث نفخاتٍ؛ فرّق بين الفزع وبين الصّعق؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إي نعم، فرّق بين الفزع وبين الصّعق، لكن ما عليه دليلٌ.

• س: أحسن الله إليك، صراطٌ واحدٌ الّذي يمرّ عليه النّاس أم صراطان؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، صراطٌ واحدٌ على متن النّار، من سقط سقط فيها، يمر عليه المؤمنون ويحبسون على قنطرةٍ حتّى يقتصّ بعضهم من بعضٍ، ثمّ يؤذن لهم في دخول الجنّة.

• س: ذكر القرطبيّ صراطين: صراطًا أوّل يمر عليه كلّ النّاس، سيسقط منه الكفّار، وصراطًا يمرّ عليه المسلمون؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، خطأ، ما هناك إلّا صراطٌ واحدٌ، الله المستعان.



تفسير آيات من سورة النازعات(١)

وقال مجاهدٌ: ﴿ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [٢٠]: عصاه، ويده، يقال: النّاخرة، والنّخرة سواءٌ، مثل الطّامع والطّمع، والباخل والبخيل، وقال بعضهم: والنّخرة: البالية، والنّاخرة: العظم المجوّف الّذي تمرّ فيه الرّيح، فينخر، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾ [١٠]: إلى أمرنا الأوّل إلى الحياة، وقال غيره: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [٤٢]: متى منتهاها، ومرسى السّفينة حيث تنتهي.

*

حدّثنا أحمد بن المقدام، حدّثنا الفضيل بن سليمان، حدّثنا أبو حازمٍ، حدّثنا سهل بن سعدٍ رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا، بالوسطى والّتي تلي الإبهام: **بُعِثْتُ وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**»، ﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾ [٣٤]: تطمّ على كلّ شيءٍ(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني: أنّ السّاعة قريبٌ منه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ لهذا أشار بأصبعه السّبّابة والوسطى هكذا؛ يعني: ليس بين السّاعة وبين مبعثه إلّا مثل ما بين السّبّابة والوسطى؛ يعني: أنّه نبيّ السّاعة ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، ليس بعده نبيٌّ، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٢) متفق عليه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٩٣٦).

والمعنى: أنّه ﷺ هو نبيّ السّاعة، وليس بعده نبيٌّ، ولهذا شبّه بأصبعيه الوسطى والسّبّابة؛ لأنّهما متجاورتان؛ فالسّاعة مجاورةٌ لبعثه، فليس بعده أنبياء، وإنّما هو نبيّ السّاعة، وخاتم الأنبياء ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

والطّامّة الكبرى هي يوم القيامة، ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ هي يوم القيامة، وهي الصّاخّةُ كما في سورة عبس، وهي الغاشية: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، وهي الواقعة، وهي الحاقة.

والطّامة الّتي تطمّ الجميع، الصّاخّة تصخّ النّاس كلّهم، وهي القارعة وهي الحاقّة. الله المستعان، كلّه من أسماء يوم القيامة.

(من قارئ العمدة): عندنا زيادة في العينيّ (٢٣/ ٩٩) قال: «﴿زَجْرَةٌ﴾ [النازعات: ١٣]: صيحةٌ، وقال مجاهدٌ: ﴿تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦] هي الزلزلة. سمكها: بناها بغير عمدٍ. طغى: عصى. الرّاجفة: النّفخة الأولى. والرّادفة: النّفخة الثّانية، قال ابن عبّاسٍ: أغطش: أظلم».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه الزيادة في الشّرح ذكرها عندكم في الشّرح؟

(من قارئ الفتح): ترجف الراجفة موجودة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نسخٌ، رواياتٌ، لعلّها نسخ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما تعرّض لها الشّارح؟

(من القارئ) تعرّض لها.

- **س: قال: «بعِثْتُ والسَّاعَة كَهَاتَينِ»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: قيام السّاعة، قيام النّاس من قبورهم، هي السّاعة.

- **س: قال: «بعثت والساعة كهاتين»؟**

○ **الجواب**: يعني: قيام الساعة، قيام الناس من قبورهم، هي الساعة.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ الآيات [النازعات: ٤٠][1].

هذه الآية آية عظيمة ومعناها واضح، وقبلها يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ الآية [النازعات: ٣٧ ـ ٤٠]؛ أي: خاف القيام بين يدي الله؛ فلهذا نهى نفسه عن هواها المحرم؛ أي: نهاها عن المعاصي التي تهواها النفس، وهذا هو الذي له الجنة والكرامة، فإن النفس قد تميل إلى الزنا والخمر والربا، وإلى أشياء أخرى مما حرَّم الله، وتهوى ذلك لأسباب، فإذا وفَّق الله المؤمن أو المؤمنة لمحاربة هذا الهوى ومخالفته وعدم الانصياع إليه صار هذا من أسباب دخول الجنة.

● **س: هل يجوز عمل المرأة؟**

وعمل المرأة لا بأس به إذا كان مباحًا أو مشروعًا، ولا يترتب عليه شيء من المعاصي كالخلوة بالرجل الأجنبي، أو عصيان الزوج، أو نحو ذلك مما حرَّم الله عليها.

□ □ □

---

(١) مجموع الفتاوى، د. الشويعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٤/ ٣٢١).

تفسير آيات من سورة عبس(١)

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [١]: كلح، وأعرض، وقال غيره: ﴿مُّطَهَّرَةِۭ﴾ [١٤]: لا يمسّها إلّا المطهّرون، وهم الملائكة، وهذا مثل قوله: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]: جعل الملائكة، والصّحف مطهّرةً؛ لأنّ الصّحف يقع عليها التّطهير، فجعل التّطهير لمن حملها أيضًا، ﴿سَفَرَةٍ﴾ [١٥]: الملائكة، واحدهم سافرٌ، سفرت أصلحت بينهم، وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله، وتأديته كالسّفير الّذي يصلح بين القوم، وقال غيره: ﴿تَصَدَّىٰ﴾ [٦]: تغافل عنه، وقال مجاهدٌ: ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾ [٢٣]: لا يقضي أحدٌ ما أمر به، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [٤١]: تغشاها شدّةٌ، ﴿مُّسْفِرَةٌ﴾ [٣٨]: مشرقةٌ، ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ [١٥]: وقال ابن عبّاسٍ: كتبةٍ، أسفارًا: كتبًا، ﴿تَلَهَّىٰ﴾ [١٠]: تشاغل، يقال: واحد الأسفار: سِفرٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: (**وَاحِدُ الأَسْفَار سِفْرٌ**): سفر، يقال: سفر وسفر. ماذا قال الشّارح عليه؟ ما كان على [وزن] أفعال فالغالب على فعل. ماذا قال الشّارح عليه؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٩٣)]: «قوله: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ١٥﴾ قال ابن عبّاس: كَتَبة، أسفارًا كُتبًا: وصله ابن أبي

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

حاتمٍ من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس في قوله: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾ قال: كَتَبةٍ واحدها سافرٌ، وهي كقوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ﴾ [الجمعة: ٥]، قال: كُتبًا.

وقد ذكر عبد الرّزّاق من طريق معمرٍ عن قتادة في قوله: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾ قال: كتبةٍ. وقال أبو عبيدة في قوله: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾؛ أي: كتبةٍ، واحدها سافرٌ.

قوله: (**تَلَهَّى تَشَاغَلُ**): تقدّم القول فيه.

قوله: (**يُقَالُ وَاحِدُ الْأَسْفَارِ سِفْرٌ**): سقط هذا لأبي ذرٍّ، وهو قول الفرّاء، قال في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ﴾: الأسفار واحدها سفرٌ، وهي الكتب العظام». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: فقط؟ ما ضبطه، ماذا قال العينيّ؟

[قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ٢٨٠)]: «وهو جمع سفر بكسر السّين وهو الكتاب». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

*

حدّثنا آدم، حدّثنا شعبة، حدّثنا قتادة قال: سمعت زرارة بن أوفى يحدّث عن سعد بن هشام، عن عائشة عن النّبيّ ﷺ قال: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَام البرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ**»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في رواية مسلمٍ: «الماهر بالقرآن مع السّفرة الكرام البررة، والّذي

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، برقم (٤٩٣٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب فضيلة حافظ القرآن برقم (٧٩٨).

يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاقٌّ، له أجران»(١). في هذا الحثّ على قراءة القرآن، والإكثار من قراءته، ولو كان عنده بعض الجهل، يتعلّم ويجتهد؛ حتّى ينجح، ولا يترك، في الحديث الصّحيح: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا**»(٢)، ويقول ﷺ فيما رواه مسلمٌ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلّ يَوْم إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْم، وَلَا قَطْعِ رَحِم؟**»، فقلنا: يا رسول الله، نحبّ ذلك، قال: «**أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَع، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ**»(٣)، ويقول: «**اقْرَؤُوا القُرْآن؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْم الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابه**»(٤)؛ يعني: أصحابه الّذين يعملون به، كما في اللّفظ الآخر: «**يُؤْتَى بِالقُرْآن يَوْم القِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِيْنَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَة الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ**»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثالٍ ما نسيتهنّ بعد، قال: «**كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**»(٥).

فكتاب الله فيه الهدى والنّور، وفيه الدّعوة إلى مكارم الأخلاق،

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة عبس برقم (٤٩٣٧)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقدرها، باب فضل الماهر في القرآن والذي يتعتع فيه برقم (٧٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر برقم (٢٩١٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه برقم (٨٠٣).

(٤) سبق تخريجه في (١/ ١٨٤).

(٥) سبق تخريجه في (٩/ ١٥).

ومحاسن الأعمال، وفيه الدّعوة إلى ترك ما نهى الله عنه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ويقول سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمّد: ٢٤]، ويقول ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ويقول ﷻ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

فينبغي للمؤمن والمؤمنة العناية بتدبّر القرآن؛ لأنّه أنزل للعمل لا لمجرد التّلاوة، أنزل للعمل، فالتّالي يتلو ليعمل، ليتفقّه، ليتبصّر في الدّين، حتّى يعمل بأوامر الله، وحتّى ينتهي عن نواهي الله، وحتّى يقف عند حدود الله، يرجو ثواب الله ويخشى عقاب الله.

وهكذا السّنّة سنّة الرّسول ﷺ، وهي الحكمة، هي الوحي الثّاني، فالواجب الأخذ بهذا وهذا، والعناية بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، كما قال ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]؛ يعني: السّنّة.

فطالب العلم يعتني بالقرآن وتدبّره، ويعتني بالسّنّة؛ لأنّها تفسّره وتدلّ على ما قد يخفى منه، فعلى أهل العلم أن يعتنوا بهذا، وأن يوجّهوا النّاس، ويعلّموهم ويرشدوهم، فمن دلّ على الخير فله مثل أجر فاعله: **«لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُون لَكَ حُمْرُ النَّعَم»**(١).

● **س: زرارة بن أوفى؟**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن ﵁ برقم (٣٧٠١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب برقم (٢٤٠٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم ابن أوفى، ذاك الصّحابيّ عبد الله بن أبي أوفى، أما هذا فابن أوفى أبوه اسمه أوفى.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٩٣)]: «قوله: (**عن سعد بن هشام**)؛ أي: ابن عامرٍ الأنصاريّ، لأبيه صحبةٌ، وليس له في البخاريّ سوىً هذا الموضع وآخر معلّقٍ في المناقب.

قوله: (**مثل**): بفتحتين؛ أي: صفته، وهو كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾.

قوله: (**وهو حافظ له مع السّفرة الكرام البررة**): قال ابن التّين معناه كأنّه مع السّفرة فيما يستحقّه من الثّواب.

قلت: أراد بذلك تصحيح التّركيب، وإلّا فظاهره أنّه لا ربط بين المبتدأ الّذي هو (**مثل**)، والخبر الّذي هو (**مع السّفرة**)؛ فكأنّه قال المثل بمعنى الشّبيه؛ فيصير كأنّه قال: شبيه الّذي يحفظ كائنٌ مع السّفرة فكيف به؟!

وقال الخطّابيّ: كأنّه قال: صفته وهو حافظٌ له كأنّه مع السّفرة، وصفته وهو عليه شديدٌ أن يستحقّ أجرين.

قوله: (**ومثل الّذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران**): قال ابن التّين: اختلف: هل له ضعف أجر الّذي يقرأ القرآن حافظًا، أو يضاعف له أجره وأجر الأوّل أعظم؟ قال: وهذا أظهر، ولمن رجّح الأوّل أن يقول: الأجر على قدر المشقّة». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والعينيّ ماذا قال؟

[قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ٢٨٠)]: «قوله: (**مثل الّذي**): بفتحتين؛ أي: صفته كما في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرّعد: ٥].

قوله: (**وهو حافظ له**)؛ أي: القرآن، والواو فيه للحال.

قوله: (**مع السفرة**): ويروى: «مثل السفرة»، وقال ابن التّين: كأنّه مع السفرة فيما يستحقّه من الثّواب. وقال الكرماني: لفظ «مثل» زائد، وإلّا فلا رابطة بينه وبين السفرة؛ لأنّهما مبتدأ وخبر؛ فيكون التّقدير: الّذي يقرأ القرآن مع السفرة الكرام؛ أي: كائن معهم، ويجوز أن يكون لفظ «مثل» بمعنى: مثيل، بمعنى: شبيه، فيكون التّقدير: شبيه الّذي يقرأ القرآن مع السفرة الكرام.

قوله: (**وهو يتعاهده**)؛ أي: يضبطه ويتفقّده.

قوله: (**وهو عليه شديد**)؛ أي: والحال أن التّعاهد عليه شديد.

قوله: (**فله أجران**): من حيث التّلاوة ومن حيث المشقّة. قاله القرطبيّ: فإن قلت: ما معنى كون الّذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة. قلت: له معنيان:

أحدهما: أن يكون له منازل، فيكون فيها رفيقًا للملائكة؛ لاتصافه بصفاتهم من حمل كتاب الله تعالى.

والآخر: أن يكون المراد أنّه عامل بعمل السفرة وسالك مسلكهم». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في اللّفظ المشهور الآخر: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآن مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَام الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآن وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ**»، كما في رواية مسلم[1]. لكن ما أشار لا هذا ولا هذا.

«**الماهر بالقرآن مع السّفرة الكرام البررة**»: يعني: الّذي يقرأه قراءةً

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر في القرآن والذي يتتعتع فيه برقم (٧٩٨).

مجوّدةً مضبوطةً مع السّفرة الكرام البررة، هنا زيادة: «**وهُو حَافظٌ لَهُ**»، «**وَالَّذِي يَقْرَأُ القُرْآن وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ**»، هنا «يتعاهده» «**وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ**»[١].

هذا الحديث العظيم فيه حثٌّ وتحريضٌ على العناية بالقرآن الكريم، وأنّه ينبغي لأهل العلم والإيمان ولكلّ مسلم أن يعنى بهذا الكتاب العظيم، وأنّه متى حفظه ـ حفظ اللّفظ وحفظ العمل ـ فإنّ القارئ حقيقةً قارئ القرآن هو العامل به؛ ولهذا يقال للعلماء: هم القرّاء؛ لأنّهم عملوا بالقرآن وصاروا بذلك علماء.

فهؤلاء لهم شأنهم، وهو رفيع المنزلة عند الله ﷻ، وهم مع السّفرة الكرام البررة، الملائكة الّذين وصفهم الله بأنّهم كرامٌ بررةٌ، وهو كذلك كريمٌ برٌّ؛ لعلمه وإيمانه وتقواه، وعنايته بالقرآن الكريم عناية لفظٍ وعملٍ؛ يعني: يعتني بلفظه والعمل به، والاستفادة منه.

والآخر ليس كذلك؛ بل يقرأ القرآن ولكنّه يتتعتع فيه، ويتعاهده وهو عليه شاقٌّ له أجران: أجر القراءة والعناية، وأجر ما يحصل من التّعب والتّكرار والتّعاهد؛ حتّى يستقيم لسانه؛ وحتّى يستقيم عمله وعلمه.

فينبغي للمؤمن أن يكون هكذا إمّا حافظًا ماهرًا، قد وفّقه الله لحفظه وإجادة تلاوته، والاستفادة من علمه، والعمل به، فهذا في أرفع المنازل.

والثّاني: مَن دون ذلك؛ لأنّه لم يتيسّر له العناية التّامّة، والفقه التّامّ، والإجادة التامّة للفظه ومعناه، وهو عليه شاقٌّ ويتتعتع فيه، وهو عليه شديدٌ؛ فهو في جهادٍ وفي عملٍ صالحٍ؛ فله أجران.

---

(١) هذه الرواية أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب التفسير في سورة يس برقم (٤٩٣٧) بلفظ: مثل الذي يقرأ القرآن.

(من قارئ العمدة): عندنا زيادةٌ: «وقال مجاهدٌ: الغُلب: الملتفّة، والأبّ: ما يأكل الأنعام. فأقبره يقال: أقبرت الرّجل جعلت له قبرًا قبرته دفنته»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: أقبره جعله قبرًا، قبره: دفنه، ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢١] يحتمل أنّه أقبره؛ يعني: شرع دفنه أو شرع أن يوضع له القبر، والمعنى متلازمٌ.

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ، الّذي يتتعتع فيه الّذي ما معه تجويد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: الّذي يتعلّم، لا يزال يتعلّم ما بعد ضبطه، ما بعد ضبط أداءه كما ينبغي في إيجاد الأفضل.

والتّجويد من محاسن القراءة، وإجادة اللّفظ، ترقيق المرقّق، وتفخيم المفخّم ومدّ الممدود والوقوف على المواقف الحسنة مع التخشّع مع التّحزّن.

● **س: عفا الله عنك، من قال: إن الثّاني له ضعف أجر الأوّل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وجهه ما يحصل له من التّعب يعني، والأقرب والله أعلم: أنّ الأوّل أفضل، هذا ظاهر السّياق، ولكن هذا يعطى أجرين، أمّا ذاك فلا يحصي أجره إلّا الله، المعنى الثّاني أظهر؛ لأنّ ذاك مع السّفرة الكرام البررة، قد سبق أنّه اعتنى واجتهد.

● **س: الصّواب في تفسير الآية: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]؟**

---

(١) رواه مالك في «الموطإ». ط. الأعظمي (٢١٩/ ٦٨٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الملائكة وبنو آدم، يعمّهم عند بعض أهل العلم المتطهّر من الحدثين، النّبيّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ قال: «**لَا يَمَسَّ القُرْآن إِلَّا طَاهِرٌ**»[١]، لكن الأصل هم الملائكة، طهّرهم الله، وجعلهم سفرةً بين الله وبين الرّسل ـ عليهم الصّلاة والسّلام ـ.

● **س: المنافق الّذي يقرأ القرآن مسلمٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما ينفعه، أقول: ما ينفعه، نسأل الله العافية، عليه حجّة، المنافق والذي يقرأ ولا يعمل حجّة عليه، يقول النّبيّ ﷺ: «**القُرْآن حُجَّةٌ لَك، أَوْ عَلَيْك**»[٢]، حجّةٌ للمؤمن إذا عمل به، وحجّةٌ على الآخر إذا لم يعمل، نسأل الله العافية.

● **س: بالنّسبة لحديث: «لأن يهدي الله بك رجلًا»، المقصد يهديه من الكفر إلى الإسلام، أو يكون مسلمًا لكن عاصٍ ويهديه يعني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كذا يعمّ، لكن أعظمها، هدايته إلى الإسلام أعظمها.

(**من الطّالب**): أحسن الله إليك، فيه زيادةٌ: وقال مجاهدٌ: الغلب: الملتفّة، والأب: ما يأكل الأنعام، يقال: فأقبره: يقال: أقبرت الرّجل: جعلت له قبرًا، وقبرته دفنته.

---

(١) أخرجه الإمام مالك (٢/ ١٨٨) برقم (٤٧٢)، والدارمي برقم (٢٢٦٦)، وابن حبان (٦٥٥٩)، والحاكم برقم (١٤٤٧) مطولًا وصححه سماحة شيخنا في مجموع الفتاوى (٤/ ٣٨٣).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك الاشعري في كتاب الطهارة باب فضل الوضوء برقم (٢٢٣)..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما هي عندك؟

(من القارئ): غير موجودةٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: في الشّرح؟

(من الطالب): موجودة في الشّرح.

• س: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾؛ **يعني: هذا للوجوب ولا للاستحباب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الوجوب عند أهل العلم، عند عامّة أهل العلم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣﴾ [عبس: ٢١ ـ ٢٣][(١)].

الآية الكريمة واضحة: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾، أن الله ﷻ يميت الناس، هذه الدنيا دار متاع ومؤقتة ولها نهاية، كما قال ﷻ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، وقال ﷻ: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥]، ثم يخرجهم يوم القيامة، ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٣]، ظاهر الآية والله أعلم: أن الإنسان يموت وقد يكون هناك أشياء لم يقضها من الشؤون التي أمر بها؛ لأن الإنسان قد يفاجئه الأجل، قد يحل به الموت وهناك أشياء لم يقضها، فالعاقل والحازم هو الذي يبادر ويسارع في أداء ما أوجب الله عليه وترك ما حرم الله عليه قبل أن يهجم عليه الأجل، يكون هذا من الحزم أن يبادر ويسارع إلى قضاء ما

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٤٣).

أوجب الله عليه، وترك ما حرم الله عليه قبل أن يهجم عليه الأجل، وهو لم يقضِ ما أمره الله به؛ يعني: قد فرط وأضاع.

وهذا مثل قوله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، فهذا كله من باب الحيطة للمؤمن أن يسارع ويسابق حتى لا يهجم الأجل وقد فرَّط.



تفسير سورة التكوير(١)

﴿ٱنكَدَرَتۡ﴾ [٢]: انتشرت، وقال الحسن: ﴿سُجِّرَتۡ﴾ [٦]: يذهب ماؤها، فلا يبقى قطرةٌ، وقال مجاهدٌ: ﴿ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ [الطور: ٦]: المملوء، وقال غيره: ﴿سُجِّرَتۡ﴾ [٦]: أفضى بعضها إلى بعضٍ، فصارت بحرًا واحدًا، والخنّس: تخنس في مجراها؛ ترجع، وتكنس: تستتر في بيوتها كما تكنس الظّباء، ﴿تَنَفَّسَ﴾ [١٨]: ارتفع النّهار، والظّنين: المتّهم، والضّنين: يضنّ به، وقال عمر: ﴿ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [٧]: يزوّج نظيره من أهل الجنّة والنّار، ثمّ قرأ: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [الصافات: ٢٢]، ﴿عَسۡعَسَ﴾ [١٧]: أدبر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والضّنين يُضنّ به أم يضِنّ به؟

(من القارئ): يضنّ بالكسر.

قال ابن بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم يضنّ؛ يعني: يبخل به، والظّنين بالظّاء، المتّهم بالظّاء والباخل بالضّاد؛ يعني: ليس محمّدٌ ﷺ بمتّهمٍ ولا بخيلٍ بما أوحي إليه؛ بل هو يؤدّيه كما أمر ولا يتّهم في إخفاء شيءٍ منه ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾ [التكوير: ٢٤] لا متّهم ولا باخل.

● **س: يكون فيها قراءتان؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم بالضّاد وبالظّاء نعم. بالظّاء متّهم، وبالضّاد بخيلٌ.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾؛ يعني: كلّ إنسان يحشر مع قرينه، ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾؛ يعني: جعل كلّ إنسانٍ مع شبهه، ومثله، فالأخيار مع الأخيار، والأشرار مع الأشرار، الأخيار مع الأخيار إلى الجنّة، والأشرار مع الأشرار إلى النّار. نسأل الله العافية.

وهكذا قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾؛ يعني: أشباههم ونظراءهم إلى النّار. نسأل الله العافية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: راجع: كلامه على الباب؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٩٣)]: «قوله: (**سورة**: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾) بسم الله الرّحمن الرّحيم»: سقطت البسملة لغير أبي ذرٍّ ويقال لها أيضًا: سورة التّكوير.

قوله: (﴿سُجِّرَتْ ۝٦﴾ **يَذْهَبُ مَاؤُهَا فَلَا يَبْقَى قَطْرَةٌ**): تقدّم في تفسير سورة الطّور، وأخرجه ابن أبي حاتمٍ من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بهذا.

قوله: (**وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْمَسْجُورُ الْمَمْلُوءُ**): تقدّم في تفسير سورة الطّور أيضًا.

قوله: (وَقَالَ غَيْرُهُ: سُجِّرَتْ أَفْضَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَصَارَتْ بَحْرًا وَاحِدًا): هو معنى قول السّديّ، أخرجه ابن أبي حاتمٍ من طريقه بلفظ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾؛ أي: فتحت وسيّرت.

قوله: ﴿ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾: انتثرت: قال الفراء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ يريد: انتثرت وقعت في وجه الأرض، وقال عبد الرّزّاق عن معمرٍ، عن قتادة في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ قال: تناثرت، قوله: كشطت؛ أي: غيّرت. وقرأ عبد الله: قشطت مثل الكافور والقافور، والقسط والكسط، ثبت هذا للنّسفيّ وحده وذكره غيره في الطّبّ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يكفي. ماذا قال العينيّ؟ قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ وهنا ﴿ٱنكَدَرَتْ﴾ فالظّاهر والله أعلم أنّ ﴿ٱنكَدَرَتْ﴾ فيها زيادة معنىً، وهي أنّها تغيرت مع انتثارها صار لها لونٌ آخر، انكدر الشّيء تغيّر، مع كونها منتثرةٌ ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾.

[قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ٢٨٠)]: «أشار به إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢] وفسّره بقوله: انتثرت؛ أي: تناثرت وتساقطت من السّماء على الأرض. يقال: انكدر الطّائر؛ أي: سقط من عشّه، وعن ابن عبّاسٍ: تغيّرت.

وقال الحسن: ﴿سُجِّرَتْ﴾: ذهب ماؤها فلا تبقى قطرةٌ. وقال مجاهدٌ: المسجور المملوء. وقال غيره: سجرت أفضى بعضها إلى بعضٍ؛ فصارت بحرًا واحدًا.

أي: قال الحسن البصريّ في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] وتفسيره ظاهرٌ، وكذا قاله السّديّ، وقال ابن زيدٍ وابن عطيّة وسفيان ووهب: أوقدت فصارت نارًا.

قوله: (**وَقَالَ مُجَاهِد: الْبَحْر الْمَسْجُور المملوء**): وهو في سورة الطّور ذكره استطرادًا.

قوله: (**وَقَالَ غَيره**)؛ أي: غير مجاهد، والأصوب أن يقال: غير الحسن على ما لا يخفى، معنى سجّرت أفضى... إلى آخره وهو قول مقاتل والضّحّاك». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣]، وهنا: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ ظاهر الآيات أنّها تتفجّر، يفجّر بعضها على بعضٍ، أو أنّها فجّرت ذهب ماؤها، وصار محلّ الماء نارًا، فهو محتملٌ. الله المستعان. لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

تفسير سورة الانفطار والقارعة

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسوله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد(١):

فهاتان السورتان من المفصَّل: سورة الانفطار، وسورة القارعة، قد أوضح الله فيهما حال القيامة؛ كأنك تشاهدها، وكأنك حاضر وقت قيامها، بيَّن فيها بعض الأحداث التي تكون عند قيام الساعة، حتى تعد لها العدة وحتى تكون على بالك، فإن يوم القيامة حق وسوف تبعث وتنشر، وسوف تجازى بعملك إن خير فخير، وإن شرًّا فشر، وسوف تأخذ كتابك إما بيمينك، وإما بشمالك، وسوف تنتهي إما إلى الجنة، وإما إلى النار، هذه النهاية.

فالجدير بالعاقل أن يُعد العدة، وأن يستفيد مما أخبر الله في كتابه وعلى لسان رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأن تكون أمور القيامة على باله ليُعد لها عدتها، يقول ﷻ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾ [الانفطار: ١]، في الآية الأخرى ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ١]، ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [التكوير: ١]، هذه السماء تنشق يوم القيامة، تنفطر، تطوى، تذهب، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٦٧]، هذه السمٰوات العظيمة تنفطر

---

(١) من كلمات سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في موسم حج ١٤١٧هـ. نُشِر في حديث الصباح (ص٨٣) طبع دار قرطبة بيروت.

وتنشق، وتطوى ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]، هذه النجوم العظيمة تنتشر.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣]، هذه البحار العظيمة يذهب ماؤها، وتسجر نارًا كما في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]، صارت نيرانًا بعدما هي مياه تفجر مياهها تذهب يكون محلها نارًا، ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤]، هذه القبور تُبعثر، تُنبش، يخرج ما فيها من بني آدم، يخرجون بأعمالهم إلى المحشر: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] الأجداث القبور، في سورة القمر: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، في القارعة: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ١ ـ ٤]؛ كالفراش تتصادم عند النور كالجراد منتشرة في الأرض يموج بعضهم في بعض، وتكون الجبال العظيمة، ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]؛ كالصوف المنفوش، تبث، وتنسف، وتدك، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ ـ ١٠٧]، في الآية الأخرى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، هذا شأن القيامة كأنك تشاهده، ثم يقول ﷻ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤].

عند وجود الحوادث يعلم الناس ما قدَّموا وأخَّروا، يبعثون من قبورهم، وتنشر أعمالهم، ويعطون كتبهم، فيعلمون ما قدموا، هذا آخذ كتابه بيمينه، وما أعظم سعادته، وهذا آخذ كتابه بشماله، فما أعظم حسرته ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]، في الآية الأُخرى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]، من خير، وشر، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، ما الذي غرَّك حتى أقدمت على الجرائم غرّك حلمه، إملاؤه لك، الشيطان، غرَّه شيء كثير، إملاء الله،

وحِلم الله، غرَّه الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء حتى أُملي له، فلما أُملي له ظن أنه ليس هناك شيء، وآثر الدنيا على الآخرة، زيَّن له الشيطان، وجلساء السوء، هكذا أنواع منوعه غرّته.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٧، ٨]، من غرّك به حتى عصيته، وركبت محارمه، وخالفت أوامره، وقد سوّاك، وأنعم عليك، وأعطاك العقل، والسمع، والبصر، والقوة، والمال، لماذا؟ النفس الأمارة بالسوء، الشيطان، جلساء السوء، وإملاء الله لك، وإمهاله لك ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩]، هذا أيضًا مما غرّه به، تكذيبه بيوم القيامة؛ ليس هناك بعث، ولا نشور مثل ما قال الكفرة: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، هذا من غرور الشيطان لهم، أنه ليس هناك بعث؛ ولا نشور، موت فقط، وهي القاصمة؛ لأكثر الخلق غرورهم بأنه لا موت ولا بعث: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧]؛ هكذا يقول لهم الشيطان.

يقول ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠]، يخبرنا أن علينا حافظًا ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، ويقول في الآية الأخرى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، فأنت محفوظ مضبوط ما يصدر منك، ومكتوب أيضًا، وسوف تُعطَى كتابك إما باليمين إن صلحت، وإما باليسار إن فسدت: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١] وهم الملائكة يكتبون ما تعملون، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]؛ يعني: ويكتبونه، ملكان واحد يكتب الخير، وواحد يكتب الشر، حسناتك، وسيئاتك، ويمد لك يوم القيامة كتابان، هذا فيه حسنات، وهذا فيه السيئات، فكِّر، وانظر، واحرص أن تملي الخير، واحرص أن تتوب من الشر؛ لك مهلة في هذا الدنيا، بأمرين: فعل

الحسنات، والتوبة من السيئات، اغتنم الفرصة، كل يوم يمر عليك فرصة تغتنمها في عمل الطاعات، صلاة تصليها، صدقات تفعلها، ذكر الله، مساعدة في الخير، صيام، حج، قراءة قرآن، عيادة مريض، دعوة إلى الله، نصيحة، أمر بمعروف نهي عن المنكر، غنائم تكتب في حسناتك، كل يوم، كل ليلة، اغتنم هذه الفرص، واحذر أسباب الشر.

ثم يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤]، هذه النهاية، في الآية الأخرى ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١، ٢] القارعة: القيامة تُسمى قارعة، ويقال لها: الواقعة، والغاشية، والطامة، والصاخة، كلها أسماء يوم القيامة تقرع أسماع الناس عند قيامها بنفخ الصور، ينفخ في الصور إسرافيل نفخة عظيمة تقرع أسماع الناس كلهم، وتغشاهم جميعًا، وهي الطامة الكبرى، وهي الصاخة، وهي الغاشية، وهي الواقعة.

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]؛ كالجراد الدبا يدور في الأرض يموج في الأرض موجًا ما يدري أين يذهب، ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] كالصوف المنفوش بعد صلابتها العظيمة تفت، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٦] بماذا بالدراهم، بالملابس، بالطعام؟ لا، بالعمل الصالح، بالأعمال الصالحة، توحيد الله، الصلوات، الصيام، الصدقات، الجهاد، بر الوالدين، صلة الرحم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذكر الله، قراءة القرآن، هذه الأعمال الصالحة.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٦]؛ يعني: بأعماله الطيبة ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧]؛ يعني: مرضية ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٨]؛ يعني: بأعماله السيئة ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩]، أُمه النار هاوية يهوي فيها الناس ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ١٠، ١١]، هذه الهاوية نار حامية.

فالمنتهى هاتان الداران، المنتهى هاتان الداران، إما الجنة، وإما النار، هذه نهاية هذا العالم كله، إما الجنة، وإما النار، والأكثرون إلى النار، قال ﷻ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، هذه حال أكثر الناس، مثل الإبل، والبقر، والغنم، والذئاب، والحمير، ما عندهم بصيرة، هكذا أكثر الخلق: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] هذه حالهم، أضل من الأنعام، أردى، البعير قد يتوجه إذا وجهته تروح للمراعى، تروح تشرب، البقرة، العنز، الحمار، البغل، قد يتوجه، أما هؤلاء فصُمٌّ بُكم، ما همه إلا أكله، وشربه، ونكاحه، وسواليفه؛ ولا يهمه آخرة ولا جنة ولا نار، قد طبع على قلبه، مريض ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾: تظن ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ [الفرقان: ٤٤]: يسمع ولا ينتفع ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾؛ يعني: أردى.

فاحرص يا عبد الله أن تكون من العقلاء الفاهمين العاملين المطيعين لله ورسوله، واحذر أن تكون من الأخسرين من الأكثرين الضالين الخاسرين أشباه الأنعام، احذر، جاهد، اسأل ربك التوفيق، اللَّهُمَّ أصلح قلبي وعملي، اللَّهُمَّ اهدني سواء السبيل، اللَّهُمَّ ردني إليك ردًّا جميلًا، اللَّهُمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللَّهُمَّ انفعني بسمعي، وبصري، وعقلي، اللَّهُمَّ اهدني سواء السبيل، اضرع إلى الله دائمًا، اسأل ربك، ربك يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ربنا ذكرنا وأعطانا عقولًا، وأسماعًا، وأبصارًا، تفهم، لو تعطى تمرة أخذتها تفهم، تعطى جمرة ما بغيتها، تحرق يدك، تُعطى ريالًا تأخذه، تُعطى جمرة تُعطى خبثًا لا، عندك عقل، تعرف أن الصلاة

حق، فعليك بالصلاة، حافظ عليها في الجماعة، تعرف أن الصدقة حق، والزكاة حق أدِّها، تعرف أن الصيام حق صم، تعرف أن الحج حق حج، تعرف أن بر والديك حق بر والديك، تعرف أن الصدقة فيها خير تصدق، بحسب طاقتك: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(١) تعرف أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حق، فمُر بالمعروف، وانهَ عن المنكر؛ لا تشمت، والإنسان العاق لوالده قل له: اتقِ الله، ما يجوز لك العقوق، تعق والديك لا، عليك بالسمع والطاعة لهما، برَّهما، أحسن إليهما، رأيت من يشرب الخمر قل له: اتقِ الله، هذا مسكر حرام من أسباب دخول النار وغضب الله، صاحبه ملعون اتقِ الله، يدخن، اتقِ الله الدخان محرم منكر ضار لك، ولدينك، ولمالك، ولسمعتك، يحلق لحيته تقول له: الله، اللحية من الجمال للرجال، جمال لك، الرسول أمرك بإعفائها وتوفيرها فاتقِ الله، لا تحلقها ولا تقصها، قص شاربك، الجار حق له عليك أكرم جارك، لا تؤذِه بشيء لا بأولادك، ولا بمذياعك، ولا بغير ذلك، لا تؤذِه جارك أبدًا بشيء، الغريب صِلْه، أخوك، عمك، خالتك، صِلهم بما تيسر لك من الصلة، أحسن إليهم، الغيبة والنميمة احذرها، لا تتكلم في أعراض الناس، لا تنقل الكلام السيئ من زيد إلى عمرو تسبب فتنة.

وهكذا حاسب نفسك، حاسب نفسك، فانظر إلى الخير وقم به، وانظر الشر واحذره، هكذا المحاسبة، الإنسان يحاسب نفسه، جاهدها لله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، كادح عامل كدحًا فملاقي كدحك ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه في كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة برقم (١٤١٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار برقم (١٠١٦).

يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ١٤]، ظن أنه لا يرجع يوم القيامة، لاهٍ ساهٍ في أهله، كل منا يحاسب نفسه مع أهله، يتكلم مع أهله، مع زوجته وعياله، اتقوا الله راقبوا الله، حافظوا على الصلوات، اتركوا الغيبة والنميمة، اتركوا ما حرَّم الله من سائر المعاصي من الملاهي، من التدخين، من شرب المسكر، من الغيبة للناس، والسعي بين الناس في الشر، إلى غير هذا من النصائح.

هذه الفائدة من تدبر القرآن، الفائدة من قراءة القرآن العمل تعمل وتنصح، تجاهد نفسك هذا المقصود: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، ويقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، أُنزل لهذا، ما أنزل لمجرد القراءة فقط، أنزل للتدبر والتعقل، والعمل، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، لو جاءك كتاب من أميرك، كتاب يقول: توجه إلى المحل الفلاني، وافعل كذا، وبلغهم كذا، وبلغهم كذا، فأبيت؟ له حق يعاقبك هذا الأمير الذي فوقك، وأنت من ضمن الرعية، أمير مثلك؛ لكنك عصيته، وأنت مأمور بالسمع والطاعة في المعروف، كتب إليك، وقال لك: اذهب للقرية الفلانية بلِّغهم أن عليهم أن يحافظوا على الصلوات، عليهم أن يحذروا الربا، عليهم أن يحذروا شرب المسكر، قلت: لا، ما أذهب ما علي منه، إذا أدبك فماذا يصير وهو واحد مثلك أليس مصيبة إذا أدبك؛ لأنك عصيت الأوامر، وهو مخلوق مثلك؟ ربك يقول: افعل كذا، واترك كذا، ومع هذا لا تبالي، أبوك لو قال لك: يا ولدي اذهب بهذه الدراهم واعطها لفلان يطلبني، اذهب

بهذه العباءة، وأعطِ فلانًا فقيرًا، اذهب بهذا الطعام وأعطه للفقراء، وأبيت، هل أنت جيد في هذا تستحق الثناء ولا تستحق اللوم والعقوبة مع أبيك، أو مع أخوك الكبير، أو مع أمك، أبوك يقول لك: خذ هذه الملابس أعطها الفقراء، هاك الطعام اذهب أعطها الفقراء، ربك العظيم الذي خلقك، وأوجدك من العدم يقول: افعل ولا تفعل، ثم تقول: لا؛ ولو ما قلت بلسانك، تقول بأفعالك، لا أنا أنام، وما أصلي ولا مزكٍ، هذا مالي ولي أتصرف فيه، ولا أصوم، لماذا أصوم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، أحرم من الأكل؟ ولا أحج، ماذا يصير حالك؟ ما هذا؟ أليس هذا هو التلاعب، أليس هذا هو كفر النعمة؟ أليس هذا هو الجنون؟ والحماقة؟ وسخافة العقل؟ لو كان مع أبيك أو مع أخيك قال الناس هذا ليس بعاقل؟ فكيف مع ربك الكريم العظيم، الذي خلقك من العدم وغذاك بالنعم، يقول لك افعل ولا تفعل، ولا تبالي، تجعل أمره وراء الظهر؛ لا تمتثل أمرًا ولا تنتهي عن نهي، وأنت عاقل تفهم، ما أنت بمجنون، عاقل؟

إن ذلك والله موجب لغضب الله عليك؛ ولعذابه لكفرانك بالنعم، وعصيانك الأوامر، وأنت تعقل وتفهم، ولو كان مع أبيك أو أميرك؛ لكنت مستحقًّا أيضًا لتلك العقوبة، الذي أمرك بأوامر تطيقها، مصالح تنفعك، وتنفع أباك وأمك، ثم تعصي، ولا تبالي، فكيف بالرب العظيم الذي خلقك وأنعم عليك، وبيده أمرك، وبيده حياتك وموتك، ثم لا تبالي؟

الوصية أيها الإخوة: التدبر والتعقل والعناية بالقرآن، والإكثار من تلاوته، تدبر المصير النظر في المصير، كلكم منتهٍ، ما فيه أحد باقٍ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، قال لنبيِّه ﷺ، يخاطب نبيّه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]،

محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١] ولما تُوفِّي ﷺ، شك بعض الناس، هو مات أو لم يمت، وكان عمر ممن توقف في موته؟ فقام الصدِّيق خطيبًا للناس، أبو بكر ثبات، وشأن، خطب الناس بعد ما ذهب للنبي، وكشف غطاءه عنه ورآه قبَّل بين عينيه، **فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللهِ، لَا يَجْمَعُ اللهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا**[١].

ثم خرج إلى الناس في المسجد فصعد المنبر فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ[٢]، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فلما سمعها الناس، كأنها ما نزلت إلا ذاك اليوم، كأنهم ما عرفوها إلا ذاك اليوم، كل واحد يتلوها: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ قد أيقنوا الموت لما سمعوا خطبة الصدِّيق، استرجعوا ﴿...إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، وعظم الأمر، وكبرت المصيبة، وأيقنوا أن الواقعة وقعت، وأنه تُوفِّي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأن الحي القيوم الذي له العبادة حي لا يموت، كما قال ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، هو الذي يُعبَد، ويُطاع أمره، وإليه المصير، أما الأنبياء، وإن كانوا أشرف الناس فقد ماتوا، ومنهم من قتل أيضًا، ما عدا عيسى فقد بقي، عيسى

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه برقم (١٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه برقم (١٢٤٢).

ابن مريم مرفوع للسماء، وسوف ينزل في آخر الزمان، وسوف يموت في هذه الأرض؛ كما مات غيره من الأنبياء، سوف ينزل ثم يموت، كما قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨]، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، سوف يموت، ينزل من علامة الساعة، ويقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويمنع من الخمر، وتكون السجدة لله وحده، إذا كان في زمانه صارت العبادة لله وحده، دخل الناس في دين الله أفواجًا؛ ولا يقبل إلا الإسلام أو السيف، بعد نزوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهو من أشراط الساعة، عند خروج الدجال، ينزل المسيح ويقتل الدجال، ويحكم الناس بالإسلام بشريعة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

نسأل الله أن يثبِّتنا وإياكم على الهدى، وأن يعيذنا وإياكم من شرور النفس، وسيئات العمل، وأن يمنحنا وإياكم الفقه في الدين، إنه ﷻ جواد كريم، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان.

❋

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الرّبيع بن خثيم: ﴿فُجِّرَتۡ﴾ [٣]: فاضت، وقرأ الأعمش وعاصمٌ: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ [٧]: بالتّخفيف، وقرأه أهل الحجاز بالتّشديد، وأراد معتدل الخلق، ومن خفّف؛ يعني: في أيّ صورةٍ شاء، إمّا حسنٌ، وإمّا قبيحٌ، أو طويلٌ، أو قصيرٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**من الطّالب**): هنا زيادةٌ: «انفطارها انشقاقها، وقال غيره: بعثرت أثيرت، بعثرت حوضي؛ أي: جعلت أسفله أعلاه».

تفسير سورة المطففين(١)

وقال مجاهدٌ: ﴿رَانَ﴾ [١٤]: ثبت الخطايا، ﴿ثُوِّبَ﴾ [٣٦]: جوزي، الرحيق: الخمر، ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ [٢٦]: طينه التسنيم: يعلو شراب أهل الجنة، وقال غيره: المطفّف لا يوفّي غيره يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عندك (ثبت) أم (ثبت)؟ ثبت كذا؟ ماذا قال الشّارح؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٩٦)]: «تنبيهٌ: قول مجاهدٍ هذا ثبت بفتح المثلّثة والموحّدة بعدها مثنّاةٌ ويجوز تسكين ثانيه.

قوله: (**ثُوِّبَ جُوزِيَ**): هو قول أبي عبيدة ووصله الفريابيّ عن مجاهدٍ أيضًا.

قوله: (**الرَّحِيقُ الْخَمْرُ خِتَامُهُ مِسْكٌ طِينُهُ التَّسْنِيمُ يَعْلُو شَرَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**): ثبت هذا للنّسفيّ وحده، وتقدّم في بدء الخلق.

قوله: (**وَقَالَ غَيْرُهُ: الْمُطَفِّفُ لَا يُوَفِّي غَيْرَهُ**) هو قول أبي عبيدة». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [المطففين: ١٤] كلّا بل ثبتت الخطايا على قلوبهم؛ يعني: والأولى أن يقال: «ثبتت»، الأفصح ثبتت؛ لأنّه جمع تكسيرٍ مؤنّث

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

جمع: خطيئةٍ، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ﴾ [المطففين: ١٤]؛ يعني: كلا بل ثبت؛ يعني: ثبتت الخطايا على قلوبهم، واستقرّت فصارت سوادًا في قلوبهم، وظلمةً في قلوبهم، نسأل الله العافية، أمّا (ثبت الخطايا) فمحلّ تأمّل.

(من القارئ): جعلها بالتّذكير (ثبت) أو (ثبت).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كأنّ ثبت أظهر، وإن كان خلاف الأفصح في إسقاط التّاء ـ تاء التأنيث ـ لكن ثبت الخطايا تفسير «ران»، «ران»؛ يعني: استقرّ على قلوبهم ما كسبوه من الشّرّ، وهو معنى الثّبات، ثبت؛ يعني: استقرّ في قلوبهم وجعلها مظلمةً مسودّةً بأسباب كسبهم الخبيث.

• **س: يعني: بفتح الباء يكون فعلًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: فعلٌ ماضٍ نعم بالتّسكين مصدر ثبت.

قوله: (**المطفّف لا يوفّي غيره**): المطفّف ينقص غيره، ويستوفي لنفسه، ينقص غيره إذا كال أو وزن، وإذا اكتال لنفسه أو وزن لنفسه كمّل واستوفى، وهذا من الظّلم من ظلم العباد، من الظّلم أن يستوفي لنفسه وينقص غيره إذا كال له، وإذا كان هذا في الطّعام والشّراب فكيف ما إذا كان في العبادات والطّاعات الّتي أوجب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فإنّ بخسها وتطفيفها أعظم وأقبح من بخس المال.

• **س: تفسير الختام بالطّين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الطّين الّذي يسدّ به القارورة، يعني: طينةٌ يسدّ بها القارورة، ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾؛ يعني: آخره شيءٌ يخرج المسك ريح المسك، أمّا التّسنيم فعينٌ ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٧، ٢٨] كما جاء في الآية بعدها التّسنيم عينٌ يشرب منها المقرّبون، يمزج بها للأبرار.

• **س: ما يعني تربتها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

التّربة الّتي هي آخر شيءٍ؛ يعني: آخر ما يحصل به في الإناء، وإذا أوّل بأنّ معنى ختامه يعني ما يختم به ويسدّ به كما هو ظاهر المؤلّف؛ يعني: يجعل كالسّداد كالصّمامة.

ولكن الأظهر ـ والله أعلم ـ أنّه آخر ما يقع في الإناء المسك؛ يعني: آخره نهايته ما يختم به الشّراب؛ يعني: ما يكون آخرًا للشّراب.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ ظاهره في أنّه السّداد يختم بالمسك.

﴿مَّخْتُومٍ ۝٢٥﴾: ظاهره ـ والله أعلم ـ أنّه ما يجعل سدادًا له.

* *

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦](١).

حدّثنا إبراهيم بن المنذر، حدّثنا معنٌ، قال: حدّثني مالكٌ، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّ النّبيّ ﷺ قال: «﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾: **حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من شدّة الكرب والهول، يلجمه العرق من شدّة الكرب والهول. لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال الشّارح على «حتى يغيب»؟ إشارة إلى الحديث الصّحيح.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ برقم (٤٩٣٨)، ومسلم في كتاب الجنة، باب صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها برقم (٢٨٦٢).

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٩٦)]: «قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾: زاد في رواية ابن وهبٍ «يوم القيامة».

قوله: (**فِي رَشَحِهِ**): بفتحتين؛ أي: عرقه؛ لأنّه يخرج من البدن شيئًا بعد شيءٍ كما يرشح الإناء المتحلّل الأجزاء، ووقع في رواية سعيد بن داود: «**حَتَّى إِنَّ الْعَرَقَ يُلْجِمُ أَحَدَهُمْ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**».

قوله: (**إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**): هو من إضافة الجميع إلى الجميع حقيقةً ومعنىً؛ لأنّ لكلٍّ واحدٍ أذنين». [انتهى كلامه].

● **س: (الجمع)**(١) **أقرب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الجمع أقرب، لكن فيه نظرٌ؛ كأنّ فيه وهمٌ سهوٌ، فإنّ أنصاف جمعٌ، والأذنين مثنىً؛ يكون من إضافة الجمع إلى المثنّى، أنصاف أذنيه ما قال: (أنصاف آذانهم)؛ بل قال: «أنصاف أذنيه»، فهو من باب إضافة الجمع إلى المثنّى مثل ﴿فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] من إضافة الجمع إلى المثنّى، وهذه معروفة في لغة العرب، تضيف مثنىً مجموعًا إلى المثنّى، ما قال فقد (صغت قلباكما) أو (فاقطعوا يديهما)، قال: أيدي.

(**من الطّالب**): هو علّل(٢) قال: لأنّ لكلّ واحد أذنين؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لو قال آذانهم كان أفضل؛ قال: أنصاف أذنيه، هذا إشارةٌ إلى الواحد، كلّ واحدٍ يبلغ العرق إلى أنصاف أذنيه، التّعبير عن الواحد هنا في أهل الموقف.

---

(١) يعني قول الشّارح: «من إضافة الجميع إلى الجميع» فالقارئُ يسأَلُ هل الأصح أن يقال: (من إضافة الجميع إلى الجمع).

(٢) يعني: الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ماذا قال العينيّ؟[١]

[قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ٢٨٣)]: «قوله: (**إِلَى أَنْصَاف أُذُنَيْهِ**)، هو من إضافة الجمع إلى الجمع حقيقة ومعنى؛ لأنّ لكلّ واحد أذنين». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

فتكون حقيقةً في «أنصاف» ومعنىً في «أذنيه»؛ يعني: أنّه إضافةٌ لجميع القائمين، ممكن من باب المعنى لا من باب اللّفظ.

(**من الطّالب**): هذا الكرمانيّ قال: «فإن سألت: ما وجه إضافة الجمع إلى المثنّى؟ وهل هو مثل ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]؟ فلمّا كان لكلّ شخصٍ أذنان بخلاف القلب لا يكون مثله؛ بل يصير من باب إضافة الجمع إلى الجمع حقيقةً ومعنىً».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

قريبٌ وليس ببعيدٍ، ولو قيل: على حاله إنّه من باب إضافة الجمع إلى المثنّى ما فيه شيءٌ، ماشٍ في اللّغة العربيّة، صحيحٌ لفظًا ومعنىً، فهذا بالنّسبة لكلّ واحدٍ.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٦٩٦)]: وقد روى مسلمٌ من حديث المقداد بن الأسود عن النّبيّ ﷺ: «**تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ؛ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ؛ فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا**». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نسأل الله العافية؛ يعني: من كان أتقى لله كان أسلم من هذا الشّيء ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾. الله المستعان.

---

(١) بعد هذا قطع في الأصل المسموع.

• **س: أحسن الله عملك، ذكر هنا المطفّف: لا يوفّي غيره يوم يقوم النّاس لربّ العالمين، هذا المعنى صحيح؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: المعنى ما عنده شيءٌ، أعماله ذهبت عليه لتطفيفه، من باب الوعيد، نسأل الله العافية.

• **س: يعم التّطفيف، التّطفيف يعمّ في الكيل والميزان ويعمّ غيره؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم في الكلّ، وهو الغشّ والخيانة، نسأل الله العافية.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦][(١)].

قد سبق جملة الآيات فيها الحث على المواساة والإحسان والإيثار لذوي الحاجة، والجود والكرم، وسبق أنه ﷺ كان أجود الناس عليه الصلاة والسلام، وأسرعهم إلى الخير ـ عليه الصلاة والسلام ـ، سبق قوله تعالى في كتابه العظيم: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧] سبق قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] قوله ﷻ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وفي حديث أبي موسى الأشعري [٥٦٨]: عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**»[(٢)]، هذا فيه الدلالة على فضل الإيثار والمواساة

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٢/ ٣٦٥).

(٢) متفق عليه من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب الشركة، باب =

والإحسان، وأن القرية أو القبيلة أو الأسرة إذا تساعدوا في سد حاجة أحدهم وواسوه وجمعوا ما عندهم وتواسوا فيه، أن هذا فيه فضل عظيم حتى قال الرسول: «**فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**» بما عندهم من المواساة والإحسان ورحمة الفقير، فدلَّ ذلك على أنه ينبغي للأسر والجيران والجماعات أينما كانوا أن يتساعدوا، وأن يتعاونوا وأن يواسي بعضهم بعضًا إذا اشتدت الحاجة، هكذا المؤمنون شيء واحد جسد واحد، إلههم واحد، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ.

وفي الحديثين الأخيرين والآية الكريمة: المسابقة إلى الخيرات والمسارعة إلى الطاعات وإلى الشيء الذي فيه البركة، قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] في مثل هذا من أعمال الأبرار يتنافس المتنافسون في عمل الخير، قبلها يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٢ ـ ٢٦] يعني: في هذا الثواب وفي هذا الخير وهذا النعيم يتنافس أهل القلوب الحية والنفوس الرفيعة والقلوب السليمة، قال تعالى في إعمار الجنة: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١]، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ﴾ [البقرة: ١٤٨]، قال: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، قال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

الله ﷻ يحثُّ على المسارعة والمسابقة والمنافسة في الخيرات والاستباق إليها، لما فيها من الخير العظيم والعاقبة الحميدة، فالمؤمن يسابق في طلب العلم، في الإحسان إلى الناس، في الجهاد، في صلة

= الشركة في الطعام والنهد والعروض برقم (٢٤٨٦)، ومسلم في كتاب فضل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين برقم (٢٥٠٠).

الرحم، في بر الوالدين، في الاستكثار من الصلوات والصدقات والذكر إلى غير هذا.

وفي الحديث أن النبي ﷺ كان ذات يوم في مجلسه وعنده ابن عباس عن يمينه وأشياخ عن يساره فأُتِيَ بشرابٍ، فشرب والسُّنَّة أن الكأس مجراها اليمين؛ أن الإنسان إذا شرب يعطي الفضلة من على يمينه، هذه السُّنَّة إلا أن يسمح لمن عن شماله فلا بأس، فقال النبي ﷺ للغلام وهو ابن عباس: **«أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هؤُلاء؟» فَقَالَ الغُلامُ: لَا وَاللهِ يَا رسولَ الله، لا أُوْثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، فَتَلَّهُ رسولُ الله ﷺ في يَدِهِ»**(١). قصد ابن عباس أن يشرب من فضلته ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ لما في فضلته من الخير والبركة ـ عليه الصلاة والسلام ـ، هذا يدلنا على فوائد: منها أن الشيء الذي يجري يكون على اليمين لبن يُشرب، هذا يشرب، هذا يشرب، هذا يشرب، يعطيها على يمينه، ماء؛ أيُّ شرابٍ، عن يمينه أو شيء يوزعه يبدأ باليمين، ثم هكذا حتى ينتهي.

وفيه من الفوائد: تواضعه ﷺ وحسن خُلُقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، حتى قال للصبي: **«أَتَأْذَنُ لِي»**.

وفيه: أنه ينبغي إيثارُ أهل الحق بالحق ولو كانوا صغارًا ولو كانوا أعرابًا يعطون حقوقهم.

وفيه: أن من كان على اليمين يؤثر ولو كان على اليسار أفضل منه أو أسن منه أو أعلم منه، لكن إذا سمح وقال: أعطِ على من يسارك لا بأس، إذا قال: أنا سامح أعطه إذا أراد أن يعطيه قال: لا، أعطه للذي على اليسار؛ لأنه أفضل مني أو أسن مني فلا بأس.

---

(١) متفق عليه من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب إذا أذن له أو أحله ولم يبين كم هو برقم (٢٤٥١، ومسلم في كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما من يمين المبتدي برقم (٢٠٣٠).

وفي الحديث: قصة أيوب نبي الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، كان أصابه مرض عظيم ثم أعاذه الله منه، وكان يغتسل يومًا عاريًا ما عنده أحد «**فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ**»، فأوحى الله إليه: «**يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيتكَ عَمَّا تَرَى؟! قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لَا غِنَى بي عن بَرَكَتِكَ**»، هذه البركة ما استغنى عن البركة من الله، ولهذا لما رأى هذا الجراد من الذهب جعل يحثي منه، وهذا ابتلاء وامتحان واختبار، ربنا يعطي، ابن آدم يحب الزيادة من المال ولو كان غنيًّا يحب الزيادة من المال ولا سيما إذا كان فيه بركة وخير من فضل الله ﷻ، البركة مطلوبة فلا مانع من أن يطلب المال.

الإنسان يطلب المال للزيادة في البيع والشراء والتجارات والزراعة وغيرها لا بأس، لكن يكون من طريق الحلال من الكسب الحلال، ثم إذا رزقه الله المال يجود ويحسن وينفق، ويصل الرحم، وينفق في وجوه الخير، لا يبخل، ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [محمد: ٣٨]، والله جواد يحب الجود ﷻ ويحب الإنفاق، فمن رزقه الله المال ووسَّع عليه ينفق ويحسن حتى يجد ذلك عند مولاه ﷻ أوفر ما كان وأحوج ما كان إليه، تقدم قوله ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**»[1]، إذا تصدق الإنسان بالدرهم أو بتمرة أو بعدل ذلك من كسب طيب لوجه الله قصده الإخلاص، رَبَّها الله له ونمَّاها له حتى تكون أجرًا عظيمًا في ميزانه يوم الحساب.



(١) سبق تخريجه (٣/ ٦٥٢).

تفسير سورة الانشقاق[(١)]

قال مجاهدٌ: ﴿كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥]: يأخذ كتابه من وراء ظهره، ﴿وَسَقَ﴾ [١٧]: جمع من دابّةٍ، ﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [١٤]: لا يرجع إلينا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: لا منافاة بين أنّه يعطى كتابه بشماله، في الآية الأخرى من ﴿وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق: ١٠] وأنّهم يعطون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم، أبلغ في الإهانة، نسأل الله العافية. أما المؤمن فيعطى كتابه بيمينه.

(من قارئ العمدة): عندنا زيادةٌ [قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ٢٨٤)]: «قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٢، ٤] وفسّر قوله: أذنت بقوله: سمعت وأطاعت، وقال ابن عبّاسٍ: يوعون يشترون». [انتهى كلامه].

(من قارئ الفتح): عندنا قال ابن عبّاسٍ: ﴿يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾: **يسِرُّون)**»[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: تكلّم عليه؟ هذا أظهر من

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) قرأها صاحب «العمدة»: (يشترون).

«يشترون» يشترون ما لها معنىً في هذا، يوعون؛ يعني: يخفون ويسرّون؛ فهو أظهر في المعنى من «يشترون»؛ يشترون ما هو بواضحٍ.

(**من القارئ**): قولًا آخر: قال: «يوعون قال: في صدورهم».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم هذا أوضح؛ يعني: يسرّونه في صدورهم. حط نسخة عندك يا شيخ عمر. (**يسرّون**) **أو صلّحها؛ لأنّه ما ذكرها عن أحدٍ** «**يشترون**».

(**من قارئ العمدة**): هنا أحسن الله إليك: [قال العينيّ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «أي: قال ابن عبّاسٍ في قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣﴾ [الانشقاق: ٣٢]؛ أي: يشترون، ورواه ابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحة عنه، وعن مجاهد: يكتمون، وعن قتادة: يزعمون في صدورهم». [انتهى كلامه].

قال ابن بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: كلّ هذا يدلّ على أنّها (**يسرّون**)؛ صلّحها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما هذه النسخة؟ الطّبعة.

(**من الطّالب**): طبعة الحلبي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، غلطٌ، (**يسرّون**) بالسّين، لكن النّقط فقط، زيادة نقطٍ كرسي للتّاء، زيادة كرسيٍّ للتّاء وزيادة نقطٍ.

• **س: ما يكون من باب «يشترون»...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس بظاهرٍ، الإيعاء هنا ما يوعيه الإنسان في داخل نفسه.

• **س: أحسن الله إليك، تحديد الميل هذا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أعلم، الظّاهر ـ والله أعلم ـ أنّه الميل، معروفٌ عند العرب، هو ثلث الفرسخ، الفرسخ ثلاثة أميالٍ.

• **س: ثلث الفرسخ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ثلاثة أميالٍ هو نحو ستمائة خطوةٍ تقريبًا «القاموس» عندك؟ راجع: الميل.

[قال في «القاموس» (١٠٥٩)]: «والميل بالكسر: الملمول، وقدر مدّ البصر، ومنارٌ يبنى للمسافر، أو مسافةٌ من الأرض متراخيةٌ بلا حدٍّ، أو مئة ألف إصبعٍ إلّا أربعة آلاف إصبعٍ، أو ثلاثة أو أربعة آلاف ذراعٍ بحسب اختلافهم في الفرسخ، هل هو تسعة آلافٍ بذراع القدماء، أو اثنا عشر ألف ذراعٍ بذراع المحدثين. ج: أميالٌ وميولٌ». [انتهى كلامه].

قال ابن بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: المقصود: قدّم أنّه مدّ البصر، الميل مدّ البصر المسافة الّتي يصلها البصر؛ يعني: يقال لها: ميل. هذا هو المقدّم.

* *

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق][1].

حدّثنا عمرو بن عليٍّ، حدّثنا يحيى، عن عثمان بن الأسود قال: سمعت ابن أبي مليكة سمعت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت النّبيّ ﷺ، (ح)، حدّثنا سليمان بن حربٍ، حدّثنا حمّاد بن زيدٍ، عن أيّوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة عن النّبيّ ﷺ (ح) حدّثنا مسدّدٌ، عن يحيى، عن أبي يونس حاتم بن أبي صغيرة، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ**»، قالت: قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [٧، ٨] قال: «ذاك العرض يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك»[2].

---

(١) من شرح سماحة رَحِمَهُ اللَّهُ الشيخ البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ برقم (٤٩٣٩)، ومسلم في كتاب الجنة باب إثبات الحساب برقم (٢٨٧٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: المؤمن يؤتى كتابه بيمينه، ويحاسب حسابًا يسيرًا، وهو عرضه، عرض كتابه عليه، ومن نوقش هلك؛ لأنّ الغالب والواقع هو كثرة الذّنوب والمعاصي، وقلّة السّالم، نسأل الله السّلامة.

• **س: أحسن الله عملك، الّذين يدخلون الجنّة بلا حسابٍ ممن يأخذون كتبهم بأيمانهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: بأيمانهم نعم.

• **س: المؤمنون ـ أحسن الله إليك ـ بعضهم يناقش وبعضهم لا يناقش؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، يناقش لأجل كثرة معاصيه، والآخر قد سلم فيعطى كتابه بيمينه، ولا يكون مناقشةً، مجرّد عرض كتابه عليه، اللّهمّ استر.

• **س: يسّر الله عملك، السّبعون ألفًا لا يناقشون الحساب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم نعم، زاد في الحديث الآخر: «**مع كلّ ألفٍ سبعين ألفًا**»(١). الله أكبر.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ [الانشقاق: ١٩].

حدّثنا سعيد بن النّضر، أخبرنا هشيمٌ، أخبرنا أبو بشرٍ جعفر بن إياسٍ عن مجاهدٍ قال: قال ابن عبّاسٍ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ حالًا بعد حالٍ قال: «هذا نبيّكم ﷺ».

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٩ و٥/ ٢٨٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا على قراءة الفتح «لتركبن» فتح الباء، وأمّا «تركبن» بالضّمّ أصلها تركبونّ، فهذا الخطاب للجميع، جميع الأمّة، وأنّهم لهم أحوالٌ ولهم طبقاتٌ: طفلٌ ثمّ يافعٌ، ثمّ شابٌّ، ثمّ كهلٌ، ثمّ شيخٌ، ثمّ يرجع إلى الضّعف، فهم على أحوالٍ وطبقاتٍ مثل ما قال سبحانه: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]، فالنّاس على أطوار وعلى طبقاتٍ من ولادتهم إلى شيبتهم وردّهم إلى أرذل العمر.

أمّا النّبيّ ﷺ فعلى قراءة من قرأ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾؛ يعني: حال شدّةٍ وخصومةٍ، وحال ظهورٍ وحال نصرٍ مؤزّرٍ، وكبتٍ للأعداء؛ يعني: حاله مع الخصوم طبقات مختلفة.

والقراءة الأولى هي المشهورة: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق: ١٩] إذا خاطبهم؛ يعني: فما لهم لا يؤمنون، وهم يعرفون أنّهم كانوا ضعفاء مساكين أطفالًا، بل كانوا حملًا، بل كانوا عدمًا، ثمّ وجدوا، ثمّ أنشأهم الله، ثمّ بلغوا وعقلوا وفهموا، فما لهم لا يؤمنون وقد أعطاهم الله هذه النّعم، وبلّغهم مبلغ الرّجال، وأقام لهم من الآيات والبراهين ما فيه الكفاية؟ فما لهم لا يؤمنون بهذا الرّسول العظيم، وبهذا الحقّ المبين؟

• س: (لتركبنّ) التّعبير بالمضارع الّذي يدلّ على المستقبل وقد مضى شيءٌ من الأحوال ولم يقل: «وقد ركبتم طبقًا بعد طبقٍ» عبّر بالمضارع وهو يدلّ على الحال والمستقبل؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا سؤالٌ وجيهٌ، لعلّه ـ والله أعلم ـ لتركبنّ أيّها المخاطبون طبقًا عن طبقٍ؛ يعني: مستقبلًا، من تغيّر الأحوال وتنوّعها، وما فيها من الدّلائل على صدق الرّسول ﷺ، وأنّه جاء بالحقّ مما يظهر على يده ﷺ

من الآيات والمعجزات والآيات الباهرة. ماذا قال الشّارح عليه؟ لعلّ هذا هو الأقرب، والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٩٨)]: «قوله: «باب لتركبن طبقًا عن طبق»: سقطت هذه التّرجمة لغير أبي ذرٍّ.

قوله: (قال ابن عباس: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾) حالًا بعد حالٍ، قال: (هَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ)؛ أي: الخطاب له، وهو على قراءة فتح الموحدة، وبها قرأ ابن كثيرٍ والأعمش والأخوان». [انتهى كلامه].

● **س: من الأخوان؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أتذكّر، لأوّل مرةٍ أسمع هذه الكلمة.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقد أخرج الطّبريّ الحديث المذكور عن يعقوب بن إبراهيم عن هشيم بلفظ: إن ابن عبّاسٍ كان يقرأ: ﴿لَتَرۡكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾؛ يعني: نبيّكم حالًا بعد حالٍ، وأخرجه أبو عبيدٍ في كتاب «القراءات» عن هشيمٍ وزاد: يعني: بفتح الباء. قال الطّبريّ: قرأها ابن مسعود وابن عبّاسٍ وعامّة قرّاء أهل مكّة والكوفة بالفتح، والباقون بالضّمّ على أنّه خطابٌ للأمّة، ورجّحها أبو عبيدة؛ لسياق ما قبلها وما بعدها، ثمّ أخرج عن الحسن وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم قالوا: طبقًا عن طبقٍ؛ يعني: حالًا بعد حالٍ، ومن طريق الحسن أيضًا وأبي العالية ومسروقٍ قال: السّماوات». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: حين عرج به إلى السّماء النّبيّ ﷺ هذا يمشي على (تركبنّ).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأخرج الطّبريّ أيضًا، والحاكم من حديث ابن مسعودٍ إلى قوله:

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ قال: السّماء. وفي لفظ للطبري عن ابن مسعودٍ قال: المراد أنّ السّماء تصير مرّةً كالدّهان، ومرّةً تشقّق ثمّ تحمرّ، ثمّ تنفطر. ورجّح الطّبريّ الأوّل.

وأصل الطّبق الشّدّة، والمراد بها هنا ما يقع من الشّدائد يوم القيامة». [انتهى كلامه].

● **س: هذا شيءٌ خاصٌّ بالسّماوات؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ظاهر السّياق من هذا نعم، لكن السّياق ما يعضّد هذا، ما يعضّد أن الكلام في السّماء؛ لأنّ قبله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٦ - ١٨] أو «لتركبَنَّ» ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾. فهو إقسامٌ على الواقع يحلف ربّنا ويقسم بالشّفق، واللّيل وما وسق، والقمر إذا اتّسق، يقسم بهذه الأشياء بالشّفق، وباللّيل وبالقمر أنّ ما ذكر يقع لتركبن طبقًا عن طبقٍ - إمّا الأمّة وإمّا النّبيّ ﷺ - أنّ هذا واقعٌ.

وخبره صادقٌ وإن لم يقسم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن هذا من باب التّأكيد أنّ هذا يقع، وهو مستقيمٌ؛ فإن الطّبقات الّتي ركبها ﷺ ركبتها أمّته، فالشّدّة وتغيّر الأحوال له ولأمّته - عليه الصّلاة والسّلام -.

فالقراءتان متلازمتان، فأمّا التغير فيما وقع من شدائده ﷺ وقعت لأمّته؛ فإن قرئ: «لتركبنّ»؛ يعني: ما وقع له من الشّدائد في مكّة، ثمّ في المدينة؛ فوقع للأمّة أيضًا مثل ذلك؛ فإنّ الشّدّة على نبيّهم شدّةٌ عليهم، والإيذاء لنبيهم إيذاءٌ لهم، وما حصل من الخير العظيم بعد ذلك فهو لهم أيضًا، فالقراءتان متقاربتان أو متلازمتان.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والطّبق ما طابق غيره، يقال: ما هذا بطبق كذا؛ أي: لا يطابقه،

ومعنى قوله: (**حالًا بعد حالٍ**)؛ أي: حال مطابقةٍ للّتي قبلها في الشّدّة، أو هو جمع طبقةٍ وهي المرتبة؛ أي: هي طبقاتٌ بعضها أشدّ من بعضٍ. وقيل: المراد اختلاف أحوال المولود منذ يكون جنينًا إلى أن يصير إلى أقصى العمر، فهو قبل أن يولد جنينٌ، ثمّ إذا ولد صبيٌّ، فإذا فطم غلامٌ، فإذا بلغ سبعًا يافعٌ، فإذا بلغ عشرًا حَزَوّرٌ، فإذا بلغ خمس عشرة قمدٌّ، فإذا بلغ خمسًا وعشرين عنطنطٌ، فإذا بلغ ثلاثين صملٌّ، فإذا بلغ أربعين كهلٌ، فإذا بلغ خمسين شيخٌ، فإذا بلغ ثمانين هِمٌّ، فإذا بلغ تسعين فان». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه أقوالٌ فيها نزاع بينهم، فيها نزاعٌ بين أهل اللّغة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: راجع: كلامه على أول السّورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٩٥)]: «قوله: (**سُورَةُ**: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾).

ويقال لها أيضًا: سورة الانشقاق، وسورة الشّفق.

قوله: وقال مجاهدٌ: أذنت سمعت وأطاعت لربّها، وألقت ما فيها: أخرجت ما فيها من الموتى وتخلّت عنهم. وقع هنا للنّسفيّ: وتقدّم لهم في بدء الخلق، وقد أخرجه الحاكم من طريق مجاهدٍ عن ابن عبّاس وصله بذكر ابن عبّاسٍ فيه، لكنّه موقوفٌ عليه.

قوله: ﴿كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥]: يعطى كتابه من وراء ظهره. وصله الفريابيّ من طريق ابن أبي نجيحٍ عنه قال في قوله: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠﴾ قال: تجعل يده من وراء ظهره؛ فيأخذ بها كتابه.

قوله: «وَسَقَ جَمَعَ مِنْ دَابَّةٍ»، وصله الفريابيّ أيضًا من طريقه، وقد

تقدّم في بدء الخلق مثله وأتمّ منه، وأخرج سعيد بن منصور عن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧﴾ قال: وما دخل فيه، وإسناده صحيحٌ.

قوله: ﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤] أن لن يرجع إلينا، وصله الفريابيّ من طريقه أيضًا، وأصل يحور الحور بالفتح وهو الرّجوع، وحاورت فلانًا؛ أي: راجعته، ويطلق على التّردّد في الأمر». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما تكلّم على ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٨] كلكم ما عندكم عداه؟ راجع: كلامه على ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار: ١] أوّل الدّرس؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٩٥)]: «قوله: سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار: ١] بسم الله الرّحمن الرّحيم ويقال لها أيضًا: سورة الانفطار.

قوله: «انفطارها انشقاقها» ثبت هذا للنّسفيّ وحده، وهو قول الفراء.

قوله: «ويذكر عن ابن عبّاسٍ: بُعثرت يخرج من فيها من الموتى»: ثبت هذا أيضًا للنّسفيّ وحده، وهو قول الفراء أيضًا، وقد أخرج ابن أبي حاتمٍ أيضًا من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ بعثرت؛ أي: بحثت.

قوله: وقال غيره: انتثرت: بَعثرت حوضي جعلت أسفله أعلاه، ثبت هذا للنّسفيّ أيضًا وحده، وتقدّم في الجنائز.

قوله: وقال الرّبيع بن خثيم فُجّرت: فاضت: قال عبد بن حميدٍ: حدّثنا مؤمّلٌ وأبو نعيم قالا: حدثنا سفيان هو ابن سعيدٍ الثّوريّ عن أبيه عن أبي يعلى - هو منذرٌ الثّوريّ - عن الرّبيع بن خثيمٍ به. قال عبد الرّزّاق: أنبأنا الثّوريّ مثله.

وأتمّ منه والمنقول عن الرّبيع فجرت بتخفيف الجيم، وهو اللّائق بتفسيره المذكور.

قوله: وقرأ الأعمش وعاصمٌ فعدلك بالتّخفيف وقرأه أهل الحجاز بالتّشديد. قلت: قرأ أيضًا بالتّخفيف حمزة والكسائيّ وسائر الكوفيّين، وقرأ أيضًا بالتّثقيل من عداهم من قراءة الأمصار». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: من قرّاء الأمصار.

(القارئ): عندي (من قراءة)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لعلّها (قرّاء) لعلّها من (قرّاء) السّياق يقتضي هذا لكن قد يكون من باب التّسامح. من قراءة قرّاء الأمصار.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قوله: وأراد معتدل الخلق، ومن خفّف يعني في أيّ صورةٍ شاء إمّا حسنٌ وإمّا قبيحٌ أو طويلٌ أو قصيرٌ، هو قول الفرّاء بلفظه إلى قوله بالتّشديد، ثمّ قال: فمن قرأ بالتّخفيف فهو والله أعلم: يصرفك في أيّ صورةٍ شاء إمّا حسنٌ إلخ. ومن شدّد فإنّه أراد والله أعلم: جعلك معتدلًا معتدل الخلق.

قال: وهو أجود القراءتين في العربيّة وأحبّهما إليّ.

وحاصل القراءتين: أنّ الّتي بالتّثقيل من التّعديل، والمراد التّناسب وبالتّخفيف من العدل وهو الصّرف إلى أي صفةٍ أراد تنبيهٌ لم يورد فيها حديثًا مرفوعًا، ويدخل فيها حديث ابن عمر المنبه عليه في الّتي قبلها». [انتهى كلامه].



تفسير آيات من سورة البروج

• **يسأل سماحتكم - جزاكم الله خيرًا - تفسير سورة البروج[(١)]؟**

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمدُ لله، ﷺ على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فقد ذكر الله ﷻ في البروج حالة الذين اعتدوا على المسلمين وحرقوهم وقتلوهم تحذيرًا للمسلمين من أعمالهم الخبيثة وحثّ على الصبر على ما يُبتلى به العبد، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ [البروج: ١ - ٣]. أقسم بالسماء ﷻ: ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾، وهي النجوم العظام، في قول جماعة من المفسرين، والله يقسم بخلقه بما يشاء ﷻ، له أن يقسم بالسماء وبغيرها كما أقسم بالطور وبالذاريات وبالضحى والليل إذا يغشى إلى غير ذلك؛ لأنها آيات دالة على قدرته العظيمة، وأنه الخلاق العظيم ﷻ، وأنه القادر على كل شيء، أما العبد فليس له أن يحلف إلا بالله، المخلوق ليس له أن يحلف إلا بربه، ولا يجوز الحلف بالأنبياء ولا بالملائكة ولا بالأمانة ولا بالأصنام ولا بشرف فلان ولا غير ذلك، يقول ﷺ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»[(٢)].

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٤٤).

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله، أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب كيف =

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللهِ تَعَالَى فَقَدْ أَشْرَكَ**»(١). خرَّجه الإمام أحمد بإسناد صحيح. في أحاديث كثيرة، ومنها قوله ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**»(٢).

وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢﴾؛ يعني: يوم القيامة، وقوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾، الشاهد هو يوم الجمعة، في قول جماعة من أهل العلم، والمشهود هو يوم عرفة؛ لأنه يشهده الأمم الكثيرة من الحجاج، وهما يومان عظيمان، يوم الجمعة هو خير أيام الأسبوع وأفضلها، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يرد فيها سائل، يستجيب الله فيها الدعاء، ويوم عرفة فيها وقفة الحجاج، وفيها دنو الرب من عباده ﷻ، كما في الحديث الصحيح، يقول النبي ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ**».

ويقول فيه النبي ﷺ: «**الْحَجُّ عَرَفَةُ**»(٣).

ويقول ﷺ في صوم يوم عرفة؛ يعني: من غير الحجاج قال: «**يُكَفِّرُ**

= يستحلف برقم (٢٦٧٩)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله برقم (١٦٤٦).

(١) سبق تخريجه في (ص١٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه في كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالأمانة برقم (٣٢٥٣)، وأحمد (٥/ ٣٥٢).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث عبد الرحمٰن بن يعمر في كتاب الحج، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج برقم (٨٨٩)، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع برقم (٣٠١٥)، والنسائي في كتاب المناسك، فرض الوقوف بعرفة برقم (٣٠١٦)، وأحمد (٤/ ٣٠٩).

السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ»(١).

أما الحجاج فلا يُشرع لهم صيام، بل ينهون عن صيام يوم عرفة في حال الحج، السُّنَّة أن يقف الحاج مفطرًا لا صائمًا، كما وقف النبي ﷺ في حجة الوداع مفطرًا، وقوله ﷻ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ [البروج: ٤ ـ ٧]، يبيِّن ﷻ عظم جريمة أهل الأخدود، ولهذا قال: قتل أصحاب الأخدود؛ يعني: لعنوا لجريمتهم العظيمة الشنعاء، حيث ألقوا المؤمنين في الأخدود إذا لم ينقادوا لباطلهم، فلهذا يحذر من الاستجابة لأهل الباطل، ويدل على أن الواجب على المؤمن أن يحذر أسباب الهلاك، وأن يبتعد عن الباطل وأهله.

وفي شريعة محمد ﷺ شرع الله للمكره أن يدفع الإكراه بالاستجابة لما أمر به مع طمأنينة قلبه بالإيمان، وهذا من فضل الله ﷻ، أن المكره إذا أكره على الكفر والضلال فله أن ينطق به متابعة لهم ودفعًا للظلم مع إيمان قلبه وطمأنينة قلبه بالإيمان، ويسمى المكرَه؛ لقوله ﷻ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، فإذا ألزموه بالكفر أن يحرقوه أو يقتلوه أو يضربوه فله أن ينطق بالكفر مع الإيمان والطمأنينة في القلب، كما فعل بعض الصحابة في عهد النبي ﷺ وأذن لهم النبي في ذلك ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فالإكراه بالضرب أو القتل أو نحو ذلك مما يضر العبد ضررًا بيِّنًا يبيح له أن يتكلم بكلمة الكفر إذا كان قلبه مطمئنًا بالإيمان، وإنما قالها موافقة على دفع الشر، باللسان فقط، وهذا من رحمة الله بهذه الأمة وإحسانه

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه في كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس برقم (١١٦٢)، وأحمد (٥/ ٢٩٦ و٣٠٨).

إليها ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [البروج: ٨]؛ أي: من هؤلاء الذين ألقوا في النار وهم أصحاب الأخدود، وما نقم منهم المشركون الكفار الظلمة إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد؛ يعني: ما عابوا عليهم ولا عاقبوهم إلا من أجل إيمانهم، وهذا عيب هو محل المدح، هو عيب عند أهل الباطل، ولكنه مدح وشرف لأهل الإيمان، فنسأل الله العافية والسلامة.



سورة الطَّارِق(1)

هو النجم، وما أتاك ليلًا فهو طارق، ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [٣]: المضيء، وقال مُجَاهِدٌ: ﴿ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ [١١]: سَحَابٌ يَرْجِعُ بِالْمَطَرِ، و﴿ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ [١٢]: الأرض تَتَصَدَّعُ بِالنَّبَاتِ، قال ابن عباسٍ: ﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ [١٣]: لحقٌّ، ﴿لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ [٤]: إلّا عليها حافظ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال الشارح على ﴿ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١﴾؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٦٩٩)]: «قوله: (﴿ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١﴾ **سَحَابٌ يَرْجِعُ بِالْمَطَرِ وَ**﴿ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢﴾ **الأَرْض تنصدع بِالنَّبَاتِ**): وصله الفريابيّ من طريق مجاهدٍ بلفظ: والسّماء ذات الرجع قال: يعني: ذات السّحاب تمطر، ثمّ ترجع بالمطر. وفي قوله: والأرض ذات الصدع ذات النّبات.

وللحاكم من وجهٍ آخر عن ابن عبّاس في قوله: ﴿ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١﴾: المطر بعد المطر وإسناده صحيحٌ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا واضحٌ؛ يعني: أن المطر من هذه السّماء، والمراد به السّحاب؛ يعني: كلّ ما أظلّك فوق هو سماءٌ، فهي تمطر، ثمّ تمطر

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

هكذا بين وقتٍ وآخر، فهي من طبيعتها أنّها ذات رجعٍ بحسب ما يأمرها الله ﷻ.

وأمَّا ﴿ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١٢] فالأمر فيه واضحٌ، فهو تشقّق الأرض عن النّبات بأمر الله ﷻ.

- **س: ما يكون المطر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تخر المطر بين وقتٍ وآخر، تمطر ما فيها ثمّ تتحمّل بإذن الله، ثمّ تمطر وهكذا، الله أكبر، فالمطر يرجع إليها مرّةً بعد مرّةٍ، يرجع منها مرّةً بعد مرّةٍ.



تفسير آيات من سورة الأعلى[١]

وقال مجاهد: ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [٣]: قدَّر للإنسان الشقاء والسعادة، وهَدَى: الأنعام لمراتعها.

حدّثنا عبدان قال: أخبرني أبي، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه قال: «أوّل من قدم علينا من أصحاب النّبيّ ﷺ مصعب بن عميرٍ، وابن أمّ مكتومٍ، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثمّ جاء عمّارٌ، وبلالٌ، وسعدٌ، ثمّ جاء عمر بن الخطّاب في عشرين، ثمّ جاء النّبيّ ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيءٍ فرحهم به، حتّى رأيت الولائد والصّبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء، فما جاء حتّى قرأت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ في سورٍ مثلها»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يا له من يومٍ عظيم، الله أكبر، رضي الله عنهم، نعمةٌ ساقها الله إليهم عظيمةٌ.

*

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: وقال ابن عباس: «غثاءً أحوى» برقم (٤٩٤١).

❐ **تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩]**[1].

قد أخبر الله سبحانه أنه أرسل رسله بالبينات والزبر، كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل: ٤٣، ٤٤]، والزبر هي: الكتب.

وقال سبحانه في سورة (الحديد): ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ الآية [٢٥]، ونصَّ سبحانه على صحف إبراهيم وموسى في سورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وبيَّن سبحانه من هذه الكتب والصحف: التوراة المنزلة على موسى، والزبور المنزل على داود، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد ﷺ.

وليس للعباد من العلم إلا ما علَّمهم الله إياه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ.



(١) مجموع فتاوى سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمع، د. الشويعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٤/ ٣٢٤).

تفسير آيات من سورة الغاشية

وقال ابن عبّاسٍ: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [٣]: النّصارى، وقال مجاهدٌ: ﴿عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [٥]: بلغ إناها، وحان شربها، ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٤٤]: بلغ إناه، ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [١١]: شتمًا، ويقال: الضّريع: نبتٌ يقال له: الشّبرق، يسمّيه أهل الحجاز الضّريع إذا يبس، وهو سمٌّ، (بِمُسَيْطِرٍ) [٢٢]: بمسلّطٍ، ويقرأ بالصّاد والسّين، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿إِيَابَهُمْ﴾ [٢٥]: مرجعهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تكلّم على (**الضّريع**)؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٧٠٠)]: «قوله: (**ويقال الضّريع: نبتٌ يقال له: الشّبرق يسمِّيه أهل الحجاز الضّريع إذا يبس، وهو سمٌّ**)، هو كلام الفرّاء بلفظه، والشّبرق بكسر المعجمة بعدها موحّدةٌ. قال الخليل ابن أحمد: هو نبتٌ أخضر منتن الرّيح يرمي به البحر». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: محتملٌ، الظّاهر أنّه ينبت في البرّ، يمكن الأصل حبّة، أصل الحبّة، أو أصله من نبات البحر، ثمّ ألقي في البرّ، فنبت.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأخرج الطّبريّ من طريق عكرمة ومجاهدٍ قال: الضّريع الشّبرق. ومن طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ قال: الضّريع: شجرٌ من نارٍ. ومن طريق سعيد بن جبيرٍ قال: الحجارة. وقال ابن التّين: كأنّ

الضّريع مشتقٌّ من الضّارع، وهو الذّليل. وقيل: هو السّلّا بضم المهملة وتشديد اللّام، وهو شوك النّخل». [انتهى كلامه].

• **س: أحسن الله إليك، (عاملةٌ ناصبةٌ) تنطبق على المبتدعة الكفّار أنّهم يعملون كالرّافضة وغيرهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كلّ من حاد عن شريعة الله دخل في هذا، عمله يضرّه ولا ينفعه؛ من الكفّار من اليهود والنّصارى وغيرهم ممّن ضلّ عن السّبيل، وعمل على غير الشّرع، ينصب ويتعب، لكنّه في نار جهنّم؛ لمخالفته الحقّ، واستكباره عن طاعة الله، وعدم ارعوائه للحقّ.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٤]؛ لأنّهم ما قبلوا الحقّ، اتّبعوا الهوى، والمبتدعة نصيبهم من هذا، المبتدعة من الرّافضة وغيرهم نصيبهم من هذا، نسأل الله العافية.

* *

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧﴾ [الغاشية: ١٧][1].

المقصود: أن الله ﷻ يحثُّ عباده على النظر في خلق مخلوقاته؛ لما فيها من العبر والدلائل على قدرته العظيمة، وأنه ربّ العالمين، وأنه مستحق للعبادة، ولهذا يقول: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧﴾، هذه الإبل التي جعلها الله للناس متاعًا يحملون عليها أثقالهم، ويأكلون من لحومها، ويشربون من ألبانها وأبوالها، ويوقدون من بعرها، ويستمتعون بجلودها، ولهم فيها منافعُ كثيرة، وعليها وعلى الفلك

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٥٠).

تحملون، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٥ ـ ٧]، فهي آية.

والإبل مخلوقٌ عظيم فيه منافع كثيرة، والله يقول: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾؛ يعني: وما فيها من المنافع العظيمة والعبر في خلقتها وفي منافعها، ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية: ١٩]، هذه الجبال العظيمة وما فيها من الآيات والعبر، كلها من آياته العظيمة التي خلقها لعباده؛ ليعتبروا، وهكذا السماء كيف رُفِعت هذه السماء فوقنا، وزيَّنها الله بالنجوم والشمس والقمر، وهكذا الأرض كيف سُطحت وبسطها لعباده، فهذه آيات أربع ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠]، وهكذا غيرها من البحار والأنهار والأشجار والشمس والقمر واختلاف الليل والنهار، وهذه كلها آيات، : كما قال ﷻ ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].



تفسير آيات من سورة الفجر

❐ **قوله تعالى:** ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾ [الفجر: ٥][(١)].

الحِجر هو: العقل، الله يقول سبحانه: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ١ ـ ٥].

فهذه الآية تبيِّن أن هذه الأقسام عظيمة أقسم الله بها سبحانه وهو ـ جلَّ علا ـ يقسم بما يشاء ﷻ، لا أحد يتحجَّر عليه ﷻ، وإنما أقسم بها؛ لأنها من آياته الدالة على قدرته العظيمة، وأنه ربّ العالمين فقال: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ وهو انفلاق الصبح بعد ذهاب الليل، ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢] فُسِّرت هذه الليالي بليالي عشر ذي الحجة وبليالي العشر الأخيرة من رمضان، فهي كلها معظمة، ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣] الشفع: الاثنين، والأربعة، والستة، ونحو ذلك، والوتر: الواحد، والثلاثة، والخمسة، ونحو ذلك، كلها من آيات الله ﷻ، جعل شفعًا ووترًا في مخلوقاته ﷻ، وهي من آياته ﷻ، السماوات السبع وتر، والأراضي سبع وتر، والعرش واحد وتر، والكرسي واحد وتر، وجعل أشياء شفعًا؛ كالليل والنهار شفعًا، والذكر والأنثى شفعًا، وغير ذلك، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ كذلك

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٥٢).

من آياته هذا الليل حين يأتي بظلامه وفي النهار حين يأتي بضيائه كلها من آياته ﷻ.

ثم قال بعد هذا: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾؛ فالمعنى ـ والله أعلم ـ ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾: لذي عقل يقتضي أن يخالف، بل يجب على المؤمن أن يتدبَّر ويتعقَّل، ويعرف أنه سبحانه إنما أقسم بهذه الأقسام؛ لدلالة عباده على عظم هذه المخلوقات، وأنها من الدلائل على قدرته العظيمة ووحدانيته ﷻ، وأنه لا يجوز للمؤمن أن يخالف ما دلت عليه فيشرك بالله ويعبد معه سواه وهو الخلاق لهذه الأشياء القائم بأرزاق العباد، إلى غير هذا ﷻ.

ويحتمل معنى آخر وهو: أنه سبحانه يريد هل في ذلك قسم لذي حجر يقسم به، أو لا من هذه الأقسام التي فيها دلائل على قدرته العظيمة، مع أنه سبحانه حرَّم القَسَم بغيره ﷻ، قال النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»[١]، فليس لأحد أن يقسم إلا بربه ﷻ، فالآية فيها شيء من الغموض، لكن يحتمل أن المراد: أن هذا القسم كافٍ في الدلالة على عظمة هذه المخلوقات، وأنها من دلائل قدرته العظيمة، ويحتمل أن المعنى هل في ذلك لذي حِجر قَسَم آخر ينبغي أن يقسم به للدلالة على توحيد الله، والدعوة إلى عبادته والإخلاص له ﷻ؟

هذا والله أعلم بالمعنى، ويحتمل معنى آخر، ولعلنا أن نعود إلى ذلك في حلقة أخرى لمزيد من البيان والإيضاح لما قاله أهل العلم في تفسير هذه الآية، والله ﷻ أعلم وأحكم ﷻ.



(١) سبق تخريجه في (ص٤٦٨).

تفسير آيات من سورة البلد(١)

وقال مجاهدٌ: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [٢]: مكّة، ليس عليك ما على النّاس فيه من الإثم، ﴿وَوَالِدٍ﴾ [٣]: آدَم، ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ [٣]، ﴿لُّبَدًا﴾ [٦]: كثيرًا، وَ﴿ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [١٠]: الخير والشّرّ، ﴿مَسْغَبَةٍ﴾ [١٤]: مجاعةٍ، ﴿مَتْرَبَةٍ﴾ [١٦]: السّاقط في التّراب، يقال: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ [١١]: فلم يقتحم العقبة في الدّنيا، ثمّ فسّر العقبة فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ [١٢ ـ ١٤]، ﴿فِى كَبَدٍ﴾ [٤]: في شدة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: (**كلّ شيءٍ خلقه فهو شفعٌ**...) إلخ: محلّ نظرٍ؛ لأنّ الوتر أوسع من ذلك، لكن الوتر الحقيقيّ، الوتر الكامل هو الله، هو الواحد يعني فهو سبحانه واحدٌ: «**إِنَّ اللهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْر**»(٢)، فهو واحدٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويسمّى ما كان لا ينقسم يسمّى وترًا ـ ثلاث أو خمس أو سبع وأحد عشر ـ يقال له: وترٌ؛ يعني: لا نصف لها.

● **س: بفتح الواو وكسر الواو؟**

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب الوتر، باب ما جاء في أن الوتر ليس بحتم برقم (٤٥٣) وحسنه، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلوات، باب ما جاء في الوتر برقم (١١٦٩)، والإمام أحمد (١/ ١٤٤ و٢/ ١٠٩ و٢٧٧).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لغتان (وِتر ووَتر). ما ضبطه عندك باللغتين؟

[قال في القاموس (٤٩٠)]: «الوتر، بالكسر ويفتح: الفرد، أو ما لم يتشفّع من العدد، ويوم عرفة، ووادٍ باليمامة، والذّحل، أو الظّلم فيه، كالتّرة والوتيرة، وقد وتره يتره وترًا وترةً.

والقوم: جعل شفعهم وترًا؛ كأوترهم.

والرجل: أفزعه، وأدركه بمكروهٍ. ووتره ماله: نقصه إياه.

والتّواتر: التّتابع، أو مع فتراتٍ.

والمتواتر: قافيةٌ فيها حرفٌ متحرّكٌ بين ساكنين كمفاعيلن.

وواتر بين أخباره وواتره مواترةً ووتارًا: تابع، أو لا تكون المواترة بين الأشياء إلّا إذا وقعت بينها فترةٌ، وإلّا فهي مداركةٌ ومواصلةٌ.

ومواترة الصّوم: أن تصوم يومًا، وتفطر يومًا أو يومين، وتأتي به وترًا وترًا، ولا يراد به المواصلة؛ لأنّه من الوتر، وكذلك مواترة الكتب.

وجاؤوا تترى، وينوّن، وأصلها وترى: متواترين.

والوتيرة: الطّريقة، أو طريق تُلاصِق الجبل، والفترة في الأمر، والغميزة، والتّواني، والحبس، والإبطاء، وحجاب ما بين المنخرين». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المقصود: الأصل فيه الفرد كأنّ تسمية الثلاث وأشباهها وترًا أمرٌ اصطلاحيٌّ؛ ما أشار إليه.

(**من قارئ الفتح**): تكلّم عليه الحافظ على الضّبط؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال الشّارح؟

[قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتح (٨/ ٧٠٢)]: «تنبيهٌ: قرأ الجمهور الوتر بفتح الواو، وقرأها الكوفيّون سوى عاصمٍ بكسر الواو واختارها أبو عبيدٍ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماشٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال الشّارح على كلام مجاهد؟

[قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح (٨/ ٧٠٢)]: «قوله: **(وقال مجاهدٌ: كلّ شيءٍ خلقه فهو شفعٌ، السّماء شفعٌ، والوتر الله)**. تقدّم في بدء الخلق بأتمّ من هذا، وقد أخرج التّرمذيّ من حديث عمران بن حصينٍ أنّ النّبيّ ﷺ سئل عن الشّفع والوتر فقال: «**هِيَ الصَّلَاةُ بَعْضُهَا شَفْعٌ وَبَعْضُهَا وَتْرٌ**». ورجاله ثقاتٌ، إلّا أنّ فيه راويًا مبهمًا.

وقد أخرجه الحاكم من هذا الوجه فسقط من روايته المبهم؛ فاغترّ فصحّحه.

وأخرج النّسائيّ من حديث جابرٍ رفعه قال: «**الْعَشْرُ عَشْرُ الْأَضْحَى، وَالشَّفْعُ يَوْمُ الْأَضْحَى، وَالْوَتْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ**».

وللحاكم من حديث ابن عبّاسٍ قال: «الفجر فجر النّهار، وليالٍ عشرٍ عشر الأضحى». ولسعيد بن منصورٍ من حديث بن الزّبير أنّه كان يقول: الشّفع قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، والوتر اليوم الثّالث».

تنبيهٌ: قرأ الجمهور: الوتر بفتح الواو، وقرأها الكوفيّون سوى عاصمٍ بكسر الواو واختارها أبو عبيدٍ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود قول مجاهدٌ هذا ليس بجيّدٍ، فإنّ الوتر يكون واحدًا، ويكون ثلاثةً، ويكون سبعةً، ويكون خمسةً، لكن أعظم الوتر وأخصّه هو الواحد، والله هو الواحد جَلَّ وَعَلَا، وهو وترٌ يحبّ الوتر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو الواحد الأحد جَلَّ وَعَلَا.

ولهذا شرع الوتر لعباده، الإيتار يكون بثلاثٍ، ويكون بخمسٍ ويكون بسبعٍ، ويكون بتسعٍ، ويكون بإحدى عشرة، ويكون بثلاث عشرة،

والشّفع هو المنقسم؛ كأربعةٍ، وستةٍ ونحو ذلك، هذا يقال له شفعٌ، وما لا ينقسم كالخمسة والسّبعة والإحدى عشر يسمّى وترًا.

● **س: أحسن الله إليك، من أسماء الله الوتر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الوتر، لا، الواحد أعظم الأوتار هو الواحد، لا ينقسم، واحدٌ لا شبيه له ولا نظير له، وهو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وترٌ يحبّ الوتر جَلَّ وَعَلَا.

● **س: الوتر هو قيام اللّيل، أو فيه بينهما اختلافٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الوتر في قيام اللّيل، ومثل صلاة المغرب وترٌ.

● **س: أحسن الله إليك، كيف تكون السّماء شفعًا؟ باعتبار ماذا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما له وجهٌ، ليس بوجيه في هذا، السّماء ليست شفعًا، والأرض ليست شفعًا، وتر؛ سبع، سبع. العينيّ ماذا قال؟

(من الطّالب): قال العيني في «العمدة» (١٩/ ٢٩٠)»: «فإن قلت: السّماء وترٌ؛ لأنّه سبعٌ. قلت: معناه السّماء شفع الأرض؛ كالحار والبارد، والذّكر والأنثى». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بهذا التّأويل، وإلّا فليس بوجيهٍ، مستقلةٌ، والأرض مستقلةٌ، ليس بجيّدٍ. السّماء فوق والأرض تحت، هذا شيءٌ وهذا شيءٌ.

● **س: أحسن الله إليك، مراد مجاهدٍ كلّ شيءٍ على حقيقته يعني، كلّ شيء خلقه الله شفعٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما يظهر وجهه، هذا الوجه ما يظهر، غير ظاهرٍ.

● **س: قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: من كلّ شيءٍ خلقنا زوجين: ذكرًا وأنثى، ما فيه منافاةٌ.

• **س: عفا الله عنك، بعض الإخوان يستحبّ الأكل في التّمر وترًا دائمًا، باعتبار حديث: «إنّ الله وترٌ يحبّ الوتر»، لا في مجرّد الفطر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما أعرف له أصلًا، هذا شيءٌ عامٌّ، وكونه يدخل فيه كلّ شيء ليس بواضح، محلّ نظرٍ، أقول: محلّ نظرٍ.

• **س: أحسن الله إليك يا شيخ، بالنّسبة الصّحيح من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هي الموجودة في حديث الترمذي، الّتي ذكرها ابن كثيرٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، هذه ضعيفةٌ، سردها في حديث التّرمذيّ مدرجةٌ، كما قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ، وأسماء الله تؤخذ من القرآن العظيم، ومن السّنّة الصّحيحة فقط، ليس لها مرجعٌ إلّا هذان الأصلان: الكتاب العزيز والسّنّة المطهّرة، فما ثبت في السّنّة أو في القرآن يعدّ من أسماء الله، وما لا، فلا.

• **س: أحسن الله عملك، ألا يقال يا شيخ: إنّ النّبيّ ﷺ كان يحبّ الوتر في كلّ شيءٍ، ويدخل من ضمن هذا التّمر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله أعلم.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ١٠][(١)].

المقصود: الطريقان، طريق الخير وطريق الشر، هذا هو مراد

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٥٤).

بالنجدين: الطريقين؛ لأن الله ﷻ بيَّن لعباده الطريقين طريق الشر، يعني الشرك والمعاصي، ونهاهم عن ذلك، وبيَّن لهم طريق الخير كالتوحيد والطاعات، ودعاهم إليه على أيدي الرسل، وفي الكتب المنزلة من التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وغيرها، والهداية هنا بمعنى الدلالة، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]؛ يعني: دللناهم، وأوضحنا لهم الحق بدليله، ومن هذا قوله تعالى يخاطب النبي محمدًا ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]؛ يعني: ترشد وتدل، أما الهداية التي معناها التوفيق لقبول الحق، والرضا به، فهذه بيد الله سبحانه وتعالى لا يملكها الإنسان، وليست في يد الإنسان، وهي المراد في قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، يعني ليس عليك توفيقهم وإدخال الإيمان في قلوبهم هذا إلى الله سبحانه وتعالى، ومن هذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]؛ يعني: لا تستطيع ذلك، بل هذا إلى الله سبحانه وتعالى، أما الدلالة والبلاغ والبيان فهذا بيد الرسل وأتباعهم، وهو المراد في قوله ﷻ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝﴾؛ يعني: أدللناه وأرشدناه، وهو المراد أيضًا في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]؛ يعني: دللناهم.

*

▢ تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١١ ـ ١٤][1].

فهذه الآيات الكريمات يتعلَّقان بالعتق، العتق من أفضل

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

القُربات قال ﷻ: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ [البلد: ١١ ـ ١٤].

فالعتق فك رقبة واقتحام العقبة؛ يعني: من أسباب العتق من النار عتق الرقاب؛ ولهذا يقول ﷺ: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ، عُضْوًا مِنْهُ فِي النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ**»؛ يعني: من أسباب العتق من النار أن تعتق الرقاب المملوكة لك المِلك الشرعي بالسبي أو نحوه كالشراء، وأصل الرق هم السبي، يُسبى من المشركين، فيَسترِق المسلمون أولادهم ونساءهم وأسراهم ثم يبيعه المسلمون، (**قُلْتُ: يَا رسول الله، أَيُّ الأَعمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ بِاللهِ، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا»**، فأفضل الرقاب أغلاها ثمنًا، وأنفسها عند أهلها؛ يعني: شجاعته ودينه وعلمه وفضله كلما كان أغلى بالصفات الحميدة صار أفضل، وهكذا في الإبل والبقر والغنم، ما كان أغلى وأنفس فهو أفضل في الضحية، والصدقة.



تفسير سورة الشمس(١)

وقال مجاهد: ضحاها: ضوؤها، ﴿إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [٢]: تبعها، و﴿طَحَىٰهَا﴾ [٦]: دحاها، و﴿دَسَّىٰهَا﴾ [١٠]: أغواها، ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ [٨]: عرفها الشقاء، والسعادة، وقال مجاهدٌ: ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [١١]: بمعاصيها، ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [١٥]: عقبى أحد.

حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا وهيبٌ، حدّثنا هشامٌ، عن أبيه، أنّه أخبره عبد الله بن زمعة أنّه سمع النّبيّ ﷺ يخطب، وذكر النّاقة، والّذي عقر، فقال رسول الله ﷺ: «﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ [١٢]: **انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ، عَارِمٌ، مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ**»، **وَذَكَرَ النِّسَاءَ فَقَالَ**: «**يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ يَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ**»، ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ، وَقَالَ: «**لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟**»، وَقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ عَمِّ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ**»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

والمعنى في هذا أنّه عزيزٌ في ثمود قام إلى النّاقة وعقرها لشقائه، وسوء عاقبته، نسأل الله العافية، ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ كان هو أشقى

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن زمعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٩٤٢)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٥٥).

القوم؛ حتّى صار العذاب على أسبابه، نسأل الله العافية ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٤].

والمقصود من هذا: أنّه كان كبيرًا في قومه، رفيعًا فيهم، مطاعًا فيهم؛ فلهذا تقدّم إليها عن ملأٍ منهم، وموافقةٍ فعقرها؛ فعاقبهم الله جميعًا، هذا بالفعل، وهؤلاء بالموافقة. نسأل الله العافية.

هذا يدلّ على أنّ الموافقة على الفواحش والمنكرات، حكمها حكم الفاعل في العقوبات، نسأل الله العافية.

وإن كان ليس من أهل الحدود، لكنّه من ذوي العقوبات، وعموم العذاب، نسأل الله العافية. وهذا مثل ما قال ﷺ: «**إِنَّ النَّاس إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغيِّرُوهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ**»[1]؛ لأنّ سكوتهم وعدم إنكارهم كالموافقة، لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

وفيه الحثّ على عدم ضرب النّساء، وأنّه ينبغي للزّوج التحمّل والتصبّر، حتّى لا يلجأ إلى الضّرب؛ فتسوء الحال، فلعلّه يضربها أول النّهار، ويضاجعها من آخر النّهار؛ يعني: ينبغي في مثل هذا الرأفة والرّحمة والنّظر في العواقب، وإن كان مباحًا له الضّرب عند الحاجة، لكن إذا تسامح وعفا يكون أولى وأقرب إلى الخير؛ لبقاء المودّة وصفاء المودّة؛ (**يعمد أحدكم، يجلد امرأته جلد العبد، فلعلّه يضاجعها من آخر يومه**).

وفي هذا دلالةٌ على أنّه ما ينبغي للعاقل أن يتشاغل بضرب زوجته أو يعمد إليها ضربًا كالعبد؛ فإذا دعت الحاجة فليكن شيئًا خفيفًا وضربًا غير مبرحٍ، ولا يشبّهها بالعبد، العبد قد يحتاج إلى مزيدٍ من التّأديب، أمّا هي فيكفي فيها الشّيء القليل عند عدم الاكتفاء بالوعظ والهجر.

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث قيس بن أبي حازم رضي الله عنه في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٤٠٠٥)، وأحمد في المسند (١/ ٢، ٧).

كثيرٌ من الرّجال لا يتورّع من الضّرب ولا يبالي بالضّرب لأهله عند أقلّ شيءٍ، وليس هذا من كرم الأخلاق؛ بل ينبغي للمؤمن أن يتحاشى الضّرب مهما أمكن، وأن يكون الضّرب آخر الطّبّ، ويكون شيئًا قليلًا بقدر ما يحصل به المقصود. والله المستعان.

كذلك إذا وقعت الضّرطة، فينبغي في مثل هذا عدم الفضيحة، وأن يغضّ الطّرف؛ لأنّه قد يقع للإنسان بعض الشّيء من هذا؛ فلا تنبغي فضيحته، ينبغي في مثل هذا الإعراض، كأنّهم لم يسمعوا، فقد يقع من الإنسان عند الحركة في جمع من الجماعة، في حلقةٍ في اجتماعٍ، فينبغي الإعراض عن ذلك، كأنّه لم يسمع شيئًا.

• **س: أحسن الله إليك، العينيّ تكلّم على الضّحكة والضّرطة فقال: إنّها من عمل قوم لوطٍ، فما صحّة هذا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أعلم، هذه أخبارٌ ما يلتفت إليها، أخبارٌ قديمةٌ مثل أخبار بني إسرائيل لا يلتفت إليها، أعمالهم أشنع من هذا، أعمالهم في قطع الطّريق والكفر بالله واللّواط أشنع.

والنّبيّ ﷺ أراد من هذا أن المؤمن لا يضحك من هذه الأشياء؛ يستر إذا ضرط إنسانٌ عنده أو أحسّ منه بشيءٍ لا يفشي هذا ولا يضحك منه فيفضحه، هو قد يفعله، هو نفسه قد يقع منه بنفسه، قد يعيب غيره فيقع منه، فهذه المسائل ينبغي فيها التّغافل والإعراض، وكأنّه لم يسمع؛ لأنّ ابن آدم قد يغلب، وقد يقع منه من غير قصدٍ، أو عن وجود نعاسٍ أو هواجيس، أو كذا، فيقع منه الشّيء الّذي لم يقصده.



تفسير سورة الليل(١)

وقال ابن عبّاسٍ: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [٩]: بِالْخَلَفِ، وقال مجاهدٌ: ﴿تَرَدَّىٰٓ﴾ [١١]: مَاتَ، وَ﴿تَلَظَّىٰ﴾ [١٤]: تَوَهَّجُ، وقرأ عبيد بن عميرٍ: تتلظى.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الليل: ٢].

حدّثنا قبيصة بن عقبة، حدّثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: دخلت في نفرٍ من أصحاب عبد الله الشّام، فسمع بنا أبو الدّرداء فأتانا فقال: «أفيكم من يقرأ؟»، فقلنا: نعم، قال: «فأيّكم أقرأ؟»، فأشاروا إليّ، فقال: «اقرأ»، فقرأت: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾، قال: «أنت سمعتها من فيّ صاحبك؟» قلت: نعم، قال: «وأنا سمعتها من في النّبيّ ﷺ، وهؤلاء يأبون علينا»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لأنّهما قراءتان: إحداهما: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٣]، وهذا

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ برقم (٢٩٤٣)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ترتيل القرآن ... إلخ برقم (٨٢٤).

و﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ فلعلّ هذا من الحروف الّتي غيّرها عثمان رضي الله عنه لمّا جمع المصحف؛ فإنّ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [اللّيل: ٣]؛ يعني: والّذي خلق الذّكر والأنثى، أو «ما» مصدريّةٌ: وخلقه الذّكر والأنثى.

والقراءة الثّانية، الحرف الثّاني: «والذّكر والأنثى» كما قرأها أبو الدّرداء وابن مسعودٍ رضي الله عنهما.

القراءة استقرّت لمّا تمّ جمع عثمان رضي الله عنه الصّحابة رضي الله عنهم على مصحف الإمام ذكر في القراءة كلمة «خلق» ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ كلمة «خلق» هي القراءة الأخيرة، ولعلها هي القراءة الّتي حصلت في العرضة الأخيرة بين جبرائيل عليه السلام ومحمّد عليه الصّلاة والسّلام.

فأبو الدّرداء رضي الله عنه صادقٌ، وابن مسعودٍ رضي الله عنه صادقٌ، وما ذكره الصّحابة رضي الله عنهم أخيرًا وما استقرّ في المصحف صدقٌ أيضًا، فهي القراءة الأخيرة: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾.

والمقصود: قَسَمٌ؛ قسمٌ باللّيل وبالنّهار، وبالذّكر والأنثى، وزيادة «وما خلق»؛ يعني: والذي خلق، وتصير «ما» موصولةً، والمعنى: والّذي خلق. وهو الله سبحانه وتعالى.

ويجوز أن تكون مصدريةً، والمعنى: وخلقه الذّكر والأنثى، يقسم بخلقه سبحانه الذّكر والأنثى، فلا منافاة، لا منافاة بين قسمه بالذّكر والأنثى وقسمه بما خلق الذّكر والأنثى.

• **س: أحسن الله إليك، يقال يعني: الأولى القراءة بالعرضة الأخيرة، وتعرض عن هذه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم، العرضة الأخيرة هي المشهورة في المصحف، ومستقرةٌ.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل: ٣][(١)].

حدّثنا عمر، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش، عن إبراهيم قال: قدم أصحاب عبد الله على أبي الدّرداء فطلبهم، فوجدهم فقال: «أيّكم يقرأ على قراءة عبد الله؟»، قال: كلّنا، قال: «فأيّكم يحفظ؟»، وأشاروا إلى علقمة، قال: كيف سمعته يقرأ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾، قال علقمة: (والذّكر والأنثى)، قال: «أشهد أنّي سمعت النّبيّ ﷺ يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدونني على أن أقرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ والله لا أتابعهم»[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم؛ لأنّه ما سمعها، فعمل بما سمع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

* *

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل: ٥][(٣)].

حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا سفيان، عن الأعمش عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرّحمن السّلميّ عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنّا مع النّبيّ ﷺ في بقيع الغرقد في جنازةٍ، فقال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**»، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتّكل؟ فقال: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ إلى قوله: ﴿لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ برقم (٢٩٤٤).
(٣) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه دلالةٌ على تقدّم كتابة القدر، وأنّ الله قدّر الأشياء، فما من أحدٍ إلّا وقد علم مقعده من الجنّة ومقعده من النّار، ولهذا قالوا: يا رسول الله ففيم العمل؟ قال: «**اعملوا، فكل ميسّر لما خُلق لَهُ، أما أهل السَّعَادَة فييسَّرون لعمل أهل السَّعَادَة، وأما أهل الشَّقَاوَة فيُيَسَّرون لعمل أهل الشَّقَاوَة**»، «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَة**»[(١)]، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

فالقدر سابقٌ، وكلٌ ميسّرٌ لما خُلق له، الله أعطاهم العقول والقدرة فعليهم أن يتأمّلوا، وعليهم أن يعملوا بما أمرهم به، وأن ينتهوا عمّا نهاهم عنه كما فرض عليهم ذلك، وكما أعطاهم العقول الّتي يفهمون بها ذلك، وكونه سبق علمه بما يقع منهم لا ينافي ما وجب عليهم من فعل الحقّ وترك الباطل، وهم صائرون لما مضى، كلّهم صائرون لما مضى في علمه جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

وهكذا حديث عبد الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إن الله قدَّر مقاديرَ الخلائقِ قبل أن يخلق السموات والأَرْض بخمسين ألف سنة، وَكَانَ عرشُه عَلَى الماء**»، «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[(٢)]، وهكذا حديث ابن

---

(١) سبق تخريجه (١١/ ١٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢١٥٦)، والإمام أحمد (٢/ ١٦٩) واللفظ لهما. وأخرجه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج موسى وآدم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ برقم (٢٦٥٣) باختلاف يسير.

مسعودٍ رضي الله عنه في «الصحيحين»: «**إنَّ كُلّ إنْسَانٍ يُجمَع خلقُه فِي بطن أمه**» إذا كمل مائةً وعشرين يومًا خلقه، «**يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**».

وفي هذا أيضًا: الوعظ عند القبور، وأنّه لا مانع من الوعظ عند القبور، فإنّهم جلسوا عند القبر؛ ينتظرون نهاية القبر حتّى يدفن، فوعظهم وذكّرهم ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، كما في حديث عليٍّ رضي الله عنه هذا، وكذلك في حديث البراء بن عازبٍ رضي الله عنه، كانوا ينتظرون الدّفن، فوعظهم وذكّرهم ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

قوله: (كنّا مع النّبيّ ﷺ في بقيع الغرقد في جنازةٍ): هذا يبيّن لنا أنّه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ كان إذا اجتمع بأصحابه رضي الله عنهم يذكّرهم، ويعظهم، ويعلّمهم، كانت مجالسه مجالس تعليمٍ وتذكيرٍ وعظةٍ وترغيبٍ وترهيبٍ.

وفي هذه المرّة لمّا اجتمعوا عند القبر ولمّا يلحد لم ينته منه، كان ممّا ذكّرهم به أن قال لهم: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّة، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّار»؛ يعني: قد مضى في علم الله أنّه من السّعداء أم من الأشقياء؛ (فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتّكل) ـ يعني: على كتابنا وندع العمل كما في الرّواية الأخرى ـ قال: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**»، في اللفظ الآخر: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَة**»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ٥ ـ ١١].

المقصود من هذا: أننا نفهم من هذا ومن أشباه هذا الحديث أنّه كان ﷺ إذا اجتمع بهم لا يسكت؛ بل يذكّرهم ويعلّمهم، ويرغّبهم، ويذكر لهم بعض أحكام الله.

فهكذا ينبغي لأهل العلم في مجالسهم، ينبغي لأهل العلم في مجالسهم إذا اجتمعوا بالنّاس أو ببعضهم عن بعضٍ أن تكون المجالس معمورةً بما ينفع، وبما يفيد، وأن يذكّروا بالله وحقّه؛ تأسيًا بالنّبيّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠]، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١].

فالمجالس الجماعيّة تغتنم في الذّكرى والموعظة، والتّنبيه والتّوجيه إلى الخير، والتّحذير من الشّرّ؛ تأسيًا بمعلم الأمّة ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ وإمامهم.

والفائدة من هذا: أنّ القدر لا يمنع العمل، وقد مضى في علم الله ما هو كائنٌ، ولكن هذا لا يمنع العمل، فالله خلق الأشياء ورتّبها، ونظّمها، ودبّرها، وقدّرها ﷻ، وأمر النّاس بالعمل، فهناك قدرٌ، وهناك عملٌ، هناك أمرٌ ونهي، وهناك شيءٌ مضى في علمه ﷻ.

وواقع النّاس لا يخرج عمّا مضى في علمه ﷻ؛ لأنّ علمه لا يتغيّر ولا يتبدّل، فما يقع من النّاس فهو مطابقٌ لما سبقت به المقادير، وكلٌّ ميسرٌ لما خلق له.

فالواجبُ على المكلّف أن يعنى بالأمر الّذي خلق له، وأن ينظر في أسباب نجاته، وأن يستعمل ما أعطاه الله من سمعٍ وبصرٍ وعقلٍ وأدواتٍ فيما يرى أنّه نافعٌ له، ومفيدٌ له في الدّنيا والآخرة، هذا من حيث العمل.

أما من حيث المصائب وما قد يصيبه فينظر إلى القدر ويعلم أنّه لن يصيبه إلّا ما كتب الله له، فيكون قلبه مطمئنًا منشرحًا مستريحًا أنّه لن يصيبه إلّا ما كتب الله له، وأن عليه أن يعمل بطاعته ـ طاعة مولاه ـ، وأن يتّقي الله ما استطاع، وأن يسارع إلى كلّ خيرٍ، ويتباعد عن كلّ شرٍّ استعمالًا لهذه الأدوات الّتي أعطاه الله إيّاها.

الله أعطاه أشياء يعلم بها الخير من الشّرّ، أعطاه عقلًا وسمعًا

وبصرًا، وأنزل عليه كتابًا وسنّةً بيّن فيها كلّ شيء، فهو ينظر بعقله وفهمه والأدوات الّتي أعطاه الله إيّاها، وينفّذ ما يستطيع من خيرٍ، ويحجم عمّا يعلم من شرٍّ، ويبذل وسعه في أسباب نجاته ونجاة غيره، ويكتسب ما يعينه على طاعة الله، ويطلب الرّزق وكلٌّ ميسرٌ لما خلق له.

● **س: أحسن الله إليك، الحافظ أشار إلى أنّه «والذكر والأنثى» منسوخٌ بالتّلاوة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: منسوخ بالقراءة الأخيرة، ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾.

● **س: أحسن الله إليك، آدم خلق من ذرّاتٍ من الأرض؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مثل ما نصّ القرآن عليه، من ترابٍ من الأرض، وذرّيته من ماءٍ مهينٍ، وهو من الأرض، أصلهم من الأرض.

* *

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل: ٦][١].

حدّثنا مسدّدٌ، حدّثنا عبد الواحد، حدّثنا الأعمش عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرّحمن، عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنّا قعودًا عند النّبيّ ﷺ...» فذكر الحديث.

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٧][٢].

حدّثنا بشر بن خالدٍ، أخبرنا محمّد بن جعفرٍ، حدّثنا شعبة، عن سليمان عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرّحمن السّلميّ عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

عن النّبيّ ﷺ «أنّه كان في جنازةٍ، فأخذ عودًا ينكت في الأرض، فقال: **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ**»، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتّكل؟ قال: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ الآية، قال شعبة: وحدّثني به منصورٌ، فلم أنكره من حديث سليمان[(١)].

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الليل: ٨][(٢)].

حدّثنا يحيى، حدّثنا وكيعٌ، عن الأعمش عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرّحمن، عن عليٍّ رضي الله عنه قال: كنّا جلوسًا عند النّبيّ ﷺ فقال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**»، فقلنا: يا رسول الله أفلا نتّكل؟ قال: «**لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾[(٣)].

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [الليل: ٩][(٤)].

حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا جريرٌ، عن منصورٍ عن سعد بن

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ برقم (٤٩٤٦)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته برقم (٢٦٤٧).
(٢) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٣) المصدر السابق.
(٤) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

عبيدة، عن أبي عبد الرّحمن السّلميّ عن عليٍّ رضي الله عنه قال: كنّا في جنازةٍ في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد، وقعدنا حوله، ومعه مخصرةٌ، فنكّس فجعل ينكت بمخصرته، ثمّ قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، وَمَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً، أَوْ سَعِيدَةً**»، قال رجلٌ: يا رسول الله، أفلا نتّكل على كتابنا، وندع العمل، فمن كان منّا من أهل السّعادة، فسيصير إلى أهل السّعادة، ومن كان منّا من أهل الشّقاء، فسيصير إلى عمل أهل الشّقاوة؟ قال: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ، فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ، فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ الآية[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهكذا أمور دنياهم؛ أعطاهم العقول لمصالح دينهم ودنياهم، فكما أن أرزاقهم مقسومةٌ؛ فيهم الغنيّ والفقير، وبين ذلك، والمريض والصّحيح، والقصير والطّويل وغير ذلك، فهكذا أعمالهم، كلّها مقدرةٌ؛ فعليهم أن يسعوا في طلب الرّزق، وإن كان مقدرًا، وعليهم أن يعملوا في طلب السّعادة وإن كان كلّ شيء مقدّرًا؛ لأنّ الله أعطاهم العقول، وأعطاهم الأسماع والأبصار؛ ليعملوا ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَـٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

أعطاهم سبحانه الأدوات ليعملوا، وبيّن لهم الطّريق وهداهم النّجدين، فكما يعملون لتحصيل دنياهم؛ فيغرسون النّخيل، ويزرعون ويبيعون ويشترون؛ طلبًا للرزق، وهو مكتوبٌ معروفٌ، فهكذا يجب عليهم أن يعملوا في طاعة الله، ويحذروا معصية الله، وإن كان قد مضى ذلك مكتوبًا، فهم عليهم أن يعملوا، عليهم أن يطلبوا هذا الشّيء الّذي بيّن لهم

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ برقم (٤٩٤٨)، ومسلم في المصدر السابق برقم (٢٦٤٧).

ووضّح لهم، عليهم أن يسعوا له، وأن يعملوا، كما عليهم أن يسعوا في طلب الرّزق، وألّا يجلسوا، لا يقول: أجلس في بيتي وما كتب لي يأتيني، ولا يعمل؛ بل عليه أن يعمل؛ يبيع يشتري يحرث يعمل، يغرس يستأجر يعد نفسه ليُستأجَر ويعمل، إلى غير هذا من أسباب الرّزق.

● **س: عفا الله عنك، كلّ هذه الأحاديث مدارها على؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

سعد بن عبيدة وأبو عبد الرّحمن السّلمي، المؤلّف كرّر الأسانيد رَحِمَهُ اللهُ الّتي عنده، كان من المتبادر أن يسوقها بدون أبوابٍ؛ بل على بابٍ واحدٍ، لكن كأنّه أراد بهذا التّنبيه بالتّراجم، التنبيه على... أو الكلمات الّتي في الآية يعني كالشّرح.

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ١٠][1].

حدّثنا آدم، حدّثنا شعبة، عن الأعمش قال: سمعت سعد بن عبيدة يحدّث، عن أبي عبد الرّحمن السّلميّ عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان النّبيّ ﷺ في جنازةٍ، فأخذ شيئًا، فجعل ينكت به الأرض، فقال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ**»، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتّكل على كتابنا، وندع العمل؟ قال: «**اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ، فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ الآية.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

● **س: أحسن الله إليك، تكرار المؤلّف للحديث؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: للفائدة، مثل التّفسير.

● **س: الآيتين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أقول: تكرارها لأجل التّنبيه؛ لينتبه القارئ، وتعدد الأسانيد.

● **س: عفا الله عنك، كون حديث: «من أحب أن يقرأ القُرْآن غضًّا طريًّا فليقرأه عَلَى قراءة ابن أم عبد»، «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ القُرْآن غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»[١] مخصوصٌ بالصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في ذلك الزّمن؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، محتملٌ هذا، ولا يمنع فيما اجتمع عليه الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في عهد عثمان ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ٧]، **وقال تعالى:** ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧ ـ ٢١][٢].

فهذه الآيات الكريمات في فضل الإنفاق في سبيل الله، وفضل الغني الشاكر الذي أخذ المال بحقه، ويصرفه في وجوهه، فالغني الشاكر

---

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٣/ ٣٧٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ برقم (١٣٨)، والإمام أحمد (١/ ٤٤٥ و٤/ ٢٧٨).

الذي ينفق مما أعطاه الله، ويجمع الحلال من الوجوه الطيبة، أفضل عند الله من الفقير؛ لما لديه من كثرة العمل الصالح ونفع الناس؛ ولهذا حضَّ الله سبحانه على النفقة في آيات كثيرات، كما قال ﷻ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ٧]، فمن يعطي وينفق ويحسن ييسر لليسرى، وقال سبحانه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٧، ١٨]؛ يعني: ينفق ويحسن، قال ﷻ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ [آل عمران: ٩٢]، قال سبحانه: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١]. والآيات في النفقة كثيرة؛ منها قوله ﷻ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، فالإنفاق أبرز وأفضل صفات المؤمن، وهي من صفات الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، كان نبينا أجود الناس ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأبسطهم يدًا في العطاء والجود ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فينبغي التأسِّي به في ذلك، وفي هذه الأحاديث دلالة على ذلك.

يقول ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ**»؛ يعني: على إنفاقه، هذا يُغبَط هذا معناه غبطة؛ يعني: يغبط من هذا الخير ويفرح المؤمن أن يكون مثله، «**وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»؛ يعني: فقه في الدين فهو يقضي بها ويعلِّمها.

وفي حديث ابن عمر: «**لَا حَسَدَ إِلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ**

آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»، فهما متفقان في معنى واحد، حديث ابن مسعود وحديث ابن عمر؛ لأن القرآن هو أصل الحكمة، هو أصل العلم، فمن رُزق القرآن والفقه في الدين والنفقة في سبيل الله في وجوه الخير هذا من أحسن الناس حالًا، ويستحق أن يُغبَط بذلك، وأن يتمنى المؤمن أن يكون مثله، كونه يعتني بالقرآن الكريم تدبرًا وتعقلًا، وعملًا، وينفق في وجوه البر والإحسان، هذا من أفضل المنازل، ولما اشتكى الفقراء إلى النبي ﷺ، أن الأغنياء سبقونا بسبب ما عندهم من المال، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق؛ يعني: نشترك معهم في الصلاة والصوم، لكن هم يفضَّلون في العتق والصدقات.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أَفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟**»، قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: «**تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ مَرَّةً**». هذا يقوم مقام إنفاق الأموال في حق العاجز: التسبيح والتحميد والتهليل يقوم مقام إنفاق الأموال، العاجز من عجز عن المال ويدرك باللسان فضل المنفقين والمحسنين بأنه بنيَّته الصالحة وعمله الطيب يدرك أعمال المنفقين، ففعل الفقراء (**فَرَجَعَ فُقَرَاء المُهَاجِرِينَ إِلَى رسول الله ﷺ، فقالوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أهلُ الأَمْوالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟**) صاروا يسبِّحون ويحمدون ويذكرون دبر كل صلاة مثلنا، شاركونا أيضًا في هذا، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**».

إذا أخذ أهل الغنى والسعة من الأعمال الطيبة والأذكار الشرعية وشاركوا إخوانهم الفقراء بمثل الأعمال الصالحات وزادوا عليهم في الصدقة والإحسان والإنفاق، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ﷻ، لكن من فضل الله أن الفقير إذا صدقت نيَّته، وأنه متى رُزِق من المال أنفق منه

وعمل، يكون شريكًا في الأجر مثلما أن المريض فيكتَب له ما كان يعمل، وهو صحيحٌ إذا كان حبسه المرض، ولولا المرض لفعل، والمسافر كذلك، هكذا الفقير إذا كان له نية صالحة، لو كان له مثل فلان من المال لأنفق وأحسن، يُعطَى مثل أجره؛ فضل من الله ﷻ.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ٨ ـ ١١]، **وقال تعالى:** ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦][(١)].

هذه الآيات الكريمات فيها الحثُّ على الإيثار والإحسان، والتحذير من البخل والشح، تقدمت الآيات الكريمات والأحاديث في الحثِّ على الجود والكرم، والإنفاق في وجوه الخير، وأنه ينبغي للمؤمن أن يكون جوادًا كريمًا منفقًا محسنًا مما أعطاه الله، كما قال الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، قال ﷻ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١]، وقال ﷻ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

فالمؤمن من صفته الجود والكرم والإحسان والإنفاق في وجوه

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لكتاب رياض الصالحين (٣/ ٣٥٦).

الخير، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أجود الناس، وكان لا يردُّ سائلًا مع القدرة، فإذا لم يتيسر شيء اعتذر إليه، ووعده خيرًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ، أما البخل فشنيع وقبيح ومذموم؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ﴾ [محمد: ٣٨] قال ﷻ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦] والشح أشد من البخل، حرص معه منع، الشح: الحرص على جلب الأموال وجمعها من حلٍّ ومن حرام مع البخل بها وعدم أداء الواجب فيها؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وتقدم تمثيل النبي ﷺ للبخيل بالذي عليه جبة من حديد قد ألصقت ثدييه وألصقت حلقاتها يديه لصدره إلى ترقوته، فكلما أراد أن ينفق لصقت كل حلقة مكانها ولزقت كل حلقة مكانها فيوسع ولا تتسع؛ لما في قلبه من الشح، فهو مثل صاحب الجبة من الحديد التي لا يستطيع التخلص منها؛ لما في قلبه من الشح والحرص وسوء الظن، وهو لا يستطيع أن ينفق ولا يحسن.

وكان الصحابة ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ من أجود الناس، كان الأنصار آثروا المهاجرين وواسوهم مما أعطاهم الله من الأموال لما هاجروا إليهم، وآثروهم على أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، وجاء ضيف إلى النبي ﷺ في بعض الأيام التي ليس فيها شيء عند النبي ﷺ، سأل أزواجه: هل عندهم شيء لضيافته؟ فأجَبْنَ بأنهن ليس عندهن شيء إلا الماء، فقال: «**مَنْ يُضيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ؟**» فقال بعض الأنصار: أنا، فذهب به إلى أهله وأعطوه قوت صبيانهم وباتوا طاويين وأشبعوا ضيفهم وأكرموه، وهذا من باب الإيثار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾.

فالمشروع للمؤمن الإيثار والإحسان والجود والكرم، وإذا كان

عنده فضل جاد من الفضل، خيرُ الصدقة ما كان عن ظهر غنى، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] يعني: ما زاد وما حصل من الفضل عن قوت الأهل فيبدأ بنفسه وأهل بيته ومن يعول، ثم يجود على غيره مما أعطاه الله من السعة والفضل، وإذا آثر في بعض الأحيان ضيفًا أو مضطرًا فهذا من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وينبغي للمؤمن أن تكون عنده همة عالية ورغبة فيما عند الله، وحسن ظن بالله ﷻ عند وجود أسباب الإنفاق والإحسان، ينفق ويحسن ويعمل، ويكسب الكسب الحلال، ويواسي غيره من الفقراء والمحاويج.

قد قال سبحانه لأهل الإيمان من الأبرار: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨ ـ ٩]، قال سبحانه: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧] وقال ﷻ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، فالمؤمن عنده خشية لله وجود وكرم وينفق مما يسَّر الله له: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»، كما في الحديث الصحيح، والإنسان ينفق ويحسن ويجود بحسب ما أعطاه الله بحسب ما يسَّر الله له، لكن يبدأ بمن يعول، يبدأ بنفسه ومن يعول، ثم يجود من الفضل على إخوانه المحاويج بحسب طاقته وبحسب ما يسَّره الله له.



تفسير آيات من سورة الضحى(١)

وقال مجاهدٌ: ﴿إِذَا سَجَىٰ﴾ [٢]: استوى، وقال غيره: ﴿سَجَىٰ﴾: أظلم، وسكن، ﴿عَآئِلًا﴾ [٨]: ذو عيالٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: **(ذو عيالٍ)** فيه نظرٌ، الأظهر أنّه فقيرٌ، ﴿عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ من العيلة، هو الأظهر في الآية.

(من القارئ): ذكر في الشّرح قولًا آخر، قال (٨/ ٧٠٩): «وقال الفرّاء: معناه فقيرًا».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا الظّاهر الّذي يظهر من السّياق.

(من القارئ): قال في «الفتح» (٨/ ٧٠٩): «وقد وجدتها في مصحف عبد الله عديمًا، والمراد أنّه أغناه بما أرضاه لا بكثرة المال». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: مُعدِمًا فقيرًا، أغناه بهذا وهذا، أغناه بما جعل في قلبه من الغنى، وأغناه بما فتح الله عليه من الخيرات الّتي تأتيه ويقسّمها، ويوزّعها في النّاس ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

* *

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ٣]**(١).

حدّثنا أحمد بن يونس، حدّثنا زهيرٌ، حدّثنا الأسود بن قيسٍ قال: سمعت جندب بن سفيان ﷺ قال: اشتكى رسول الله ﷺ، فلم يقم ليلتين، أو ثلاثًا، فجاءت امرأةٌ فقالت: يا محمّد، إنّي لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قَربك منذ ليلتين، أو ثلاثًا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [١ ـ ٣](٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا من جهلها؛ لأنّها كانت من جملة عبّاد الأوثان، ومن جملة الأعداء، فكانت بسبب جهلها وضلالها نطقت بهذه الكلمات.

فهو ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ ما كان شيطانه يضرّه، وإنّما كان ملكًا الّذي يجيئه، وهو جبرائيل ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

❋

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ٣]**(٣).

تقرأ بالتّشديد والتّخفيف بمعنىً واحدٍ: ما تركك ربّك، وقال ابن عبّاسٍ: ما تركك، وما أبغضك.

حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا محمّد بن جعفرٍ غندرٌ، حدّثنا شعبة،

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث جندب بن سفيان ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ برقم (٤٩٥٠)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين برقم (١٧٩٧).

(٣) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

عن الأسود بن قيسٍ قال: سمعت جندبًا البجليّ قالت امرأةٌ: يا رسول الله، ما أرى صاحبك إلّا أبطأك، فنزلت: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا فيه الردّ على أعداء الله، وأنّه سبحانه لم يزل برسوله حفيًّا، قال ﷻ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضُّحَى: ١ ـ ٣]؛ يعني: ما تركك ربّك ولا أبغضك؛ بل لحكمةٍ بالغةٍ، زوال الوحي ويمسك الوحي، ويصبغ الصّحّة، وتأتي الأمراض، وتنزل المصائب وترتفع، إلى غير هذا من عزٍّ وذلٍّ، وغير هذا ما قد يقع ويبتلى به المؤمنون، وليس ذلك عن بغضٍ لهم، ولكن لحكمةٍ بالغةٍ، فهو يبتلي عباده بالسّراء والضّرّاء، والشّدّة والرّخاء ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]، وليمتحن صبرهم، وليعظم أجرهم، وليكونوا أسوةً لغيرهم، في الضّرّاء والسّراء، فهم مأجورون في السّراء على شكرهم وطاعتهم، ومأجورون في الضّرّاء على صبرهم.

ويقال: ودعك بالتّخفيف، وودّعك، والله يقسم من خلقه بما يشاء: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضُّحَى: ١، ٢]، مثل ما أقسم بالذّاريات، والطّور، واللّيل إذا يغشى، والشّمس وضحاها، والعصر، وغير ذلك.

فالله له أن يقسم من خلقه بما يشاء؛ لأنّها آياتٌ ودلائل على قدرته العظيمة، وأنّه ربّ العالمين، هذا اللّيل وهذا النّهار، وهذا الطّور ـ وهو الجبل ـ والذاريات: الرّياح، وغير ذلك، كلّها من آيات الله، كلّها من دلائل قدرته العظيمة، وأنّه ربّ العالمين.

---

(١) المصدر السابق، البخاري برقم (٤٩٥١)، ومسلم (١٧٩٧).

وهكذا ما يأتي من النّهار واللّيل، كلّه من آيات الله، كلّها دلائل على عظمته، وأنّه ربّ العالمين، وأنّه مستحقٌّ لأن يعبد دون كلّ ما سواه ﷻ، أمّا الإنسان العبد فليس له أن يحلف إلّا بالله، ليس للعبد أن يحلف إلّا بالله، ولهذا في الحديث الصّحيح، يقول ﷺ: **«مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»**[(١)]، ليس لأحدٍ أن يحلف بالنّبيّ ﷺ أو بالأمانة، أو برأس فلانٍ أو شرف فلانٍ، لا، الحلف بالله وحده، ولهذا يقول ﷺ في «الصّحيحين»: **«من كَانَ حالفًا فليحلف بِاللهِ أو ليصمت»**، وفي «مسند أحمد» بإسناد جيّدٍ، عن عمر رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ؛ أنّه قال: **«مَنْ حَلَفَ بِشَيءٍ دُونَ اللهِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ»**[(٢)]، وفي السنن ـ «سنن أبي داود والتّرمذي» ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بإسنادٍ جيّدٍ أيضًا، أن النّبيّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، قال: **«مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»**[(٣)]، شك الراوي، قال: **«فقَدْ كفَرَ»**، أو قَالَ: **«أشرك»**، في الحديث الآخر: **«مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا»**[(٤)]، وفي الحديث الآخر: **«لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلَا بِالْأَنْدَادِ، وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللهِ، وَلَا تَحْلِفُوا بِاللهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ»**[(٥)].

فهذا هو الواجب على المكلّفين، إذا حلفوا أن يكون ذلك بالله وحده، أما ربّنا ﷻ فلا أحد يتحجّر عليه، فهو يقسم بما يشاء سبحانه وتعالى، وهو الحكيم العليم.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٦٨).

(٢) سبق تخريجه (ص١٠٥).

(٣) سبق تخريجه (ص٩٨).

(٤) سبق تخريجه (ص٤٦٩).

(٥) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية برقم (٣٨٣٦)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى برقم (١٦٤٦).

• **س: أحسن الله إليك، التّرجمتان واحدةٌ، بابٌ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضُّحَى: ٣]، والثانية: بابٌ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

على طريقته رَحِمَهُ اللَّهُ في التّسامح في الأبواب ليكرّر الأحاديث، اصطلاحٌ له، تسامحٌ منه حتّى يكرّر الأحاديث[١].

• **س: أحسن الله إليك، قول النّبيّ ﷺ: «أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ»[٢]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا منسوخٌ «**أفلَحَ وَأَبِيهِ**» منسوخٌ، كان الحلف بغير الله كان يجوز أولًا، ثمّ نسخ.

• **س: الّذي يحلف بآيات الله؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إن قصد القرآن فلا بأس، وإن قصد المخلوقات فما يجوز، إن قصد آيات الله: القرآن فهو كلام الله، وإن قصد آيات الله اللّيل والنّهار فما يجوز.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ [الضحى: ٥][٣].

جاء في بعض النصوص أن الله ﷻ وعد نبيّه ﷺ أن يغيث أمته،

---

(١) وجاء في القراءة الأولى السؤال التالي: س: الترجمتين واحدة عفا الله عنك: «بَابٌ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾»؟
ج: قد تكون زيادة في بعض النسخِ، وقد تكون لاختلافِ السندين مثل ما تقدم.

(٢) سبق تخريجه في (ص١٠١).

(٣) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/٤٥٦).

ومن ذلك أنه يأذن له بالشفاعة فيشفع لهم في دخول الجنة ويشفع في كثير منهم ممن دخل النار أن يخرج منها، وهذا مما أعطاه الله لنبيِّه عليه الصلاة والسلام، وهكذا لأهل الموقف حتى يُقضَى بينهم، كل هذا مما أخصَّه الله به، الشفاعة في أهل الموقف، والشفاعة في أهل الجنة حتى يدخلوها وأعطاه الله أيضًا الشفاعة في العصاة من الذين دخلوا النار من أمته أن يشفع فيهم؛ ليخرجوا منها، ثم يشفع في عدد كبير ويحدُّ الله له حدًّا، ولكن هذا ليس خاصًّا به، الشفاعة فيمن دخل النار ليست خاصة بالنبي ﷺ، بل يشفع فيه المؤمنون والملائكة والأفراط، فليست هذه خاصة به ﷺ، أما الشفاعة في أهل الموقف حتى يُقضَى بينهم والشفاعة في أهل الجنة حتى يدخلوها فهذه خاصة بالنبي ﷺ، وله شفاعة ثالثة خاصة به، وهي الشفاعة في عمه أبي طالب حتى خُفِّف عنه، كان في غمرات النار فشفع فيه النبي ﷺ حتى صار في ضحضاح من النار، لكنه لم يخرج من النار، بل يبقى في النار، نسأل الله العافية.

*

▢ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١][(١)].

الآية على ظاهرها، الله أمر نبيَّه ﷺ أن يتحدث بنعم الله ﷻ، وهذا من الشكر؛ التحدث بالنعم من شكر الله سبحانه وتعالى، فالنعمة شكرها يكون بأمور ثلاثة: الاعتراف بها باطنًا، وأنها من الله، ومن فضله سبحانه وتعالى، والتحدث بها ظاهرًا بلسانه، والثالث: صرفها فيما مرضاة المنعم بها سبحانه وتعالى، والاستعانة بها على طاعة الله ﷻ: فقال سبحانه ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ٩ -

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٥٨).

١١] هذا خطاب للنبي ﷺ، وهكذا كل مسلم وكل مسلمة، عليهما التحدث بنعم الله نشكر الله على ذلك، فالله منَّ علينا بنعم كثيرة، يجب أن نحمده ونشكره عليها، ونتحدث بنعم الله علينا، منها نعمة السمع والبصر والصحة والمال والولد والزوجة والزوج، كل هذه من نعم الله فيشكره سبحانه على ذلك، بطاعته وترك معصيته.

فلا بد من أمور ثلاثة: الإيمان بذلك في الباطن، وأن هذه من نعم الله سواء من صحة أو ولد أو مال، يؤمن بقلبه أن هذا من نعم الله، وأنه سبحانه المحسن بذلك، ويتحدث بلسانه بهذه النعم، ويشكر الله عليها بلسانه، ويشكر الله أيضًا بعمله، وذلك بطاعة الله على هذه النعمة، بأن يستعين بها على طاعة الله، وأن يصرفها في مرضاته سبحانه لا في معصيته.



تفسير سورة الشرح(١)

وقال مجاهدٌ: ﴿وِزْرَكَ﴾ [٢]: في الجاهليّة، ﴿أَنقَضَ﴾ [٣] أثقل، ﴿مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [٥، ٦] قال ابن عيينة: أي: مع ذلك العسر يسرًا آخر، كقوله: ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢]، ولن يغلب عسرٌ يسرين، وقال مجاهدٌ: ﴿فَٱنصَبْ﴾ [٧]: في حاجتك إلى ربّك، ويذكر عن ابن عبّاسٍ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [١]: شرح الله صدره للإسلام.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: راجع كلامه على قوله: **(ولن يغلب عسرٌ يُسرين)** قول سفيان؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٧١٢)]: «قوله: **(ولن يغلب عسر يُسرين)**: وروي هذا مرفوعًا موصولًا ومرسلًا، وروي أيضًا موقوفًا. أما المرفوع فأخرجه ابن مردويه من حديث جابرٍ بإسنادٍ ضعيفٍ ولفظه: «**أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّ مَعَ الْيُسْرِ يُسْرًا أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ**»». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مع العسر مكرّرٌ «مع العسر يسرًا مع العسر يسرًا» فالعسر واحدٌ، وإن تكرّر؛ لأنّه معرّفٌ، أمّا المنكّر فإذا كرّر فهو شيءٌ ثانٍ بخلاف المعرّف إذا أعيد أو عهد بالتّعريف أو كان منكّرًا وأعيد بالتّعريف؛ فإنّه شيءٌ واحدٌ(٢).

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) قال العشماوي في «حاشيته على الآجرومية»: «والقاعدة: أن النكرة إذا أُعيدت =

● س: هذه قاعدة المعرَّف؟

○ **الجواب**: المعرَّف إذا أعيد فهو شيءٌ واحدٌ، وهكذا إذا كان منكَّرًا ثمّ أعيد بالتّعريف فهو واحدٌ ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥، ١٦]، «رأيت رجلًا فأكرمت الرّجل»، أمّا إذا أعيد منكّرًا أو أعيد المعرّف منكّرًا فهو شيءٌ ثانٍ.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأخرج سعيد بن منصورٍ وعبد الرّزّاق من حديث ابن مسعودٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ كَانَ الْعُسْرُ فِي جُحْرٍ لَدَخَلَ عَلَيْهِ الْيُسْرُ حَتَّى يُخْرِجَهُ، وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ**». ثم قال: «**إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يسرًا، إِن مَعَ الْعسر يُسْرًا**». وإسناده ضعيفٌ»[(١)]. [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يحتمل يعني: أنّ مع اليسر المذكور يسرًا ثانيًا، لكن الظّاهر أنّه أراد لفظ الآية، وإلّا هو يحتمل أن يكون ثانيًا، إنّ مع اليسر المذكور الأول معهم يسرٌ آخر، من باب الإيضاح من باب التّفسير.

= معرفة تكون عين الأولى كما في قوله تعالى: ﴿...كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾؛ فإن الرسول الثاني هو الأول.

وكذا المعرفة إذا أُعيدت معرفة تكون عين الأولى كما تقول: (جاءني الرجل فأكرمت الرجل)؛ فإن الرجل الثاني هو عين الأول.

بخلاف النكرة إذا أُعيدت نكرة والمعرفة إذا أُعيدت نكرة فإنها تكون غير الأولى ومثاله كقوله: (جاءني رجل فأكرمت رجلًا) فالرجل الثاني غير الأول، ومثال إعادة المعرفة نكرة قولك: (جاءني الرجل فأكرمت رجلًا)؛ يعني: «رجلًا آخر». اهـ. ص٦٦. ط: الضياء.

(١) أخرجه الطبراني (٧٠/ ١٠) برقم (٩٩٧٧) قال الهيثمي: فيه إبراهيم النخعي وهو ضعيف.

والمعنى: أنّه لا يدوم العسر، من سنّة الله ﷻ أنّ الفرج يأتي، مهما نزل بالنّاس من شدّةٍ وعسرٍ؛ فإنّه يأتي بعده الفرج، سواءٌ طالت المدّة أو قصرت؛ فلا بدّ من فرجٍ يأتي.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأخرجه عبد الرّزّاق والطّبريّ من طريق الحسن عن النّبيّ ﷺ، وأخرجه عبد بن حميدٍ عن ابن مسعودٍ بإسنادٍ جيّدٍ من طريق قتادة قال: ذكر لنا أنّ رسول الله ﷺ بشّر أصحابه بهذه الآية فقال: «**لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ إِنْ شَاءَ اللهُ**»[1].

وأمّا الموقوف فأخرجه مالكٌ عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر: أنّه كتب إلى أبي عبيدة يقول: مهما ينزل بامرئٍ من شدّةٍ يجعل الله له بعدها فرجًا؛ وإنّه لن يغلب عسرٌ يسرين». [انتهى كلامه].

قال ابن بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا جيدٌ، هذا سندٌ جيّدٌ.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقال الحاكم: صحّ ذلك عن عمر وعليٍّ وهو في «الموطأ» عن عمر، لكن من طريقٍ منقطعٍ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الظّاهر أنّه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، هذا صحيحٌ هذا ظاهره في «الموطأ»، فإنّ مالكًا ما قال بأنّه مقطوعٌ، زيدٌ شيخه، وأسلم مولى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لقي عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ ليس منقطعًا. إن كان أراد شيئًا آخر. هذا ليس بمنقطعٍ، هذا صحيحٌ.

• **س: أسلم أدرك عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ ساقه بعد الحديث رقم (٤٩٥١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم مولاه، كان أحد من يأمرهم وينهاهم ويوجّههم ويأمرهم ويعين عليه، عاش معه مدةً طويلةً، لعلّه سندٌ آخر.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأخرجه عبد بن حميدٍ عن ابن مسعودٍ بإسنادٍ جيّدٍ، وأخرجه الفرّاء بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن عبّاسٍ.

قوله: (**وقال مجاهدٌ**: ﴿فَٱنصَبۡ ۝٧﴾ **في حاجتك إلى ربك**): وصله ابن المبارك في «الزّهد» عن سفيان عن منصورٍ عن مجاهدٍ في قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧﴾ في صلاتك ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾ قال: اجعل نيّتك ورغبتك إلى ربّك.

وأخرج ابن أبي حاتمٍ من طريق زيد بن أسلم قال: إذا فرغت من الجهاد فتعبّد. ومن طريق الحسن نحوه». [انتهى كلامه].



تفسير سورة وَالتِّينِ(١)

وقال مجاهدٌ: هو التّين والزّيتون الّذي يأكل النّاس، يقال: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ [٧]: فما الّذي يكذّبك بأنّ النّاس يدانون بأعمالهم؟ كأنّه قال: ومن يقدر على تكذيبك بالثّواب والعقاب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: **(فما الّذي يكذّبك)**: يعني: فأيّ شيءٍ يكذّبك؟ استفهاميّةٌ فأيّ شيءٍ يكذّبك، يدانون: يحاسبون.

● **س: يعني: من الدّين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: من الدّين، يدانون؛ يعني: يحاسبون، دانه يدينه دينه.

*

حدّثنا حجّاج بن منهالٍ، حدّثنا شعبة قال: أخبرني عديٌّ قال: سمعت البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنّ النّبيّ ﷺ كان في سفرٍ، فقرأ في العشاء في إحدى الرّكعتين بالتّين والزّيتون» ﴿تَقْوِيمٍ﴾ الْخَلْقِ(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في الرّواية الأخرى قال: «ما سمعت صوتًا أحسن من صوته ـ عليه

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب برقم (٤٩٥٢)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء برقم (٤٦٤).

الصّلاة والسّلام ـ»، في الصّحيح أيضًا، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

قولُهُ: (**تقويم: الخلق**): ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤﴾ في أحسن خلقٍ يعني.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: راجع: كلامه على «والذّكر والأنثى» على كلام أبي الدّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٧٠٧)]: «وقوله في آخره: «وهؤلاء يريدونني على أن أقرأ وما خلق الذّكر والأنثى والله لا أتابعهم»: ووقع في رواية داود بن أبي هند عن الشّعبيّ عن علقمة في هذا الحديث: «وإنّ هؤلاء يريدونني أن أزول عمّا أقرأني رسول الله ﷺ، ويقولون لي: اقرأ: وما خلق الذّكر والأنثى، وإنّي والله لا أطيعهم». أخرجه مسلمٌ وابن مردويه.

وفي هذا بيانٌ واضحٌ أنّ قراءة ابن مسعودٍ كانت كذلك، والّذي وقع في غير هذه الطّريق أنّه قرأ والّذي خلق الذّكر والأنثى كذا في كثيرٍ من كتب القراءات الشّاذّة، وهذه القراءة لم يذكرها أبو عبيدٍ إلا عن الحسن البصريّ، وأما ابن مسعودٍ فهذا الإسناد المذكور في «الصّحيحين» عنه من أصحّ الأسانيد، يروي به الأحاديث.

قوله: (**كيف سمعته**)؛ أي: ابن مسعودٍ يقرأ: «واللّيل إذ يغشى» قال علقمة: «والذّكر والأنثى»، في رواية سفيان فقرأت: «واللّيل إذا يغشى والنّهار إذا تجلّى والذّكر والأنثى». وهذا صريحٌ في أنّ ابن مسعودٍ كان يقرؤها كذلك، وفي رواية إسرائيل عن مغيرة في المناقب: واللّيل إذا يغشى والذّكر والأنثى، بحذف والنّهار إذا تجلّى. كذا في رواية أبي ذرٍّ وأثبتها الباقون.

قوله: (**وهؤلاء**)؛ أي: أهل الشّام (**يريدونني على أن اقرأ** ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾، **والله لا أتابعهم**): هذا أبين من الرّواية الّتي قبلها؛

حيث قال: وهؤلاء يأبون عليّ، ثمّ هذه القراءة لم تنقل إلّا عمّن ذكر هنا ومن عداهم قرؤوا وما خلق الذّكر والأنثى، وعليها استقرّ الأمر، مع قوّة إسناد ذلك إلى أبي الدّرداء ومن ذكر معه.

ولعلّ هذا ممّا نسخت تلاوته ولم يبلغ النّسخ أبا الدّرداء ومن ذكر معه، والعجب من نقل الحفّاظ من الكوفيّين هذه القراءة عن علقمة وعن ابن مسعودٍ، وإليهما تنتهي القراءة بالكوفة، ثمّ لم يقرأ بها أحدٌ منهم وكذا أهل الشّام حملوا القراءة عن أبي الدّرداء، ولم يقرأ أحدٌ منهم بهذا؛ فهذا ممّا يقوّي أنّ التّلاوة بها نسخت». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا شكّ في هذا، أقول: لا شكّ في هذا، لما جمع عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المصحف كان على العرضة الأخيرة فيما ذكره غير واحدٍ، وكانت القراءة نزلت على سبعة أحرفٍ فكانت العرضة الأخيرة هي المعتمدة في جمع عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المصحف كما نقل عن الصّحابة ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ حتّى جمعهم على حرفٍ واحدٍ؛ لئلّا يتنازعوا.

فكانت القراءة: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [اللَّيْل: ٣]؛ يعني: والّذي خلق الذّكر والأنثى، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ١ ـ ٣]؛ يعني: وخلقه الذّكر والأنثى، أو (ما) موصولةٌ؛ يعني: والله الّذي خلق الذّكر والأنثى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأقسم باللّيل وبالنّهار وبنفسه عَزَّ وَجَلَّ، وفي القراءة الأخرى أقسم بالذّكر والأنثى، ولا منافاة فهو على سبعة أحرفٍ كلّها متقاربةٌ في المعنى؛ فتكون العرضة الأخيرة هي هذا الحرف ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [اللَّيْل: ٣].



تفسير آيات من سورة العلق(١)

وقال قتيبة: حدّثنا حمّادٌ، عن يحيى بن عتيقٍ، عن الحسن قال: اكتب في المصحف في أوّل الإمام: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، واجعل بين السّورتين خطًّا، وقال مجاهدٌ: ﴿نَادِيَهُۥ﴾ [١٧]: عَشِيرَتَهُ، ﴿ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [١٨]: الملائكة، وقال معمرٌ: ﴿ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [٨]: الْمَرْجِعُ، (لَنَسْفَعَنْ) [١٥]: قال: لنأخذن، ولنسفعن بالنّون، وهي الخفيفة، سفعت بيده أخذت.

• **س: قول الحسن: «اكتب في المصحف في أوّل الإمام: بسم الله الرّحمن الرّحيم، واجعل بين السّورتين خطًّا»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا اجتهادٌ منه؛ يعني: تمييزًا بين القرآن، وبين البسملة وبين السّورة؛ لأنّ البسملة آية مستقلّة، ما هي من السّورة، آية مستقلّة من كلّ سورة، وبين كلّ سورة، وهي بعض آية من سورة النمل، وهي آية مستقلّة ليست من السّور، فهي مستقلّة أمام كلّ سورة ما عدا براءة، من باب التّمييز يعني.

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: حدّثنا يحيى، حدّثنا اللّيث، عن عقيلٍ، عن ابن شهابٍ، وحدّثني سعيد بن مروان، حدّثنا محمّد بن عبد العزيز بن أبي رزمة، أخبرنا أبو صالحٍ سلمويه، قال: حدّثني عبد الله عن يونس بن

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

يزيد قال: أخبرني ابن شهابٍ أنّ عروة بن الزّبير أخبره أنّ عائشة زوج النّبيّ ﷺ قالت: «كان أوّل ما بدئ به رسول الله ﷺ الرّؤيا الصّادقة في النّوم، فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصّبح، ثمّ حبّب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراءٍ فيتحنّث فيه، قال: والتّحنّث: التّعبّد اللّيالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزوّد لذلك، ثمّ يرجع إلى خديجة، فيتزوّد بمثلها، حتّى فجئه الحقّ وهو في غار حراءٍ، فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال رسول الله ﷺ **مَا أَنَا بِقَارِئٍ**، قال: فأخذني فغطّني حتّى بلغ منّي الجهد، ثمّ أرسلني فقال: اقرأ، قلت: **مَا أَنَا بِقَارِئٍ**، فأخذني فغطّني الثّانية، حتّى بلغ منّي الجهد، ثمّ أرسلني فقال: اقرأ، قلت: **مَا أَنَا بِقَارِئٍ**، فأخذني فغطّني الثّالثة، حتّى بلغ منّي الجهد، ثمّ أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾ الآيات إلى قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [١ ـ ٥] فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره، حتّى دخل على خديجة فقال: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي، فزمّلوه حتّى ذهب عنه الرّوع، قال لخديجة: أي خديجة، ما لي لقد خشيت على نفسي؟ فأخبرها الخبر، قالت خديجة: كلّا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، فوالله إنّك لتصل الرّحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضّيف، وتعين على نوائب الحقّ، فانطلقت به خديجة حتّى أتت به ورقة بن نوفلٍ بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عمّ خديجة أخي أبيها، وكان امرءًا تنصّر في الجاهليّة، وكان يكتب الكتاب العربيّ، وكتب بالعربية من الإنجيل بالعربيّة ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت خديجة: يا عمّ، اسمع من ابن أخيك، قال ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره النّبيّ ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا النّاموس الّذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًّا، ذكر حرفًا، قال رسول الله ﷺ: أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قال ورقة: نعم، لم يأت رجلٌ بما جئت

به إلّا أوذي، وإن يدركني يومك حيًّا أنصرك نصرًا مؤزّرًا، ثمّ لم ينشب ورقة أن توفّي، وفتر الوحي فترةً، حتّى حزن رسول الله ﷺ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

(تكسب) عندك بالضّمّ، أو (تكسب)؟ تقدّم أن الأفصح في الرّواية (تكسب).

وهذا يبيّن لنا كما تقدّم في أوّل الصّحيح أن أوّل ما نزل هو سورة «اقرأ» هذا الّذي عليه عامّة أهل العلم وجمهورهم، ثمّ نزلت سورة المدّثّر بعد الفترة، وهذه الرّواية صريحةٌ في هذا وهذا، أوّل ما أنزل الله سورة «اقرأ»، ثمّ أنزل الله بعد هذا بعد فترةٍ سورة المدّثّر.

وفي هذا دلالة على أن الرّسل تبتلى بما فيه شدّة؛ تمهيدًا لما ينزل بهم من الشّدائد؛ حتّى يستعدّوا لتبليغ الرّسالة والصّبر على شدائدها وما فيها من المخاطر والأذى من أعداء الله.

فجبرائيل عليه السلام نزل به في غار حراءٍ وغطّه ثلاث مرّاتٍ؛ حتّى بلغ منه الجهد وهو يقول له: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ وهو يقول: «**ما أَنَا بقارئٍ**» ما أنا بقارئٍ ليس على سبيل الامتناع، ولكن على سبيل الإخبار؛ يعني: ليس بقارئٍ؛ كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، لا يكتب الكتابة، ولا يقرأ الكتابة، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

ثمّ علّمه جبرائيل عليه السلام قال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾.

فهذه الآيات أول ما نزل، ثمّ ذهب إلى أهله فزمّلوه ودثّروه حتّى هدأ روعه، ثمّ قالت له خديجة رضي الله عنها لمّا أخبرها ما قالت، وكانت من أعقل النّساء، وأثبت النّساء وأصحّهنّ عقولًا قالت له: كلّا، والله لا يخزيك الله، أبشر، فهي نعم الصّاحبة ونعم الزّوجة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٩٥٣).

ثمّ ذكرت خصاله الحميدة الّتي استدلّت بها على أنّ الله لا يخزي مثله؛ لأعماله الطّيبة، وصفاته الحميدة، وأنّها الدّلائل على أنّ الله لا يخزيه؛ بل يقر عينه، ويريد به الخير: **(والله، إنّك لتصل الرّحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضّيف، وتعين على نوائب الحقّ...)**(١)، إلى آخره.

كل هذا من خصاله الحميدة قبل أن يوحى إليه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، ثمّ فتر الوحي، ثمّ أنزل الله عليه سورة المدّثّر كما ذكر جابرٌ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكان أوّل ما بدئ به الرّؤيا الصّالحة الصّادقة، كان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصّبح؛ تمهيدًا لما ينزل به من الوحي ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

ثمّ حبّب إليه الخلاء؛ يعني: الخلوة عن النّاس للتّعبد؛ حتّى أكرمه الله بالرّسالة ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

• **س: حكم فعله ﷺ قبل البعثة، كتحنّثه في غار حراءٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كأنّه شيءٌ تلقّاه علمه عن شريعة إبراهيم ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، التحنّث والتّعبد.

• **س: يعني: منسوخٌ، هذا الفعل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: بعد ما أوحى الله إليه ما عاد رجع إلى غار حراءٍ.

• **س: ورقة بن نوفلٍ أسلم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ظاهره الإسلام؛ لأنّه صدّق قال: لئن أدركني زمنك لأنصرنّك

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في كتاب بدء الوحي برقم (٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم (١٦٠).

نصرًا مؤزرًا، جاء في حديثٍ أنّه رآه النّبيّ ﷺ في حلّة حمراء في الجنّة. ظاهره أنّه أسلم ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ.

فالصّواب أنّه يعدّ من الصّحابة رضي الله عنهم ومن المسلمين.

* *

قال محمّد بن شهابٍ: فأخبرني أبو سلمة أنّ جابر بن عبد الله الأنصاريّ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدّث عن فترة الوحي، قال في حديثه: «**بَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَفَرِقْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُوهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١ ـ ٥]»، قال أبو سلمة: وهي الأوثان الّتي كان أهل الجاهليّة يعبدون، قال: «ثمّ تتابع الوحي»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وبهذا صار رسولًا ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، «اقرأ» صار نبيًّا، وبالمدّثّر صار رسولًا؛ لقوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾، وكان بينهما فترةٌ، حتّى قال جابرٌ رضي الله عنهما: إنّ أول الوحي هو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾؛ يعني: بعد الفترة.

• **س: وكان يكتب الكتاب العربي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم؛ يعني: ورقة بن نوفلٍ.

• **س: عفا الله عنك، الصّحيح في ورقة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: أسلم، وصدّق بالنّبيّ ﷺ، الله المستعان.

*

(١) متفق عليه من حديث جابر رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب برقم (٤٩٥٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم (١٦١).

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العلق: ٢](١).

حدّثنا ابن بكيرٍ، حدّثنا اللّيث، عن عقيلٍ، عن ابن شهابٍ، عن عروة أنّ عائشة ﵂ قالت: «أوّل ما بدئ به رسول الله ﷺ الرّؤيا الصّالحة، فجاءه الملك فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١ ـ ٣]»(٢).

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق: ٣](٣).

حدّثنا عبد الله بن محمّدٍ، حدّثنا عبد الرّزّاق، أخبرنا معمرٌ، عن الزّهريّ (ح) وقال اللّيث: حدّثني عقيلٌ قال محمّد: أخبرني عروة، عن عائشة ﵂: «أوّل ما بدئ به رسول الله ﷺ الرّؤيا الصّادقة، جاءه الملك فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [١ ـ ٤]»(٤).

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾ [العلق: ٤](٥).

---

(١) من شرح سماحته ﵀ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٢) متفق عليه من حديث عائشة ﵂، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ برقم (٤٩٥٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي . . . إلخ برقم (١٦٠).
(٣) من شرح سماحته ﵀ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٤) المصدر السابق.
(٥) من شرح سماحته ﵀ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

حدّثنا عبد الله بن يوسف، حدّثنا اللّيث، عن عقيلٍ، عن ابن شهابٍ قال: سمعت عروة قالت عائشة رضي الله عنها: «فرجع النّبيّ ﷺ إلى خديجة فقال: **زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي**» فذكر الحديث[١].

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [العلق: ١٥، ١٦].

حدّثنا يحيى، حدّثنا عبد الرّزّاق عن معمرٍ، عن عبد الكريم الجزريّ، عن عكرمة قال ابن عبّاسٍ: «قال أبو جهلٍ: لئن رأيت محمّدًا يصلّي عند الكعبة لأطأنّ على عنقه، فبلغ النّبيّ ﷺ فقال: **لَوْ فَعَلَهُ لأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ**»، تابعه عمرو بن خالدٍ عن عبيد الله، عن عبد الكريم[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمقصود من هذا: أنّ الله حفظه حتّى بلّغ الرّسالة، حفظه من شرّهم مع كيدهم العظيم ومع عدائهم الشّديد: كأبي جهل بن هشامٍ، وكعتبة بن ربيعة وأخيه، وابن أخيه، وغيرهم من بني عبد شمسٍ وبني عبد نوفل، كان العداء عظيمًا، ومع ذلك حماه الله، وكفاه شرّهم، وقيّض له عمّه أبا طالبٍ؛ فجعل يدافع عنه وينافح حتّى بلّغ الرّسالة، وأدّى الأمانة.

فلمّا استحكم الأمر واشتدّ الكرب وعظمت المصيبة، وتوفّي أبو طالبٍ، وتوفّيت خديجة ـ رضي الله عنها ـ، أمره الله بالهجرة من بين

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ برقم (٤٩٥٨).

أظهرهم، وكانوا قد أجمعوا على قتله، فكفاه الله شرّهم، وخلّصه من كيدهم، ثمّ هاجر إلى المدينة بعد البيعة مع الأنصار، فأعزّ الله جنده ونصر نبيّه على أعدائه، وصارت المدينة المنورة معقل الإسلام، ومجمع المسلمين، ومأوى المهاجرين، ومنطلق المجاهدين.

ولم يزل هكذا ينافح ويجاهد ويدعو إلى الله؛ حتّى أتمّ الله عليه النّعمة، وأكمل به الدّين، وأظهر به الحقّ، وخذل به الباطل، ودخل النّاس في دين الله أفواجًا.

وهكذا الرّسل تبتلى وتكون لها العاقبة، فهذا موسى وهارون عليهما السّلام رجلان ليس معهما جندٌ ولا قوّةٌ، سوى قوّة الإيمان والتّأييد من الله ﷻ، ذهبا إلى أعتى رجلٍ وأكفر رجلٍ في زمانه: فرعون؛ فجعل الله في قلبه منهما الرّعب والخوف وعدم القدرة على إيذائهما؛ حتّى بلّغا رسالة الله.

وهكذا أتباع الحقّ وأنصار الحقّ يعانون ويوفّقون وينشّطون ويشجّعون حتّى يبلّغوا ما يجب تبليغه، وقد يبتلى بعضهم، قد يقتل، قد يؤذى كما فعل بالأنبياء، قد قتل بعض الأنبياء، ولكن الأغلب والأكثر النّصر والتّأييد، وحسن العاقبة، وعدم القتل.

ثمّ لو قتل فالنّصر حاصلٌ، وإظهار الدّين حاصلٌ، والعاقبة حميدةٌ وهي شهادتهم والجنّة؛ فلا ينبغي للعاقل أن يتأخّر عن إظهار الحقّ، وعن نصر الدّين، وعن الدّعوة إلى الله ﷻ؛ تخوفًا وسوء ظنٍّ بالله؛ خشيةً من الأذى، ولكن ليسلك الحكمة، ويدعو إلى الله بالحكمة والكلام الطّيب، والأسلوب الحسن، ويتخذ لكلّ مقام مقالًا؛ حتّى يتمكّن من إظهار الحقّ، والدّعوة إليه، والصّبر على الأذى فيه، والله ﷻ يقول: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ويقول: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، ويقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ

﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ويقول: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، ويقول ﷺ: «**وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْر وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْر**»[1]، الله المستعان.

*

❐ تفسير قوله تعالى: في سورة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق]، وفي آخر السورة، وهي: ﴿...وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ⑲﴾ [العلق][2].

هذه السورة: شرع الله فيها لنبيه ﷺ، السجود والمسلمون كذلك، وهذه من سجدات التلاوة، والمسلمون يُشرَع لهم كما شُرِع لنبيّهم ﷺ السجود عند قراءة هذه الآية، فإذا قرأ هذه الآية يسجد إن كان مُفردًا خارج الصلاة، وهكذا إن كان في الصلاة، وإن كان إمامًا سجد وسجد معه الناس، وهذه من السجدات التي سجد فيها النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وقد قال بعض أهل العلم: إن سجدات المفصل قد نُسِخت ولكنه قول ضعيف، والصواب أنها باقية، وأنها سُنَّة سجدة في النجم، وسجدة في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ①﴾، وسجدة في ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، كلها سجدات مشروعة ثابتة عن رسول الله ﷺ يسجدها الإمام بالمأمومين في الصلاة، ويسجدها الإنسان في صلاته، في تهجده ونحو ذلك، ويسجدها خارج الصلاة، هذه هي السُّنَّة.

❐ ❐ ❐

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الاستعفاف عن المسألة برقم (١٤٦٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر برقم (١٠٥٣)، واللفظ لمسلم.

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٦٠).

تفسير آيات من سورة القدر(١)

يقال: المطلع هو الطّلوع، والمطلع: الموضع الّذي يطلع منه، ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ [١]: الهاء كنايةٌ عن القرآن: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٢] خرج مخرج الجميع، والمنزل هو الله تعالى، والعرب توكّد فعل الواحد، فتجعله بلفظ الجميع؛ ليكون أثبت وأوكد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا غالبٌ في الكبراء والأمراء ومن لهم جنودٌ ومن لهم قوّةٌ يقولون: فعلنا وأمرنا ونهينا.

والله ﷻ هو أعظم شيءٍ، وأكبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كلّ شيء له جند سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو أولى وأحقّ بأن يقول: أنزلنا وفعلنا وأمرنا. ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعبّر عن نفسه بهذا لعظمته وكبريائه، وكونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ القادر على كلّ شيءٍ.

وقد يعبّر بالمفرد كما قال ﷻ: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤].

والمعنى: أنّ الله واحدٌ لا شريك له، وتأتي بعض الآيات بصورة الجمع؛ لعظم شأن المنزل، وهو سبحانه الرّبّ ﷻ، والعرب هكذا تأتي بضمير الجماعة إذا كان المتكلّم له شأنٌ، أو رئيسًا أو أميرًا، أو له

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

أتباعٌ، وما أشبه ذلك، تأتي بنون الجمع، والربّ ﷻ هو الخلّاق العليم، ورب كلّ شيءٍ ومليكه، قادرٌ على كلّ شيءٍ، فلهذا يعبّر ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ بنون العظمة، ولا يستغرب هذا لأنّه جارٍ على سنن العرب في لغتهم.

* *

❐ ما هو تفسير الآية الكريمة: بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [القدر: ١].

• هل القرآن نزل جملةً واحدةً؟ لقد سألت وقالوا لي: إنه نزل من اللوح المحفوظ، فهل هذا صحيح[(١)]؟

القرآن الكريم نزل على رسول الله ﷺ منجّمًا على حسب الحاجة والأسباب، وكان أول ما نزل سورة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ في ليلة القدر، فصدق على ذلك أنه أنزل في ليلة القدر، وأنه أنزل في رمضان؛ لأن أوله نزل في ليلة القدر في رمضان هذا هو ظاهر الأدلة الشرعية؛ لأن كثيرًا من القرآن نزل في مكة في غير رمضان، وكثير منه نزل في المدينة في غير رمضان لم يزل ينزل على الرسول ﷺ، منجّمًا على حسب الحوادث والأسباب، وسورة المائدة نزلت في آخر حياته ﷺ، ونزل في يوم الجمعة في يوم عرفة في حجة الوداع في السنة العاشرة من حياته ﷺ ومن هجرته من حياته بعد الهجرة هذه الآية: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، هذه نزلت في يوم الجمعة وهو واقف بعرفة ـ عليه الصلاة والسلام ـ سنة عشرة من الهجرة، وقال ابن عباس ﵄ وجماعة: إنه أنزل إلى السماء الدنيا في رمضان في ليلة القدر

(١) من برنامج نور على الدرب رقم الحلقة (٧٦٠/ ٢).

إلى بيت العزة، بيت في السماء الدنيا يقال له: بيت العزة، وكل سماء فيه بيت للملائكة يتعبدون فيه، وبيت العزة بيت في السماء الدنيا يتعبَّد فيه الملائكة، وفي السماء السابعة البيت المعمور يتعبَّد فيه الملائكة أيضًا وهو على ميزان الكعبة في الأرض، يقول فيه النبي ﷺ: **«يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»**(١).

يعني: الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وهذا يدل على كثرة الملائكة، وأن كل يوم يدخل البيت المعمور منهم سبعون ألف ملك للعبادة، ثم لا يعودون إليه أبدًا، فعلى هذا القول قول ابن عباس أنه أُنزل إلى بيت العزة جملة واحدة، ثم نزل منجّمًا في ثلاث وعشرين سنة على حسب الحوادث والأسباب، وهذا قول قوي قال به جمع من أهل العلم، والأول أظهر، وأنه أنزل من عند الله ﷻ بواسطة جبرائيل على النبي ﷺ في ثلاث وعشرين سنة، وأن أوله أنزل في ليلة القدر في رمضان، والله ولي التوفيق سبحانه وتعالى.

*

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١](٢).

هذه الآية الكريمة تتعلق بقيام رمضان وبليلة القدر، قيام رمضان سُنَّة مؤكدة، وهكذا ليلة القدر قيامها وإحياؤها وكذلك العشر الأخيرة من رمضان؛ لأنها في العشر فإحياء العشر إحياءُ لليلة القدر كل ذلك سُنَّة قُربة، طاعة، ومتأكّد، كان النبي ﷺ يقوم رمضان، ويقوم أيام

(١) أخرجه مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات برقم (٢٥٩).
(٢) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٣/ ٥٢٥).

العشر ويجتهد في العشر أكثر مما يجتهد في غيرها ـ عليه الصلاة والسلام ـ ويقول ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيمانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

وكَانَ يُرَغِّبُ أصحابه في ذلك من غير أن يأمرهم بعزيمة، فدلَّ ذلك على التأكيد على القيام، وأنه يُستحب لأهل الإسلام أن يقوموا رمضان، وهكذا ليلة القدر يُستحب لهم أن يقوموا العشر الأخيرة من رمضان، وأن يجتهدوا في ذلك؛ لأنها فيها من قام العشر قام ليلة القدر، والله يقول ﷻ في هذه الليلة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣، ٤] هي ليلة القدر. ويقول ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١]؛ يعني: القرآن ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر: ٢ ـ ٥].

هذا يدل على فضل عظيم ومعنى القدر التقدير؛ يعني: تقدر فيها ما تقدر في أحوال السنة، وقيل: معنى القدر: الشرف؛ يعني: ليلة الشرف والفضل وكلاهما حق، هي ليلة الشرف، وهي ليلة يحصل فيها التقدير العالي السنوي، فيُستحب لأهل الإسلام قيام العشر الأواخر من رمضان والتهجد فيها والإكثار من الدعاء، ولا سيما: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[(١)]. كما علَّم النبي ﷺ عائشة ذلك، قَالَتْ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟) قال: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**». ولما اجتهدوا في قيام رمضان، وكان صلَّى بهم ثلاث ليالي ﷺ وتابعها، ثم قال لهم: اجعلوها في بيوتكم: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ صَلَاةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا**

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية برقم (٣٨٥٠)، والإمام أحمد (٦/ ١٧١، ١٨٢، ١٨٣).

المَكْتُوبَةَ»[١]، وقال: «**أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا**»[٢]، فلما تُوفِّي النبي ﷺ وتُوفِّي الصديق رضي الله عنه أقامها عمر في المساجد وأحياها في المساجد؛ لأن الوحي قد انقطع وأُمن فرضها، فيستحب لأهل الإسلام قيام هذه الليالي المباركة؛ يعني: رمضان وليالي العشر والاحتفال بليلة القدر والعناية بإحيائها والإكثار من الدعاء فيها والصدقات وغير هذا من وجوه الخير.

وفي الحديث: «**فَمَنْ قَامَهَا** ابْتِغَاءَهَا **إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا - ثُمَّ وُفِّقَتْ لَهُ - غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**» والسبع الأخير آكد، والأوتار آكد، ولكنها موجبة في العشر كلها، لكن الأوتار آكد من غيرها، والسبع الأخيرة آكد من الثلاث الأُول، ولكن تقع تارة في أول العشر، وتارة في وسطها، وتارة في آخرها تتنقل. والصواب: أنها تتنقل هذه الليلة في بعض السنوات كذا وبعض السنوات كذا، فالحزم كل الحزم أن المؤمن يحيي الليالي كلها العشر، ويجتهد فيها كلها؛ حتى يوافقها يقينًا، فمن قام العشر كلها فقد أدرك ليلة القدر يقينًا، وإذا أخلص لله نيته فله هذا الفضل العظيم. نسأل الله أن يبلغنا وإياكم صيام رمضان وقيامه.



---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه في كتاب الأذان، باب صلاة الليل برقم (٧٣١).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة. أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد برقم (٩٢٤)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح برقم (٧٦١).

تفسير سورة البيِّنة(١)

﴿مُنفَكِّينَ﴾ [١]: زائلين، ﴿قَيِّمَةٌ﴾ [٣]: القائمة، ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [٥]: أضاف الدين إلى المؤنث.

*

حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا غندرٌ، حدّثنا شعبة قال: سمعت قتادة، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال النّبيّ ﷺ لأبيٍّ: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ:** ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال: وسمّاني؟ قال: **نَعَمْ**، فبكى»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ومعنى ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾؛ يعني: دين الملّة القيّمة، أو الشّريعة القيّمة؛ يعني: القائمة العادلة الكاملة. الله أكبر.

يعني: دين الملّة القيّمة، والطّريقة القيّمة؛ فهو نعتٌ لموصوفٍ محذوفٍ ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]؛ يعني: وذلك دين الملّة أو الطّريقة أو السّبيل القيّمة.

قوله: (**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ:** ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾): ولعلّ

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أُبي بن كعب رضي الله عنه برقم (٣٨٠٩)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه برقم (٧٩٩).

السرّ في ذلك ما قد وقع لأبيّ رضي الله عنه أنّه أقرأه النّبيّ ﷺ بعض الآيات، وأقرأ آخر تلك الآيات على حروفٍ مخالفةٍ لبعض الحروف الّتي يقرأها أبي رضي الله عنه؛ فوقع في نفس أبي رضي الله عنه شيءٌ من ذلك، حرج شديدٌ من ذلك؛ فضرب النّبيّ ﷺ في صدره قال: فزال عنّي كلّ ما وجدت. واستقر في قلبه الإيمان الصّادق، والبصيرة والهدى والطّمأنينة.

ثمّ في هذا أنّ الله أنزل على نبيّه ﷺ أن يقرأ عليه سورة: ﴿لَمْ يَكُنِ﴾؛ فلعلّ هذا من مزيد الطّمأنينة، ولمزيد تثبيت أبيٍّ رضي الله عنه، وكان أقرأ النّاس كما جاء في الحديث الصّحيح: «**أقرؤكم أبي**».

وفي حديث أنسٍ رضي الله عنه المتقدّم من رواية ابن ماجه والتّرمذيّ والنّسائيّ وأحمد وغيرهم يقول ﷺ: «**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عثمان بْنُ عَفَّانَ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحَلَالِ وَالحَرَام مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ**»(١)، رضي الله عن الجميع.

لمقصود: قوله: «وأقرؤكم أبي».

● **س: شيخ: هل يجوز الواحد يعني يقول: فعلنا، قد عملنا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: لا حرج إذا قالها كذا من غير قصد الفخر والتّكبر ما يضرّ، أما إذا قصد التّكبّر فما يليق به.

*

قال البخاري رحمه الله:

حدّثنا حسّان بن حسّان حدّثنا همّامٌ، عن قتادة، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال النّبيّ ﷺ لأبيٍّ: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ**»، قال

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم برقم (٣٧٩٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٢١٨٦).

أبيٌّ: آلله سمّاني لك؟ قال: «**اللهُ سَمَّاكَ لِي**»، فجعل أبيٌّ يبكي، قال قتادة: فأنبئت أنّه قرأ عليه: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال الشّارح عليه؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٧٢٥)]: «قوله: (**إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك** ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾): كذا في رواية شعبة، وبيّن في رواية همّامٍ أنّ تسمية السّورة لم يحمله قتادة عن أنسٍ؛ فإنّه قال في آخر الحديث: قال قتادة: فأنبئت أنّه قرأ عليه: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾. وسقط بيان ذلك من رواية سعيد بن أبي عروبة. هذا ما في هذه الطّرق الثّلاثة الّتي أخرجها البخاريّ.

وقد أخرجه الحاكم وأحمد والتّرمذيّ من طريق زرّ بن حبيشٍ عن أبيّ بن كعبٍ نفسه مطوّلًا، ولفظه: (**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ**) قَالَ: (**فَقَرَأَ عَلَيْهِ**: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾). والجمع بين الرّوايتين حمل المطلق على المقيّد لقراءته لم يكن دون غيرها». [انتهى كلامه].

قال ابن بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومعنى ذلك أن كلّ شيء يسمّى قرآنًا، قرآن يعني شيئًا من القرآن ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ يقال لها: قرآنٌ، والفاتحة يقال لها: قرآن كما قال جَلَّ وَعَلَا في الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] فقال: أقرأ عليك القرآن؟! يعني: شيئًا من القرآن أو ما يسمّى قرآنًا ومنها «لم يكن».

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فقيل: الحكمة في تخصيصها بالذّكر؛ لأنّ فيها: ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾.

وفي تخصيص أبيّ بن كعبٍ التّنويه به في أنّه أقرأ الصّحابة؛ فإذا قرأ عليه النّبيّ ﷺ مع عظيم منزلته، كان غيره بطريق التّبع له، وقد تقدّم في المناقب مزيد كلامٍ في ذلك». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال العينيّ؟ العينيّ زاد شيئًا؟

(من الطالب): ذكر الحديث الثّاني، أحسن الله إليك، حديث حسّان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سر قراءته على أبي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، تكلّم بشيءٍ؟

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قوله: **(أن أقرئك)**؛ أي: أعلمك بقراءتي عليك كيف تقرأ حتّى لا تتخالف الرّوايتان. وقيل: الحكمة فيه لتحقّق قوله تعالى فيها: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العينيّ عندك شيء؟

[قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القارئ» (١٩/ ٣١٠)]: «وفي الحديث السّابق: **(أقرأ عليك القرآن)**. قلت: القراءة عليه نوعٌ من إقرائه وبالعكس، قال في (الصّحاح) فلانٌ قرأ عليك السّلام، وأقرأك السّلام بمعنى، وقد يقال أيضًا: كان في قراءته قصورٌ فأمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يقرئه على التّجويد ويقرأ عليه ليتعلّم منه حسن القراءة وجودتها، ولو صحّ هذا القول كان اجتماع الأمرين القراءة عليه والإقراء ظاهرًا.

وقال النّوويّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واختلفوا في الحكمة في قراءته عليه، والمختار أن سببها أن تستنّ الأمة بذلك في القراءة على أهل الفضل، لا يأنف أحدٌ من ذلك. وقيل: للتّنبيه على جلالة أبي بن كعب، رضي الله تعالى عنه، وأهليته لأخذ القرآن عنه». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: أحسن ما قيل: ليستنّ أهل الفضلِ بالقراءة على الفضلاء، ولا يأنف الكبير أن يقرأ على من دونه؛ ليستفيد هؤلاء من هؤلاء، وهؤلاء من هؤلاء، فإذا قرأ الأكبر على الأصغر ليستفيد النّاس؛ حتّى لا

يأنفوا، وحتّى يتأسّوا ويقرؤوا على غيرهم، ويستفيدوا؛ لأنّ القاعدة: قراءة المفضول على الفاضل؛ فالنّبيّ ﷺ قرأ عليه لإحياء هذه السّنّة وإقامتها، وهي قراءة الفاضل على المفضول، حتّى لا يأنف أحدٌ من ذلك؛ بل يقرأ الفاضل على المفضول والمفضول على الفاضل، ليحصل التّعاون والاشتراك في الأجر والتّعليم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تكلّم على حسّان بن حسّان؟

[قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التّقريب» (١١٩٨)]: «حسّان بن حسّان أبو علي بن أبي عبّادٍ البصريّ، نزيل مكّة، صدوقٌ يخطئ، من العاشرة، مات سنة ثلاث عشرة. خ».

«حسّان بن حسّان الواسطيّ، خلطه ابن منده بالذي قبله فوَهِم، وهذا ضعيف من العاشرة أيضًا. تمييزٌ».

(من قارئ العمدة): العينيّ يقول (١٩/ ٣١٠): «قوله: **(حسّان)** على وزن فعال بالتّشديد ابن حسان أبي على البصريّ، سكن مكّة، من أفراد البخاريّ».

● **س: أحسن الله إليك، منفكّين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: منفصلين؛ يعني: الانفصال يعني.

*

حدّثنا أحمد بن أبي داود أبو جعفرٍ المنادي، حدّثنا روحٌ، حدّثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالكٍ أنّ نبيّ الله ﷺ قال لأبيّ بن كعبٍ: **«إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ الْقُرْآنَ»**، قال: آلله سمَّاني لك؟ قال: **«نَعَمْ»**، قال: وقد ذكرت عند رب العالمين. قال: **«نَعَمْ»**، فذرفت عيناه[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب برقم (٤٩٦١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا شيخٌ غريبٌ (أحمد بن أبي داود) تكلّم عليه؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٧٢٦)]: «قوله: (**حدّثني أحمد بن أبي داود أبو جعفر المنادي**): كذا وقع عند الفربري عن البخاريّ، والّذي وقع عند النّسفيّ: حدّثني أبو جعفرٍ المنادي، حسب؛ فكأنّ تسميته من قبل الفربريّ؛ فعلى هذا لم يصب من وهّم البخاريّ فيه، وكذا من قال: إنّه كان يرى أنّ محمّدًا وأحمد شيءٌ واحدٌ.

وقد ذكر ذلك الخطيب عن اللّالكائيّ احتمالًا قال: واشتبه على البخاريّ قال: وقيل: كان لأبي جعفرٍ أخٌ اسمه أحمد. قال: وهو باطلٌ، والمشهور أنّ اسم أبي جعفرٍ هذا محمّد، وهو ابن عبيد الله بن يزيد، وأبو داود كنية أبيه.

وليس لأبي جعفرٍ في البخاريّ سوى هذا الحديث، وقد عاش بعد البخاريّ ستّة عشر عامًا، ولكنّه عمّر وعاش مائة سنةٍ وسنةً وأشهرًا، وقد سمع منه هذا الحديث بعينه من لم يدرك البخاريّ وهو أبو عمرو بن السّمّاك؛ فشارك البخاريّ في روايته عن ابن المنادي هذا الحديث وبينهما في الوفاة ثمانٍ وثمانون سنةً، وهو من لطيف ما وقع من نوع السّابق واللّاحق». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: راجع: أحمد بن أبي داود أبو جعفر المنادي.

[قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التّقريب» (بعد ٣٥)]: «أحمد بن أبي داود المنادي هو محمّد بن عبيد الله يأتي في المحمّدين».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: راجع: محمّد بن عبيد الله.

[قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التّقريب» (٦١١٣)]: «محمّد بن عبيد الله بن يزيد البغداديّ أبو جعفر بن أبي داود بن المنادي، صدوقٌ من صغار العاشرة، مات سنة اثنتين وسبعين وله مائة سنة وسنة. خ».



تفسير آيات من سورة الزلزلة(١)

□ تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧].

يقال: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [٥]: وأوحى إليها، ووحى لها، ووحى إليها واحدٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في الحقيقة أنّها مثل ما قال ﷺ آيةٌ جامعةٌ، آيةٌ جامعة عظيمةٌ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] ما تركت شيئًا، سواءٌ كان ذلك فيما يتعلّق بالحمر والحمل عليها وإعارتها، ونفع النّاس بها، أو في غير هذا من سائر الحيوانات الّتي تستعمل، أو في الأواني والعواري أو في غير ذلك مما ينتفع به، وأيّ شيءٍ أقلّ من مثاقيل الذّر.

هذا مثل ما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، في الآية الأخرى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الانبياء: ٤٧].

فجديرٌ بالمؤمن ألّا يستقلّ خيرًا، وألّا يستقلّ شرًّا؛ بل يحذر الشّرّ

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

كلّه مهما كانت حاله وإن دقّ، ويحرص على الخير كلّه وإن قلّ، ولا يحقر شيئًا كما قال ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوف شَيْئًا، وَلَو أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»(١)، وكم فاتنا من الخير، وكم حصل من الشّرّ بسبب التّساهل وعدم العناية بهذا الأمر وبهذه الآية الجامعة وأمثالها.

فجديرٌ بالمؤمن، جديرٌ بالنّفس الزّاكية القويّة الحريصة على الخير أن تكون أبدًا دائبةً في تحصيل الخيرات، القاصرة والمتعدّية، وأن تكون أبدًا حذرةً من جميع الشرور مطلقًا، دقيقها وجليلها؛ عملًا بهذه الآية، وعملًا بهذا الحديث، وعملًا بما جاء في معنى ذلك، والله المستعان.

• **س: أحسن الله إليك، قوله: «ولم ينس حقّ الله في رقابها»، المقصود بحقّ الله؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

احتجّ بهذا من رأى أنّ فيها زكاةً، ولكن ليس بصريح، مجملٌ، محتملٌ، الصّدقة الّتي في رقابها إذا كانت للتّجارة، كأن أعدّها للبيع والشّراء استغناءً، وأراد التّجارة يحتمل هذا، ويحتمل الرّقاب شيئًا آخر، شيءٌ ينتفع به، ينتفع به النّاس غير الحمل عل ظهرها، ليس صريحًا في الزّكاة.

• **س: إذا كان فقط ربطها للمسابقة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي أقرب دخولها في الوسط؛ لأنّ هذه لا هي من الرّياء ولا هي من الأوّل، فأقرب ما لها أن تكون من القسم الوسط.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما تكلّم الشّارح أم قال: مضى في الزّكاة؟

(من القارئ): مضى.

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٤٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يراجع ما هناك.

(من قارئ العمدة): قال العينيّ (١٩/ ٣١١) أحسن الله إليك، «قوله: «**تغنّيًا**»؛ أي: استغناءً عن النّاس، أو بنتاجها وتعفّفًا عن السّؤال يتردّد عليها إلى متاجره ومزارعه ونحوها؛ فتكون سترًا له تحجبه عن الفاقة».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما تكلّم على رقابها؟ كلّه ظاهر ما عدا كلمة: «في رقابها».

(من قارئ العمدة): (١٩/ ٣١١): «قوله: «**وَلم ينس حَقّ الله فِي رقابها**»: بأن يؤدّي زكاتها، وبه احتج أبو حنيفة في زكاة الخيل».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما هو بصريح في الحديث الصّحيح: «**لَيْسَ عَلَى الْمُسْلِم فِي عَبْدِهِ وَلَا فَرَسِهِ صَدَقَةٌ**»، هذا صريحٌ: «**لَيْسَ عَلَى الْمُسْلِم فِي عَبْدِهِ وَلَا فَرَسِهِ صَدَقَةٌ**»، رواه مسلمٌ في «الصّحيح»[(١)].

● **س: على القول بأن فيها زكاةً هل لها نصابٌ محدّد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما جاء فيها شيءٌ، يمكن أن يقيسوها على شيءٍ، ما راجعت كلامهم، ما لهم إلّا القياس، يقيسونها على البقر أو على الإبل.

*

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: حدّثنا إسماعيل بن عبد الله، حدّثنا مالكٌ، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح السّمّان، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب ليس على المسلم في فرسه صدقة برقم (١٤٦٣)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ما فيه العشر أو نصف العشر برقم (٩٨٢).

وِزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأَطَالَ لَهَا فِي مَرْجٍ، أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ فِي الْمَرْجِ وَالرَّوْضَةِ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا، أَوْ شَرَفَيْنِ، كَانَتْ آثَارُهَا، وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَ بِهِ، كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، فَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا، وَتَعَفُّفًا، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي رِقَابِهَا، وَلَا ظُهُورِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا، وَرِئَاءً، وَنِوَاءً فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وِزْرٌ»، فَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ: عَنِ الْحُمُرِ، قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الآيَةَ الْفَاذَّةَ الْجَامِعَةَ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾».

فسئل رسول الله ﷺ عن الحمر، قال: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ فِيْهَا إِلَّا هَذِهِ الآيَةَ الفَاذَّةَ الجَامِعَةَ:** ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]».

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ **[الزلزلة].**

حدّثنا يحيى بن سليمان، قال: حدّثني ابن وهبٍ قال: أخبرني مالكٌ، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح السّمّان، عن أبي هريرة رضي الله عنه سئل النّبيّ عن الحمر، فقال: «**لَمْ يُنْزَلْ عَلَيَّ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَاذَّةُ:** ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾»(١).

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ برقم (٤٩٦٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة برقم (٩٨٧).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

غير السند.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: شيخه الأوّل من؟

(من القارئ): حدّثنا إسماعيل بن عبد الله، حدّثنا مالكٌ، عن زيد بن أسلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: والثّاني؟

(من القارئ): حدّثنا يحيى بن سليمان، قال: حدّثني ابن وهبٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: مجرّد شيخه وشيخ شيخه تغيّرا.

*

❑ **تفسير قوله تعالى**: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ **[الزلزلة: ٧، ٨]**[١].

هاتان الآيتان الكريمتان على ظاهرهما وسمّاها النبي ﷺ: الفاذّة الجامعة: «**مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَاذَّةُ**»: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾؛ يعني: أنها جمعت الخير والشر، ففيها الترغيب والترهيب، والحث على الخير والتحذير من الشر، وأن العبد لا يضيع عليه شيء من عمله الصالح، وأن سيئاته سوف يلقاها ويراها، إلا أن يتوب الله عليه، ويعفو عنه، ولهذا قال ـ سبحانه ـ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾، وهذا يدل على أنه لا يضيع لك شيء من أعمالك الصالحة، بل تُحصَى لك، وتُكتَب لك، وتُوفاها يوم القيامة، كما قال ﷻ في آية أخرى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٤٠]، فهو لا يظلم أحدًا مثقال ذرة، بل

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٦٣).

هو ﷻ الحكم العدل يجازي كل عامل بعمله، ولا يظلم ربك أحدًا ﷻ، وإن كانت مثقال ذرة من الخير ضُوعف، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النِّسَاء: ٤٠]؛ يعني: وإن تكن الفعلة متى فعل الإنسان حسنة ضاعفها الله له، ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٤٠].

فأنت يا أخي عليك أن تحذر السيئات دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها، وألا تحتقر منها شيئًا منها فإن معظم النار يكون من مستصغر الشرر، فلا تحتقر سيئة أبدًا، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فأنما مثل محقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن وادٍ، فجاء ذا بعود وذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه**»(١)، وفي لفظ: «**يَا عَائِشَةُ إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الأَعْمَالِ؛ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا**»(٢)، فعلى كل مؤمن وعلى كل مؤمنة الحذر، من جميع السيئات كما أنه ينبغي لكل مؤمن ولكل مؤمنة الاستكثار من الحسنات والحرص على فعل الخير، وإن كان قليلًا، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**».

وصحَّ عن عائشة ﵂ أنها قالت: جاءت امرأة ومعها ابنتان تشحذ، تسأل، فأعطيتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة من ابنتيها تمرة، ورفعت الثالثة لتأكلها فنظر إليها ابنتاها يستطعمانها الثالثة فشقتها بينهما ولم تأكل شيئًا، فأعجبني أمرها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته بشأنها فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**»(٣)، هذه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث سهل بن سعد ﵁ (٥/ ٣٣١).

(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة ﵂ في كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب برقم (٤٢٤٣)، وأحمد (٦/ ٧٠ و١٥١).

(٣) سبق تخريجه في (ص٢٨١).

شق تمرة ورحمة من والدة لابنتيها حصل لها في ذلك الوعد بالجنة، على هذه الرحمة وهذا الإحسان وهذه الشفقة، بشيء قليل، فينبغي للمؤمن ألا يحقر شيئًا من الحسنات، فإذا وجد شيئًا يجود به على الفقير والمحتاج فلا يحقره، تمرة، درهم، نصف درهم، أقل أكثر، فالمحتاج ينفعه كل شيء، وتجتمع عنده التمرات والأشياء القليلة من النقود وتنفعه، فهذا معنى الآية الكريمة، الحثُّ على تحصيل الخيرات، ولو قليلة ولو دقيقة، والحذر من الشرور وإن كانت قليلة، فإنها تجتمع حتى تهلك العبد، كما أن الخير وإن قلَّ يجتمع، يجتمع حتى ينفع العبد في آخرته وفي دنياه، والله أعلم.



تفسير آيات من سورة القارعة(١)

﴿كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ [٤]: كغوغاء الجراد، يركب بعضه بعضًا، كذلك النّاس يجول بعضهم في بعضٍ، ﴿كَٱلۡعِهۡنِ﴾ [٥]: كَأَلْوَانِ الْعِهْنِ، وَقَرَأَ عَبْدُ اللهِ (كَالصُّوفِ).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: (يَرْكَبُ بَعْضه بَعْضًا): في الآية الأخرى: ﴿كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ﴾ [القمر: ٧] الله أكبر.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ **[القارعة: ٦ ـ ١١]**(٢).

الله سبحانه ذكر القارعة، وهي القيامة، قال: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القارعة: ١ ـ ٣]، يعظِّم شأنها، وأن شأنها عظيم، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ ـ ٣]، وهي يوم القيامة؛ لأن أمرها عظيم وخطير، وقال فيها جَلَّ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝٣٤ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥﴾، وهي

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٦٧).

القيامة، وقال: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣ ـ ٣٦]، وهي القيامة أيضًا، الصاخة، وهي الغاشية، في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، فيوم القيامة يوم عظيم، يُحاسَب فيه العباد وتُنشَر فيه الموازين، ويُعطَى المؤمن كتابه بيمينه، والكافر كتابه بشماله.

ولهذا قال ـ سبحانه ـ: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴿٤﴾﴾ [القارعة: ١ ـ ٤]؛ كالجراد ونحوه (كالدبا) ونحوها من هذه الطيور الصغيرة المنتشرة في الأرض إذا اجتمعت، يموج بعضهم في بعض، ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [القارعة: ٥]، الصوف المنفوش بعد قوّتها وصلابتها العظيمة تكون كالعهن المنفوش، وتكون كالهباء، وتسير وتزول عن أماكنها، وتبقى الأرض خالية من ذلك.

ثم قال ـ سبحانه ـ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾﴾ في ذلك اليوم، يوم القيامة، يوم الحشر، يوم الجمع، يوم التغابن ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾﴾؛ أي: من ثقلت موازينه؛ يعني: بالحسنات والأعمال الصالحات، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾﴾؛ يعني: فله السعادة والخير العظيم، وسوف يكون إلى الجنة في عيشة راضية في نعيم مقيم، ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾؛ بسبب كفره وضلاله وعدم إيمانه ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾﴾؛ يعني: النار نعوذ بالله، ولهذا قال بعدها: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾﴾: هذه عاقبة هؤلاء، وهؤلاء، عاقبة أهل الحسنات الجنة والكرامة، إذا ثقلت موازينهم بها وخفت موازين السيئات، وعاقبة الكفار ومن خفت موازينهم من أهل المعاصي بسبب معاصيهم الكثيرة حتى ثقلت موازينهم السيئة وخفت موازين الحسنات، فالوعيد لهم النار. نسأل الله العافية.

لكن الكفار مخلدون في النار أبد الآباد، أما العصاة فلا يخلدون،

إن دخلوا النار بسبب معاصيهم لا يخلدون، وقد تثقل موازين بعضهم بالحسنات فينجون من النار، ويُغفَر لهم ما جرى منهم من معصية، وقد يشفع لهم الأنبياء، والأخيار، والأفراط، والملائكة، لأعمالهم العظيمة الصالحة، وإيمانهم بالله فينجون من شر ما ماتوا عليه من بعض المعاصي، وكثير من العصاة يدخلون النار بمعاصيهم من الزنا والسرقة وشرب الخمر، ومن عقوق الوالدين أو أحدهما، أو الربا أو الغيبة والنميمة أو غير هذا من المعاصي، كثير من هؤلاء العصاة يدخلون النار، ويُعذَّبون فيها على قدر معاصيهم، ثم يشفع فيهم الشفعاء، فيخرج الله منهم من شاء ﷻ، بشفاعة نبينا ﷺ، وبشفاعة الملائكة والمؤمنين والأفراط، ثم يبقى منهم بقية في النار يخرجهم الله برحمته ﷻ بعد انتهاء أمد عذابهم، ولا يبقى في النار إلا الكفار، فعليهم تطبق، وفيها يخلدون، نعوذ بالله، وليس لهم محيص عنها، كما قال ﷻ، في شأن الكفرة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]. نسأل الله العافية.

وقال فيهم أيضًا ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]: كذلك هذه حال الكفرة، أما العصاة فلهم أمد، إذا دخلوا النار لهم أمد على قدر معاصيهم، فإذا انتهى الأمد أخرجهم الله من النار، إلى الجنة؛ بسبب توحيدهم وإيمانهم الذي ماتوا عليه، هذا قول أهل السُّنَّة والجماعة، من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان، خلافًا لأهل البدع الذين يعتقدون خلود العصاة في النار، من الخوارج والمعتزلة ومن سار في طريقهم، فنعوذ بالله من ذلك.



تفسير سورة التكاثر(١)

□ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ١ ـ ٨].

في هذه السورة العظيمة يحذِّر الله عباده من الاشتغال بالتكاثر حتى يهجم عليهم الأجل، وحتى يزوروا القبور على غفلة: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾، تحذير من هذا الأمر العظيم الذي يقع فيه الأكثرون، وهو الالتهاء والاشتغال بالتكاثر في الأموال والأولاد حتى تهجم المنايا، وحتى تُنقَل الأجساد إلى القبور، ينبغي للعاقل أن ينتبه لهذا، الموت لا بد منه، ولا بد من زيارة القبور شئت أم أبيت، كما زارها من قبلك، ونُقِل إليها من قبلك، فيجب عليك أن تُعِدَّ العدة قبل أن تنزل المنية.

ثم يقول ـ سبحانه ـ بعد هذا: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ وعيد لهؤلاء؛ أي: سوف يعلمون مغبة تفريطهم، ومغبة اشتغالهم عن الآخرة والإعداد لها.

ثم قال: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾: لو تعلمون علم اليقين، وما وراءكم من الأهوال والأخطار والعقوبات الوخيمة لمن شغل بالدنيا

(١) من دروس سماحته رحمه الله بعد العصر.

عن الآخرة؛ لَمَا فعلتم هذا الأمر، ولَمَا شُغِلتم بالتكاثر عن الإعداد للآخرة، ولكن جهل الأكثرين بالله، وجهلهم بالعاقبة، وجهلهم بالأخطار العظيمة، هو الذي جرَّأهم على الاشتغال بالأموال، والتكاثر في الأموال والأولاد عن الإعداد للآخرة، فالأمر عظيم وخطير.

ثم يقول بعد هذا: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾: الجحيم لا بد أن تراها، يوم القيامة تبرز للناس ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩١] لا بد أن تبرز، وقد جاء في الحديث الصحيح أنها يوم القيامة تُقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام بسبعين ألف ملك، يجرونها لإبرازها للناس، نسأل الله السلامة والعافية، وأمرها خطير، ولا حول ولا قوة إلا بالله! فينبغي للمؤمن أن يتذكر هذا اليوم، وأن يُعِدَّ له عدته.

ثم يقول: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ مشاهدة بالعين، يشاهدها الإنسان بعينه يوم القيامة: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

عن نعيم الدنيا، من المآكل والمشارب والمناكح والمراكب وغير ذلك، وما أعطى الله العبد في هذه الدنيا من أنواع النعيم، سوف يسأل يوم القيامة هل أدى حقها؟ هل شكرها أم ضيّعها وفرّط وتساهل؟ هذا الأمر يوجب للمؤمن الانتباه واليقظة.

يقول ـ سبحانه ـ في هذا: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾: يبيِّن أنها زيارة للمقابر، وليست مقرًّا، وبعض الناس يقول: انتقل إلى مقرِّه الأخير، ليس هذا مقره الأخير، إنما هو مقر عارض ينقل منه إلى يوم القيامة، هذا القبر ليس مقرًّا أخيرًا؛ إنما هو زيارة ثم ينتقل من هذه الزيارة إلى المحشر إلى يوم القيامة بين يدي الله، ثم ينقل إما إلى الجنة وإما إلى النار، فالمقر الأخير الجنة أو النار.

أما القبر فهو برزخ، منزلة من المنازل يزورها الإنسان بعد الموت، ثم ينقل منها إما إلى نار وإما إلى نعيم.

فينبغي للعاقل أن ينتبه لهذه الزيارة، فهي زيارة خطيرة، إما أن تكون زيارة إلى روضة من رياض الجنة، أو إلى حفرة من حفر النار، ثم بعده ما هو أشد منه، فينبغي أن يكون على بال العاقل، وأن ينتبه لهذا الأمر ولهذه الزيارة بعد التشاغل والتكاثر بالأموال والأولاد، وأنها زيارة خطيرة لمن زار هذه القبور: هل يزورها بعمل صالح وتقوى لله أو بتفريط وإضاعة ولهو وتشاغل عما خُلِق له من طاعة الله وعبادته؟

رزق الله الجميع التوفيق والإعداد، وهدانا وإياكم إلى صراطه المستقيم، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. ولا حول ولا قوة إلا بالله.



تفسير سورة العصر[1]

وهي مكية

وذكروا أن وفد عمرو بن العاص على مسيلمة، وكان صديقًا له في الجاهلية، وكان عمرو لم يسلم بعدُ، فقال له مسيلمة: ويحك يا عمرو، ماذا أنزل على صاحبكم - يعني: رسول الله ﷺ - في هذه المدة؟ فقال: لقد سمعت أصحابه يقرءون سورة عظيمة قصيرة فقال: وما هي؟ فقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣]، ففكر مسيلمة ساعة، ثم قال: وقد أنزل عليّ مثله. فقال: وما هو؟ فقال: «**يا وَبْرُ إنما أنت أذنان وصدر، وسائرك حَقْرٌ نَقْر، كيف ترى يا عمرو؟**» فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أني أعلم أنك لتكذب[2].

وقد رأيت أبا بكر الخرائطي أسند في كتابه المعروف بـ «مساوي الأخلاق»، في الجزء الثاني منه، شيئًا من هذا أو قريبًا منه[3].

والوبْر: دويبة تشبه الهر، أعظم شيء فيه أذناه، وصدره وباقيه دميم. فأراد مسيلمة أن يركِّب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن، فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان.

وذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الله بن

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير في مغرب الأحد ١٤ - ١٠ - ١٤١١.

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٣٥٩).

(٣) مساوي الأخلاق برقم (١٧٥). انظر: الإصابة (٣/ ٢٢٥).

حصن [أبي مدينة]، قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا، لم يتفرقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر «سورة العصر» إلى آخرها، ثم يسلِّم أحدهما على الآخر[١].

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: لو تدبر الناس هذه السورة، لوسعتهم.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣][٢].

العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم، من خير وشر.

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: هو العشي، والمشهور الأول.

فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر، أي: في خسارة وهلاك، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر. آخر تفسير سورة «العصر» ولله الحمد والمنة.

عِظَم سورة العصر وما فيها من دروس

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

حتى قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.. لو ما أنزل الله إلا هذه السورة لكفتهم، يعني: الناس، وما ذاك إلا لما فيها من أصول السعادة، والسلامة من أسباب الهلاك والخسران، وفي لفظ: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا

---

(١) المعجم الأوسط ٥/ ٢١٥ (ح ٥١٢٤).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

هذه السورة كفتهم، يروى هذا عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال فيها آخرون معان عظيمة، وهي جديرة بذلك، والله أقسم ﷻ على ما فيها، وهو الصادق وإن لم يقسم، بل لا أصدق منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] أحدها بالعصر وهو الزمان، من ليل ونهار أن جنس الإنسان في خسران، إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع، وهي الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، هؤلاء هم المفلحون، هم الرابحون هم الناجون هم السعداء.

والله سبحانه يقسم من خلقه بما يشاء، لا أحد يتحجَّر عليه. فقد أقسم بالسماء، وبالشمس، وبالنجم، وبالطور، وبالليل إذا يغشى، وبالعصر كما في هذه السورة؛ لما في هذه المخلوقات من الآيات والبراهين والدلائل على أنه رب العالمين، وأنه المستحق لأن يُعبد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الحلف بغير الله:

أما المخلوق فليس له أن يحلف إلا بالله، العبد ليس له أن يحلف إلا بربِّه؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**»(١).

«**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٢)، وقال في اللفظ الآخر: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللهِ**»(٣)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ وَلَا بِالأَنْدَادِ وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللهِ، وَلَا تَحْلِفُوا بِاللهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ**»، وفي المسند بإسناد صحيح عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»(٤)، وفي السنن من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه

---

(١) سبق تخريجه في ص(٥١٠). (٢) سبق تخريجه في ص(٤٦٨).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية برقم (٣٨٣٦)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله برقم (١٦٤٦).

(٤) سبق تخريجه في (ص١٠٥).

قال: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**»(١)، شك من الراوي هل قال النبي: كفر أو قال: أشرك. وهذا يدل على عظم جريمة الحلف بغير الله وأنها جريمة تدخل في الشرك والكفر؛ لما فيها من تعظيم المخلوق بما لا يليق إلا بالله ﷻ، هو شرك أصغر عند أهل العلم، الحلف بغير الله شرك أصغر وكفر أصغر، ما لم يعتقد صاحبه أن محلوفه من جنس الله، وأنه يعظم كما يعظم الله، أو يدعى كما يدعى الله، أو يستحق من العبادة كما يستحق الله، فإذا اعتقد هذا الاعتقاد صار كفرًا أكبر بهذا الاعتقاد. والمقصود أن الحلف بغير الله أمر لا يجوز، والحلف يختص بالله، وقد أجمع العلماء على ذلك، ذكر أبو عمر بن عبد البر رحمه الله إجماع الناس من أهل العلم على أنه لا يجوز الحلف بغير الله كائنًا من كان.

ما في سورة العصر من الصفات التي تخرج المؤمن من الخسارة:

فجنس الإنسان في خسران إلا من مَنَّ الله عليه بهذه الصفات الأربع، وهي الإيمان الصادق بالله ورسوله، إيمانًا يتضمن العمل، إيمانًا بالله ويتضمن توحيده والإخلاص له، والإيمان بأنه مستحق العبادة، ويتضمَّن الإيمان بأسمائه وصفاته على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، ويتضمَّن الإيمان بكل ما أخبر الله به وأخبر به رسوله عليه الصلاة والسلام مما كان وما يكون، ويتضمن الإيمان بالرسول ﷺ وأنه رسول الله حقًّا، وأنه خاتم الأنبياء، وأنه الرسول إلى جميع الثقلين الجن والإنس، ويتضمن الإيمان بكل ما أخبرنا الله به ورسوله عن المرسلين الماضين، وعن أمر الساعة والقيامة والجنة والنار، وعما يكون في آخر الزمان إلى غير ذلك. ويتضمَّن هذا الإيمان العمل ولهذا قال: يعني: العمل بما أوجب الله وترك ما حرم الله، وإلا فيكون إيمانًا ضعيفًا، لا بد أن يكون إيمانًا يتضمن العمل بما أوجب الله وترك ما حرم الله.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٩٨).

الإيمان عند أهل السنة:

والإيمان: قول وعمل عند أهل السنة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، يزيد بالطاعات: كالنوافل، والذكر لله ﷻ، والصدقات، وغير هذا من الطاعات، وينقص بالمعاصي والمخالفات، ويضعف حتى يزول بوجود مكفر يخرج صاحبه من الملة، هذا قول أهل الحق أهل السنة والجماعة: أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات والذكر، وينقص بالمعاصي والغفلة، ومن جملة الإيمان التواصي بالحق والتواصي بالصبر، خصلتان عظيمتان، وهي الخصلة الثالثة والرابعة، وهما من العمل، وهما من الإيمان، لكن الله نصَّ عليهما لعظم شأنهما، وإلا فهما من جملة الإيمان شعبتان من شُعَب الإيمان، وهما أيضًا من العمل المذكور في قوله: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، لكنه ذكرهما تخصيصًا بعد تعميم لعظم شأنهما، والدلالة على أنه لا بد منهما، لا بد من تواصٍ بالحق ولا بد من تواص بالصبر، هكذا يجب على أهل الإيمان ذكورًا وإناثًا أن يتواصوا بالحق، أينما كانوا، ومعنى بالحق يعني: بطاعة الله ورسوله والإيمان به، واتباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه، وترك ما نهى عنه، ولا بد أيضًا من التواصي بالصبر على ذلك، فلا إيمان إلا بصبر، لا بد من صبر.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، قال سبحانه: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، قال ﷻ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، قال عن لقمان أنه قال لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، فلا بد من إيمان صادق، وعمل صالح، وتواص بالحق

وتواص بالصبر، وهذا واجب المؤمنين جميعًا، رجالًا ونساءً، واجبهم: أن يتخلَّقوا بهذه الأخلاق، وأن يستقيموا عليها، وأن يتواصوا بها أينما كانوا في جميع الأحوال، في الشدة والرخاء، في الصحة والمرض، في السفر والإقامة، في الغنى والفقر، في الأمن والخوف، في جميع الأحوال، ويكونوا مؤمنين صادقين بالله وحده، موحدين له، مؤمنين برسوله عليه الصلاة والسلام، مستقيمين على شريعته قولًا وعملًا وعقيدة، متواصين بالحق، متواصين بالصبر أينما كانوا، وبهذا يحصل لهم الإيمان الكامل، والربح الكامل، والسعادة الأبدية، والنجاة في الدنيا والآخرة. جعلنا الله وإياكم من هؤلاء الأخيار، ورزقنا وإياكم التواصي بهذه الخصال، والاستقامة عليها والثبات عليها حتى نلقاه ﷻ، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

*

تفسير سورة العصر[1]:

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. **أما بعد**: أيها المستمعون الكرام: حديثي معكم اليوم في تفسير سورة العصر، يقول الله ﷻ: بسم الله الرحمٰن ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

الأخلاق الأربعة للرابحين في سورة العصر:

هذه السورة العظيمة مع قصرها قد اشتملت على بيان أسباب الربح وأسباب الخسران، فالرابحون هم الذين تخلَّقوا بهذه الأخلاق الأربعة: من الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

---

(١) كلمة لسماحته رحمه الله لإذاعة الرياض.

هؤلاء هم الرابحون في الدنيا والآخرة، والإيمان يقتضي أن يكون هناك علم بما يؤمر به، إذ الإيمان إنما يتحقق عن علم المؤمن بما أوجب الله عليه، وما أخبر الله به ورسوله ﷺ من أمر الآخرة، وما كان وما يكون حتى يؤمن بذلك على بصيرة، فالإيمان يقتضي أن يكون هناك علم وبصيرة، ثم العمل الصالح وهو أداء الفرائض وترك المحارم، ثم التواصي بالحق، وهو التواصي بأداء الواجبات وترك السيئات والحرص على كل خير والحذر من كل شر، ثم التواصي بالصبر على ذلك؛ إذ لا يمكن أن يؤدي العبد الإيمان على التمام، ويؤدي الأعمال الصالحات على التمام، ويؤدي التواصي بالحق والدعوة إلى الحق إلا بصبر على ذلك، وعناية بهذا الأمر، فالصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فالمؤمن يحتاج إلى الصبر في إيمانه وعمله ودعوته إلى الله وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وغير ذلك.

وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالعصر ـ وهو الزمان الذي محل أعمال بني آدم من خير وشر ـ على أن بني الإنسان في خسران ـ يعني: في نقص في أيامهم ولياليهم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلا الذين تخلقوا بهذه الأخلاق الأربعة، من الإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. فالواجب على كل ذي لب.. الواجب على طالب النجاة.. الواجب على الخائف من الله الراغب بما عنده أن يهتم بهذه الأمور الأربعة، وأن يُعنى بها، وأن يجتهد في تحقيقها، وذلك بالإيمان بالله ورسوله ﷺ إيمانًا صادقًا، ومثله العمل الصالح، ومثله التواصي بالحق، ومثله التواصي بالصبر. فالمؤمن هو الذي عرف الله، وآمن به سبحانه، وآمن برسله عليهم الصلاة والسلام، وصدَّقهم فيما أخبروا به، وآمن بما كان وما يكون على حسب ما أخبر به نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وعلى حسب ما دل عليه كتاب الله ﷻ، هذا هو المؤمن. وهذا الإيمان الصحيح المتركز على الأدلة الشرعية يثمر العمل الصالح، فكل إيمان صادق يدعو إلى العمل والاجتهاد في الخير، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر عليه، وكل ما حصل نقص في العمل أو

التواصي والدعوة أو بالصبر فما ذاك إلا من نقص الإيمان ومن ضعف الإيمان. وعلى حسب قوة الإيمان وكمال العلم يكون عمل الإنسان، ويكون اجتهاده في الخير، ويكون حذره من الشر، ويكون نصحه للعباد، وتواصيه معهم بالحق، وتواصيه معهم بالصبر.

الحكمة من قَسَم الله بمخلوقاته:

والله ﷻ يقسم من خلقه بما يشاء؛ لتأكيد المقام، وبيان أن ما أقسم عليه مهم جدًّا، فقد أقسم ﷻ بالسماء ذات البروج، وبالشمس وضحاها، وبالضحى، وبالتين، وبغير ذلك؛ ليدل عباده على أن ما أقسم به من آكد الأمور، ومن مهمات الأمور، وفيما أقسم به ﷻ آيات وعبر، ودلائل على قدرته سبحانه، وأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، وأنه المستحق لأن يعبد ويعظم يطاع ﷻ. فالعصر الذي هو الليل والنهار، ويطلق أيضًا على آخر النهار هو محل أعمال بني آدم، وهو من آيات الله ﷻ، وهكذا السماء وبروجها، وهكذا الأرض، وهكذا التين والزيتون، وهكذا جميع ما أقسم الله سبحانه، كله من آياته ﷻ، ومن براهين قدرته العظيمة وحكمته، وأنه رب العالمين، وأنه المستحق لأن يُعظَّم ويُجلَّ ﷻ.

حُكم من أقسم بغير الله:

أما المخلوق فليس له أن يقسم إلا بالله ﷻ، فالعبد ليس له أن يقسم إلا بربه سبحانه وتعالى، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**»، وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**». وكثير من الناس عندهم تساهل بهذا الأمر، تجد بعض الناس يقسم بشرف فلان، وحياة فلان، وبالنبي عليه الصلاة والسلام، وبالأمانة، وبالكعبة، وبغير ذلك، وهذا نقص في الإيمان وضعف في التوحيد؛ لأن القَسَم بغير الله من الشرك الذي حرَّمه الله. فالواجب عليك أيها المؤمن أن تحذر هذا المنكر، وأن تعوِّد لسانك

الحلف بالله وحده، عليك أن تعوِّد لسانك الحلف بالله وحده، وأن تحذر الحلف بغيره ﷻ كائنًا من كان، فالله سبحانه هو الذي يعلم حالك، ويعلم صدقك وكذبك، ويعلم فريضتك، وهو الذي يقدر أن يثيبك ويعاقبك ﷻ، فعليك أن تقسم به وحده، وأن تؤدي حقه ﷻ، وأن تكون في سائر أحوالك مستقيمًا على الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والصبر عليه، وبهذا تربح الربح الكامل، وتسعد في الدنيا والآخرة، وتنجو من عذاب الله، الذي أوعد به من أعرض عن هذه الخصال ولم يستقم عليها.

مقتضيات الإيمان وتصديقه:

والصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر ما أمر الله به ورسوله ﷺ كله داخل في الإيمان والعمل الصالح، والدعوة إلى الله ﷻ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوجيه الناس إلى الخير وإرشادهم إلى أسباب النجاة وتحذيرهم من أسباب الهلاك كل هذا داخل في التواصي بالحق. والصبر عن محارم الله والصبر على طاعة الله والصبر على كل ما شرعه الله كل هذا داخل في قوله: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ فعلينا معشر المسلمين! أن نجاهد أنفسنا في هذا الأمر، أن نجاهدها في الإيمان؛ حتى نؤمن إيمانًا صادقًا بالله ورسوله ﷺ، بكتب الله، بالملائكة، باليوم الآخر، بالقضاء والقدر، وحتى نصدق إيماننا بالأعمال الصالحات. ومن الإيمان أيضًا أن نؤمن بما أخبر الله به ورسوله ﷺ من أخبار الماضين، وأخبار يوم القيامة، وأخبار الجنة والنار، إلى غير ذلك، فكل ما أخبر الله به ورسوله عليه الصلاة والسلام مما صح عن رسول الله ﷺ فعلينا أن نؤمن به ونصدق به على حسب علمنا، إجمالًا وتفصيلًا، كما أن علينا نتيجة هذا الإيمان وثمرة هذا الإيمان علينا أن نصدق إيماننا بالعمل الصالح، بأداء فرائض الله وترك محارم الله والوقوف عند حدود الله.

كيفية تحقيق الإيمان:

وعلينا أيضًا أن نحقق هذا الإيمان بالدعوة إلى الله والتوجيه إليه

وإرشاد العباد إلى ما خلقوا له، وتحذيرهم من أسباب الهلاك، والتواصي معهم على كل خير، وعلى ترك كل شر، وعلينا مع ذلك أن نصبر على ذلك، وأن نتواصى بالصبر، فهذا هو طريق النجاة وسبيل السعادة، وكلما أخل الإنسان بشيء من هذه الأمور ناله من الخسران بحسب ذلك، إن ضعف إيمانه حتى أخل بشيء من الأعمال الصالحات بأن ضيع بعض الواجبات أو ركب بعض المحارم.. صار ذلك نقصًا عليه، ونوع من الخسران الذي يحصل له. وهكذا إن ضعف التواصي بالحق أو ضعف صبره، صار نقصًا في إيمانه، وصار من أسباب الخسران الذي يناله بقدر ذلك. فعلى المؤمن أن يحافظ غاية المحافظة على كل ما أوجب الله عليه، وأن يحذر كل ما حرم الله عليه، حرصًا على كمال الربح، وحذرًا من سائر أنواع الخسران. والله ﷻ هو المسؤول ﷻ أن يوفقنا والمسلمين جميعًا لما فيه رضاه، وأن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يرزقنا تمام الربح، والسلامة من الخسران، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

*

أما بعد(١):

❐ **فيقول الله تعالى في كتابه الكريم:** ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ **[العصر]**.

في هذه السورة العظيمة بيَّن الله صفات الخاسرين وصفات

(١) حديث المساء ص١٦٦.

الرابحين في أقصر عبارة وأيسر عبارة وأبينها، وأقسم على هذا ﷻ وهو الصادق وإن لم يقسم ﷻ، فقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾.

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾: هو الزمان، وهو محل أعمال بني آدم من صالح وطالح، ويقال لليل والنهار: العصران، فالله يقسم بالزمان على أن جميع بني الإنسان في خسران.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

هؤلاء هم الرابحون، هم السعداء.

وأما سوى ذلك من بني الإنسان، من بني آدم فخاسرون في أيامهم ولياليهم وأعمالهم، إلا من تخلَّق بهذه الصفات الأربع، واستقام عليها فهو الرابح السعيد، وهي الإيمان بالله ورسوله إيمانًا صادقًا، يتضمن توحيده والإخلاص له ﷻ، والإيمان برسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وعلى رأسهم خاتمهم نبينا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ثم تحقيق هذا الإيمان بالعمل الصالح؛ لأن الإيمان يقتضي العمل، ولهذا قال: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ يعني: حقَّقوا إيمانهم وصدَّقوا إيمانهم بالعمل بأداء فرائض الله وترك محارم الله، هذا هو العمل الصالح؛ يعني: عملوا ما شرع الله لهم فأدوا فرائضه، وتركوا محارمه، وكفّوا عن كل ما نهاهم عنه ﷻ.

ثم أمر ثالث: التواصي بالحق فيما بينهم والتناصح والتعاون على الخير.

ثم أمر رابع: هو الصبر على ذلك التواصي بالصبر على هذه الأمور. فهؤلاء هم الرابحون الذين وحَّدوا الله، وآمنوا بأنه ربهم وإلٰههم الحق، وأخلصوا له العبادة، وصدَّقوا رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وآمنوا بما جاءهم من الهدى، وصدَّقوا أخبار الله وأخبار رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ثم عملوا قال: ﴿وَعَمِلُوا۟﴾ فأدوا فرائضه سبحانه،

وكفُّوا عن محارمه، وهذا معنى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ ثم بيَّن بعد ذلك كمال ذلك فقال: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

هذه الصفات الأربع وهي الأصول الأربعة.

هي أساس السعادة وأساس الربح والنجاة: إيمان صادق وعمل صالح وتناصح وتواصٍ بالحق وتعاون على البر والتقوى، وتواصٍ بالصبر على ذلك في الشدة والرخاء وفي جميع الأحوال وعلى حسب قيام العبد.

بهذه الأمور الأربعة يكون فلاحه، وتكون نجاته، ويكون أيضًا ربحه، وكلما نقص منها شيئًا حصل له من الخسران بقدر ذلك، فالرابح الكامل هو الذي استوفاها بكمالها وحقَّق إيمانه، وكمل إيمانه، وجاهد نفسه لله حتى أدَّى الواجب، وترك المحرم، ونصح لإخوانه، وتواصى معهم بالحق والصبر عليه. ومن قصَّر في شيء من هذا، صار له من الخسران بقدر ذلك.

*

وَقَالَ يَحْيَى: العَصْر: الدَّهْرُ، أَقْسَمَ بِهِ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

• **س: فِي أواخِرِ السُّورِ اعتاد بَعْض النَّاسِ يدعونَ دُعَاءً كذَلِكَ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما سمعتُ فِي هَذَا شَيْئًا، إِلَّا فِي سُوْرَة القِيَامَة: «سُبْحَانَكَ بلى»، هَذَا ثبت ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القِيَامَة: ٤٠] جَاءَ فِي الحَدِيْث: «سُبْحَانَك بلى».

• **س: فِي المرسَلات يَا شَيْخُ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فِي المرسلات ما فِيْهِ ردّ.

• س: مر معنا.....؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من طَرِيق أعرابيٍّ.

وقال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره هذه السورة حديثًا آخر رواه الطبراني من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الله المذكور قال: كان رجلان من الصحابة إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلِّم أحدهما على الآخر. اهـ. وقال الحافظ في التقريب في ترجمة عبد الله المذكور ما نصه: فيه لين من الرابعة. حرِّر في ٥/ ٥/ ١٤٠٨هـ.



تفسير سورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ [الهمزة: ١ ـ ٩](١).

الهمَّاز: بالقول، واللمَّاز: بالفعل. يعني: يزدري بالناس وينتقص بهم. وقد تقدم بيان ذلك في قوله: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم: ١١].

قال ابن عباس: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ طعَّان مِعياب. وقال الربيع بن أنس: الهُمَزة، يهمزه في وجهه، واللُّمَزة من خلفه. وقال قتادة: يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس، ويطعنُ عليهم.

وقال مجاهد: الهُمَزة: باليد والعين، واللُّمَزةُ: باللسان. وهكذا قال ابن زيد. وقال مالك، عن زيد بن أسلم: هُمَزة لحوم الناس.

ثم قال بعضهم: المراد بذلك الأخنس بن شريق. وقيل غيره. وقال مجاهد: هي عامة.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾؛ أي: جمعه بعضه على بعض، وأحصى عدده كقوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾ [المعارج: ١٨] قاله السدي، وابن جرير.

وقال محمد بن كعب في قوله: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ ألهاه ماله بالنهار، هذا إلى هذا، فإذا كان الليل، نام كأنه جيفة.

وقوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾؛ أي: يظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار؟ ﴿كَلَّا﴾؛ أي: ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب. ثم قال تعالى: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾؛ أي: ليلقين هذا الذي جمع مالًا فعدده في الحطمة وهي اسم من أسماء النار صفة؛ لأنها تحطم من فيها.

ولهذا قال: ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ قال ثابت البناني: تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء، ثم يقول: لقد بلغ منهم العذاب، ثم يبكي.

وقال محمد بن كعب: تأكل كل شيء من جسده، حتى إذا بلغت فؤاده حَذْوَ حلقه ترجع على جسده.

وقوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾؛ أي: مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد.

وقال ابن مَرْدُويه: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا علي بن سراج، حدثنا عثمان بن خَرزَاذ، حدثنا شجاع بن أشرس، حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ قال: مطبقة.

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة، عن عبد الله بن أسيد، عن إسماعيل بن خالد عن أبي صالح، قوله، ولم يرفعه.

﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ قال عطية العوفي: عمد من حديد. وقال

السُّدِّي: من نار. وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ⑨﴾، يعني: الأبواب هي الممدودة.

وقال قتادة في قراءة عبد الله بن مسعود: إنها عليهم مؤصدة بعمد ممددة.

وقال العوفي، عن ابن عباس: أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد، وفي أعناقهم السلاسل فسُدَّت بها الأبواب.

وقال قتادة: كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد في النار. واختاره ابن جرير.

وقال أبو صالح: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ⑨﴾، يعني القيود الطوال.

آخر تفسير سورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.



تفسير سورة الفيل[1]

قال مجاهدٌ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [١]: ألم تعلم، وقال مجاهد: ﴿أَبَابِيلَ﴾ [٣]: متتابعةً مجتمعةً، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ [٤]: هي سنك وكل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: **(هي سنك وكل)**.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال عليه الشّارح؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٧٢٩)]: «قوله: **(وقال ابن عبّاسٍ:** ﴿مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ **هي: سنك وكل)**: وصله الطّبريّ من طريق السّدّيّ عن عكرمة عن ابن عبّاسٍ قال: سنك وكل طينٌ وحجارةٌ. وقد تقدم في تفسير سورة هود.

ووصله ابن أبي حاتم من وجهٍ آخر عن عكرمة عن ابن عبّاسٍ، ورواه جرير بن حازمٍ عن يعلى بن حكيمٍ عن عكرمة.

وروى الطّبريّ من طريق عبد الرّحمن بن سابطٍ قال: هي بالأعجميّة **(سنك وكل)**.

ومن طريق حصينٍ عن عكرمة قال: كانت ترميهم بحجارةٍ معها نارٌ. قال: فإذا أصابت أحدهم خرج به الجدريّ، وكان أول يوم رؤي فيه الجدري». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فسَّرها في سورة الذاريات «من طِينٍ» ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣].

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

تفسير سورة ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾[١]

وهي مكية

ذكر حديث غريب في فضلها: قال البيهقي في كتاب «الخلافيات»: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي بمرو، حدثنا أحمد بن عُبَيد الله النرسي، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت بن شرحبيل، حدثني عثمان بن عبد الله بن أبي عتيق، عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة، عن أبيه، عن جدته أم هانئ بنت أبي طالب؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«فَضَّلَ اللهُ قُرَيْشًا بِسَبْعِ خِصَالٍ لَمْ يُعْطَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُمْ، وَلا يُعْطَاهَا أَحَدٌ بَعْدَهُمْ: فَضَّلَ اللهُ قُرَيْشًا أَنِّي مِنْهُمْ فَإِنَّ النُّبُوَّةَ فِيهِمْ، وَإِنَّ الْحِجابَةَ فِيهِمْ، وَإِنَّ السِّقَايَةَ فِيهِمْ، ونَصَرَهُمْ عَلَى الْفِيلِ، وعَبَدُوا اللهَ عَشْرَ سِنِينَ لا يَعْبُدُهُ غَيْرُهُمْ، وَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ تَنْزِلْ فِي أَحَدٍ غَيْرِهِمْ»**.

ثم تلاها رسول الله: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾[٢].

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

(٢) أخرجه الحاكم عن بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي به، وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: يعقوب ضعيف، وإبراهيم صاحب مناكير. المستدرك (٢/ ٥٣٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

□ تفسير قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ [قريش: ١ ـ ٤][(١)].

هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الإمام، كتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمٰن الرحيم وإن كانت متعلقة بما قبلها. كما صرَّح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم؛ لأن المعنى عندهما: حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾؛ أي: لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين.

وقيل: المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم؛ لعظمتهم عند الناس، لكونهم سكان حرم الله، فمن عَرَفهم احترمهم، بل من صوفي إليهم وسار معهم أمن بهم. هذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم. وأما في حال إقامتهم في البلد، فكما قال الله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، ولهذا قال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ بدل من الأول ومفسر له. ولهذا قال: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ [قريش: ١ ـ ٤].

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

وقال ابن جرير: الصواب أن «اللام» لام التعجب، كأنه يقول: اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك. قال: وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان.

ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣﴾؛ أي: فليوحِّدوه بالعبادة، كما جعل لهم حرمًا آمنًا وبيتًا محرمًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١].

وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾؛ أي: هو رب البيت، وهو ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾؛ أي: تفضل عليهم بالأمن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنمًا ولا ندًّا ولا وثنًا. ولهذا من استجاب لهذا الأمر جَمَع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝١١٢ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣].

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن عمرو العَدَني، حدثنا قَبيصة، حدثنا سفيان، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ويل أمكم، قريش، لإيلاف قريش**»(١) ثم قال:

حدثنا أبي، حدثنا المؤَمَّل بن الفضل الحراني، حدثنا عيسى - يعني ابن يونس - عن عُبَيد الله ابن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١

(١) سنده ضعيف لما قيل في شهر بن حوشب وليث، وهو ابن أبي سليم.

إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾. **يْحَكُمْ يَا قُرَيْشُ اعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف»**.

هكذا رأيته عن أسامة بن زيد، وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن، أم سلمة الأنصارية رضي الله عنها(١)، فلعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية، والله أعلم.

● **س/ سورة قريش أمان لكل خائف؟**

○ **الجواب**: لا نعرف أنه ثبت في هذا شيء؛ ولكنها سورة عظيمة، والقرآن كله عظيم، ينبغي للمؤمن أن يعتني به من أوله إلى آخره، ويكثر من تلاوته، كل حرف بحسنة، والحسنة بعشر أمثالها، الحمدُ لله؛ هذا نعمة كبيرة ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فجدير بالمؤمن والمؤمنة الإكثار من قراءته بالتدبر والتعقل، سواء من المصحف، أو عن ظهر قلب.

آخر تفسير سورة ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾.



(١) أخرجه الامام أحمد (٦/ ٤٦٠) وضعفه محققوه لضعف شهر بن حوشب.

تفسير سورة الماعون[(١)]

وقال مجاهدٌ: ﴿يَدُعُّ﴾ [٢]: يدفع عن حقّه، يقال: هو من دَعَعْتُ، ﴿يُدَعُّونَ﴾ [الطور: ١٣]: يُدْفَعُونَ، ﴿سَاهُونَ﴾ [٥]: لَاهُونَ، وَ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾ [٧]: وقال بعض العرب: الماعون الماء، وقال عكرمة: أعلاها الزّكاة المفروضة، وأدناها عاريّة المتاع.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

كلام البخاريّ أعمّ، المعروف كلّه؛ يعني: يمنعون المعروف في العاريّة ومن أيّ مساعدةٍ؛ لبخلهم وشحّهم.

- **س: قول مجاهدٍ: «يدعّ» يدفع عن حقّه؛ يعني: يدفع هو أو يدفع؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يعني: يدفع اليتيم عن حقّه، لا يعطيه حقّه، نسأل الله العافية.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون: ١ - ٧][(٢)].

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ على صحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

يقول تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ يا محمد الذي يكذِّب بالدين؟ وهو: المعاد والجزاء والثواب ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾؛ أي: هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه، ولا يطعمه ولا يحسن إليه ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ كما قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨]، يعني: الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته.

ثم قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ قال ابن عباس، وغيره: يعني المنافقين، الذين يُصلُّون في العلانية ولا يصلُّون في السر.

ولهذا قال: ﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾؛ أي: الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها، ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها بالكلية، كما قاله ابن عباس، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعًا، فيخرجها عن وقتها بالكلية، كما قاله مسروق، وأبو الضحى.

وقال عطاء بن دينار: والحمد لله الذي قال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ ولم يقل: في صلاتهم ساهون.

وإما عن وقتها الأول فيؤخِّرونها إلى آخره دائمًا أو غالبًا. وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به. وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل هذا كله، ولكن من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية. ومن اتصف بجميع ذلك، فقد تم نصيبه منها، وكمل له النفاق العملي. كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **«تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِينَ تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِينَ تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِينَ يَجْلِسُ أَحَدُهُمْ حَتَّى إِذَا اصْفَرَّتِ الشَّمْسُ فَكَانَتْ بَيْنَ قَرْنَي شَيْطَانٍ أَوْ عَلَى قَرْنَي الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»**[١]. فهذا آخر صلاة

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التبكير بالعصر برقم (٦٢٢)

العصر التي هي الوسطى، كما ثبت به النص إلى آخر وقتها، وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب، لم يطمئن ولا خشع فيها أيضًا؛ ولهذا قال: «**لا يذكر الله فيها إلا قليلًا**». ولعله إنما حمله على القيام إليها مراءاة الناس، لا ابتغاء وجه الله، فهو إذًا لم يصل بالكلية. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]. وقال هاهنا: ﴿يُرَآءُونَ﴾ وقال الطبراني: حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبدويه البغدادي، حدثني أبي، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن يونس، عن الحسن، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**إن في جهنم لواديًا تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة، أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد: لحامل كتاب الله. وللمصدق في غير ذات الله، وللحاج إلى بيت الله، وللخارج في سبيل الله**».

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو نُعَيم، حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة قال: كنا جلوسًا عند أبي عبيدة فذكروا الرياء، فقال رجل يكنى بأبي يزيد: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ**»(١).

ورواه أيضًا عن غُنْدَر ويحيى القطان، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن رجل، عن عبد الله ابن عمرو، عن النبي ﷺ، فذكره.

ومما يتعلق بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ أن من عمل عملًا لله فاطلع عليه الناس، فأعجبه ذلك، أن هذا لا يعد رياء، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا هارون بن معروف، حدثنا مخلد بن يزيد، حدثنا سعيد بن بشير، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: كنت أصلي، فدخل عليَّ رجل،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٢٣)

فأعجبني ذلك، فذكرته لرسول الله ﷺ، فقال: «**لَهُ أَجْرَانِ أَجْرُ السِّرِّ وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ**»[(١)].

قال أبو علي هارون بن معروف: بلغني أن ابن المبارك قال: نعم الحديثُ للمرائين.

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وسعيد بن بشير متوسط، وروايته عن الأعمش عزيزة وقد رواه غيره عنه.

قال أبو يعلى أيضًا: حدثنا محمد بن المثنى بن موسى، حدثنا أبو داود، حدثنا أبو سِنان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل يَسُرُّه، فإذا اطُّلعَ عليه أعجبه. قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَهُ أَجْرَانِ أَجْرُ السِّرِّ وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ**».

وقد رواه الترمذي عن محمد بن المثنى، وابن ماجه عن بُنْدَار، كلاهما عن أبي داود الطيالسي عن أبي سنان لشيباني واسمه: ضرار بن مرة. ثم قال الترمذي: غريب، وقد رواه الأعمش وغيره. عن حبيب عن النبي ﷺ مرسلًا.

وقد قال أبو جعفر بن جرير: حدثني أبو كُرَيْب، حدثنا معاوية بن هشام، عن شيبان النحوي عن جابر الجعفي، حدثني رجل، عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ قال: «**الله أكبر، هذا خير لكم من أن لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع الدنيا، هو الذي إن صلى لم يَرْجُ خير صلاته، وإن تركها لم يخف ربه**».

فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف، وشيخه مبهم لم يُسَم، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب عمل السر برقم (٢٣٨٤)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الثناء الحسن برقم (٤٢٢٦)

وقال ابن جرير أيضًا: حدثني زكريا بن أبان المصري، حدثنا عمرو بن طارق، حدثنا عِكْرِمة بن إبراهيم، حدثني عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص قال: سألت رسول الله ﷺ عن: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: «**هم الذين يؤخِّرون الصلاة عن وقتها**».

وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية، أو صلاتها بعد وقتها شرعًا، أو تأخيرها عن أول الوقت [سهوًا حتى ضاع] الوقت.

وكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن شيبان بن فَرُّوخ، عن عكرمة بن إبراهيم، به. ثم رواه عن أبي الربيع، عن جابر، عن عاصم، عن مصعب، عن أبيه موقوفًا وهذا أصح إسنادًا، وقد ضعف البيهقي رفعه، وصحح وقفه، وكذلك الحاكم.

وقوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾؛ أي: لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم. فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القُرُبات أولى وأولى. وقد قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: قال علي: الماعون: الزكاة. وكذا رواه السدي، عن أبي صالح، عن علي. وكذا روي من غير وجه عن ابن عمر. وبه يقول محمد ابن الحنفية، وسعيد بن جبير، وعِكْرِمة، ومجاهد، وعطاء، وعطية العوفي، والزهري، والحسن، وقتادة، والضحاك، وابن زيد.

وقال الحسن البصري: إن صلَّى راءى، وإن فاتته لم يأس عليها، ويمنع زكاة ماله وفي لفظ: صدقة ماله.

وقال زيد بن أسلم: هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها، وضَمنَت الزكاة فمنعوها.

وقال الأعمش وشعبة، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار: أن أبا

العبيدين سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون، فقال: هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس، والقِدر، [والدلو].

[وقال المسعودي، عن سلمة بن كُهَيْل، عن أبي العُبَيدين: أنه سُئِل ابنُ مسعود عن الماعون، فقال: هو ما يتعاطاه الناس بينهم، من الفأس والقِدر] والدلو، وأشباه ذلك.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي العُبَيدين وسعد بن عياض، عن عبد الله قال: كنا أصحاب رسول الله ﷺ نتحدث أن الماعون الدلو، والفأس، والقِدر، لا يستغنى عنهن.

وحدثنا خلاد بن أسلم، أخبرنا النضر بن شُمَيْل، أخبرنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت سعد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي ﷺ مثله. وقال الأعمش، عن إبراهيم، عن الحارث بن سويد، عن عبد الله أنه سئل عن الماعون، فقال: ما يتعاوره الناس بينهم: الفأس والدلو وشبهه.

وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي الفلاس، حدثنا أبو داود ـ هو الطيالسي ـ حدثنا أبو عَوانَة، عن عاصم بن بَهْدَلة، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: كنا مع نبينا ﷺ ونحن نقول: الماعون: منع الدلو وأشباه ذلك.

وقد رواه أبو داود والنسائي، عن قتيبة، عن أبي عوانة بإسناده، نحوه ولفظ النسائي عن عبد الله قال: كل معروف صدقة، نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عاريَّة الدلو والقِدر.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله قال: الماعون: العَواري: القِدر، والميزان، والدلو.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ يعني: متاع البيت. وكذا قال مجاهد وإبراهيم النَّخعي، وسعيد بن جبير، وأبو مالك، وغير واحد: إنها العاريَّة للأمتعة.

وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد عن ابن عباس: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ قال: لم يجئ أهلها بعد.

وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ قال: اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قال: يمنعون الزكاة. ومنهم من قال: يمنعون الطاعة. ومنهم من قال: يمنعون العارية. رواه ابن جرير. ثم روي عن يعقوب بن إبراهيم، عن ابن عُلَيَة، عن ليث بن أبي سليم، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي: الماعون: منع الناس الفأس، والقِدر، والدلو.

وقال عكرمة: رأس الماعون زكاة المال، وأدناه.

المنخل والدلو، والإبرة. رواه ابن أبي حاتم.

وهذا الذي قاله عكرمة حسن؛ فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد. وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة. ولهذا قال محمد بن كعب ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ قال: المعروف. ولهذا جاء في الحديث: «**كل معروف صدقة**».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ قال: بلسان قريش: المال.

وروى هاهنا حديثًا غريبًا عجيبًا في إسناده ومتنه فقال:

حدثنا أبي، وأبو زُرْعَة قالا: حدثنا قيس ابن حفص الدارمي، حدثنا دلهم بن دهثم العجلي، حدثنا عائذ بن ربيعة النَمِيري، حدثني قرة بن دعموص النميري: أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا

رسول الله، ما تعهد إلينا؟ قال: «**لا تمنعون الماعون**». قالوا: يا رسول الله، وما الماعون؟ قال: «**في الحَجَر، وفي الحديدة، وفي الماء**». قالوا: فأي حديدة؟ قال: «**قدوركم النحاس، وحديد الفأس الذي تمتهنون به**». قالوا: وما الحجر؟ قال: «**قدوركم الحجارة**».

غريب جدًّا، ورفعه منكر، وفي إسناده من لا يعرف، والله أعلم.

وقد ذكر ابنُ الأثير في الصحابة ترجمة «علي النميري»، فقال: روى ابن قانع بسنده إلى عائذ بن ربيعة بن قيس النميري، عن علي بن فلان النميري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المسلم أخو المسلم. إذا لقي حَيَّاه بالسلام، ويرد عليه ما هو خير منه، لا يمنع الماعون**». قلت: يا رسول الله، ما الماعون؟ قال: «**الحَجَر، والحديد، وأشباه ذلك**».

آخر تفسير سورة «الماعون».

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون: ٤ ـ ٧][(١)].

الآية على ظاهرها، والويل: إشارة إلى شدة العذاب، والله سبحانه يتوعَّد المصلين الموصوفين بهذه الصفات التي ذكرها ـ سبحانه ـ وهي قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾، وليس سهوهم عنها الترك؛ فإن الترك كفر أكبر، نسأل الله العافية، ولكنه نوع من التساهل كتأخيرها عن أدائها في الجماعة، والتهاون في بعض مكملاتها التي يجب أن تفعل، ونحو ذلك مما يتعلق بالنقص فيها، فهذا فيه الوعيد، أما إذا تركها عمدًا، فهذا

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٧٣).

يكون كافرًا كفرًا أكبر، وإن لم يجحد وجوبها في أصح قولي العلماء؛ لقول النبي ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[١]. رواه الإمام أحمد وأهل السنن بإسناد صحيح، ولقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**». خرَّجه الإمام مسلم في صحيحه[٢].

فهذان الحديثان وما جاء في معناهما حجة قائمة، وبرهان ساطع في كفر تارك الصلاة نعوذ بالله، وإن لم يجحد وجوبها، لكن إذا تساهل فيها بأن تساهل في أدائها ولم يؤدِّها كما يجب، أو تأخر عن أدائها في الجماعة فهذا يعتبر من السهو عنها. أما السهو فيها فهذا ليس فيه شيء، وليس فيه وعيد، فقد سها النبي ﷺ، وسها المسلمون، فالسهو يقع من المؤمن في الصلاة، كما بيَّن النبي ﷺ أحكامه، ولكن المقصود: السهو عنها، وذلك بالتساهل والتهاون في أدائها كما أوجب الله، وأعظم من ذلك وأدهى وأمر الرياء ـ نسأل الله العافية ـ، كعمل المنافقين، فإن المنافق كفره أشد من كفر الكافر، فإذا صلَّاها رياءً لا عن إيمان بأنها فرض عليه، فإنه يكون كافرًا، وصلاته باطلة، فإن صلاها رياءً نافلة بطلت أيضًا.

فالواجب أن يصلي المؤمن لله وحده، يريد وجهه الكريم، ويريد الثواب عنده ﷻ، ولعلمه بأن الله فرض عليه الصلوات الخمس، يؤديها إخلاصًا لله وطاعة لله وتعظيمًا له، وطلبًا لمرضاته ﷻ.

ومن صفاتهم أنهم يمنعون الماعون، الماعون فُسِّر بالزكاة، وأنهم يمنعون الزكاة؛ لأن الزكاة قرينة الصلاة: كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ [البينة: ٥]،

(١) سبق تخريجه في (١/ ٣٥٦).
(٢) سبق تخريجه في (١/ ٣٥٦).

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال قوم آخرون من أهل العلم: إنه العارية الذي يحتاجها الناس ويضطرون إليها، كالدلو لجلب الماء، والميزان للحاجة، والقِدر للحاجة، ونحو ذلك، ولكن منع الزكاة أعظم وأكبر، فينبغي للمؤمن أن يكون حريصًا على أداء ما أوجب الله، وعلى مساعدة إخوانه عند الحاجة، بالعارية؛ لأنها تنفعه إخوانه، وتنفعه أيضًا ولا تضره، فينبغي له أن يساعد بالماعون الذي يحتاجه جيرانه وإخوانه من قِدرٍ أو ميزان أو دلو أو غير هذا مما يحتاجه الجيران.



تفسير سورة الكوثر(١)

وهي مدنية، وقيل: مكية

يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾، هذا خطاب للنبي ﷺ، والكوثر نهر في الجنة رآه لما عرج به - عليه الصلاة والسلام -، نهر عظيم في الجنة، يصب منه ميزابان يوم القيامة في حوضه ﷺ، الذي في الموقف يوم القيامة، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢]؛ يعني: شكرًا لله، صلِّ ما أمرك ربك من الصلاة. وقال بعضهم: معناه صلاة العيد، ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾؛ يعني: اذبح الهدايا اذبح الضحايا، والآية أعم، تعم الصلوات كلها وتعم النحر كله، من الضحايا وغير الضحايا كلها تنحر لله سبحانه وتعالى لا لغيره جل وعلا، ولكن صلاة العيد وذبح النحر داخل في ذلك، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ لا لغيره؛ يعني: صل له وحده سبحانه وتعالى، الصلوات الخمس صلاة العيد وصلاة الجمعة كلها لله وحده، وهكذا صلاة النافلة كلها لله، وهكذا النحر كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، فالصلاة لله والنحر لله، كما أن الصدقة لله، والسجود لله، والدعاء لله، ليس للمسلم أن يدعو غير الله، ولا أن يسجد لغير الله، ولا أن ينحر لغير الله، بل يجب أن تكون أعماله لله وحده سبحانه وتعالى، ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾، الشانئ: المبغض المعادي، والأبتر هو: الناقص المقطوع، فمبغض النبي ﷺ

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٧٦).

وشانئه هو الأبتر في الدنيا والآخرة، المقطوع الصلة بالله ﷻ، والصلة بأسباب السعادة، وليس له إلا النار، نعوذ بالله.

*

سورة ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾(١)

وقال ابن عباسٍ: ﴿شَانِئَكَ﴾ [٣]: عَدُوَّكَ.

حدّثنا آدم، حدّثنا شيبان، حدّثنا قتادة، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: «لمّا عُرج بالنّبيّ ﷺ إلى السّماء قال: **أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّف، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ**»(٢).

حدّثنا خالد بن يزيد الكاهليّ، حدّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة رضي الله عنها قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [١] قالت: «هو نهرٌ أعطيه نبيّكم ﷺ، شاطئاه عليه درٌّ مجوّفٌ، آنيته كعدد النّجوم»، رواه زكريّا، وأبو الأحوص ومطرّفٌ، عن أبي إسحاق(٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

خالد بن يزيد الكاهليّ؟ هذا غريبٌ. راجع: كلام الشّارح عليه؟ أو العينيّ؟

(من الطّالب): ما تكلّم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كأنّه غريبٌ، ما أذكر أنّه مرّ معنا خالد بن يزيد.

[قال الحافظ رحمه الله في «التّقريب» (١٦٨٦)]: «خالد بن يزيد بن زيادٍ

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله على صحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب سورة الكوثر برقم (٤٩٦٤).
(٣) المصدر السابق برقم (٤٩٦٥).

الأسديّ الكاهليّ أبو الهيثمّ الطّبيب الكوفيّ، صدوقٌ مقرئٌ له أوهامٌ، من العاشرة مات سنة اثنتي عشرة وقيل: خمس عشرة خ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

صدوقٌ مقرئٌ يعني من كبار شيوخ البخاريّ، في أوّل ما طلب رَحِمَهُ اللَّهُ أخذ عنه وهو ابن العشرين أو قليلًا أقلّ من العشرين؛ لأنّه ولد سنة أربعٍ وتسعين، وهذا مات سنة اثنتي عشرة، بين مولد هذا ووفاة هذا رَحِمَهُ اللَّهُ.

• **س: وصفه بالصّدق يعني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كأنّه ليس مشهورًا؛ يعني: بالرّواية والعدالة والضّبط، ولهذا قال: صدوقٌ، هذا إذا نزل عن درجة الثّقة قليلًا قال له: صدوقٌ.

على حسب اصطلاح الحافظ، مع أنّي تتبّعت كلام الحافظ في «التّقريب» في مواضع كثيرةٍ؛ فوجدته يؤخذ عليه هذا الكلام، وجدته يقول: صدوقٌ في رجالٍ عظامٍ وثّقهم الأئمّة، ولم يذكر أحدٌ فيهم جرحًا، ولا ضعفًا، ولا نقصًا في حفظهم، ومع هذا يقول فيهم: صدوقٌ، وفي «التّهذيب» وثّقه أحمد، وثّقه ابن معينٍ، ووثّقه فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ وفلانٌ، ولا يحكي عن أحدٍ فيه جرحًا ولا تضعيفًا، ومع هذا يقول فيه: صدوقٌ، فيؤخذ عليه في هذا كثيرٌ ممن يقول عنهم: صدوقٌ ويعدّون ثقاتٍ.

يعني: من تتبّع «التّقريب» وتتبّع «تهذيب التّهذيب» يجد أشياء تؤخذ على المؤلّف.

وكلّ إنسانٍ هكذا، كلّ إنسانٍ لا بدّ [أن] يكون هناك شيءٌ من خللٍ ونقصٍ، الكمال المطلق لله وحده.

• **س: ....؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما فيه شكٌّ، ينبغي أن يلحق بالطّبقة الرّابعة، ثقةٌ؛ لأنّ عندهم

الأولى: ثقةٌ ثقةٌ، أو أوثق النّاس. والثّانية: ثقةٌ فقط. والثّالثة: لا بأس به وليس به بأسٌ. والرّابعة: صدوقٌ، أو صدوقٌ يهم، أو صدوقٌ له أوهامٌ. بحسب ما ذكر في المقدّمة.

قولها: «نهرٌ أعطيه نبيّكم ﷺ، شاطئاه عليه درٌّ مجوّفٌ، آنيته كعدد النّجوم» الله أكبر، تقدّم عليه قباب اللّؤلؤ المجوّف. الله أكبر.

وهذا النّهر الّذي هو الكوثر جاء في الحديث الصّحيح أنّه يصبّ منه ميزابان، ميزابان يوم القيامة في حوض النّبيّ ﷺ من الجنّة، في حوض النّبيّ ﷺ الّذي يرده المؤمنون.

وهو حوضٌ عظيمٌ كما تقدّم، حوضٌ عظيمٌ طوله شهرٌ وعرضه شهرٌ آنيته عدد نجوم السّماء، يرده المؤمنون ويزاد عنه الكافرون. نسأل الله العافية.

*

حدّثنا يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا هشيمٌ، حدّثنا أبو بشرٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أنّه قال في الكوثر: «هو الخير الّذي أعطاه الله إيّاه»، قال أبو بشرٍ: قلت لسعيد بن جبيرٍ: فإنّ النّاس يزعمون أنّه نهرٌ في الجنّة، فقال سعيدٌ: النّهر الّذي في الجنّة من الخير الّذي أعطاه الله إيّاه»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا يحتمل أن يكون ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما سمعه من النّبيّ ﷺ أو من بعض الصّحابة رضي الله عنهم؛ فيكون تفسيره بالخير الكثير تفسيرًا بما هو أعمّ، يشمل النّهر ويشمل غيره من الخيرات الأخرى، مثل ما قيل في قوله

---

(١) أي: الراوي عن عائشة رضي الله عنها في الحديث الذي قبل هذا. انظر: البخاري برقم (٤٩٦٦).

سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. قال جماعةٌ من السّلف: «النّظر إلى وجه الله» وجاء في حديث صهيبٍ ﷺ.

وقال آخرون: الزّيادة: خيرٌ كثيرٌ، والله الّذي يحصيه ﷻ، من جملته النّظر إلى وجه الله.

• س: ما يكون تفسير ابن عبّاسٍ في حكم المرفوع؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ليس ببعيدٍ، أقول: ليس ببعيدٍ؛ لأنّه لا يقال من جهة الرّأي، يخالف الحديث، النّبيّ ﷺ فسّره بالنّهر، فسّره بالنّهر في الأحاديث الصّحيحة، فسّره بالنّهر مثل ما قالت عائشة رضي الله عنها، عائشة رضي الله عنها ما قالته عن نفسها، عن النّبيّ ﷺ يعني، لكن لعلّه قاله في وقتٍ آخر أنّه الخير الكثير يمكن، قال في وقتٍ آخر فسمعه ابن عبّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ أو سمعه من سمعه من ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

• س: سعيدٌ سمعه عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لكن ابن عبّاسٍ غالب رواياته عن الصّحابة رضي الله عنهم، غالب رواياته لم يسمعها؛ لأنّه صغيرٌ، غالبها يسمعها من الصّدّيق ومن عمر ومن عبد الرّحمن بن عوفٍ رضي الله عنهم وأشباههم من كبار الصّحابة رضي الله عنهم.

• س: كلام سعيدٍ أنّه يقول: النّهر الّذي في الجنّة من الخير؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم هذا جوابٌ لمن سأله، هذا تفسيرٌ من سعيدٍ لهذا الكلام، وهو كلامه صحيح؛ لأنّه لا منافاة بين الخير الكثير وبين النّهر، فهم سعيدٍ طيّبٌ.

• س: أبو عبيدة يا شيخ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الظّاهر أنّه ولد ابن مسعودٍ رضي الله عنه، أبوه عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه،

أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعودٍ. ما تكلّم عليه عندكم أبو عبيدة؟ الظّاهر أنّه أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعودٍ؛ لأنّه يروي عن أبي إسحاق.

(من الطّالب): نعم قال الشّارح: «أبو عبيدة راويه هنا هو ابن عبد الله بن مسعودٍ».

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ **[الكوثر: ١ ـ ٣]**(١).

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل، عن المختار بن فُلْفُل، عن أنس بن مالك قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه مبتسمًا، إما قال لهم وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنه أنزلت عليَّ آنفًا سورة**». فقرأ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ حتى ختمها، قال: «**هل تدرون ما الكوثر؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**هو نهر أعطانيه ربي ﷻ، في الجنة، عليه خير كثير، تردُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يُخْتَلَج العبد منهم فأقول: يا رب، إنه من أمتي. فيقال: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»**»(٢)، هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد الثلاثي، وهذا السياق.

وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة أنه يَشْخَب فيه ميزابان من السماء عن نهر الكوثر، وأن عليه آنية عددَ نجوم السماء. وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي، من طريق محمد بن فضيل، وعلي بن

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب حجة من قال: أن البسملة آية من كل سورة سوى براءة برقم (٤٠٠)، والإمام أحمد (٣/ ١٠٢).

مُسْهِر، كلاهما عن المختار بن فُلْفُل، عن أنس. ولفظ مسلم قال: "بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسمًا، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «**أنزلت علي آنفًا سورة**»، فقرأ: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾، ثم قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ**». فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فَيَقُولُ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ**»[1]. وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية، وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة، وأنها منزلة معها.

فأما قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ فقد تقدم في هذا الحديث أنه نهر في الجنة. وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى، عن أنس فقال: حدثنا عفان، حدثنا حماد، أخبرنا ثابت، عن أنس أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ الْكَوْثَرَ فَإِذَا هُوَ نَهَرٌ يَجْرِي كَذَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ لَيْسَ مَشْفُوفًا فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى تُرْبَتِهِ فَإِذَا مِسْكَةٌ ذَفِرَةٌ وَإِذَا حَصَاهُ اللُّؤْلُؤُ**»[2].

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن حميد، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَّتَاهُ**

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب من لم يجهر ببسم الله الرحمٰن الرحيم برقم (٤٨٧)، والنسائي في الافتتاح باب قراءة بسم الله الرحمٰن الرحيم برقم (٢/ ١٣٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢٤٧).

خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللهُ»(١).

ورواه البخاري في صحيحه، ومسلم، من حديث شيبان بن عبد الرحمٰن، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: لما عُرجَ بالنبي ﷺ إلى السماء قال: «**أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ**»(٢). وهذا لفظ البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال ابن جرير: حدثنا الربيع، أخبرنا ابن وهب، عن سليمان بن هلال، عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال: لما أسري برسول الله ﷺ، مضى به جبريل في السماء الدنيا، فإذا هو بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فذهب يَشُمُّ تُرَابه، فإذا هو مسك. قال: «**يا جبريل، ما هذا النهر؟**» قال: «**هو الكوثر الذي خبأ لك ربك**».

وقد تقدم في حديث الإسراء في سورة «سبحان»، من طريق شريك عن أنس عن النبي ﷺ وهو مخرَّج في الصحيحين.

وقال سعيد، عن قتادة، عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ عَرَضَ لِي نَهْرٌ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ. قُلْتُ لِلْمَلَكِ: مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللهُ، قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى طِينَةٍ فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًا ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَرَأَيْتُ عِنْدَهَا نُورًا عَظِيمًا**».

وكذا رواه سليمان بن طِرْخان، ومعمر وهَمَام وغيرهم، عن قتادة، به.

وقال ابن جرير: حدثنا أحمد بن أبي سُرَيج، حدثنا أبو أيوب العباسي، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثني محمد بن عبد الله، ابن أخي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ برقم (٤٩٦٤)

ابن شهاب، عن أبيه، عن أنس قال: سُئل رسول الله ﷺ عن الكوثر، فقال: «**هو نهر أعطانيه الله في الجنة، ترابه مسك، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجُزُر**». فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنها لناعمة؟ قال: «**أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا**»(١).

وقال أحمد: حدثنا أبو سلمة الخزاعي، حدثنا الليث، عن يزيد بن الهاد، عن عبد الوهاب، عن عبد الله بن مسلم بن شهاب، عن أنس، أن رجلًا قال: يا رسول الله، ما الكوثر؟ قال: «**نهر في الجنة أعطانيه ربي، لهو أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها كأعناق الجُزر**». قال عمر: يا رسول الله، إنها لناعمة؟ قال: «**أكلها أنعم منها يا عمر**».

رواه ابن جرير، من حديث الزهري، عن أخيه عبد الله، عن أنس: أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكوثر، فذكر مثله سواء.

وقال البخاري: حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ قالت: نهر عظيم أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد النجوم.

ثم قال البخاري: رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف، عن أبي إسحاق(٢).

ورواه أحمد والنسائي، من طريق مُطرّف، به(٣).

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيب، حدثنا وَكِيع، عن سفيان، وإسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة قالت: الكوثر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب سورة الكوثر برقم (٤٩٦٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٣٨١).

نهر في الجنة، شاطئاه دُرٌّ مُجَوَّف. وقال إسرائيل: نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء.

وحدثنا ابن حُمَيد، حدثنا يعقوب القُمي عن حفص بن حميد، عن شَمِر بن عطية، عن شقيق أو مسروق قال: قلت لعائشة: يا أم المؤمنين، حدثيني عن الكوثر. قالت: نهر في بُطنان الجنة. قلت: وما بطنان الجنة؟ قالت: وسطها، حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت، ترابه المسك، وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت.

وحدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن أبي جعفر الرازي، عن ابن أبي نجيح، عن عائشة قالت: من أحب أن يسمع خرير الكوثر، فَلْيَجعل أصبعيه في أذنيه.

وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة، وفي بعض الروايات: «عن رجل، عنها». ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك، لا أنه يسمعه نفسه، والله أعلم.

قال السهيلي: ورواه الدارقطني مرفوعًا، من طريق مالك بن مِغْوَل عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة، عن النبي ﷺ.

ثم قال البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هُشَيم، أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناسًا يَزْعُمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه[١].

ورواه أيضًا من حديث هشيم، عن أبي بشر وعطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: الكوثر: الخير الكثير.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب سورة الكوثر برقم (٤٩٦٦).

وقال الثوري، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: الكوثر: الخير الكثير.

وهذا التفسير يعم النهر وغيره؛ لأن الكوثر من الكثرة، وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ومحارب بن دِثَار، والحسن بن أبي الحسن البصري. حتى قال مجاهد: هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة.

وقال عكرمة: هو النبوة والقرآن، وثواب الآخرة.

وقد صح عن ابن عباس أنه فسَّره بالنهر أيضًا، فقال ابن جرير:

حدثنا أبو كُرَيب، حدثنا عمر بن عبيد، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: الكوثر: نهر في الجنة، حافتاه ذهب وفضة، يجري على الياقوت والدر، ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل.

وروى العوفي، عن ابن عباس، نحو ذلك.

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا هشيم، أخبرنا عطاء بن السائب، عن محارب بن دِثار، عن ابن عمر أنه قال: الكوثر نهر في الجنة، حافتاه ذهب وفضة، يجري على الدر والياقوت، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل.

وكذا رواه الترمذي عن ابن حميد، عن جرير، عن عطاء بن السائب، به مثله[(١)] موقوفًا. وقد روي مرفوعًا، فقال الإمام أحمد:

حدثنا علي بن حفص، حدثنا ورقاء قال... وقال عطاء [بن السائب] عن محارب بن دِثار، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَالْمَاءُ يَجْرِي عَلَى اللُّؤْلُؤِ، وَمَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»**[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الكوثر برقم (٣٣٦١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٦٧).

وهكذا رواه الترمذي، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، وابن جرير، من طريق محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، به مرفوعًا. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن عُليَّة، أخبرنا عطاء بن السائب قال: قال لي محارب بن دثار: ما قال سعيد بن جبير في الكوثر؟ قلت: حَدثَنا عن ابن عباس أنه قال: هو الخير الكثير. فقال: صدق، والله إنه للخير الكثير. ولكن حدثنا ابن عمر قال: لما نزلت: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَـٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ قال رسول الله ﷺ: «**الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ**». وقال ابن جرير: حدثني ابن البرقي، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، أخبرني حَرَام بن عثمان، عن عبد الرحمٰن الأعرج، عن أسامة بن زيد: أن رسول الله ﷺ أتى حمزة بن عبد المطلب يومًا فلم يجده، فسأل امرأته عنه ـ وكانت من بني النجار ـ فقالت: خرج يا نبي الله آنفًا عامدًا نحوك، فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار، أوَلا تدخلُ يا رسول الله؟ فدخل، فقدمت إليه حيسًا، فأكل منه، فقالت: يا رسول الله، هنيئًا لك ومريئًا، لقد جئتَ وأنا أريد أن آتيك فأهْنيك وأمْريك؛ أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهرًا في الجنة يدعى الكوثر. فقال: «**أجل، وعرضه** ـ يعني أرضه ـ **ياقوت ومرجان، وزبرجد ولؤلؤ**».

حَرَام بن عثمان ضعيف. ولكن هذا سياق حسن، وقد صح أصل هذا، بل قد تواتر من طريق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث، وكذلك أحاديث الحوض [ولنذكرها هاهنا].

وهكذا رُوي عن أنس، وأبي العالية، ومجاهد، وغير واحدٍ من السلف: أن الكوثر: نهر في الجنة. وقال عطاء: هو حوض في الجنة.

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾؛ أي: كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهرُ الذي تقدم صفته - فأخلِص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونَحْرَك، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. قال ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والحسن: يعني بذلك نحر البُدْن ونحوها. وكذا قال قتادة، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، والربيع، وعطاء الخراساني، والحكم، وإسماعيل بن أبي خالد، وغير واحد من السلف. وهذا بخلاف ما كان المشركون عليه من السجود لغير الله، والذبح على غير اسمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ﴾ الآية [الأنعام: ١٢١].

وقيل: المراد بقوله: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت النحر. يروى هذا عن علي، ولا يصح. وعن الشعبي مثله.

وعن أبي جعفر الباقر: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ يعني: ارفع اليدين عند افتتاح الصلاة.

وقيل: ﴿وَٱنْحَرْ﴾؛ أي: استقبل بنحرك القبلة. ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير.

وقد روى ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا منكرًا جدًّا فقال: حدثنا وهب بن إبراهيم الفامي - سنة خمس وخمسين ومائتين - حدثنا إسرائيل بن حاتم المروزي، حدثنا مقاتل بن حيان، عن الأصبغ بن نباتة، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه السورة على النبي ﷺ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ قال رسول الله: «**يا جبريل، ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي؟**» فقال: ليست بنحيرة، ولكنه

يأمرك إذا تحرمت للصلاة، ارفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الركوع، وإذا سجدت، فإنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السموات السبع، وإن لكل شيء زينة، وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة.

وهكذا رواه الحاكم في المستدرك، من حديث إسرائيل بن حاتم، به.

وعن عطاء الخراساني: ﴿وَٱنْحَرْ﴾؛ أي: ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل، وأبرز نحرك، يعني به الاعتدال. رواه ابن أبي حاتم.

[كل هذه الأقوال غريبة جدًّا والصحيح القول الأول، أن المراد بالنحر ذبح المناسك؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العيد ثم ينحر نسكه ويقول: «**من صلَّى صلاتنا، ونَسَك نُسكنا، فقد أصاب النسك. ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له**». فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله، إني نَسكتُ شاتي قبل الصلاة، وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم. قال: «**شاتك شاة لحم**». قال: فإن عندي عناقًا هي أحب إليَّ من شاتين، أفتجزئ عني؟ قال: «**تجزئك، ولا تجزئ أحدًا بعدك**»[١].

قال أبو جعفر بن جرير: والصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصًا دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان؛ شكرًا له على ما أعطاك من الكرامة والخير، الذي لا كِفَاء له، وخصك به.

وهذا الذي قاله في غاية الحسن، وقد سبقه إلى هذا المعنى: محمد بن كعب القرظي، وعطاء.

وقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾؛ أي: إن مبغضك ـ يا

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب العيدين، باب الأكل يوم النحر برقم (٩٥٥)، ومسلم في كتاب الأضاحي، باب وقتها برقم (١٩٦١).

محمد ـ ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين، هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكْرُه.

قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة: نزلت في العاص بن وائل.

وقال محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول: «**دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره**». فأنزل الله هذه السورة.

وقال شَمِر بن عطية: نزلت في عقبة بن أبي مُعَيط.

وقال ابن عباس أيضًا، وعكرمة: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش.

وقال البزار: حدثنا زياد بن يحيى الحَسَّاني، حدثنا بن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا المُصَنْبر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة وأهل السقاية؟ فقال: أنتم خير منه. قال: فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾[1].

هكذا رواه البزار وهو إسناد صحيح.

وعن عطاء: نزلت في أبي لهب، وذلك حين مات ابن رسول الله ﷺ فذهب أبو لهب إلى المشركين وقال: بُتِرَ محمد الليلة. فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

وعن ابن عباس: نزلت في أبي جهل. وعنه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾، يعني: عدوك. وهذا يَعُمُّ جميعَ من اتصفَ بذلك ممن ذكر، وغيرهم.

(١) أخرجه البزار (مختصر زوائد البزار ٢/ ١٢١ برقم ١٥٣٨) وصحح سنده الحافظ ابن كثير.

وقال عكرمة: الأبتر: الفرد. وقال السُّدِّي: كانوا إذا مات ذكورُ الرجل قالوا: بُتر. فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا: بُتر محمد. فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾. وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتر الذي إذا مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره، وحاشا وكلا بل قد أبقى الله ذكره على رءوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرًّا على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم التناد.

آخر تفسير سورة «الكوثر»، ولله الحمد والمنة.



تفسير سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[١]
وهي مكية

ثبت في صحيح مسلم، عن جابر: أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة، وبـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ في ركعتي الطواف[٢].

وفي صحيح مسلم، من حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب، بضعًا وعشرين مرة ـ أو: بضع عشرة مرة ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[٤].

وقال أحمد أيضًا: حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: رمقت النبي ﷺ أربعًا وعشرين ـ أو: خمسًا وعشرين ـ مرة، يقرأ في الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿قُلْ هُوَ

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ بن كثير رحمه الله.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب صفة حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي سنة الفجر برقم (٧٢٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد وصحح سنده الشيخ شعيب الأرنؤوط وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين (٢/ ٢٤).

ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١﴾[(١)].

وكذا رواه الترمذي وابن ماجه، من حديث أبي أحمد الزبيري، وأخرجه النسائي من وجه آخر، عن أبي إسحاق، به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن[(٢)].

وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن، و﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾ تعدل ربع القرآن.

وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق، عن فروةَ ابن نَوفل ـ هو ابن معاوية ـ عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال له: «**هل لك في ربيبة لنا تكفلها؟**» قال: أراها زينب. قال: ثم جاء فسأله النبي ﷺ عنها، قال: «**ما فعلت الجارية؟**» قال: تركتها عند أمها. قال: «**فمجيء ما جاء بك؟**» قال: جئت لتعلمني شيئًا أقوله عند منامي. قال: «**اقرأ: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك**». تفرد به أحمد[(٣)].

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عَمرو القطراني، حدثنا محمد بن الطفيل، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن جبلة بن حارثة ـ وهو أخو زيد بن حارثة ـ أن النبي ﷺ قال: «**إذا أويت إلى فراشك فاقرأ: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ حتى تمر بآخرها، فإنها براءة من الشرك**» والله أعلم وهو حسبي ونعم الوكيل.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجَّاج، حدثنا شريك، عن أبي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٩٥).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الصلاة باب ما جاء في تخفيف ركعتي الفجر برقم (٤١٧)، والنسائي في الافتتاح، باب القراءة في الركعتين بعد المغرب (٢/ ١٧٠)، وابن ماجه في الإقامة، باب ما جاء فيمن يقرأ في الركعتين قبل الفجر برقم (١١٤٩).

(٣) أخرجه الإمام (٥/ ٤٥٦).

إسحاق، عن فروة بن نوفل، عن الحارث بن جبلة قال: قلت: يا رسول الله، علمني شيئًا أقوله عند منامي. قال: «**إذا أخذت مضجعَك من الليل فاقرأ:** ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ **فإنها براءة من الشرك**»[١].

وروى الطبراني من طريق شريك، عن جابر عن معقل الزبيدي، عن عباد أبي الأخضر عن خباب أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ حتى يختمها[٢].

*

بسم الله الرحمن الرحيم

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ **[الكافرون: ١ ـ ٦]**[٣].

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه، فقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ شمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهين بهذا الخطاب هم كفارُ قريش.

وقيل: إنهم من جهلهم دَعَوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية، فقال: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ يعني: من الأصنام والأنداد، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ وهو الله وحده لا شريك له. ف «ما» هاهنا بمعنى «من».

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٣٧٠٨١).

(٢) أخرجه الطبراني من طريق جابر الجعفي به (المعجم الكبير ٤/ ٩٣ ح ٣٧٠٨) وسنده ضعيف لضعف جابر الجعفي (مجمع الزوائد ١٠/ ١٢١).

(٣) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

ثم قال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾؛ أي: ولا أعبد عبادتكم، أي: لا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه؛ ولهذا قال: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾؛ أي: لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئًا من تلقاء أنفسكم، كما قال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، فإن العابد لا بد له من معبود يعبده، وعبادة ـ يسلكها إليه، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه؛ ولهذا كان كلمة الإسلام «لا إله إلا الله محمد رسول الله» أي: لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله؛ ولهذا قال لهم الرسول ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]، وقال: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥].

وقال البخاري: يقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ الكفر، ﴿وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ الإسلام. ولم يقل: «ديني» لأن الآيات بالنون، فحذف الياء، كما قال: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨] ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] وقال غيره[1]: لا أعبد ما تعبدون الآن، ولا أجيبكم فيما بقي من عمري، ولا أنتم عابدون ما أعبد، وهم الذين قال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ﴾ [المائدة: ٦٤].

انتهى ما ذكره[2].

ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد،

---

(١) السابق ذكره البخاري من كلام الفراء واللاحق من كلام أبي عبيدة (انظر: فتح الباري (٨/ ٧٣٣).

(٢) ذكره البخاري في التفسير، باب ١٠٩ سورة الكافرون.

كقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]، وكقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٦، ٧] وحكاه بعضهم ـ كابن الجوزي، وغيره ـ عن ابن قتيبة، فالله أعلم. فهذه ثلاثة أقوال: **أولها** ما ذكرناه أولًا. **الثاني**: ما حكاه البخاري وغيره من المفسرين أن المراد: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ في الماضي، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾ في المستقبل. **الثالث**: أن ذلك تأكيد محض.

وثَمَّ قول **رابع**، نصره أبو العباس بن تَيمية في بعض كتبه، وهو أن المراد بقوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ نفى الفعل لأنها جملة فعلية، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾ نفى قبوله لذلك بالكلية؛ لأن النفي بالجملة الاسمية آكد فكأنه نفى الفعل، وكونه قابلًا لذلك ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضًا. وهو قول حسن أيضًا، والله أعلم.

وقد استدل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ على أن الكفر كله ملة واحدة تورثه اليهود من النصارى، وبالعكس؛ إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به؛ لأن الأديان ـ ما عدا الإسلام ـ كلها كالشيء الواحد في البطلان. وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توريث النصارى من اليهود وبالعكس؛ لحديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى**»[1].

آخر تفسير سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ ولله الحمد والمنة.

● **س: علمت أن من يقرأ سورة الإخلاص ثلاث مرات، وسورة الكافرون ثلاث مرات، فكأنما قرأ القرآن كله، فهل هذا صحيح؟**

○ **الجواب**: نعم ثبت عن النبي ﷺ أنها ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾

(١) سبق تخريجه في (١٠/٢٥٨).

[الإخلاص: ١] تعدل ثلث، تعدل ثلث القرآن، فإذا كررها ثلاثًا.... ختمة، لكن لا يغني ذلك عن قراءة القرآن، يشرع له هذا وهذا، يشرع قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ويشرع له أن يقرأ القرآن كله من أوله إلى آخره، حتى يتدبره، وله بكل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، فيشرع له أن يقرأ القرآن، وأن يكثر من تلاوته، ومع هذا يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] أيضًا؛ لأنها سورة عظيمة، تعدل ثلث القرآن، والمؤمن والمؤمنة مشروع لهما التدبر والتعقل، والإكثار من التلاوة، لقصد العلم والفهم، ومعرفة الأحكام الشرعية، ولقصد الفضل والثواب الذي رتبه الله على القراءة.

أما: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ ورد فيها ما يدل على أنها تعدل ربع القرآن، ولكن لا أذكر الآن صحته.... يتيسر في حلقة أخرى الإيضاح في هذا الأمر، إيضاح ما يتعلق بالكافرون، هل ثبت الحديث فيها، أنها تعدل ربع القرآن، أم لا؟ ويكون هذا ـ إن شاء الله ـ في حلقة أخرى، إن شاء الله.

• س/ بعد هذا رسالة بعث بها المستمع عز الدين حسن يقول: فسِّروا لنا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ١ ـ ٣]؟

هذه الآية تفسيرها ظاهر واضح، وهي لها سبب، وهو أن النبي ﷺ كان مشغولًا ببعض كبار قريش في مكة قبل الهجرة؛ رجاء أن يسلموا، ويهديهم الله؛ لينتفع بهم المسلمون، وكان لديه ابن أم مكتوم، فحصل من النبي ﷺ بعض الإعراض عنه مشغولًا بهؤلاء الجماعة؛ فعاتبه الله في ذلك، والأمر واضح. لا تحتاج تفسير.

❑ ❑ ❑

تفسير سورة النصر(١)

حدّثنا الحسن بن الرّبيع، حدّثنا أبو الأحوص، عن الأعمش، عن أبي الضّحى، عن مسروقٍ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما صلّى النّبيّ ﷺ صلاةً بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [١] إلا يقول فيها: **سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»(٢).

حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا جريرٌ، عن منصورٍ، عن أبي الضّحى، عن مسروقٍ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللّهمّ ربّنا وبحمدك، اللّهمّ اغفر لي، يتأوّل القرآن»(٣).

❊

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ [النصر].

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب برقم (٤٩٦٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٤).

(٣) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب برقم (٤٩٦٨)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٤).

حدّثنا عبد الله بن أبي شيبة، حدّثنا عبد الرّحمن، عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابتٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ أنّ عمر رضي الله عنه سألهم عن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [١] قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: ما تقول يا ابن عبّاسٍ؟ قال: أجلٌ، أو مثلٌ ضرب لمحمّدٍ ﷺ، «نعيت له نفسه»(١).

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر: ٣].

توّابٌ على العباد، والتّوّاب من النّاس: التّائب من الذّنب.

حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا أبو عوانة، عن أبي بشرٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدرٍ، فكأنّ بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا، ولنا أبناءٌ مثله؟ فقال عمر: «إنّه من حيث علمتم، فدعا ذات يومٍ فأدخله معهم، فما رئيت أنّه دعاني يومئذٍ إلّا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [١]؟ فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله، ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم، فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عبّاسٍ؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾، وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [٣]، فقال عمر: ما أعلم منها إلّا ما تقول(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ برقم (٤٩٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ برقم (٤٩٧٠).

تفسير سورة المسد(١)

﴿تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧]: خسران، ﴿تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١]: تدمير.

حدّثنا يوسف بن موسى، حدّثنا أبو أسامة، حدّثنا الأعمش، حدّثنا عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: «لمّا نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله ﷺ حتّى صعد الصّفا، فهتف: «**يَا صَبَاحَاهْ**»، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**»، قالوا: ما جرّبنا عليك كذبًا، قال: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»، قال أبو لهبٍ: تبًّا لك، ما جمعتنا إلّا لهذا؟ ثمّ قام، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾، وقد تبّ، هكذا قرأها الأعمش يومئذٍ»(٢).

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: ١، ٢].

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ برقم (٤٩٧١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤] برقم (٢٠٨).

حدّثنا محمّد بن سلامٍ، أخبرنا أبو معاوية، حدّثنا الأعمش، عن عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ أنّ النّبيّ ﷺ خرج إلى البطحاء، فصعد إلى الجبل فنادى: «يا صباحاه»، فاجتمعت إليه قريشٌ، فقال: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ، أَوْ مُمَسِّيكُمْ، أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟**»، قالوا: نعم، قال: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»، فقال أبو لهبٍ: ألهذا جمعتنا، تبًّا لك، فأنزل الله ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ إِلَى آخِرِهَا[(١)].

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ [المسد: ٣].

حدّثنا عمر بن حفصٍ، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش، حدّثني عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما «قال أبو لهبٍ: تبًّا لك، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾»[(٢)].

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ [المسد: ٤].

وقال مجاهدٌ: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾: تمشي بالنّميمة، ﴿فِي

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ برقم (٤٩٧٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ برقم (٤٩٧٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ برقم (٢٠٨).

جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾ [٥] يقال: من مسدٍ ليف المقل، وهي السّلسلة الّتي في النّار.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾ **[المسد: ١ ـ ٥]**[١].

• **س: صلَّيت خلف إمام، وأنا في طريقي إلى مقر عملي صلاة المغرب، فقرأ بعد الفاتحة سورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾، وبعد الفراغ من الصلاة سأله أحد المأمومين، عن تفسير قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾. فقال الإمام: معناها: ممتد؛ أي: معنى مسد: ممتد، وهو حين قرأ كلمة مسد، نطقها بكسر السين مسد، فرددت عليه بحسب معرفتي من الدراسة، أن معنى: مسد؛ أي: من مسد جهنم؛ أي: حرها ولهبها، فردَّ عليَّ الإمام، بغضب، يقول: أنا أكبر منك وأعرف منك، علمًا بأنه ليس إمامًا رسميًّا في المسجد، وإنما في الطريق فقط، ولم أرد عليه تقديرًا لكبره، ولحضور بعض المصلين معنا، فسكت وأنا غير راضٍ عن ذلك، فهل عليَّ إثم على سكوتي، وأتركه يفسِّر على مزاجه كلام الله المطهر[٢]؟**

○ **الجواب:** لا شك أن قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا﴾؛ يعني: في عنقها، ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾؛ يعني: من النار، لكن تفسير المسد بالنص على المعنى، المراد، من كلام الله ﷻ يحتاج إلى العناية، بكلام

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٧٩).
(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٧٩).

أهل التفسير؛ كتفسير ابن جرير، وابن كثير، والبغوي، وتفسير الشوكاني، فيمكنه مطالعة هذه الكتب وأشباهها، كالقرطبي أيضًا، يتضح كلام أهل التفسير في ذلك، ولا شك أن المراد هنا أنه شيء من العذاب، المسد شيء من العذاب، الحبل الممسد شيء من العذاب، الذي تُعذَّب به هذه المرأة؛ بسبب عدائها للنبي ﷺ، هي وزوجها وإيذائهما للنبي ﷺ، بما يحملان من الحطب، ويلقيانه في طريقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

فالحاصل: أن هذا الشيء يُرجَع فيه للتفسير لا لكلام الإمام، هذا المسكين ولا غيره، بل يُراجَع في هذا كلام المفسرين، كما تقدم فقد أوضحوا معنى ذلك، وبيَّنوا كلام المفسِّرين الأولين في ذلك، وهو بلا شك يدل على أنه عذاب، في جيدها حبل من مسد، حبل من العذاب، الذي وعد الله به أمثال هؤلاء، لكن تفسير عين المسد ما هو، ووجه التسمية، هذا يحتاج إلى مطالعة التفسير، ولا يحضرني الآن كلام أهل التفسير في هذه الكلمة، وفي إمكان كل طالب علم، أن يراجع كلام المفسِّرين ويعلم ما قالوا في هذا، فالحمدُ لله الأمر قريب وواضح.



تفسير سورة الإخلاص[(١)]

وهي مكية

يقال: لا ينون، ﴿أَحَدٌ ۝١﴾ [١]: أي: واحدٌ.

حدّثنا أبو اليمان، حدّثنا شعيبٌ، حدّثنا أبو الزّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ تعالى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ، وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ**»[(٢)].

*

ذكر أسباب نزولها وفضيلتها[(٣)]

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعد محمد بن مُيَسّر الصاغاني، حدثنا أبو جعفر الرازي، حدثنا الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبيّ بن كعب: أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: يا محمد، انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ برقم (٤٩٧٤ و٤٩٧٥).

(٣) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير.

يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[١].

وكذا رواه الترمذي، وابن جرير، عن أحمد بن منيع ـ زاد ابن جرير: ومحمود بن خِدَاش ـ عن أبي سعد محمد بن مُيَسّر به زاد ابن جرير والترمذي ـ قال: ﴿ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله جَلَّ جَلَالُهُ لا يموت ولا يورث، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ ولم يكن له شبه ولا عدل، وليس كمثله شيء.

ورواه ابن أبي حاتم، من حديث أبي سعد محمد بن مُيَسّر، به. ثم رواه الترمذي عن عبد ابن حميد، عن عبيد الله بن موسى، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، فذكره مرسلًا ولم يذكر أخبرنا. ثم قال الترمذي: هذا أصح من حديث أبي سعد.

حديث آخر في معناه: قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا سُرَيج بن يونس، حدثنا إسماعيل بن مجالد، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر: أن أعرابيًّا جاء إلى النبي ﷺ، فقال: انسب لنا ربك. فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ إلى آخرها[٢]. إسناده مقارب.

وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف، عن سُرَيج فذكره. وقد أرسله غير واحد من السلف.

وروى عُبيد بن إسحاق العطار، عن قيس بن الربيع، عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: قالت قريش لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الإخلاص برقم (٣٣٦٤). والإمام أحمد (٥/ ١٣٣).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤/ ٣٨ ح٢٠٤٤).

قال الطبراني: رواه الفريابي وغيره، عن قيس، عن أبي عاصم، عن أبي وائل، مرسلًا.

ثم رَوَى الطبراني من حديث عبد الرحمٰن بن عثمان الطائفي، عن الوازع بن نافع، عن أبي سلمة، عن أبي هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ: لكل شيء نسبة، ونسبة الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ والصمد ليس بأجوف.

حديث آخر في فضلها: قال البخاري: حدثنا محمد - هو الذُّهليّ - حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، أخبرنا عمرو، عن ابن أبي هلال: أن أبا الرجال مُحمد بن عبد الرحمٰن حَدثه، عن أمه عَمْرَةَ بنت عبد الرحمٰن - وكانت في حِجْر عائشة زوج النبي ﷺ عن عائشة: أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سَرِيَّة، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**سلوه: لأيّ شيء يصنع ذلك؟**». فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمٰن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»[1].

هكذا رواه في كتاب «التوحيد». ومنهم من يسقط ذكر «محمد الذّهلي». ويجعله من روايته عن أحمد بن صالح. وقد رواه مسلم والنسائي أيضًا من حديث عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، به[2].

حديث آخر: قال البخاري في كتاب الصلاة: «وقال عُبَيد الله عن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تعالى برقم (٧٣٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ الاخلاص برقم (٨١٣).

ثابت، عن أنس قال: كان رجل من الأنصار يَؤمَّهم في مسجد قُبَاء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ حتى يَفرُغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة. فكلَّمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تُجزئُك حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتَقرأ بأخرى. فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم. وكانوا يَرَونَ أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يَؤمهم غيره. فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟». قال: إني أحبها. قال: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ**»(١).

هكذا رواه البخاري تعليقًا مجزومًا به. وقد رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه، عن البخاري، عن إسماعيل بن أبي أويس، عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عُبَيد الله بن عمر، فذكر بإسناده مثله سواء. ثم قال الترمذي: غريب من حديث عبيد الله، عن ثابت. قال: وروى

مُبَارك بن فَضالة، عن ثابت، عن أنس، أن رجلًا قال: يا رسول الله، إني أحب هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ قال: «**إِنَّ حُبَّكَ إِيَّاهَا أدخلك الجنةَ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة برقم (٧٧٤).

(٢) أخرجه الترمذي، في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص بعد حديث (٢٩٠١).

وهذا الذي علَّقه الترمذي قد رواه الإمام أحمد في مسنده متصلًا فقال:

حدثنا أبو النضر، حدثنا مبارك بن فضالة، عن ثابت، عن أنس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أحب هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ**».

حديث في كونها تعدل ثلث القرآن: قال البخاري: حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي صَعْصَعَة، عن أبيه، عن أبي سعيد. أن رجلًا سمع رَجُلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالّها، فقال النبي ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(١). زاد إسماعيل بن جعفر، عن مالك، عن عبد الرحمٰن بن عبد الله، عن أبيه، عن أبي سعيد قال: أخبرني أخي قتادة بن النعمان، عن النبي ﷺ.

وقد رواه البخاري أيضًا عن عبد الله بن يوسف(٢)، والقَعْنَبِيّ. ورواه أبو داود عن القعنبي، والنسائي عن قتيبة، كلهم عن مالك، به. وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي من طريقين، عن إسماعيل بن جعفر، عن مالك، به.

حديث آخر: قال البخاري: حدثنا عُمَر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا إبراهيم والضحاك المَشْرِقِيّ، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في**

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تعالى برقم (٧٣٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ الإخلاص برقم (٥٠١٤).

ليلة؟». فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يُطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «**اللهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ**»(١).

تفرد بإخراجه البخاري من حديث إبراهيم بن يزيد النَّخعي والضحاك بن شُرَحبيل الهمداني المشرقي، كلاهما عن أبي سعيد، قال الفَرَبرِيّ: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم وراقُ أبي عبد الله قال: قال أبو عبد الله البخاري: عن إبراهيم مرسل، وعن الضحاك مسند.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لَهِيعَة، عن الحارث بن يزيد، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري قال: بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ نِصْفَ الْقُرْآنِ أَوْ ثُلُثَهُ**»(٢).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا حُييّ بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمٰن الحُبُلي، عن عبد الله بن عمرو: أن أبا أيوب الأنصاري كان في مجلس وهو يقول: ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلث القرآن كل ليلة؟ فقالوا: وهل يستطيع ذلك أحد؟ قال: فإن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ثلث القرآن. قال: فجاء النبي ﷺ وهو يسمع أبا أيوب، فقال: «**صَدَقَ أَبُو أَيُّوبَ**»(٣).

حديث آخر: قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا محمد بن بشار،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ الإخلاص برقم (٥٠١٥).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ برقم (٥٠١٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ برقم (٨١٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٧٣).

حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا يزيد بن كيسَان، أخبرني أبو حَازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**احشُدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن**». فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، ثم دخل فقال بعضنا لبعض: قال رسول الله ﷺ: «**فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن**». إني لأرى هذا خبرًا جاء من السماء، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: «**إِنِّي قُلْتُ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ أَلَا وَإِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[(١)].

وهكذا رواه مسلم في صحيحه، عن محمد بن بشار، به وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، واسم أبي حازم سلمان.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، عن زائدة بن قُدَامة، عن منصور، عن هلال بن يَساف، عن الربيع بن خُثَيم عن عمرو بن ميمون، عن عبد الرحمٰن ابن أبي ليلى، عن امرأة من الأنصار، عن أبي أيوب، عن النبي ﷺ قال: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ**»؟ فإنه من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **فِي لَيْلَةٍ فَقَدْ قَرَأَ لَيْلَتَئِذٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**».

هذا حديث تُسَاعيّ الإسناد للإمام أحمد. ورواه الترمذي والنسائي، كلاهما عن محمد بن بشار بندار ـ زاد الترمذي وقتيبة ـ كلاهما عن عبد الرحمٰن بن مهدي، به[(٢)]. فصار لهما عُشَاريًا. وفي رواية الترمذي: «**عن امرأة أبي أيوب، عن أبي أيوب**»، به [وحسنه]. ثم قال: وفي الباب

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الإخلاص برقم (٢٩٠٠).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الإخلاص برقم (٢٨٩٦)، والإمام أحمد (٤١٨/٥).

عن أبي الدرداء، وأبي سعيد، وقتادة بن النعمان، وأبي هريرة، وأنس، وابن عمر، وأبي مسعود. وهذا حديث حسن، ولا نعلم أحدًا رَوَى هذا الحديث أحسن من رواية «**زائدة**». وتابعه على روايته إسرائيل، والفضيل بن عياض. وقد رَوَى شُعبةُ وغيرُ واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور واضطربوا فيه.

حديث آخر: قال أحمد: حدثنا هُشَيْم، عن حُصَين، عن هلال بن يَسَاف، عن عبد الرحمٰن ابن أبي ليلى، عن أبيّ بن كعب ـ أو: رجل من الأنصار ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ**»(١).

ورواه النسائي في اليوم والليلة، من حديث هُشَيم، عن حُصَين، عن ابن أبي ليلى، به. ولم يقع في روايته: هلال بن يساف.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا وَكيع، عن سفيان، عن أبي قيس عن عمرو بن ميمون، عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **تعدل ثُلُثَ الْقُرْآنِ**».

وهكذا رواه ابن ماجه، عن علي بن محمد الطَّنافسي، عن وَكيع، به. ورواه النسائي في «اليوم والليلة» من طرق أخر، عن عمرو بن ميمون، مرفوعًا وموقوفًا.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا بَهْز، حدثنا بُكَير بن أبي السَّميط، حدثنا قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن مَعْدَان بن أبي طلحة، عن أبي الدّرداء، أن رسول الله ﷺ قال: «**أيعجزُ أحدُكم أن يَقرأ كلّ يوم ثلث القرآن؟**». قالوا: نعم يا رسول الله، نحن أضعفُ من ذلك وأعجز. قال: «**فإن الله جَزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**».

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٤١)

ورواه مسلم والنسائي، من حديث قتادة، به.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا أمية بن خالد، حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم ـ ابن أخي ابن شهاب ـ عن عمه الزهري، عن حُمَيد بن عبد الرحمٰن ـ هو ابن عوف ـ عن أمه ـ وهي: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيط ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **تعدل ثُلُثَ الْقُرْآنِ**».

وكذا رواه النسائي في «اليوم والليلة»، عن عمرو بن علي، عن أمية بن خالد، به. ثم رواه من طريق مالك، عن الزهري، عن حُمَيد بن عبد الرحمٰن، قوله. ورواه النسائي أيضًا في «اليوم والليلة» من حديث محمد بن إسحاق، عن الحارث بن الفُضَيل الأنصاري، عن الزهري، عن حُمَيد بن عبد الرحمٰن: أن نَفَرًا من أصحاب محمد ﷺ حَدثوه عن النبي ﷺ أنه قال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **تعدلُ ثُلُثَ القرآن لمن صلَّى بها**».

حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة: قال الإمام مالك بن أنس، عن عبيد الله بن عبد الرحمٰن، عن عُبيد بن حُنَين قال: سمعت أبا هريرة يقول: أقبلت مع النبي ﷺ، فسمع رجلًا يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فقال رسول الله ﷺ: «**وَجَبَتْ**». قُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ، قَالَ: «**الْجَنَّةُ**». ورواه الترمذي والنسائي، من حديث مالك. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث مالك[1].

وتقدم حديث: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ**».

حديث في تكرار قراءتها: قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا قَطن بن نُسير، حدثنا عيسى ابن ميمون القرشي، حدثنا يزيد الرقاشي،

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الإخلاص برقم (٢٨٩٧)

عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أما يستطيع أحدكم أن يقرأ:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **ثلاث مرات في ليلة فإنها تعدلُ ثلث القرآن؟**»

هذا إسناد ضعيف، وأجود منه حديث آخر، قال عبد الله ابن الإمام أحمد:

حدثنا محمد بن أبي بكر المُقَدمي، حدثنا الضحاك بن مخلد، حدثنا ابن أبي ذئب، عن أسيدُ ابن أبي أسيد، عن معاذ بن عبد الله بن خُبيب، عن أبيه قال: أصابنا طَش وظلمة، فانتظرنا رسول الله ﷺ يصلي بنا، فخرج فأخذ بيدي، فقال: «**قل**». فسكت. قال: «**قل**». قلت: ما أقول؟ قال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثًا، تكفك كل يوم مرتين**».

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي، من حديث ابن أبي ذئب، به. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقد رواه النسائي من طريق أخرى، عن معاذ بن عبد الله بن خبيب، عن أبيه، عن عقبة بن عامر، فذكره [ولفظه: «**يكفك كل شيء**»].

حديث آخر في ذلك: قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا ليث بن سعد، حدثني الخليل بن مرة، عن الأزهر بن عبد الله، عن تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله واحدًا أحدًا صمدًا، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، ولم يكن له كفوًا أحدًا، عشر مرات، كُتِب له أربعون ألف ألف حسنة**».

تفرد به أحمد والخليل بن مُرّة: ضعفه البخاري وغيره بمُرّة.

حديث آخر: قال أحمد أيضًا: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لَهِيعَة، حدثنا زَبَّان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **حتى**

يختمها، عشر مرات، بنى الله له قصرًا في الجنة». فقال عمر: إذن نستكثر يا رسول الله. فقال ﷺ: «الله أكثر وأطيب». تفرد به أحمد.

ورواه أبو محمد الدارمي في مسنده فقال: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا حيوة، حدثنا أبو عقيل زهرة بن معبد ـ قال الدارمي: وكان من الأبدال ـ أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: إن نبي الله ﷺ قال: «**من قرأ** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **عشر مرات، بنى الله له قصرًا في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور في الجنة**». فقال عمر بن الخطاب: إذا لتكثر قصورنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**الله أوسع من ذلك**». وهذا مرسل جيد.

حديث آخر: قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا نصر بن علي، حدثني نوح بن قيس، أخبرني محمد العطار، أخبرتني أم كثير الأنصارية، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **خمسين مرة غُفرت له ذنوب خمسين سنة**» إسناده ضعيف.

حديث آخر: قال أبو يعلى: حدثنا أبو الربيع، حدثنا حاتم بن ميمون، حدثنا ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ في يوم:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **مائتي مرة، كتب الله له ألفًا وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دَين**». إسناده ضعيف، حاتم بن ميمون: ضعفه البخاري وغيره. ورواه الترمذي، عن محمد بن مرزوق البصري، عن حاتم بن ميمون، به. ولفظه: «**من قرأ كل يوم، مائتي مرة:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **محي عنه ذنوب خمسين سنة، إلا أن يكون عليه دَين**».

قال الترمذي: وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «**من أراد أن ينام على فراشه، فنام على يمينه، ثم قرأ:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **مائة مرة، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب ﷻ: يا عبدي، ادخُل على يمينك الجنة**». ثم قال: غريب من حديث ثابت، وقد رُوي من غير هذا الوجه، عنه.

وقال أبو بكر البزار: حدثنا سهل بن بحر، حدثنا حَبّان بن أغلب، حدثنا أبي، حدثنا ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ مائتي مرة، حطَّ الله عنه ذنوب مائتي سنة»**. ثم قال: لا نعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبي جعفر، والأغلب بن تميم، وهما متقاربان في سوء الحفظ.

حديث آخر في الدعاء بما تضمنته من الأسماء: قال النسائي عند تفسيرها: حدثنا عبد الرحمٰن بن خالد، حدثنا زيد بن الحباب، حدثني مالك بن مِغْول، حدثنا عبد الله بن بُرَيدة، عن أبيه: أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي، يدعو يقول: اللَّهم، إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. قال: **«والذي نفسي بيده، لقد سأله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب»**.

وقد أخرجه بَقِيَّة أصحاب السنن من طُرُق، عن مالك بن مِغْول، عن عبد الله بن بُرَيدة، عن أبيه، به. وقال الترمذي: حسن غريب.

حديث آخر في قراءتها عشر مرات بعد المكتوبة: قال الحافظ أبو يعلى [الموصلي]: حدثنا عبد الأعلى، حدثنا بشر بن منصور، عن عمر بن نبهان عن أبي شداد، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث من جاء بِهِنّ مع الإيمان دَخَل من أيّ أبواب الجنة شاء، وزُوّج من الحور العين حيث شاء: من عفا عن قاتله، وأدى دَينًا خفيًّا، وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾»**. قال: فقال أبو بكر: أو إحداهن يا رسول الله؟ قال: **«أو إحداهن»**

حديث في قراءتها عند دخول المنزل: قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر السراج العسكري، حدثنا محمد بن الفرج، حدثنا محمد بن الزبرقان، عن مروان بن سالم، عن أبي زُرْعَة بن عمرو بن جرير، عن جرير بن عبد الله قال: قال

رسول الله ﷺ: «**من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ حين يدخل منزله، نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران**». إسناده ضعيف.

حديث في الإكثار من قراءتها في سائر الأحوال: قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي، حدثنا يزيد بن هارون، عن العلاء بن محمد الثقفي قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله، فأتى جبريل النبي ﷺ فقال: «**يا جبريل، ما لي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت بمثله فيما مضى؟**». قال: إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي، مات بالمدينة اليوم، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه. قال: «**وفيم ذلك؟**» قال: كان يكثر قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ في الليل وفي النهار، وفي ممشاه وقيامه وقعوده، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه؟ قال: «**نعم**». فصلى عليه.

وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب «دلائل النبوة» من طريق يزيد بن هارون، عن العلاء أبي محمد ـ وهو متهم بالوضع ـ فالله أعلم.

طريق أخرى: قال أبو يعلى: حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي أبو عبد الله، حدثنا عثمان بن الهيثم ـ مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي ـ عن محمود أبي عبد الله عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس قال: نزل جبريل على النبي ﷺ فقال: مات معاوية بن معاوية الليثي، فتحب أن تصلي عليه؟ قال: «**نعم**». فضرب بجناحه الأرض، فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت، فرفع سريره فنظر إليه، فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة، في كل صف سبعون ألف ملك، فقال النبي ﷺ: «**يا جبريل، بم نال هذه المنزلة من الله تعالى؟**». قال بحبه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وقراءته إياها ذاهبًا وجائيًا قائمًا وقاعدًا، وعلى كل حال.

ورواه البيهقي، من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن، عن محبوب بن هلال، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس، فذكره. وهذا هو الصواب، ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي: ليس بالمشهور. وقد روي هذا من طرق أخر، تركناها اختصارًا، وكلها ضعيفة.

حديث آخر في فضلها مع المعوذتين: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا معاذ بن رفاعة، حدثني علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله ﷺ، فابتدأته فأخذتُ بيده، فقلت: يا رسول الله، بم نجاة المؤمن؟ قال: «**يا عقبة، احْرُسْ لسانك، وليسعك بيتُك، وابْكِ على خطيئتك**». قال: ثم لقيني رسول الله ﷺ، فابتدأني فأخذ بيدي، فقال: «**يا عقبة بن عامر، ألا أعلمك خير ثلاث سُوَر أنزلت في التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن العظيم؟**». قال: قلت: بلى، جعلني الله فداك. قال: فأقرأني: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، ثم قال: «**يا عقبة، لا تَنْسَهُن ولا تُبتْ ليلة حتى تقرأهن**». قال: فما نسيتهن منذ قال: «**لا تنسهن**»، وما بت ليلة قط حتى أقرأهن. قال عقبة: ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال. فقال: «**يا عقبة، صِلْ مَن قطعك، وأعْطِ من حَرَمَك، وأعرض عمن ظلمك**».

روى الترمذي بعضه في «الزهد»، من حديث عُبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد وقال: هذا حديث حسن. وقد رواه أحمد من طريق آخر:

حدثنا حسين بن محمد، حدثنا ابن عياش، عن أسيد بن عبد الرحمٰن الخَثْعَمي، عن فرْوَة بن مجاهد اللخمي، عن عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ، فذكر مثله سواء. تفرد به أحمد.

حديث آخر في الاستشفاء بهن: قال البخاري: حدثنا قتيبة، حدثنا المفضل، عن عُقَيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كُل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

وهكذا رواه أهل السنن، من حديث عُقَيل، به.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤][(١)].

قد تقدم ذكر سبب نزولها. وقال عكرمة: لما قالت اليهود: نحن نعبد عُزيرَ ابن الله. وقالت النصارى: نحن نعبد المسيح ابن الله. وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر. وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان - أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ يعني: هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير، ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يُطلَق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله ﷻ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ قال عكرمة، عن ابن عباس: يعني الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير.

في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفء، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار.

وقال الأعمش، عن شقيق عن أبي وائل: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ السيد الذي قد انتهى سؤدده، ورواه عاصم، بن أبي وائل، عن ابن مسعود، مثله.

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ السيد. وقال الحسن، وقتادة: هو الباقي بعد خلقه. وقال الحسن أيضًا: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الحي القيوم الذي لا زوال له. وقال عكرمة: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم.

وقال الربيع بن أنس: هو الذي لم يلد ولم يولد. كأنه جعل ما بعده تفسيرًا له، وهو قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ وهو تفسير جيد. وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير، عن أبي بن كعب في ذلك، وهو صريح فيه.

وقال ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وعبد الله بن بُريدة، وعكرمة أيضًا، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وعطية العوفي، والضحاك، والسدي: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لا جوف له.

قال سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ المصمت الذي لا جوف له.

وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب.

وقال عبد الله بن بُرَيدة أيضًا: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ نور يتلألأ.

روى ذلك كلَّه وحكاه: ابن أبي حاتم، والبيهقي والطبراني، وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده، وقال:

حدثني العباس بن أبي طالب، حدثنا محمد بن عمرو بن رومي، عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش، حدثني صالح بن حيان، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال - لا أعلم إلا قد رفعه - قال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لا جوف له.

وهذا غريب جدًّا، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة.

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له، بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا، عز وجل، وهو الذي يُصمَد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك أيضًا وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾؛ أي: ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة.

قال مجاهد: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ يعني: لا صاحبة له.

وهذا كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]؛ أي: هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه، تعالى وتقدس وتنزه. قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٥٨ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾

[الصافات: ١٥٨، ١٥٩]. وفي الصحيح ـ صحيح البخاري: «**لَيْسَ أَحَدٌ أَوْ لَيْسَ شَيءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذىً سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**»(١).

وقال البخاري: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هُرَيرة، عن النبي ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْأً أَحَدٌ**»(٢).

ورواه أيضًا من حديث عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن همام بن مُنَبِّه، عن أبي هريرة، مرفوعًا بمثله. تفرد بهما من هذين الوجهين(٣).

آخر تفسير سورة «الإخلاص» ولله الحمد والمنة.

❐ **بيان فضل سورة الإخلاص:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤](٤).

• س: صحة حديث من قرأ سورة الإخلاص في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره؟

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى برقم (٦٠٩٩)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب لا أحد أصبر على أذى من الله ﷻ برقم (٢٨٠٤).

(٢) سبق تخريجه في (ص١٧).

(٣) المصدر السابق، باب قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ برقم (٤٩٧٥).

(٤) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٨٠).

○ **الجواب**: هذا الحديث لا أصل له، بل هو كذب، لكن على المؤمن أن يجتهد على الإخلاص لله، والاستمرار في العمل الصالح، والتوبة الصادقة حتى يموت، وأمَّا كونه يقرأ سورة الإخلاص في مرضه ليسلم فهذا لا أصل له، لكن الذي عليه أن يلزم الإخلاص قولًا وعملًا، وتكون أعماله لله وحده، من صلاة وصوم وصدقات وغير ذلك، وعليه أيضًا أن يؤدي الفرائض من صلاة وغيرها، ويجتنب ما حرَّم الله، وعليه أن يتوب إلى الله من سالف الذنوب، هكذا المؤمن في مرضه، يجتهد بالتوبة إلى الله، والندم على ما مضى من التقصير، ويحرص على أداء الفرائض، بحسب طاقته وترك المحارم، وأداء الحقوق التي عليه، والوصية بالحقوق التي لا تعرف إلَّا منه، يوصي بها لأهلها من ديون وغيرها، ويجب على المؤمن أن يحتاط، وأن يحذر في مرضه، وفي صحته، يجب أن يؤدي الحقوق، وأن يجتهد في إيصالها إلى أهلها بكل إخلاص، وبكل صدق، وعليه أن يصدق في التوبة والإكثار من العمل الصالح، في مرضه حتى يموت في خير حال، إن شاء الله.

● **س: يقول السائل: سمعت حديثًا أن أحد الصحابة ﷺ كان يقرأ سورة الإخلاص، واقفًا وماشيًا وراكبًا، ولما مات نزل جبريل ومعه عدة ملائكة، فهل هذا الحديث صحيح؟ وقد رواه البيهقي**(١)؟

○ **الجواب**: لا أعرف له أصلًا، لكن سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ سورة عظيمة، قال فيها النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(٢)، فهي سورة عظيمة، وكان الرسول ﷺ يقرأ بها في ركعتي الفجر، في الركعة الثانية من سُنَّة الفجر، وفي الركعة

---

(١) السؤال الثالث والعشرون من الشريط رقم (١٣٤).

(٢) سبق تخريجه في (ص٦١٩).

الثانية من سُنَّة المغرب، وفي الركعة الثانية من سُنَّة الطواف، فهي سورة عظيمة وهي سورة الإخلاص.

● س: ما مدى صحة الحديث الذي يقول فيه الرسول ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ألف مرة، فقد اشترى نفسه من الله» مع بيان هل الألف مرة هذه يوميًّا أو في العمر مرة؟ وهل يلزم البسملة لكل سورة[(١)]؟

○ **الجواب**: لا أعرف لهذا أصلًا، والظاهر: أنه موضوع مكذوب، لا أعلم له أصلًا. وهذه السورة سورة عظيمة تعدل ثلث القرآن، وإذا كرَّرها فطيب، لكن هذا اللفظ والأجر الذي قال: ألف هذا ما نعرف له أصلًا.

● س: يقول السائل: علمت بأن من قرأ سورة الإخلاص عشر مرات، يُبنى له قصر في الجنة، فهل في كل مرة أقرأ فيها الاستعاذة والبسملة، أم مرة واحدة تكفي للعشرة مأجورين[(٢)]؟

○ **الجواب**: لا أعلم لهذا الحديث أصلًا، لكن ثبت عن رسول الله ﷺ أن قراءتها تعدل ثلث القرآن، فمن قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن، وإذا كرَّر ذلك عشرًا أو أكثر فلا بأس بذلك، يكرِّرها ما شاء، والحمدُ لله.

● س: ما صحة هذا الحديث وما معناه، من نام على جنبه الأيمن، وقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مئة مرة جاء يوم القيامة، قيل له: ادخل الجنة عن يمينك، ما صحة هذا الحديث[(٣)]؟

○ **الجواب**: ليس له أصل فيما نعلم، هذا من الأخبار الموضوعة، على النبي ﷺ.

---

(١) السؤال الثاني عشر من الشريط رقم (٤١٣).

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٨٢).

(٣) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٨٣).

● **س: هذا السائل يسأل عن معنى حديث وهل هو صحيح يقول: قال الرسول الكريم ﷺ: «من قرأ كل يوم مئة مرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مُحِيت ذنوبه، أو مُحِي عنه ذنوب خمسين سنة إلَّا أن يكون عليه دَين»، ما صحة هذا الحديث(١)؟**

○ **الجواب:** لا أعلم له أصلًا، لا صحة له، ولا أصل له، لكن سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ سورة عظيمة، أخبر ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن فإذا قرأها الإنسان بعض الأحيان وكرَّرها، فكله طيب.

● **س: هذا السائل من سوريا: ب.ع. يقول في هذا السؤال: أستفسر عن الحديث ما معناه، قال النبي ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ألف مرة، أو إحدى عشر ألف مرة، فقد اشترى نفسه من الله تعالى»، ما صحة هذا الحديث(٢)؟**

○ **الجواب:** لا أعرف له أصلًا، والظاهر: أنه موضوع، لكن هذه السورة عظيمة، تعدل ثلث القرآن، فإذا أكثر من قراءتها فلذلك خير كثير، مع التدبُّر والتعقُّل، أخبر النبي ﷺ أنها «**تعدل ثلث القرآن**»، وهي سورة الإخلاص، فالإكثار من تلاوتها أمر مطلوب، أمَّا هذا الحديث أنها تعدل كذا وكذا، فلا أعرف له أصلًا، المعروف أنه ﷺ أخبر أنها تعدل ثلث القرآن.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ٢].

والعرب تسمّي أشرافها: الصّمد، قال أبو وائلٍ: هو السّيّد الّذي انتهى سؤدده.

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٨٣).

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٨٤).

حدّثنا إسحاق بن منصورٍ، حدّثنا عبد الرّزّاق، أخبرنا معمرٌ، عن همّام، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، أَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي لَنْ أُعِيدَهُ كَمَا بَدَأْتُهُ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ أَلِدْ، وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُؤًا أَحَدٌ** ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾» كُفُؤًا، وَكَفِيئًا، وَكِفَاءً وَاحِدٌ»[1].

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ٢][2].

○ الصمد فُسِّر بمعنيين عند العلماء: **أحدهما:** أنه سبحانه ليس من جنس المخلوقين، المخلوق له جوف يأكل ويشرب، ويطعم، والله لا جوف له، مصمد كما قال تعالى: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾، وفُسِّر الصمد **بمعنى آخر** وهو أنه تصل إليه الخلائق بالحاجات؛ يعني: لترجوه وتسأله، وترفع إليه الحاجات سبحانه كلها، هو الصمد الذي لا جوف له، وهو الصمد الذي تُرفع إليه الحاجات ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾، وقيل: إن الرؤساء المقصودين صمد؛ يعني: يُقْصَدون في طلب الحاجات، والله سبحانه هو الذي يُقْصَد من جميع الخلائق، فطلب الحاجة منه سبحانه كما أنه لا يطعم، ولا يحتاج إلى طعام، ولا إلى شاب، وليس من جنس المخلوقين، الذين يجوعون أو يحتاجون إلى غذاء، بل هو غني عن كل شيء ﴿يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُۗ﴾ [الأنعام: ١٤] سبحانه وتعالى، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٧).

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٨٥).

● **س: ما مدى صحة حديث: سورة الصمد ثلث القرآن[١]؟**

○ **الجواب**: هذا ثابت عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] أنها تعدل ثلث القرآن.



(١) السؤال من الشريط رقم (٤١٨) نور على الدرب.

تفسير سورة الفلق[١]

وقال مجاهدٌ: الفَلَق: الصبحُ، و﴿غَاسِقٍ﴾: اللَّيْلُ، ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [٣]: غروب الشمس، يقال: أبين من فرق وفلق الصبح، ﴿وَقَبَ﴾: إذا دخل في كلّ شيءٍ وأظلم.

حدّثنا قتيبة بن سعيدٍ، حدّثنا سفيان، عن عاصمٍ وعبدة عن زرّ بن حبيشٍ، قال: سألت أبيّ بن كعبٍ، عن المعوّذتين، فقال: سألت النبي ﷺ فقال: **قِيلَ لِي فَقُلْتُ**، فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[٢].

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ١ ـ ٥][٣].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عصام، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا حسن بن صالح، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر قال: الفلق: الصبح.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ الصبح. ورُوي عن

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة الفلق برقم (٤٩٧٦).

(٣) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير.

مجاهد، وسعيد بن جبير، وعبد الله بن محمد بن عقيل، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي، وابن زيد، ومالك عن زيد بن أسلم، مثل هذا.

قال القرظي، وابن زيد، وابن جرير: وهي كقوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ الخلق. وكذا قال الضحاك: أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله.

وقال كعب الأحبار: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ بيت في جهنم، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره، ورواه ابن أبي حاتم، ثم قال:

حدثنا أبي، حدثنا سهيل بن عثمان، عن رجل سمَّاه، عن السدي، عن زيد بن علي، عن آبائه أنهم قالوا: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ جُب في قعر جهنم، عليه غطاء، فإذا كشف عنه خرجت منا نار تصيح منه جهنم، من شدة حر ما يخرج منه.

وكذا رُوي عن عمرو بن عَبَسَةَ والسدي، وغيرهم. وقد ورد في ذلك حديثٌ مرفوع منكر، فقال ابن جرير:

حدثني إسحاق بن وهب الواسطي، حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي، حدثنا نصر بن خزيمة الخراساني، عن شعيب بن صفوان، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هُريرة، عن النبي ﷺ قال: « **﴿ٱلْفَلَقِ﴾ جُبّ في جهنم مغطى**» إسناده غريب ولا يصح رفعه.

وقال أبو عبد الرحمٰن الحبلي: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ من أسماء جهنم.

قال ابن جرير: والصواب القول الأول، أنه فلق الصبح. وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري، رحمه الله، في صحيحه[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا عن مجاهد في كتاب التفسير، سورة الفلق قبل حديث =

وقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴿٢﴾﴾؛ أي: من شر جميع المخلوقات. وقال ثابت البناني، والحسن البصري: جهنم وإبليس وذريته مما خلق.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴿٣﴾﴾ قال مجاهد: غاسقُ الليلُ إذا وقبَ غُروبُ الشمس. حكاه البخاري عنه. ورواه ابن أبي نَجِيح، عنه. وكذا قال ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، وخُصَيف، والحسن، وقتادة: إنه الليل إذا أقبل بظلامه. وقال الزهري: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴿٣﴾﴾ الشمس إذا غربت. وعن عطية وقتادة: إذا وقب الليل: إذا ذهب. وقال أبو المهزم، عن أبي هريرة: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴿٣﴾﴾ كوكب. وقال ابن زيد: كانت العرب تقول: الغاسق سقوط الثريا، وكان الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها.

قال ابن جرير: ولهؤلاء من الأثر ما حدثني: نصر بن علي، حدثني بكار بن عبد الله ـ ابن أخي همام ـ حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمٰن بن عوف، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هُرَيرة، عن النبي ﷺ: «﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴿٣﴾﴾ قال: النجم الغاسق».

قلت: وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ.

قال ابن جرير: وقال آخرون: هو القمر.

قلت: وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد:

حدثنا أبو داود الحَفري، عن ابن أبي ذئب، عن الحارث، عن أبي سلمة قال: قالت عائشة ﵂: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فأراني القمر

= (٤٩٧٦)، ووصله الفريابي بسند صحيح من طريق أبي نجيح عن مجاهد (تغليق التعليق ٤/ ٣٨١)

حين يطلع، وقال: **«تَعَوَّذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الْغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ»**[(١)].

ورواه الترمذي والنسائي، في كتابي التفسير من سننيهما، من حديث محمد بن عبد الرحمٰن ابن أبي ذئب، عن خاله الحارث بن عبد الرحمٰن، به. وقال الترمذي: حسن صحيح. ولفظه: **«تعوذي بالله من شر هذا، فإن هذا الغاسق إذا وقب»**. ولفظ النسائي: **«تعوَّذي بالله من شر هذا، هذا الغاسق إذا وقب»**.

قال أصحاب القول الأول وهو أنه الليل إذا ولج هذا لا ينافي قولنا؛ لأن القمر آيةُ الليل، ولا يوجد له سلطان إلا فيه، وكذلك النجوم لا تضيء، إلا في الليل، فهو يرجع إلى ما قلناه، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴿٤﴾﴾ قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة والضحاك: يعني: السواحر، قال مجاهد: إذا رقين ونفثن في العقد.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن مَعْمَر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: ما من شيء أقرب من الشرك من رقية الحية والمجانين.

وفي الحديث الآخر: أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: اشتكيت يا محمد؟ فَقَالَ: **«نَعَمْ»** قَالَ: **«بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ»**[(٢)]. ولعل هذا كان من شكواه ﵇، حين سُحر، ثم عافاه الله تعالى وشفاه، ورد كيد السحرَة الحسَّاد من اليهود في رءوسهم، وجعل تدميرهم في تدبيرهم،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٦١) والترمذي في التفسير، ومن سورة المعوذتين برقم (٣٣٦٦)

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطب، باب الطب والمرضى والرقى (٢١٨٦)

وفضحهم، ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله ﷺ يومًا من الدهر، بل كفى الله وشفى وعافى.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن يزيد بن حَيَّان، عن زيد بن أرقم قال: سحر النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود، فاشتكى لذلك أيامًا، قال: فجاءه جبريل فقال: إن رجلًا من اليهود سحرك، عقد لك عُقَدًا في بئر كذا وكذا، فَأَرْسِل إليها من يجيء بها. فبعث رسول الله ﷺ عليًّا، رضي الله تعالى عنه فاستخرجها، فجاء بها فحللها قال: فقام رسول الله ﷺ كأنما نَشط من عقال، فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه قط حتى مات(١).

ورواه النسائي عن هَنَّاد، عن أبي معاوية محمد بن حَازم الضرير(٢).

وقال البخاري في «كتاب الطب» من صحيحه: حدثنا عبد الله بن محمد قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: أول من حدثنا به ابنُ جُرَيْج، يقول: حدثني آل عُرْوَة، عن عروة، فسألت هشامًا عنه، فحدثَنا عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ سُحر، حتى كان يُرَى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ـ قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا ـ فقال: «**يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيتُه فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طَبَّه؟ قال: لَبيد بن أعصم ـ رجل من بني زُرَيق حَليف ليهُودَ، كان منافقًا ـ وقال: وفيم؟ قال: في مُشط ومُشاقة. قال: وأين؟ قال: في جُف طَلْعَة ذكر تحت رعوفة**

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٦٧)

(٢) أخرجه النسائي عن هناد به (السنن، تحريم الدم، باب سحرة أهل الكتاب ٧/ ١١٢) انظر: (صحيح سنن النسائي ح٣٨٠٢)

في بئر ذَرْوَان». قالت: فأتى [النبي ﷺ البئر حتى استخرجه فقال: **«هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نُقَاعة الحنَّاء، وكأن نخلها رءوس الشياطين»**. قال: فاستخرج. قالت. فقلت: أفلا؟ أي: تَنَشَّرْتَ؟ فقال: **«أَمَا وَاللَّهِ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا»**(١).

وأسنده من حديث عيسى بن يونس، وأبي ضَمْرة أنس بن عياض، وأبي أسامة، ويحيى القطان وفيه: «قالت: حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ صَنَعَ شَيْئًا وَلَمْ يَصْنَعْهُ». وعنده: **«فأمر بالبئر فدفنت»**. وذكر أنه رواه عن هشام أيضًا ابن أبي الزِّناد والليث بن سعد(٢).

وقد رواه مسلم، من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن نمير(٣). ورواه أحمد، عن عفان، عن وُهَيب عن هشام، به(٤).

ورواه الإمام أحمد أيضًا عن إبراهيم بن خالد، عن رباح، عن مَعْمَر، عن هشَام، عن أبيه، عن عائشة قَالَتْ لَبِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي وَلَا يَأْتِي فَأَتَاهُ مَلَكَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ: مَا بَالُهُ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، وذكر تمام الحديث(٥).

وقال الأستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره: قال ابن عباس وعائشة، رضي الله عنهما: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدبَّت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مُشَاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر برقم (٥٧٦٥).
(٢) المصدر السابق (ح٥٧٦٦ و٥٨٦٣ و٦٣٩١).
(٣) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب السحر برقم (٢١٨٩).
(٤) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٩٦).
(٥) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٦٣).

مُشطه، فأعطاها اليهود، فسحروه فيها. وكان الذي تولى ذلك رجل منهم ـ يقال له: لبيد بن أعصم ـ ثم دسها في بئر لبني زُرَيق، ويقال لها: ذَرْوان، فمرض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه، ولبث ستة أشهر يُرَى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يَذُوب ولا يدري ما عراه. فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فَقَعَد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طُبَّ. قال: وما طُبٌّ؟ قال: سُحر. قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي. قال: وبم طَبَّه؟ قال: بمشط ومشاطة. قال: وأين هو؟ قال: في جُفِّ طلعة تحت راعوفة في بئر ذَرْوَان ـ والجف: قشر الطلع، والراعوفة: حجر في أسفل البئر ناتئ يقوم عليه الماتح ـ فانتبه رسول الله ﷺ مذعورًا، وقال: «**يا عائشة، أما شعرت أن الله أخبرني بدائي؟**». ثم بعث رسول الله ﷺ عليًّا والزبير وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء البئر كأنه نُقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الجف، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه، وإذا فيه وتر معقود، فيه اثنتا عشرة عقدة مغروزة بالإبر. فأنزل الله تعالى السورتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله ﷺ خفة حين انحلت العقدة الأخيرة، فقام كأنما نَشَطَ من عقال، وجعل جبريل عليه السلام، يقول: باسم الله أرْقِيك، من كل شيء يؤذيك، من حاسد وعين الله يشفيك. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نأخذ الخبيث نقتله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن يثير على الناس شرًّا**».

هكذا أورده بلا إسناد، وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم، والله أعلم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ [الفلق: ٣][(١)].

فُسِّر بالقمر وفُسِّر بالليل، الغاسق الليل إذا أقبل ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، الفلق: الصبح ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ [الفلق: ٢، ٣]؛ أي: إقبال الليل، هذا هو المشهور، وفُسِّر بالقمر، والأقرب والأظهر ـ والله أعلم ـ أنه: إقبال الليل.

□ □ □

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٤٨٦).

تفسير سورة الناس(١)

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ [٤]: إذا ولد خنسه الشّيطان، فإذا ذكر الله عز وجل ذهب، وإذا لم يذكر الله ثبت على قلبه.

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا سفيان، حدّثنا عبدة بن أبي لبابة، عن زرّ بن حبيشٍ (ح)، وحدّثنا عاصمٌ عن زرٍّ، قال: سألت أبيّ بن كعبٍ قلت: أبا المنذر، إنّ أخاك ابن مسعودٍ يقول كذا، وكذا، فقال أبيٌّ: «سألت رسول الله ﷺ فقال لي: **قِيلَ لِي فَقُلْتُ**، قال: فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ».

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ١ ـ ٦](٢).

هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل؛ الربوبية، والملك، والإلهية: فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة عبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوَّذ بالمتصف بهذه الصفات، من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير.

من بني آدم إلا وله قرين يُزَين له الفواحش، ولا يألوه جهدًا في الخبال. والمعصوم من عَصَم الله، وقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ قَالَ: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ»**. قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»**(١). وثبت في الصحيح، عن أنس في قصة زيارة صفية النبي ﷺ وهو معتكف، وخروجه معها ليلًا ليردها إلى منزلها، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا، فقال رسول الله: **«عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»**، قَالَا: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ. وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا. قَالَ: **«إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا»**(٢).

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا محمد بن بحر، حدثنا عدي بن أبي عمَارة، حدثنا زيادًا النّميري، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ فَذَلِكَ الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ»**(٣) غريب.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عاصم، سمعت أبا تميمة يُحدث عن رَديف رسول الله ﷺ قال: عَثَر بالنبي ﷺ حمارهُ، فقلت: تَعِس الشيطان. فقال النبي ﷺ: **«لَا تَقُلْ تَعِسَ**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه في كتاب صفات المنافقين، باب تحرش الشيطان برقم (٢٨١٤).

(٢) سبق تخريجه (٢/ ٥٧٤).

(٣) أخرجه أبو يعلى (٧/ ٢٧٨) برقم (٤٣٠١) قال الهيثمي: رواه أبو يعلى وفيه عدي بن أبي عمارة وهو ضعيف.

الشَّيْطَانُ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ وَيَقُولَ بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ بِسْمِ اللهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»[١].

تفرد به أحمد، إسناده جيد قوي، وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغُلِب، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا الضحاك بن عثمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الْمَسْجِدِ جَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَأَبَسَ بِهِ كَمَا يَبِسُ الرَّجُلُ بِدَابَّتِهِ فَإِذَا سَكَنَ لَهُ زَنَقَهُ أَوْ أَلْجَمَهُ»**. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَنْتُمْ تَرَوْنَ ذَلِكَ أَمَّا الْمَزْنُوقُ فَتَرَاهُ مَائِلًا كَذَا لَا يَذْكُرُ اللهَ، وَأَمَّا الْمَلْجُومُ فَفَاتِحٌ فَاهُ لَا يَذْكُرُ اللهَ ﷻ»[٢]. تفرد به أحمد.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خَنَس[٣]، وكذا قال مجاهد، وقتادة.

وقال المعتمر بن سليمان، عن أبيه: ذُكِرَ لي أن الشيطان، أو: الوسواس ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح، فإذا ذكر الله خنس.

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ قال: هو الشيطان يأمر، فإذا أطيع خنس.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ هل يختص هذا

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٩٨٢)، والإمام أحمد (٥/ ٥٩).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٣٠).
(٣) أخرجه الحاكم (المستدرك ٢/ ٥٤١) وصححه ووافقه الذهبي.

بني آدم ـ كما هو الظاهر ـ أو يعم بني آدم والجن؟ فيه قولان، ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليبًا.

وقال ابن جرير: وقد استعمل فيهم (رجَالٌ منَ الجنّ) فلا بدع في إطلاق الناس عليهم.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ هل هو تفصيل لقوله: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ ثم بيَّنهم فقال: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ وهذا يقوي القول الثاني. وقيل قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ تفسير للذي يُوسوس في صدور الناس، من شياطين الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وكما قال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا المسعودي، حدثنا أبو عُمَر الدمشقي، حدثنا عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد، فجلست، فقال: «**يا أبا ذر، هل صليت؟**». قلت: لا. قال: «**قم فصل**». قال: فقمت فصليت، ثم جلست فقال: «**يا أبا ذر، تعوَّذ بالله من شر شياطين الإنس والجن**».

قال: قلت: يا رسول الله، وللإنس شياطين؟ قال: «**نعم**». قال: قلت: يا رسول الله، الصلاة؟ قال: «**خير موضوع، من شاء أقل، ومن شاء أكثر**». قلت: يا رسول الله فما الصوم؟ قال: «**فرض يجزئ، وعند الله مزيد**». قلت: يا رسول الله، فالصدقة؟ قال: «**أضعاف مضاعفة**». قلت: يا رسول الله، أيها أفضل؟ قال: «**جُهد من مُقل، أو سر إلى فقير**». قلت: يا رسول الله، أي الأنبياء كان أول؟ قال: «**آدم**». قلت: يا رسول الله، ونبي كان؟ قال: «**نعم، نبي مُكَلَّم**». قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «**ثلثمائة وبضعة عشر، جَمًّا غَفيرًا**». وقال مرة: «**خمسة عشر**». قلت: يا رسول الله، أيما أنزل عليك أعظم؟

قال: آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥][١].

ورواه النسائي، من حديث أبي عمر الدمشقي، به[٢]. وقد أخرج هذا الحديث مطولًا جدًّا أبو حاتم بن حبان في صحيحه، بطريق آخر، ولفظ آخر مطول جدًّا[٣]، فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، عن سفيان، عن منصور، عن ذر بن عبد الله الهَمْداني، عن عبد الله بن شداد، عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أحدِّث نفسي بالشيء لأن أخرَّ من السماء أحب إليَّ من أن أتكلم به. قال: فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة**»[٤].

ورواه أبو داود والنسائي، من حديث منصور ـ زاد النسائي: والأعمش ـ كلاهما عن ذر، به[٥].

آخر التفسير، ولله الحمدُ والمنَّة، والحمدُ لله ربِّ العالمين. وصلَّى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين. ورضي الله عن الصحابة. حسبنا الله ونعم الوكيل.



(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٧٨ و٢٦٥).
(٢) أخرجه النسائي مقتصرًا على بدايته في ذكر الاستعاذة في كتاب الاستعاذة (٨/ ٣١٦) وسنده ضعيف كسابقه.
(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٦) برقم (٢٦١٠).
(٤) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٠).
(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في رد الوسوسة برقم (٥١١٢)، والسنن الكبرى للنسائي، عمل اليوم والليلة برقم (١٠٥٠).

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
ـ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ لَا يُغَيِّرُونَهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ	٤٨٩
ـ أنا أول من تنشق عنه الأرض	٥٣
ـ أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي	٧٩
ـ انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ	١٢٤
ـ انْشَقَّ الْقَمَرُ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ	١٢٤
ـ انْكِحِي	٢٩٨
ـ إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ	٦٠
ـ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ	٤٩
ـ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ	٨٠، ٢٥٥
ـ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ	٢٢١
ـ إِنَّمَا هُوَ شَرْطٌ شَرَطَهُ اللهُ لِلنِّسَاءِ	٢٢١
ـ أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ	٩٤
ـ إنَّه يخرج من ضِئْضِئ هذا	٢٦٧
ـ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ وَالْمُرْسَلَاتِ	٨٤
ـ أنه طرأ على حزبي من	٨
ـ أنه كان يقرأ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾	١٣٠
ـ أن النبي ﷺ كان في سفر	٥١٨
ـ أن نبينه على لسانك	٣٧٧
ـ أهل النار كل	٣٣٤
ـ إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ	٢١٣
ـ إني أوتيت القرآن ومثله معه	١٨٠
ـ أوصي الخليفة	١٨٤
ـ أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ وَالنَّجْم	١١٧
ـ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ	٥٢٦
ـ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ	٤٧٤
ـ أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ مِنْهُمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ	٣٥٦

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة
- واعلموا أنه لن يرى أحدكم منكم ربه	٩٠
- وأنتم تسألون عني	١٧٨
- وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ	٣٨٧
- وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ	٦٣٢
- والذي يقرأ القرآن ويتتعتع	٤٣١
- وحدِّثوا عن بني إسرائيل	١٢
- وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ	٣٩٤
- وكان تنورنا وتنور	١٠
- وسمعت النبي ﷺ يقرؤها	١٢٩
- وإني والله إن شاء الله لا	٣١١
- وَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ	٥٢٤
- والله لا أشربه ما دام	٣٠٣
- وليستعذ من الشيطان	٩٧
- ولينفث عن يساره	١٠٠
- وَإِنْ تأمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ	١٨٢
- وَأَنَا سَمِعْتُهَا مِنْ فِي النَّبِيِّ ﷺ	٤٩١
- وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَام	٣١٢
- وُقِيتْ شَرَّكُمْ كَمَا وُقِيتُمْ شَرَّهَا	٤٠٣
- وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ	٥٢٩
- وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا	١١٥
- وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ	٣٣٤
- يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ حَدِّثِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ	٣٩٦
- يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنِ الْمَرْأَتَانِ اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ	٣١٦
- يَا صَبَاحَاهْ	٦١٠
- يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ	٣٧٤
- يا عبد الله بن عمرو عليك	١٦٨

الحديث	الصفحة

فهرس أهم المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.
١ ـ **الإبانة**: لابن بطة ط٢ ١٩٩٤م.
٢ ـ **اخلاق العلماء**: للآجري.
٣ ـ **الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز**: للشيخ عبد الرحمٰن بن يوسف الرحمة، طبعة ابن الجوزي بالرياض الطبعة الأولى، عام ١٤٢٨هـ.
٤ ـ **البداية والنهاية**: لابن كثير
٥ ـ **بلوغ المرام**: للحافظ ابن حجر العسقلاني شرح سماحته الشيخ ابن باز اعتناء فضيلة الشيخ عبد العزيز القاسم دار الدرر للنشر والتوزيع الرياض ط١ ١٤٤٦هـ.
٦ ـ **تاريخ دمشق** لابن ساكر.
٧ ـ **ترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز**: من إعداد واعتناء الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، ومحمد بن زياد التكلة، طبعة دار أصالة الحاضر بالرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
٨ ـ تعليقات سماحة الشيخ على مقدمة تفسير الحافظ وتفسير سورة الفاتحة دار الوطن للنشر ط١ الرياض ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م.
٩ ـ **تفسير القرآن العظيم**: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المكي، تحقيق سامي بن محمد السلامة، طبعة دار طيبة بالرياض، الإصدار الثاني، الطبعة (٣) عام ١٤٢٦هـ.
١٠ ـ **تفسير القرآن العظيم**: للحافظ ابن كثير تحقيق حكمت بشير ياسين ط. ابن الجوزي عام ١٤١٨هـ.

١١ ـ **تيسير العزيز الحميد**: في شرح كتاب التوحيد المؤلف سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب مكتبة الرياض الحدثية ج١.

١٢ ـ **تقريب التهذيب**: للحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بتحقيق محمد عوَّامة، طبعة دار الرشيد بسوريا، الطبعة الرابعة عام ١٤١٨هـ.

١٣ ـ **تلخيص الخبير**: للحافظ ابن حجر.

١٤ ـ **الجامع الأحكام والقرآن**: للطبري.

١٥ ـ **جامع البيان في تأويل آي القرآن**: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ.

١٦ ـ **الجرح والتعديل**: لابن أبي حاتم.

١٧ ـ **جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز**: راوية الشيخ محمد الموسى، إعداد: محمد بن إبراهيم الحمد، طبعة مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية، ط٢ عام ١٤٣٦هـ ٢٠١م.

١٨ ـ **حديث الصباح**: لسماحة الشيخ ابن باز.

١٩ ـ **حديث المساء**: لسماحة الشيخ ابن باز ط٣ ١٤٣٦هـ ط دار قرطبة بيروت.

٢٠ ـ **دروس وفتاوى في المسجد الحرام**: لسماحة الشيخ ابن باز ط دار قرطبة بيروت ط١ ١٤٣٧هـ.

٢١ ـ **رياض الصالحين**: للنووي شرح سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ط مؤسسة العنود.

٢٢ ـ **سنن ابن ماجه**: تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ط بيت الأفكار الدولية بيروت.

٢٣ ـ **سنن أبي داود**: تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، طبعة مكتبة المعارف للنشر، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.

٢٤ ـ **سنن البيهقي**: مكتبة الرشد ط١ ١٤٢٥ ـ ٢٠٠٤م.

٢٥ ـ **سنن الترمذي**: تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ط١.

٢٦ ـ **سنن الدارقطني**: مؤسسة الرسالة ط١ ١٤٢٤هـ.

٢٧ ـ **سنن الدارمي**: دار المعرفة بيروت.

٢٨ ـ **سنن النسائي**: تصنيف أبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض ط١.

٢٩ ـ **السنن الكبرى**: لأبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي تحقيق: الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، وسيِّد كسروي حسن، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٣٠ ـ **السنن الكبرى**: للنسائي.

٣١ ـ **السنن لابن أبي شيبة**.

٣٢ ـ **سير إعلام النبلاء**: مؤسسة الرسالة.

٣٣ ـ **شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة**: للإمام اللالكائي

٣٤ ـ **شعب الإيمان**: دار الكتب العلمية بيروت ط١ ٢٠٠٠م.

٣٥ ـ **صحيح ابن حبان**: بيت الأفكار.

٣٦ ـ **صحيح ابن حبان**: دار ابن حزم محقق ١٤٤١هـ وزارة الأوقاف قطر.

٣٧ ـ **صحيح البخاري**: بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتنفيذ فريق بيت الأفكار بإشراف واعتناء أبو صهيب الكرمي، طبعة بيت الأفكار الدولية ١٤١٩هـ.

٣٨ ـ **صحيح مسلم بن الحجاج**: بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتنفيذ فريق بيت الأفكار ا، بإشراف واعتناء أبو صهيب الكرمي، طبعة بيت الأفكار الدولية الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.

٣٩ ـ **فتاوى نور على الدرب**: لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، جمع وترتيب، د. محمد بن سعد الشويعر، طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٢٨هـ الموافق ٢٠٠٧م.

٤٠ ـ **فتح الباري**: شرح صحيح البخاري للحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة السلفية.

٤١ ـ **القاموس المحيط**: للفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب إعداد وتقديم محمد عبد الرحمٰن المرعشلي طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان الطبعة الثانية عام ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٤٢ ـ **القواعد العلمية من الدروس البازية**: اعتناء عبد السلام السليمان ط دار الرسالة العالمية ط١ ج٤ ١٤٣٠هـ دمشق.

٤٣ ـ **لسان العرب**: لابن منظور الإفريقي طبعة مؤسسة الأعلى للمطبوعات بمصر الطبعة الأولى عام ١٤٢٦هـ.

٤٤ ـ **مجموع أشرطة صوتية** لسماحة الشيخ ابن باز.

٤٥ ـ **مجموع تفسير آيات من القرآن الكريم**: لسماحة الشيخ ابن باز جمع يزيد آل درعان ط١ ١٤٣٤هـ دار القيس الرياض.

٤٦ ـ **مجمع الزائد ومنع الفوائد**: للهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا طبعة دار الكتب العلمية بيرون ـ لبنان الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٤٧ ـ **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**: لسماحته، جمع وترتيب وإشراف الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، الطبعة الثانية عام ١٤١٦هـ.

٤٨ ـ **المستدرك**: للحاكم دار الكتب العلمية بيروت ط٢ ١٤٢٢هـ.

٤٩ ـ **المستدرك**: للحاكم دار الميمان ط١ ١٤٣٥هـ الرياض.

٥٠ ـ **المسند**: للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، الطبعة الأولى الميمنية المعروفة بالطبع الهندية الحجرية، مع ترقيم مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع بالرياض.

٥١ ـ **المسند**: أبي يعلى الموصلي

٥٢ ـ مسند **البزار**: المعروف باسم البحر الزخّار.

٥٣ ـ **المصنف فِي الأحاديث والآثار**: للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفِي تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام طبعة دار الفكر بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٥٤ ـ **المصنف**: للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرَّزاق بن همام الصنعاني ومعه كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد رواية عبد الرزاق، اعتنى بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه الشيخ المحدث حبيب الرحمٰن الأعظمي طبعة المكتب الإسلامي بيروت لبنان الطبعة الثانية عام ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٥٥ ـ **المعجم الأوسط**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق د. محمود الطحان طبعة مكتبة المعارف بالرياض الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٥٦ ـ **معالم التنزيل**: للبغوي

٥٧ ـ **المعجم الصغير**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ومعه رسالة غنية الألمعي لمؤلفها العلامة الحافظ أبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي.

٥٨ ـ **المعجم الكبير**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق وتخريج أحمد عبد الحميد السلفي طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان الطبعة الثانية عام ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

٥٩ ـ **الموطأ**: للإمام مالك دار ابن رجب ط١ ـ ٢٠٠٣م مصر.

٦٠ ـ **النهاية فِي غريب الحديث والأثر**: لابن الأثير مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد، بتعليق علي حسن بن عبد الحميد الأثري، طبعة دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة شوال عام ١٤٢٥هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة